الدكتور محمود حمّود

الدّيانةُ السوريّةُ القديمةُ

خلال عصري البرونز الحديث والحديد



الديانة السورية القديمة

خلال عصري البرونز الحديث والحديد

1600 - 333 ق.م

الكتاب:

الـديانـةالسـورية القديمــة
خلال عصري البرونز الحديث والحديد ١٦٠٠-٣٣٣ ق٠م

تأليف:

د . محمود حمّود

الإشراف على النشر:

أ. د. مامون عبد الكريم - المدير العام للآثار والمتاحف

د. يسرى الكجك - مدير مركز الباسل للبحث والتدريب الاثري

التدقيق اللغوي:

أ. محمد خالد حمودة

التصميم والاخراج الفني:

أ. خالد ماجد حياتلة

الرسوم والخرائط:

أ. جهاد ابو كحلة



طباعة مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب

2014

الديانة السورية القديمة

خلال عصري البرونز الحديث والحديد

1600 - 333 ق.م

الدكتور محمـود حمّـود

الإهداء

- *إلى حقول بعل المخضبة بدماء أدونيس..*

المجلَّلة بسماء إيل..

موئل الزعتر وعبق الريحان ...

روابي الغار وعنفوان السنديان..

- *إلى أرض ما ضنَّت يوماً على أحد...*

وجدها الجهلة والأشقياء...

أمي الثكلى.. سورية ..

ثقي أن نجيع أطهارك الذين غادروا بلا ذنب،

سيزهر ضياء وارفة على أرواح من يحبك

د. محمـود ...

الفهرس

الباب الثالث: الطقوس الدينيــة

الباب الرابع: الموت وتقديس الأسلاف

الباب الخامس: التفاعل الديني بين سورية وجوارها

تقديم

تنـاول الباحثـون منـذ عـشرات السـنين مسـألة الديانـة في سـورية خـلال العصـور القديمـة، وذلـك عـلى ضـوء الدراسـات التـي جـرت في مواقـع أثريـة مهمـة؛ مثـل مـاري وإبـلا وأوغاريـت وغيرهـا. وكان للاكتشـافات المتمثلـة بالمعابـد في تلـك الممالـك أهميـة كبـيرة في إيضـاح جوانـب عديـدة مـن المفاهيـم المتعلقـة بالديانـة، سـيّما بعـد اكتشـاف الآلاف مـن المنحوتـات والرسـومات والرمـوز والنصـوص التاريخيـة التـي سـاعدت في فهـم المعتقـدات السـائدة خـلال الفـترات المختلفـة مـن عصـور البرونـز والحديـد.

وهـذا الكتـاب يتنـاول جوانـب مهمـة مـن الحيـاة الدينيـة القديمـة في سـورية، وذلـك بمـا تتضمنـه مـن عقائـد وطقـوس وشـعائر، كان قـد مارسـها المجتمـع السـوري خـلال تلـك العصـور؛ أي في الفـترة الممتـدة بـين منتصـف الألـف الثـاني حتـى دخـول الاسـكندر المقـدوني لسـورية في القـرن الرابـع قبـل الميـلاد. وقـد جـاء البحـث في خمسـة أبـواب حملـت عناويـن رئيسـة، دلَّـت عـلى أننـا أمـام عمـل متماسـك ومتكامـل. فتنـاول البـاب الأول الآلهـة، والثـاني المعابـد، والثالـث الطقـوس الدينيـة، ثـم تنـاول موضـوع المـوت وتقديـس الأسـلاف في البـاب الرابـع، وفي البـاب الخامـس والأخـير تحـدث عـن التفاعـل الدينـي بـين سـورية وجوارهـا.

لقد قدم الباحث فيه دراسة تفصيلية وتحليلية دقيقة؛ تاريخية وأثرية، مستندة على النصوص الكتابية المكتشفة في المواقع الأثرية، وعلى نتائج أعمال البعثات الأجنبية والوطنية في تلك المواقع.

ومن هنا نرى؛ أن هذا الكتاب بما يحتويه من دراسة شاملة وعميقة للمفاهيم الدينية السائدة في تلك العصور، يعد مرجعاً علمياً مهماً للقراء والباحثين في اللغة العربية، ويثري مكتباتنا الوطنية. ورغم وجود الكثير من البحوث التي تناولت جوانب معينة من الديانة السورية خلال العصور القديمة، فإننا نرى أن أهمية هذا الكتاب تكمن في شموليته وتحديثه للكثير من الأفكار والمعطيات العلمية التي نشرت خلال السنوات الأخيرة، والتي استطاع الباحث أن يقدمها ضمن سياق تاريخي محكم، وأسلوب لغوي واضح ومميز، تساعد في فهم الحياة الدينية في سورية القديمة بطريقة صحيحة ومفيدة.

أخيراً؛ لا بد من الإشارة إلى أن الدكتور محمود حمود من الباحثين الجديين الذين اهتموا بالبحث العلمي الأثري، ناهيك عن قيامه بالمساهمة مع زملائه في دائرة آثار ريف دمشق بعدد كبير من أعمال التنقيب والمسح الأثري في مناطق ريف دمشق، وتم نشر نتائج الكثير منها، وكان لها أهمية علمية كبيرة فضلاً عن مساهمتها في توثيق وحفظ عدد كبير من المواقع الأثرية في هذه المنطقة، الأمر الذي يجعلنا نعتمد على أعماله مرجعاً موثوقاً، وإضافات ملحة في عالم الآثار.

أ.د.مأمون عبد الكريم

المدير العام للآثار والمتاحف

المقدمة

يدور مفهوم الدين على الاعتقاد بوجود كائنات قوية، لها قدرة فوق بشرية، وفوق طبيعية، يدركها البشر، ويتوجب عليهم إقامة علاقات معها، لينالوا السرور والرضى الكفيلين بملء جزء من المساحة الروحية الخاوية لديهم، وخلق حالة إيمانية تمنحهم الطمأنينة، وتشعرهم بنوع من التوازن النفسي المنشود. وقد تبلور هذا الفهم خلال مراحل التاريخ المتعاقبة، على شكل أنواع مختلفة من العقائد، والعبادات، ومفاهيم، ومنظومات للسلوك والقيم والأخلاق، ومؤسسات قامت على حسن تنفيذ الضوابط الدينية الموضوعة.

لقد كانت الأرض السورية؛ عبر التاريخ، مهداً لأول المعتقدات البشرية التي ازدادت عمقاً عبر العصور، وما ذلك إلا بفعل التنوع الحضاري، والتراكم الثقافي المستمر. فبعد البداية القوية للعقائد التي سادت في عصر النيوليت (الحجري الحديث)، نجدها وقد انتظمت ضمن نفس السياق المعرفي لتحقق نضوجها، وذلك خلال العصور التاريخية، بعد أن أكسبتها التبدّلات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ثراءً وتلوّناً قلَّ نظيره.

إن الإحاطة بطبيعة الحياة الدينية التي قامت في المجتمعات السورية

القديمة منذ نشأتها، لهو موضوع يحتاج لأكثر من مجلد لتغطيته بالشكل المطلوب، وسنحاول من خلال هذا البحث إلقاء الضوء على ملامح تلك الحياة خلال الفترة الممتدة من بداية عصر البرونز الحديث حتى نهاية عصر الحديد[1]، أي بين منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وحتى دخول الأسكندر لسورية، (وهي الفترة التي شهدت بزوغ شمس عدد من الممالك والإمبراطوريات وأفول أخرى). وسنرصد من خلاله أثر التغيرات الحاصلة على الفكر الديني المتجلية بكثير من أشكال العبادة، كالآلهة وبيوتها وطقوس وممارسات دينية أخرى، كما سنرصد المصير الذي آلت إليه الكثير من أوجه العبادة الدينية المحلية، والتأثير الذي تركته الديانة السورية على سكان المناطق المجاورة، والتأثر الذي طالها أيضاً من هذا الجوار، وحالة التلاقح الناشئة عن هذا التداخل الحضاري، وبمعنى آخر العلاقات الدينية المتبادلة التي لاشك أنها كانت مبنية على علاقات اقتصادية سابقة لها.

نادراً ما نال موضوع الحياة الدينية في سورية القديمة الاهتمام المطلوب من قبل الباحثين، وإن حصل فقد تمَّ التعاطي معه بشكل عرضي، أو كعنوان فرعي يقتصر على عرض بعض الجوانب الدينية في موقع من المواقع دون غيره. ومن هنا يأتي هذا البحث ليحاول تقديم عرض بانورامي وصفي وتفصيلي لا يخلو من التحليل لكثير من جوانب الحياة الدينية في سورية القديمة خلال ما يزيد عن الألف عام، تُغْني معارف قارئ العربية، وتُطلِعهُ على أحد الجوانب الروحية من مكونات الحضارة السورية الغابرة.

1 درج الآثاريون على تقسيم العصور التاريخية في سورية ومنطقة المشرق كالتالي: عصر البرونز القديم (الباكر) 3000ـ 2000 ق. م، وعصر البرونز الوسيط 2000ـ 1600 ق. م، وعصر البرونز الحديث (الأخير) 1600ـ 1200 ق.م، ثم عصر الحديد ويمتد من 1200 ـ 333 ق. م، ثم العصر الهلنستي ويمتد حتى 64 ق.م، حيث يبدأ العصر الروماني مع دخول بومبيوس سورية، ويقسم كل عصر من العصور السابقة لعدد من التقسيمات الفرعية.

ولإنجاز هذا البحث، الذي كان بالأساس أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في تاريخ الشرق القديم، حيث جرى تحكيمها بجامعة دمشق، ونالت مرتبة الإمتياز، كان لا بد لي من الاطّلاع على أغلب المنشورات ذات الصلة، ومن بينها أحدث الدراسات الأثرية والتاريخية المستندة إلى النصوص المكتشفة في المواقع الأثرية، وعلى عددٍ من التقارير التي تتضمن آخر نتائج ومعطيات التنقيب التي أجرتها بعض البعثات الوطنية والأجنبية العاملة في القطر العربي السوري.

قُسِّم البحث لخمسة أبواب، سبقتها مقدمة، وعرض تاريخي مختصر لأهم الأحداث والمتغيرات السياسية التي حصلت في سورية خلال فترة البحث. يتناول الباب الأول الآلهة السورية، والثاني المعابد، والثالث الطقوس الدينية، أمّا الباب الرابع فيعرض للموت وتقديس الأسلاف، ويتناول الباب الخامس والأخير؛ موضوع التفاعل الديني بين سورية وجوارها، وينتهي البحث بعرض للخاتمة والنتائج.

وننوه إلى أنه رغم استخدامنا لبعض المصطلحات والمسميّات التي تطلق على بعض المجموعات البشرية والشعوب القديمة التي عاشت في المنطقة، من قبيل السومريين، والساميين، والأموريين، والأشوريين، والكنعانيين، والآراميين، والفينيقيين، والحثيين، والحوريين، والعيلاميين، وغير ذلك، فإننا نتحفظ على هذه المصطلحات التي تعرضت لكثير من النقد، وما استخدامنا لها إلا في إطار الاضطرار والضرورة، وذلك لعدم وجود بديل علمي دقيق مواز لها يمكنه أن يجد قبولاً عند الباحثين. إن مثل هذه المسميّات مع الكثير غيرها، ومنها أسماء الكثير من الشخصيات التاريخية، وأسماء الأعلام، والمدن، سبق وأن أُقحمت في تاريخنا القديم الذي تم زجه بالكامل ليُفَصَّلَ على مقاس العهد القديم بكل تفاصيله، فجرت حياكته بشكل محكم من كرة خيوط هذا العهد وكتبه، ما عدا

بعض القطبْ التي فرضتها عوامل الزخرفة أو نفاد الصوف. أما الحاكة المهرة لهذه البضاعة، فهم روَّادُ المستشرقين والآثاريين الغربيين، ومن اتبعهم من طلابهم، ثم من اجترَّ أعمالهم من الباحثين المشرقيين، ومنهم العرب، الذين نقلوا هذا النتاج دراية لا رعاية، وغالوا في تبنّيه والدفاع عنه، وكأنه حقيقة علمية مطلقة وبديهية مقدسة ومسلَّمٌ بها لا يجوز لأحد التطاول عليها. ورغم أنه لا أحد يستطيع نفي ما قد يحتمله هذا النتاج من الحقائق العلمية، لأن أدبيات العهد القديم كانت جزءاً من تاريخ وتراث سكان المنطقة قبل أن يعرفها ويدونها أصحاب هذا الكتاب بآلاف السنين، فهو يُخفي الإجحاف والاستخفاف الذي تم وما يزال يتم التعامل به مع آثارنا، والتوظيف السياسي الخبيث الذي تعرضت له على يد هؤلاء، وذلك على مرأى الكثير من أصحاب الخبرة والقرار الساكتين على تجيير تراثنا، مقابل مكاسب ذاتية رخيصة.

لقد أنبتت الأرض السورية فكراً أصيلاً نبيلاً وسامياً عابراً للقوميات، أشرقت فضائله خيراً ونوراً على أربع جهات الأرض. وقد أدرك الكثير من السوريين قيمة وطنهم منذ سالف الأزمان، ومنهم «ملاغر»[2] الشاعر القديم الذي عبَّرَ عن ذلك بقوله: «.. أيها الغريب إننا نقطن بلداً واحداً هو العالم، وشيء واحد أنبت كل البشر». وأردف بعده الشاعر الآخر «فيلوديمي» موضحاً حقيقة وجوهر الفكر السوري النبيل، الذي استطاع أن يستوعب كل الديانات والأجناس: «... يبدو أن الأقدار أسمتني محبَّ الناس لأنني أشعر دائماً برغبة ملحةٍ لشخصٍ اسمه الإنسان».

2 فيلوديمي وملاغر/ ميلغر، شاعران سوريان من مدينة جدرة Gadra السورية (بلدة أم قيس قرب وادي اليرموك-حالياً داخل الحدود الأردنية). عاش الأول بين 110-40 ق.م. وهو فيلسوف أبيقوري مشهور تتلمذ على يد زينو الصيدوني، وديمتريوس اليوناني. ثم هاجر مع أبويه لأسباب دينية أو مالية إلى الاسكندرية واليونان، ثم روما. أما ملاغر فقد تربى في مدينة صور الواقعة على البحر، وازدادت شهرته في عهد الملك سلوقس السادس 95 - 93، وتمتلئ قصائده بالحب والتمرد.

أخيراً؛ يدفعني الوفاء لتوجيه شكري العميق لكل مخلص وقف معي حتى وضع هذا البحث خواتيمه، وأخصُّ بالذكر: الأساتذة الأفاضل: الدكتور عيد مرعي، والدكتور جباغ قابلو (جامعة دمشق)، والدكتور فاروق إسماعيل (جامعة حلب)، كما أشكر أصدقائي الدكتور مأمون عبد الكريم، والدكتور عمار عبد الرحمن، والمهندس ابراهيم عميري، والأخوة والأحبة المخلصين من المديرية العامة للآثار والمتاحف، لمساهمتهم في وصول هذا البحث إلى أيدي القراء.

دمشق 26/ 3 / 2014 م

عرض تاريخي

بـدأ الحثيـون[1] التوسـع في شـمال سـورية حـوالي (1650 ق.م) فدمّـر حاتوشـيلي الأول ألالاخ وعـدداً مـن المـدن الأخـرى. ثـم واصـل مورشـيلي الأول طريقـه إلى بابـل ليسـقط أسرة حمـورابي (1595 ق.م)، وبعـد عودتـه

1 الحثيـون: أحـد الشـعوب القديمـة التـي اسـتوطنت منطقـة شرقـي ووسـط الأناضـول، أسّسـوا مملكـة قويـة في كبادوكيـة مـرّت خـلال تاريخهـا بمرحلتـين: قديمـة وحديثـة، يفصـل بينهـما فـترة متوسـطة اتسـمت بالضعـف. نشـأت القديمـة مـن اتحـاد الدويـلات الصغـيرة، واتخـذت مـن كوشـار عاصمـة لهـا، ثـم نيسـا (ربمـا كانـت كانيـش)، وأخـيراً خاتي/حاتوشـا، ودامـت مـا يزيـد عـلى المئـة سـنة. مـن أشـهر ملوكهـا أنيتـا: 1700 ق.م، لابارنـا الأول (حاتوشـيلي) المؤسـس الحقيقـي للمملكـة (1650-1620ق.م) الـذي وسـع رقعـة بـلاده حتـى وصـل البحـر المتوسـط وهـدّد شـمال سـورية وحلـب الأموريـة. أمـا مورشـيلي الأول (1620-1590ق.م) فقـد تابـع سياسـة الحـرب والتوسـع، واسـتولى عـلى حلـب، وهاجـم بابـل، وقـضى عـلى المملكـة البابليـة القديمـة نحـو 1590ق.م ممهـداً الطريـق لحكـم الكاشـيين لبـلاد الرافديـن، وفي عهـد تيليبينـو (1525-1500ق.م) ظهـرت المملكـة الحوريـة الميتانيـة في القـرن الخامـس عـشر. ومـن أشـهر ملـوك المملكـة المتوسـطة تاهوروإيـلي ثـم زيدانتـا الثـاني (حـوالي 1450ق.م)، ثـم حاتوشـيلي الثـاني، أمـا المملكـة الحديثـة فقـد أسسـها شـوبيلوليوما (1380-1346ق.م) الـذي احتـل كركميـش وهاجـم العاصمـة الميتانيـة واشـوكاني، وخلفـه في الحكـم مورشـيلي مواتـالي (حـوالي 1320-1290ق.م) الـذي حـارب المصريـين في قـادش، ثـم وقـع معاهـدة سـلام مـع رعمسـيس الثـاني. ثـم حكـم حاتوشـيلي الثالـث (1266-1236ق.م) وشـوبيلو ليومـا الثـاني (1214-1190ق.م)، وقـد ظهـرت خـلال هـذه الفـترة بعـض الإمـارات التـي كانـت خاضعـة للحثيـين، ومنهـا كركميـش (جرابلـس) التـي اسـتخدمت نمطـاً خاصـاً مـن الكتابـة الهيروغليفيـة القريبـة مـن الحثيـة اللوفيـة، كـما بـدأ المـدّ الآرامـي يجتـاح هـذه الإمـارات أواخـر الألـف الثـاني، ثـم بـدأت تتسـاقط بيـد الآشـوريين الواحـدة تلـو الأخـرى. بـدات التنقيبـات الأثريـة في العاصمـة الحثيـة خاتي/حاتوشـا (بوغازكـوي) منـذ عـام 1906م، وتـم العثـور عـلى مـا يزيـد عـن العـشرة آلاف رقيـم فخـاري بلغـات متعـددة، معظمهـا بالحثيـة التـي صنفهـا بعـض الباحثـين (هـرزوني) عـلى أنهـا لغـة هنـدو أوربيـة رغـم تداخلهـا مـع لغـات المنطقـة، أهمهـا الأكاديـة التـي كانـت أغلـب المراسـلات تتـم بهـا.

تم اغتياله في عاصمته حاتوشا، لتمر الامبراطورية الحثية بفترة من الاضطرابات، جعلتها غير قادرة على التدخل في شؤون شمال سورية، مما مكن حلب من استعادة بعض النفوذ. لكن الخطر يتجدد ويأتي هذه المرة من الجهة الشمالية الشرقية؛ حيث كان الحوريون الميتانيون قد أسسوا دولتهم، وبدؤوا بمد نفوذهم نحو الشمال[2].

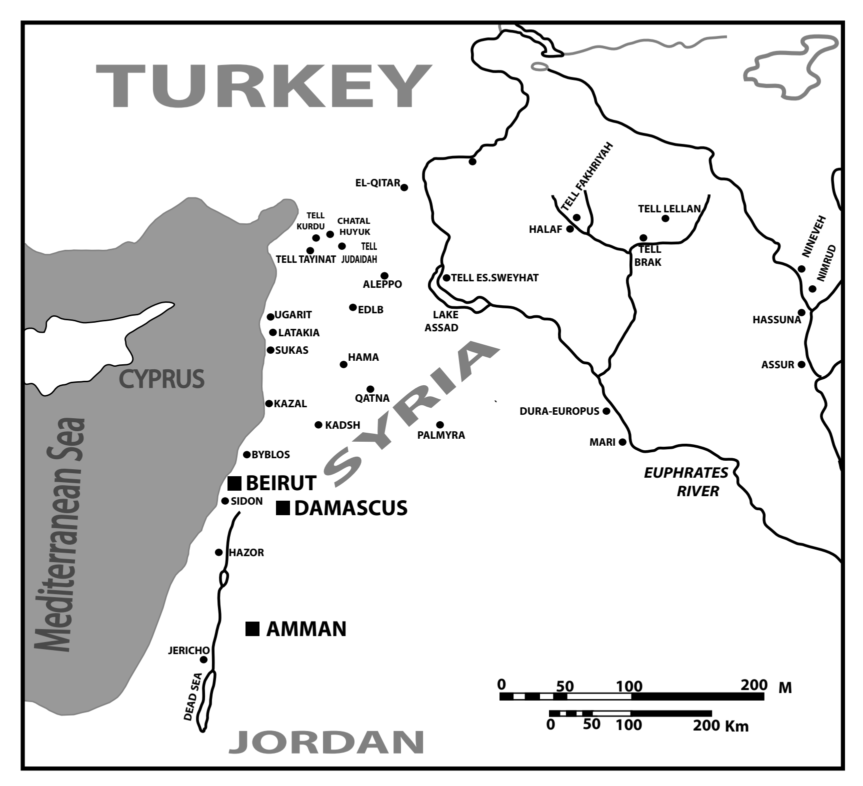
في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م أصبحت سورية منطقة نزاع دائم بين امبراطوريات الشرق القديم الكبرى؛ وهي المصرية الحديثة، والحورية الميتانية[3]، والحثية الحديثة. وبرزت خلال ذلك بعض الممالك المحلية التي حاولت التخلص من سيطرة الامبراطوريات الكبرى كمملكة أمورو وقادش، لكن دون جدوى. (الشكل1).

بالنسبة لمصر وبعدما أخرج الفرعون أحمس الأول (1550 - 1527 ق.م مؤسس الأسرة الثامنة عشرة) فلول الهكسوس من مصر، خلفه على العرش ابنه امنحوتب الأول (1527 - 1506ق.م)، ثم حفيده تحوتمس الأول (1506 - 1494 ق.م)[4]، الذي سار في السنة الثانية من حكمه لسورية، التي كانت المجال الحيوي للتوسع المصري المعتاد، فلم يلق فيها

2 انظر: قابلو، 1999، ص 210.

3 يعود أصل الحوريين للجبال الشمالية والشمالية الشرقية من أرض الرافدين، انطلقوا كقوة سياسية وثقافية جديدة خلال الألف الثاني ق.م، بنفس الوقت الذي ظهرت فيه المجموعات الحثية في الأناضول، فنشأت بينهم الكثير من النزاعات والمنافسات حول السيادة في سورية، ويأتي أول ذكر لاسم ميتاني بعهد حكم تحوتمس الأول 1506-1494، أو 1494-1482 ق.م، وكان آخر ذكر لها بفترة حكم تيغلات ـ بليسر الأول 1114 - 1076 ق.م وهي أرض عرفت أيضاً باسم حوري، امتدت حدودها من كركوك شرقاً وحتى العاصي والمتوسط غرباً، وأعالي الفرات شمالاً، عاصمتها واشوكاني، ظن باحثون أنها تل الفخيرية/سيكاني القديمة (قرب القامشلي)، من مراكزها الأساسية نوزي/غازور في العهد الأكادي (تل يورغان تبه 12 جنوب غرب كركوك)، وتل براك (ناجار القديمة) 40 كم شرق الحسكة قرب نهر جغجغ. انفسمت مملكتهم لاحقاً لمملكة حوري ومملكة ميتاني، وبقيت المنافسة قوية بينهما رغم القرابة بين حكامهما، وساند الحثيون مملكة حوري. انظر: جرنوت فيلهلم، 2000.

4 تبقى هذه التواريخ تقريبية، فتورد بعض المراجع أن حكم تحوتمس الأول امتد من 1525 - 1515، وتحوتمس الثالث من 1490 - 1436ق.م.



الشكل رقم (1)
خارطة الشرق القديم الكبرى

مقاومـة تذكـر، ووصـل حتـى نهـر الفـرات، حيـث تبـدأ أرض (نهارينـا) وهـي الامبراطوريـة الحوريـة الثانيـة. ثـم عـبر نهـر الفـرات، عنـد مدينـة كركميـش، وأقـام نصبـاً عـلى ضفتـه الشرقيـة، حـدّد بـه حـدود مملكتـه، وقـد شـاهد النصـب تحوتمـس الثالـث أثنـاء حملتـه عـلى المنطقـة فيـما بعـد.

بعـد ذلـك شـجع الحوريـون عـلى قيـام تحالـف للممالـك والمـدن السـورية



الشكل رقم (2)
تل المتسلم – مَجِدُّو - فلسطين

ضد مصر، ضم ثلاثمئة وثلاثين أميراً، بقيادة أمير قادش[5]، الذي استغل وفاة الملكة حتشبسوت، وجمع قوات التحالف في مجِدّو (تل المتسلم شمال فلسطين) (الشكل2)[6]، ودارت عندها المعركة (1482ق.م) التي انتصر فيها الفرعون الجديد تحوتمس الثالث (1490-1436 ق.م) على التحالف وأخضعهم جميعاً[7].

5 قادش: هي تل النبي مندو، تتموضع على نهر العاصي (30 كم جنوب غرب حمص)، اسمها القديم كينزا، تبلغ مساحة التل 10هكتار، نقب فيه M. Pezard بين 1921-1922م، ثم ب.ج. بار P.J.Parr بين 1975 و 1996م. سُكن الموقع منذ العصر الحجري الحديث، ثم في العصور البرونزية، فعصر الحديد، والعصور الكلاسيكية. جرت فيه المعركة الشهيرة بين رعمسيس الثاني وملك الحثيين مورشيلي مواتالي حوالي 1285. للمزيد، انظر:

-Bienkowski، 2000، p.16،162

6 يعتقد بعض الباحثين أن ملوك ميتاني هم من حرّض ملك قادش على التصدي لجيش مصر في مجِدّو مع حلفائه من الأمراء، وقد تمكن الجيش المصري من محاصرة مجدّو طيلة سبعة عشر شهراً، وانتهى الحصار بعقد معاهدة أقسم فيها الأمراء السوريون يمين الولاء للملك المصري والامتناع عن محاربته.

7 مرعي، 2010، ص 139، 140.

واصل ذاك الفرعون حملاته على سورية، بحيث بلغ في حملته الثامنة شمالها مرتحلاً من قطنة (تل المشرفة)، ووصل منها إلى كركميش (جرابلس)، ومن أجل عبور النهر لملاحقة فلول جيش ميتاني، اصطحب معه سفناً صنعها قرب جبيل (حُملت مفككة على عربات تجرها الثيران). لكن الملك الميتاني استطاع الانسحاب «بسرعة مثل أسراب الطيور»، إلى المناطق الداخلية[8]. ومن هنا اجتاح الجيش المصري إيمار (مسكنة حالياً) وعاد منها إلى قلعة المضيق على العاصي ومنها انطلق جنوباً عبر أراضي حمص وحسياء والقلمون إلى عدرا فدمشق، ومن ثم جنوباً إلى حوران فحوض الأردن وفلسطين إلى غزة ورفح، ليعود إلى ممفيس[9]. بعدها تابع تحوتمس إرسال الحملات حتى وصل مجموعها إلى ثماني عشرة حملة. (الشكل3).

الشكل رقم (3)
تمثال الفرعون تحوتمس الثالث

ورغم الانتصارات فإن المصريين لم يستطيعوا الدفاع عن شمال سورية ضد هجمات الحوريين. وأصبحت سورية منذ عهد امنحوتب الثاني (1438 - 1412 ق.م)، خليفة تحوتمس الثالث قسمين، شمالي ويصل لقرب قطنة (تل المشرفة حالياً) ويخضع لحوري ميتاني، وجنوبي يمتد على ساحل البحر المتوسط حتى أوغاريت (رأس الشمرا حالياً)، وتخضع لمصر. وبقي هذا الوضع قائماً حتى القرن

8 أحمد، 1996، ص 165.

9 أبو عساف، 2009، ص 8.

الرابع عشر. ويظهر أن السلالات الحاكمة المحلية بقيت قائمة، ما دامت موالية لحوري ميتاني، أو لمصر، وتمتعت باستقلال ذاتي، ولكن كان عليها تأدية يمين الولاء والطاعة للسيد الأعلى[10]. ويبدو أن معاهدة سلام كانت قد وُقِّعتْ بين امنحوتب/أمنوفس الثالث (1412 - 1403 ق.م) وأرتاماتا الميتاني، سقطت بعدها نظرية القوة، وطغت عليها سياسة الحوار المبيّنة في عشرات الرقم الطينية التي عثر عليها في عاصمة أمنوفس الثالث (أخناتون) وهي التي عُرفت بالتاريخ باسم رسائل العمارنة[11]. وتظهر دراسة هذه الرسائل أن مناطق النفوذ المصري في سورية وفلسطين خلال منتصف القرن الرابع عشر كانت مقسمة لثلاثة أقاليم: بلاد كنعان ومركزها غزة، بلاد أمورو (من جبيل إلى جنوب أوغاريت) مركزها أمورو، وبلاد آبو (من قادش إلى حاصور) ومركزها كامد اللوز، كل واحد من تلك الأقاليم كان يعتمد على موظف مصري يقطن في مركز الأقليم، ويقوم بتأمين مصالح الفرعون[12].

ومع تزايد إهمال السلطات المصرية لأمور سورية، ازداد دور الحكام المحليين الذين بدأوا بمحاولة توسيع مناطق نفوذهم على حساب جيرانهم، كما حاول بعضهم التخلص من السيطرة المصرية، ونقل ولائهم للحثيين الذين ازداد تدخلهم في الشؤون السورية، وأشهر الحكام المحليين حسب رسائل العمارنة «عبدي عشيرتا» وابنه «عزيرو» اللذان كانا يحكمان في أمورو، ونعرف أخبارهما من خلال رسائل كان يبعثها «رب عدي» أمير جبيل إلى مصر يشتكي فيها من تصرفاتهما ومحاولتهما توسيع نفوذهما. وفي هذه المرحلة نشطت مجموعات بدوية في المنطقة

10 مرعي، 2010، ص 143.

11 أبو عساف، 2009، ص 8.

12 لابات، 2009، ص95.

عرفت بالخابيرو، الذين كانوا يقدمون خدماتهم الحربية للحكام المحليين خصوصاً المعادين للسيادة المصرية. وتتضمن رسائل العمارنة معلومات عن سعي الحثيين للتحريض ضد المصريين[13]. وازداد التوتر بين المصريين والحثيين بعد تمكن شوبيلوليوما من إخراج الحوريين من شمال سورية بشكل نهائي، وأصبح وجهاً لوجه مع المصريين، وكانت معركة قادش (حوالي 1285 أو 1274 ق.م) بين الطرفين التي لم تنته بنتيجة حاسمة لأحد منهما. (الشكل 4).



الشكل رقم (4)
تل النبي مند - قادش

ويبدو أنه كان لموقع المدينة الجغرافي أهميته بدعم المتمردين ضد المصريين، لتحكُّمِها في الطريق الواصل بين الساحل والداخل، وتمتُّعِها بتحصينات طبيعية ممتازة[14]. لكن معركة قادش شكلت خسارة للهيبة المصرية، وأخذ الحكام المحليون في سورية وفلسطين يتحدون المصريين، إلا أن رعمسيس يعيد احتلال المراكز الأساسية للمقاومة، ويقود خلال سنتي حكمه الثامنة والتاسعة هجوماً واسعاً ضد الأراضي السورية التابعة

13 لابات، 2009، ص 96.

14 أحمد، 1996، ص 164.

للحثيـين، وتسـود حالـة مـن الاسـتقرار تـم إقرارهـا من خـلال معاهدة سـلام[15] وقعهـا مـع الملـك الحثـي حاتوشـيلي الثـاني في السـنة الحاديـة والعشريـن مـن حكمـه[16]. ومـما دفـع إلى توقيـع هـذه الاتفاقيـة (حـوالي 1270 أو 1259 ق. م) ظهـور خطـر الآشـوريين وتوسـعهم في الشـمال السـوري والجنـوب البابـلي، فـكان لابـد للطرفـين مـن تقاسـم النفـوذ والسـيادة على سـورية لتصبح سـورية الشـمالية مـن نصيـب الحثيـين في حـين بقـي الجنـوب السـوري مـن دمشـق إلى فلسـطين تحـت النفـوذ المـصري. وقـد كانـت قـادش مـن القسـم الـذي أصبـح تحـت سـيطرة الحثيـين، حتـى سـقطت بيـد شـعوب البحـر حـوالي 1200 ق. م[17]. أمـا السـاحل فيبـدو أن مدينـة أوغاريـت كانـت خـط حـدود النفـوذ بـين الطرفـين، فمـن أوغاريـت وإلى الشـمال كانـت منطقـة نفـوذ حثـي، ومنهـا جنوبـاً كانـت منطقـة نفـوذ مـصري[18]. (الشـكل 5).



الشكل رقم (5)
رمسيس يمسك بصولجان الحرب

سورية في بداية عصر الحديد:

كان الثلـث الأخـير مـن الألـف الثـاني ق.م مـن المراحـل الفاصلـة في

15 مهـدت الاتفاقيـة لقيـام علاقـات وطيـدة بـين الطرفـين، وتبـادل مراسـلات كثـيرة، شـارك فيهـا الأمـراء والأمـيرات، كـما أدت لـزواج رعمسـيس الثـاني مـن أمـيرة حثيـة هـي ابنـة الملـك، وقـد كان للملكـة الحثيـة بودحيبـا Puduhepa دوراً بـارزاً في المفاوضـات الطويلـة مـع الفرعـون، والتـي أدت لعقـد زواج ابنتهـا منـه، وتـم إرسـال الخطيبـة ضمـن موكـب مهيـب برفقـة الكثـير مـن أفـراد الحاشـية والخـدم والهدايـا والماشـية.

16 لابات، 2009، ص 96.

17 Bienkowski، 2000، p. 161، 162

18 قابلو، 1999، ص 220.

تاريخ المنطقة، إذ أدت التطورات التي حصلت خلالها؛ إلى تغيير كلي وعميق لوجه المنطقة عند بداية القرن الثاني عشر ق.م. فقد ضربت كارثة ضخمة بعض المناطق السورية، فأصابت مراكز المدن، ودمرت الأرشيفات السورية التي أوضحت لنا التاريخ السياسي للعصر البرونزي الحديث. وحتى الآن لا توجد شواهد مكتوبة عن القرنين الأخيرين من الألف الثاني ق.م. وقادت ندرة المعلومات المكتوبة إلى تسمية هذه الفترة بالعصر المظلم. ويعود نقص المصادر المكتوبة من سورية نفسها للتغيرات التي حصلت، وبشكل أساسي هجرة الجماعات الآرامية، ولتطور النظام الجديد للكتابة؛ أي الكتابة (السامية) المستقيمة، التي استخدمت بشكل رئيس مواد قابلة للتلف (بردي، جلود) لتدوين النصوص[19]. ومن التغييرات التي حصلت خلال هذه الفترة التاريخية، تراجع فراعنة مصر عن سورية وفلسطين أمام هجمات عنيفة ومتتابعة لشعوب البحر القادمة من بحر إيجه، وسقوط الإمبراطورية الحثية التي كانت تشكل إحدى كفتي الميزان الناظم للتوازن الدولي، وتعرض المدن الكنعانية الكبرى على الساحل السوري للدمار والخراب، وأبرزها أوغاريت مدينة التجارة والحضارة والثقافة، وحاضنة التراث الكنعاني المكتوب، ولا شك أن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية المحلية المتدهورة؛ قد عجلت في انهيار هذه الوحدات[20].

لقد شجع انهيار القوة الحثية في سورية آشور على توسيع نفوذها السياسي حتى المنطقة الساحلية السورية، والسيطرة على الطرق التجارية. وتعكس النقوش الملكية الآشورية المؤرخة في عهد تيغلات - بليسرالأول (1114 - 1076 ق.م) وآشور بيل كالا (1073 - 1056 ق.م)، النشاطات العسكرية في شمالي سورية (خاتي)، ووسطها أمورو[21].

19 كلينغل، 1998، ص 203.

20 Sader،2000،p.62.

21 كلينغل، 1998، ص 203.

بـدأت أوغاريـت تفقـد دورهـا، ودمـرت مسـتوطنة رأس ابـن هـانئ (المجـاورة لهـا)، قبـل أن تسـكن جزئيـاً بالوافديـن الجـدد. وتشـير شـواهد أثريـة مـن تـل سـوكاس (شـوكسي القديمـة) وتـل الكـزل (صومورا/سـيميرا) وفي تـل أرقـا (إرقاتـا) إلى انقطـاع في الاسـتيطان، ودمـر القـصر في كوميـدي[22] (كامـد اللـوز في البقـاع) نحـو (1200 - 1100 ق.م). أمـا المـدن الرئيسـة عـلى السـاحل الجنـوبي؛ مثـل جبيـل وصيـدا وصـور وصاريتـب، فيبـدو أنهـا لم تعـان أبـداً مـن تحـركات شـعوب البحـر، واسـتمرت تحكـم مـن قبـل حـكام محليـين كانـوا مسـتقلين سياسـياً عـن مـصر. في حـين لم يصـل مـدّ شـعوب البحـر إلى مناطـق الداخـل السـوري، وهـذا مـا تظهـره نصـوص إيمـار. ويبـدو أن الدمـار الأخـير لإيمـار سـببه الآراميـون أو جماعـات سـكانية أخـرى وليـس شـعوب البحـر، كـما أن كركميـش كانـت مـا تـزال تحكـم مـن قبـل ملـك حثـي[23].

سورية في الألف الأول

يتصـف تاريـخ سـورية في الألـف الأول قبـل الميـلاد بسـيادة مجموعتـين بشريتـين كبيرتـين، هـما: الآراميـون والفينيقيـون، وقـد اسـتقرت المجموعـة الأولى في المناطـق الداخليـة، وأقامـت بالتـالي ممالـك - مـدن متعـددة، عـلى

---

22 كامـد اللـوز: أكـبر التـلال الأثريـة في سـهل البقـاع اللبنـاني، أبعـاده 300-240 م، وارتفاعـه 26 م. يضـم في طياتـه مدينـة كوميـدي القديمـة التـي عرفـت مـن خـلال النصـوص المصريـة في الألـف الثـاني ق.م كمدينـة مهمـة خضعـت للامبراطوريـة المصريـة، اكتشـفها أ. جـوث A. Guthe عـام 1897م، وأكـد أنهـا مدينـة كوميـدي القديمـة، وأثبتـت ذلـك أربعـة نصـوص مسـمارية اكتشـفت لاحقـاً عـام 1969م. نقبـت في التـل بعثـة أدراهـا أرنولـف كوستشـكArnolf Kuschke عـام 1963م. ثـم رولـف هاشـمان Rolf Hachmann عـام 1981م. ركـزت التنقيبـات عـلى كشـف التحصينـات العائـدة لعـصر البرونـز المتأخـر، كـما عُـثرَ عـلى تحصينـات تعـود لعـصر البرونـز الوسـيط، ومعبـد وقـصر منفصلـين عـن بعضهـما بواسـطة حديقـة مفتوحـة عـلى شـارع يقـود لخـارج المدينـة. إلى الـشرق مـن القـصر عـثر عـلى مدافـن ربمـا تعـود إلى حـكام كوميـدي. بعـد هجـر الموقـع لفـترة مـن الزمـن كان هنـاك ثمـاني سـويات أثريـة دلـت عـلى بلـدة ترجـع لعـصر الحديـد، لم تكـن محصنـة، وقـد تضمنـت بيوتـاً صغـيرة بنيـت مـن الخشـب واللـبن، كـما وجـدت سـوية تعـود لعـصر الحديـد الثـاني، والعـصر الفـارسي، والهلنسـتي، والرومـاني، حيـث اقتـصر إشـغال الموقـع خـلال هـذه المراحـل عـلى الدفـن فقـط.

23 كلينغل، 1998، ص 204.

حين استوطنت المجموعة الثانية في المناطق الساحلية، وكان لها دور بارز في التجارة والملاحة البحريتين. يضاف إلى هاتين المجموعتين جماعات المؤابيين والأدوميين والعمونيين وغيرهم. كما تعرضت سورية خلال الألف الأول قبل الميلاد لسيطرة قوى مجاورة كبرى هاجمتها بجيوشها، وأخضعت ممالكها المتعددة التي لم تنعم بالاستقلال، وتوجب عليها دفع جزية باستمرار لهذه القوى. من هذه القوى الامبراطوريتين الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة والإمبراطورية الإخمينية[24] التي سيطرت على سورية بشكل متعاقب خلال الألف الأول قبل الميلاد، كما لم تسلم سورية من تدخلات المصريين الذين حاولوا استعادة مناطق نفوذهم القديمة[25].

24 الأخمينيون: سلالة فارسية حكمت منطقة إيران بدءاً من منتصف القرن السادس ق.م تقريباً بعدما أطاحت بحكم الميديين (حكموا من حوالي 600 ق. م تقريباً)، واستمرت حوالي 200سنة، امتدت سيطرتها من مصر والمتوسط غرباً، وحتى وادي السند شرقاً، والبحرالأسود شمالاً، ويعتقد أن المؤسس الأسطوري للسلالة هو أخمينيس Achaemenens (لفظ يوناني للأسم الفارسي حاخامانيش Hakhamanish) الذي حكم إحدى قبائل الهضبة الإيرانية أواخر القرن الثامن ق.م، من أشهر ملوكها داريوس Darius وكان ترتيبه التاسع بينهم، وسَيروس Cyrus الثاني الذي حكم حوالي 559 ق.م واستطاع خلال عشرين عاماً أن يحتل بابل، وبالتالي سيطر على كل ممتلكات الامبراطورية البابلية الحديثة، ومنها: سورية وفلسطين وفينيقيا وآسيا الصغرى وشمال الجزيرة العربية. وهناك سَيروس Cyrus الابن، وكامبياسيس الثاني (530-522 ق.م) Cambyses الذي فتح مصر عام 525 ق.م، ومات في طريق عودته لوطنه للقضاء على تمرد قام ضده، ثم حكم سلفه داريوس الأول (522 - 486 ق.م)، وربما كان مغتصباً للعرش، فقام بالقضاء على التمرد، وأعاد تنظيم الامبراطورية بتقسيمها لأقاليم يدعى واحدها بالساتراب Satrapies يديرها حاكم فارسي، ونقل العاصمة من بازارغادا Pasargadae إلى بيرسيبوليس Persepolis مع بقاء سوزا عاصمة شتوية. وخلال حكم سَيروس الثاني وداريوس الأول أصبحت الزرداشتية دين الدولة ونسبت إلى مؤسسها زرداشت الذي- - عاش في حوالي سنة 600 ق.م في مدينة بكتريا شرق إيران (بأقليم وزيرستان بأفغانستان)، والذي علَّم أن هناك إله واحد أعلى يدعى "أهورا مازدا" سيد الحكمة مع وجود آلهة محلية. وصلت حدود الامبراطورية الاخمينية إلى أقصى اتساع لها تحت حكم داريوس. فبلغت وادي السند وباكستان شرقاً، وليبيا غرباً، وخليج عمان جنوباً، وبحر آرال شمالاً، وحاول احتلال دويلات المدن اليونانية فهُزمَ في سهل الماراثون عام 490 ق.م، كما هُزمَ بعده أكسيركيس (486-465) في سلاميس عام 480 ق.م، وحكم الامبراطورية بعده حكام ضعفاء صرفوا جهودهم لمواجهة التمردات والفضائح والدسائس، وكان آخرهم داريوس الثالث (336-330 ق.م) الذي هزمه الإسكندر الأكبر في معركة غوغاميليا الواقعة شمال العراق عام 331 ق.م، واستطاع الفرار، لكن أحد حكامه على ساتراب بكتريا ويدعى بيزيوس غدر به وقتله. انظر:
The Assyrian Dictionary، 1961، Fourth Printing. 1998، Vol; 21.(Z)، Chicago(U.S.A)،p.1

25 مرعي، 2010، ص 189.

الآراميـون

ترجـع أصولهـم إلى قبائـل بدويـة عاشـت وتنقلـت في الباديـة السـورية، وبخاصـة مـا بـين سلسـلة الجبـال التدمريـة وجبـل بـشري. ظهـروا عـلى مـسرح التاريـخ في منطقـة المـشرق العـربي القديـم منـذ الألـف الثـاني، وقـد وقعـت أحـداث مهمـة خـلال الفـترة التـي ظهـروا فيهـا عـلى السـاحة، ولكنهـم لم يسـتطيعوا أن يؤسسـوا دوراً سياسـياً ودوليـاً في المنطقـة إلا في الألـف الأول ق.م، وذلـك عندمـا قامـت لهـم دول في سـورية، وفي بـلاد بابـل. ولكـن دورهـم السـياسي لم يطـل أمـده أكـثر مـن أربعـة قـرون، فـزال نفوذهـم، وانهـار سـلطانهم منـذ بـدء ظهـور الإمبراطوريـة الآشـورية الحديثـة القويـة، التـي شـكلت خطـراً كبـيراً عليهـم وعـلى جيرانهـم مـن الشـعوب الأخـرى[26].

حـلَّ الآراميـون محـل البيـوت الحاكمـة المنهـارة في حلـب وحـماة ودمشـق، ومـدّوا سـيطرتهم عـلى حـوضي الفـرات الأعـلى والأوسـط والخابـور، وعـلى سـفوح طـوروس والأمانـوس، وجبـال لبنـان، وحرمـون، والجليـل، حاملـين معهـم لهجتهـم المختلفـة عـن الكنعانيـة التـي احتفظـت بقواعدهـا عـلى مناطـق السـاحل الشـمالي، وفي بـلاد كنعـان. وأمـا كياناتهم السياسـية المسـتقلة فكانـت بـدءاً مـن القـرن العـاشر ق.م[27]. في هـذه المناطـق تكيفـت تلـك الجماعـات البدويـة وبسـهولة مـع ظـروف الحيـاة المدنيـة في أماكـن سـكنها الجديـدة مسـتفيدة مـن الإرث الحضـاري للسـكان المسـتقرين الذيـن قابلوهم في نفـس الأماكـن[28]. ومـن طبيعـة تحـرك الآراميـين واتجاهـه، تتضـح الدوافـع الاقتصاديـة للسـيطرة عـلى طـرق قوافـل التجـارة مـا بـين وادي الفـرات والبحـر المتوسـط، ومـا بـين الأناضـول والجنـوب، أي نحـو بـلاد جزيـرة العـرب ومـصر، وهـي طـرق تمـر كلهـا في منطقـة حلـب[29].

26 دوبون، 1988، ص 14.

27 Sader،2000،P.61.

28 Trokay،1996،p.97.

29 فرزات، 1985 b، ص 176.

وفي هـذا الوقـت شـكا منهـم كل حـكام المنطقـة، ومنهـم الملـك الحثـي حاتوشـيلي الثالـث، الـذي وجـه رسـالة إلى ملـك بابـل الـكاشي كدشـمان انليـل الثـاني يذكـر فيهـا أن الأحلامـو (الآراميـون) صـاروا يشـكلون خطـراً عـلى الطريـق بـين المملكتـين[30].

وهنـاك مـن يـرى في الأحلامـو صفـة للآراميـين أو قبيلـة منهـم، وقـد جـاء ذكرهـم في حوليـات ملـوك آشـور ومنهـم اريـك ديـن إيـل (1325 - 1311 ق.م)، الـذي خـاض معركـة ضدهـم وضـد السـوتو. وكـما هـو معـروف فقـد كان الآشـوريون يسـيطرون في تلـك الفـترة عـلى منطقـة أعـالي نهـر دجلـة[31]. ونجـح بردهـم عنهـا حسـبما رواه أدد - نِـراري الأول خليفـة اريـك - ديـن - إيـل. ويشـير تيغـلات - بليـسرالأول إلى أنـه وصـل إلى جبـال لبنـان وسـواحل البحـر المتوسـط للحصـول عـلى أخشـاب الأرز، وفي نيتـه السـيطرة عـلى طـرق التجـارة العابـرة لمناطـق الآراميـين الذاهبـة إلى خـاتي وأمـورو والممتـدة حتـى سـواحل المتوسـط.

كـما اتبـع آشـور - بـل كالا الأسـلوب نفسـه، إذ يفتخـر بأنـه طـارد الأعـداء حتـى سـفوح جبـل لبنـان[32]. كـما ويزعـم تيغـلات - بليـسرالأول (1112 - 1074 ق.م) أنـه خـرَّب في يـوم واحـد بـلاد (أحلامـو آرام) الممتـدة مـن بـلاد سـوخي عـلى أواسـط الفـرات، حتـى كركميـش في أعاليـه، ثـم اجتـاز النهـر إلى الباديـة الشـامية، ودمّـر سـتاً مـن مدنهـم عـلى سـفوح جبـال بـشري، التـي يظـن أنهـا هـي جبـال الأحلامـو التـي سـبق ذكرهـا. واضطـرَّ هـذا الملـك لأن يجتـاز الفـرات ثمـاني وعشريـن مـرة ليحـارب الأحلامـو – آرام[33].

30 اسماعيل، 2001، ص 7.

31 دوبون، 1988، ص 21.

32 كلينغل، 1998، ص 206 ـ 208.

33 Sader،2000،pp.61-76،p64-65

أما المسار الذي أدى لظهور الدويلات الآرامية فهو غير واضح لندرة المصادر الكتابية. إلا أن الشيء الأكيد؛ هو أن تاريخ الدول الآرامية يبدأ من اللحظة التي تبدأ بذكرها الحوليات الآشورية. رغم أن الإشارات الموجودة تسمح لنا بأن نستشف السياق العام الذي جرت فيه الأحداث[34]. لقد تأسست الكيانات الآرامية على كل أراضي بلاد الشام تقريباً رغم بقاء بعض الجيوب الحثية، واستمرار الكيانات الكنعانية الساحلية في حقبة مزدهرة وتفاعلها ثقافياً مع الآراميين مع احتفاظها بالكثير من عناصر استقلاليتها. أما السيادة الآشورية فكانت بين مد وجزر، والأصح بين ممارسة الإخضاع الفعلي لبلاد الشام وبين السلطة الشكلية تبعاً لقوة أو ضعف الملك الحاكم في آشور[35].

من الممالك الآرامية السورية؛ دمشق، وهي التي تبعت في نهاية الألف الثاني ق.م لمقاطعة (آبوم)، وكانت عاصمتها كوميدي (كامد اللوز حاليا) ثم انفصلت. وتبعت لمملكة صوبا الآرامية الواقعة على الأرجح في سهل البقاع الشمالي وجبال لبنان الشرقية. وقد تطورت آرام دمشق أواخر القرن العاشر ق.م، فأصبحت مملكة كبرى تمتد من الفرات إلى اليرموك جنوباً. وبلغت درجة كبيرة من القوة والنفوذ الواسع، مما مكنها في عهد ملكها «بر حدد الثاني» من الوقوف على رأس تحالف الدول الآرامية لمواجهة القوات الآشورية بقيادة «شلمنصر الثالث» في معركة

34 Sader،1987،P.274

35 الحلو، 2004، ص 703.

قرقر[36] سنة 853 ق.م.

قاد شلمنصر عدة حملات ضد دمشق وملكها حزائيل عام 841 ق.م، ولم يستطع احتلالها[37]. وبعد موته قام بر حدد الثالث ابن حزائيل بتوجيه سياسته نحو الشمال[38]، على حساب مملكة حماة. ويخبرنا زكير ملك حماة ولعش عن قيام تحالف كبير ضده بزعامة ملك آرام دمشق بر حدد بن حزائيل وستة عشر ملكاً آخر، حاصروه في «حزرك». وفي العام 831 ق.م خرب شلمنصر غوطة دمشق ودمر مدنها. وفعل تيغلات - بليسرالثالث، الشيء نفسه بين 737 - 735 ق.م[39]. لكن دمشق وقعت سنة 732 ق.م، في قبضة الآشوريين الذين أعدموا ملكها رصين، وتم تهجير معظم سكانها، وحولت دمشق لمقاطعة آشورية. وربما تبعت بعض الإمارات الصغيرة في غربي دمشق وجنوبها لمملكة دمشق، مثل: آرام بيت رحوب، آرام ماكاح (معكا)، في منطقة الجولان، وجيشور[40]. ومن الملوك الذين عرفوا كحكام لدمشق حتى أواسط القرن التاسع ق.م:

36 يقع تل قرقور شمالي سهل الغاب بمحافظة حماة إلى الجنوب 10 كم من مدينة جسر الشغور، وهو واحد من أكبر المواقع الأثرية في حوض العاصي مساحته حوالي 10 هكتار، يتكون من كتلتين، ارتفاعه حوالي 30 م عن الأرض المحيطة. بدأت التنقيب فيه بعثة أمريكية من مدرسة الدراسات المشرقية بإدارة رودولف دورنمان Rudolph Dornemann من عام 1993 وحتى 2004، واستمرت بإدارة جيس كاسانا Jesse Casana من جامعة أركانساس Arkansas بدءاً من 2005 وحتى 2010، وقد تبين أن أقدم السويات الأثرية في الموقع ترجعِ للألف التاسع 8500 ق.م وآخرها يعود للعصر المملوكي، لكن السويات الأكثر أهمية كانت تلك العائدة لعصر البرونز المبكر الرابع 2200 - 2000 ق.م، وعصر الحديد الأول والثاني 1200 - 500 ق.م. اعتقد بعض الباحثين أن الموقع هو نفسه مدينة قرقر (كاركارا) خلال الألف الأول ق.م التي جرت فيها المعركة الشهيرة بين التحالف السوري الآرامي ضد الملك الآشوري شلمنصر الثالث عام 853 ق.م، وورد فيه ذكر جنديبو العربي، وهو أول ذكر لكلمة عربي في التاريخ القديم، وجنديبو هو شيخ عربي كان من بين المتحالفين، وشارك بالمعركة بألف من راكبي الجمال، ولم تكن المعركة فاصلة بدليل استمرار الحملات الآشورية على المنطقة فيما بعد.

37 دوبون، 1988، ص 67 - 69.

38 فرزات، 1993، ص 131.

39 Hawkins،1982،P.413

40 دوبون، 1988، ص 38.

ريـزون (أواسـط القـرن العـاشر) - حزيـون (أواخـر القـرن العـاشر) - تـاب رامـان (أواخـر العـاشر وبدايـة التاسـع) - بـر حـدد (بدايـة التاسـع) - حـدد إدر (أواسـط التاسـع: 844) - بـر حـدد الثـاني (842/844) – حزائيـل (842 - 800) - بـر حـدد الثالـث (أوائـل القـرن الثامـن) – حاديانـو (الربـع الثـاني مـن القـرن الثامـن) - راديـان (أواسـط القـرن الثامـن ق.م)[41].

أمـا مملكـة حـماة ولعـش: فقـد تميـزت باختـلاط الحثيـين اللوفيـين مـع الآراميـين فيهـا، وبموقعهـا الجغـرافي المتميـز في قلـب سـورية بـين بيئتـين طبيعيتـين متمايزتـين، هـما: الباديـة السـورية في الـشرق، والجبـال في الغـرب[42]. وكانـت مملكـة قويـة انتقـل الحكـم فيهـا مـن أيـدي حـكام حثيـين، إلى أيـدي أمـراء وملـوك آراميـين، أشـهرهم زكـير ملـك حـماة ولعـش، الـذي أفـاد مـن الدعـم الآشـوري لتوسـيع نطـاق مملكتـه وضـم دويلـة لعـش إليهـا، وهـي التـي كانـت تعـرف في النصـف الثـاني مـن الألـف الثـاني ق.م باسـم (نوخـشي)، وكانـت تمتـد إلى الشـمال والشـمال الشرقـي مـن حـماة[43].

ذكرهـا شـلمنصر الثالـث أنهـا كانـت عـلى رأس المتحالفـين ضـده مـع مملكـة دمشـق في معركـة قرقـر سـنة 853 ق.م، التـي ادعـى فيهـا الانتصـار، وفي النهايـة احتلهـا شـاروكين الثـاني (722 - 705 ق.م) بعـد أن هـزم تحالفـاً ضـده في قرقـر، وحولهـا لولايـة آشـورية، ورحّـل الكثـير مـن سـكانها[44].

وتعـد شـمأل/يأدي (زنجـرلي حاليـاً) التـي قامـت عـلى سـفوح الأمانـوس، من أهـم الممالـك الآراميـة. وكانـت محاطـة بمجموعة مـن الإمـارات الحثيـة الآرامية: في الشـمال والغـرب جرجـوم وخيلكـو وملـز وقـو وتبـل، وتتاخـم في الجنـوب

41 بيتارد، 2008، ص 96، 124.

42 إسماعيل، 2001، ص 25.

43 أبو عساف، 1988b، ص 58.

44 أبو عساف، 1988b، ص 58.

والجنوب الشرقي بيت أجوشي. وقد تميزت بالتمازج العرقي بين سكانها (آراميون، لوفيون..)، وتباين مستواهم الحضاري، وولاء ملوكها وتبعيتهم شبه الدائمة لآشور، ووفرة الآثار المادية والكتابية المكتشفة فيها[45].

جاء ذكر شمأل في أحد نصوص المملكة الآشورية القديمة (القرن 19 ق.م)، حيث تضمن النص اسم تاجر آشوري يدفع نفقات لها علاقة برحلة تجارية، يفترض أنها متوجهة لمنطقة جبال الأمانوس لشراء الأخشاب والخمر، وتتضمن النفقات أجرة موظف في شمأل. كما ورد اسمها في قائمة مصرية نقشت على معبد آمون في الكرنك للاحتفال بالفرعون تحوتمس الثالث الذي قام بعدة حملات على هذه المنطقة[46]. من حكام شمأل، جبار، بمه، خايه (والد كيلامو)، شايل (أخو كيلامو)، وأخيراً كيلامو نفسه[47]. وربما كان بر راكب آخر ملوك شمأل، إذ حولت المنطقة بعده إلى ولاية آشورية يحكمها ولاة آشوريون، وذلك في حوالي 720 ق.م، على يد شاروكين[48].

ومن الممالك الآرامية بيت بخياني: عند منابع الخابور عاصمتها جوزان (تل حلف حالياً)، انتهى دورها السياسي حوالي 808 ق.م، عندما قامت فيها ثورة على الآشوريين فأخمدها أدد - نِراري الثالث، وأصبحت ولاية آشورية منذ ذلك الحين[49]. أما مملكة بيت عدين فقامت بمنطقة الفرات الأوسط حتى رافده الخابور بالأسفل وعلى معابر الفرات وأهمها معبر تل - بارسِب (تل أحمر)[50]. في حين قامت مملكة بيت زمان في

45 إسماعيل، 2001، ص 20.

46 Schloen،2009.P.2.

47 Trokay،1996،PP.96-122،P.109.

48 Hawkins j.D،1982،P408

49 أبو عساف، 1981، ص 147.

50 Hawkins j.D،1982،P.375

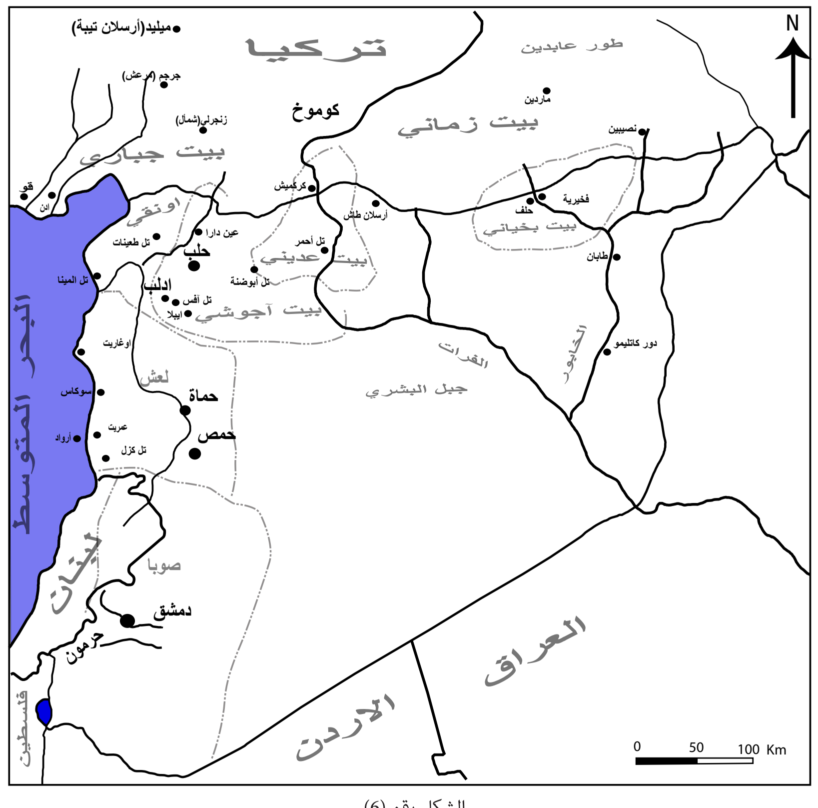
المنطقة الواقعة شمال طور عابدين، وينابيع نهر دجلة، عاصمتها آمد (ديار بكر). وفي منطقة الفرات الأوسط نشأت بعض الإمارات الصغيرة على ضفتي الفرات والخابور السفلي منها بيت خالوب، عند مصب الخابور في الفرات، ولاقي، على ضفتي الفرات جنوب شرق دير الزور، وخندان إلى الجنوب الشرقي من لاقي، وسوخي إلى الجنوب من خندان حتى عانا[51]. ومن ممالك سورية الشمالية بيت أجوشي التي حلت محل بيت عدين مع نهاية القرن التاسع ق.م كأكبر دولة آرامية قوية في الشمال السوري. ذكرت بيت أجوشي خلال حكم آشور - ناصر بال الثاني وخليفته شلمنصر الثالث (858 ـ 824 ق.م)، الذي دفع له ملوك بيت أجوشي الضريبة. ويذكر أدد - نِراري الثالث (810-783 ق.م) أنه غزا أرفاد عاصمة بيت أجوشي، وكان يحكمها عترسمك ابن ادرامو. ونجح ابنه متع إيل في إبقاء دولته المفتاح الأهم في سورية الشمالية[52]، وتزعم مقاومة دول سورية ضد الآشوريين، مما حدا آشور - نِراري الخامس لتوقيع معاهدة معه، حيث أجبره فيها على أداء يمين الولاء والخضوع لآشور، وعدم الوقوف مع أعدائها. لكن أرفاد سقطت على يد تيغلات - بليسرالثالث بعد محاصرته لها بين 742 ـ 740 ق.م، فحولها إلى مقاطعة آشورية، كما كل الشمال السوري. (الشكل 6).

الفينيقيون

كانت المدن الفينيقية مليئة بالناس، وعامرة بالحياة، متقدمة بحضارتها التي لم تأت من فراغ؛ بل جاءت من تراكم لخبرات ومعارف سابقة، ساهم فيها خليط كبير من السكان، هم أبناء المدن السورية الذين عرفوا بالكنعانيين، وأطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيين (لاشتغالهم

51 إسماعيل، 2001، ص 16.

52 Hawkins،1982،P.407



الشكل رقم (6)
الممالك الآرامية

بصباغة وتصنيع الأرجوان). ولعل من أهم الحواضر الكنعانية الفينيقية: أوغاريت، بيبلوس (جبيل)، صيدا، صور، عكا، أرادوس (أرواد)، صمورو (تل الكزل)، إرقاتا (عرقا)، بيروت، طرابلس، وغيرها. ولم تستطع أي مدينة في القسم الشمالي من الساحل أن تلعب الدور الذي لعبته أوغاريت سابقاً خلال هذه الفترة، في حين أصبحت جبيل وصيدا وصور في القسم الجنوبي من الساحل قوة مسيطرة، ليس بسبب نشاطاتها التجارية فقط؛ بل ككيانات سياسية أيضاً. وخلال القرن الحادي عشر ق.م امتدت تجارة الفينيقين على يد تجار من صور وغيرها، إلى مناطق أخرى من المتوسط،

وأسّسوا هناك مستوطنات في قبرص ورودوس وبلاد اليونان ومصر ومالطة وشمال إفريقية وصقلية وسردينيا. وفي نهاية القرن التاسع أسس بعض الفينيقيين الهاربين من صور مدينة قرطاجة[53] (في تونس)[54].

بعد تبعية طويلة لمصر خرجت المدن الفينيقية من ربقة سيطرتهم، وتؤكد قصة «وينامون» المبعوث المصري، الذي جاء للحصول على خشب الأرز ليصنعوا منه القارب المقدس للإله آمون، واستقباله المهين له من قبل أمير جبيل، الذي قال له: «ولا أنا خادم لمن أرسلك»، تؤكد استقلال مدن الساحل الفينيقي عن مصر.

لكن الأذى هذه المرة يأتي من آشور التي قاد ملكها تيغلات – بليسر الأول (1112 – 1074 ق.م) حملة على سورية، وأخذ الجزية من أرواد وجبيل وصيدا[55]. وازدادت وتائر التوسع الآشوري منذ فترة حكم آشور - ناصر بال الثاني (883 - 859 ق.م). وثقلت وطأته أيام الملك الآشوري

53 قرطاجة: معمّرة أسسها فينيقيون قدموا من صور على الشاطئ التونسي حوالي 814 ق.م قرب معمرة سابقة لهم اسمها يوتيقا، وتعني العتيقة وسميت قرطاجة (قرت حدشت) وتعني المدينة الحديثة تمييزاً لها عنها، وقد كانت واحدة من أهم المحطات التجارية الفينيقية التي نشأت على سواحل أفريقيا وأوروبا، ثم توسعت وقويت حتى سيطرت على الجزء الغربي من مناطق البحر المتوسط وسواحل الأطلسي والرأس الأخضر في بريطانيا، استمرت قرطاجة بالتوسع حتى اصطدمت بالإغريق فنشبت الحرب بينهما حوالي 550 ق.م، واستطاعت أن تكسب الرومان لجانبها قبل أن يتنكروا لها وتنشب ثلاثة حروب بينهما على مدى مئة عام بين 246 و146 عرفت بالحروب البونية التي انتهت بقضائهم على حضارة قرطاجة وتدمير وقتل من فيها من السكان. لكن الرومان أعادوا بناء المدينة من جديد على شاكلة روما لتصبح مركزا إقليمياً ثرياً،بعدها تبعت لسيطرة الدولة البيزنطية. من أشهر القادة التاريخيين في قرطاجة هانبيعل (المولود 247 ق.م)، وهو سليل الملكة أليسار الفينيقية التي هاجرت من صور وأسست المدينة، وقد وصلت جيوشه إلى ما يعرف اليوم بفرنسا وإسبانيا وسويسرا وتخوم روما. اهتم الآثاريون بالموقع منذ نهاية القرن التاسع عشر، لكن أعمال التنقيب المكثفة والمنهجية كانت بين 1973 - 1983م تحت إشراف اليونيسكو، حيث عمل فيها 12 فريقاً اكتشفت الحي الفينيقي والميناء ومعبد التوفاة المخصص لبعل حمون وتانيت، والكثير من المنشآت والمباني الأخرى، وخاصة المدرج العائد للعصر الروماني. للمزيد: فينفريد إلليغر، قرطاجة، مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، ترجمة: د. عيد مرعي، دمشق، 2008.

54 كلينغل، 1988، ص 214.

55 الخطيب، 2006، ص 48.

شـلمنصر الثالـث (859 - 824 ق.م). وازداد الضغـط الآشـوري أكـثر في عهـد تيغـلات - بليسرالثالـث (745 - 727 ق.م)، فكانـت كل المناطـق السـورية، بما فيهـا مـدن السـاحل مضطـرة لتقديـم الغنائـم والجزيـة للآشـوريين، وقـراءة تفاصيـل المـواد التـي جـاء ذكرهـا يعطـي انطباعـاً عـلى مـدى الغنـى والـثروة الـذي كانـت تنعـم بهـا سـورية.

وفي عهـد الملـك سـنحريب (705 - 681 ق.م) تحالفـت المـدن السـورية والفينيقيـة ضـد آشـور، لكنـه قهرهـا جميعـاً. أمـا أسرحـدون (681 - 668 ق.م) فقـد اسـتولى عـلى صيـدا، وأعـدم الملـك عبـدي ملكـوتي. ونعمـت المـدن الفينيقيـة بهـدوء نسـبي بعـد تعيـين ملـوك تابعـين لآشـور عليهـا. وبدعـم مـن المصريـين تمـردت بعـض المـدن عـلى آشـور في عهـد ملكهـا آشـور بانيبـال (668 - 626 ق. م)، ومنهـا صـور، وأرواد، لكنـه تمكـن مـن إخـماد الثـورة فيهـا بقسـوة. إن نجـاح سياسـة آشـور - بانيبـال الخارجيـة بالسـيطرة عـلى مناطـق واسـعة جـداً شـملت الهـلال الخصيـب وأجـزاء مـن مـصر، أدى لمشـاكل صعّبـت السـيطرة عليهـا، وكان هـذا السـبب، مـع اتباعـه سياسـة اسـتعمارية ظالمـة، وضعـف اقتصـاد الدولـة (لاعتمادهـا عـلى الجزيـة والضرائـب)، كان أحـد أهـم الأسـباب التـي أدت لانهيـار الامبراطوريـة الآشـورية الحديثـة[56].

اضطربـت الأوضـاع في السـنوات الأخـيرة مـن حكـم آشـور - بانيبـال بسـبب نشـوب حـرب أهليـة تصـارع فيهـا ابنـاه التوأمـان، فرحـل إلى حـران حيـث قـضى سـنواته الأخـيرة هنـاك. أضعفـت الحـرب قـوة آشـور فاسـتطاع نابـو - بـولاصر أول ملـوك المملكـة الكلدانيـة بالتحالـف مـع كياكسريـس الملـك الميـدي (625 - 588 ق.م)، احتـلال الحـواضر الآشـورية: آشـور، كلـخ، نينـوى، سـنة (612 ق.م)، وتدميرهـا.

56 انظر: كيرشباوم، 2008، ص 94.

وتقاسم البابليون والميديون مناطق المملكة الآشورية، واستطاعوا احتلال المقاطعات الغربية[57]. ولكن مصر انتفضت، فقاد الفرعون نكاو/ نيخاو (610 - 595 ق.م) جيشاً وصل إلى كركميش، المكان الذي تحطمت فيه بالنهاية الامبراطورية الآشورية حوالي 605 ق.م، واستطاع الجيش الكلداني بقيادة نبوخذ نصر الثاني هزم التحالف المصري الآشوري[58]، وتابع فلوله جنوباً، واحتل أورشليم مرتين عام (597 - 586 ق.م)، بعد قيامها بقيادة تحالف ضد الكلدانيين، وجرى السبي البابلي المزعوم.

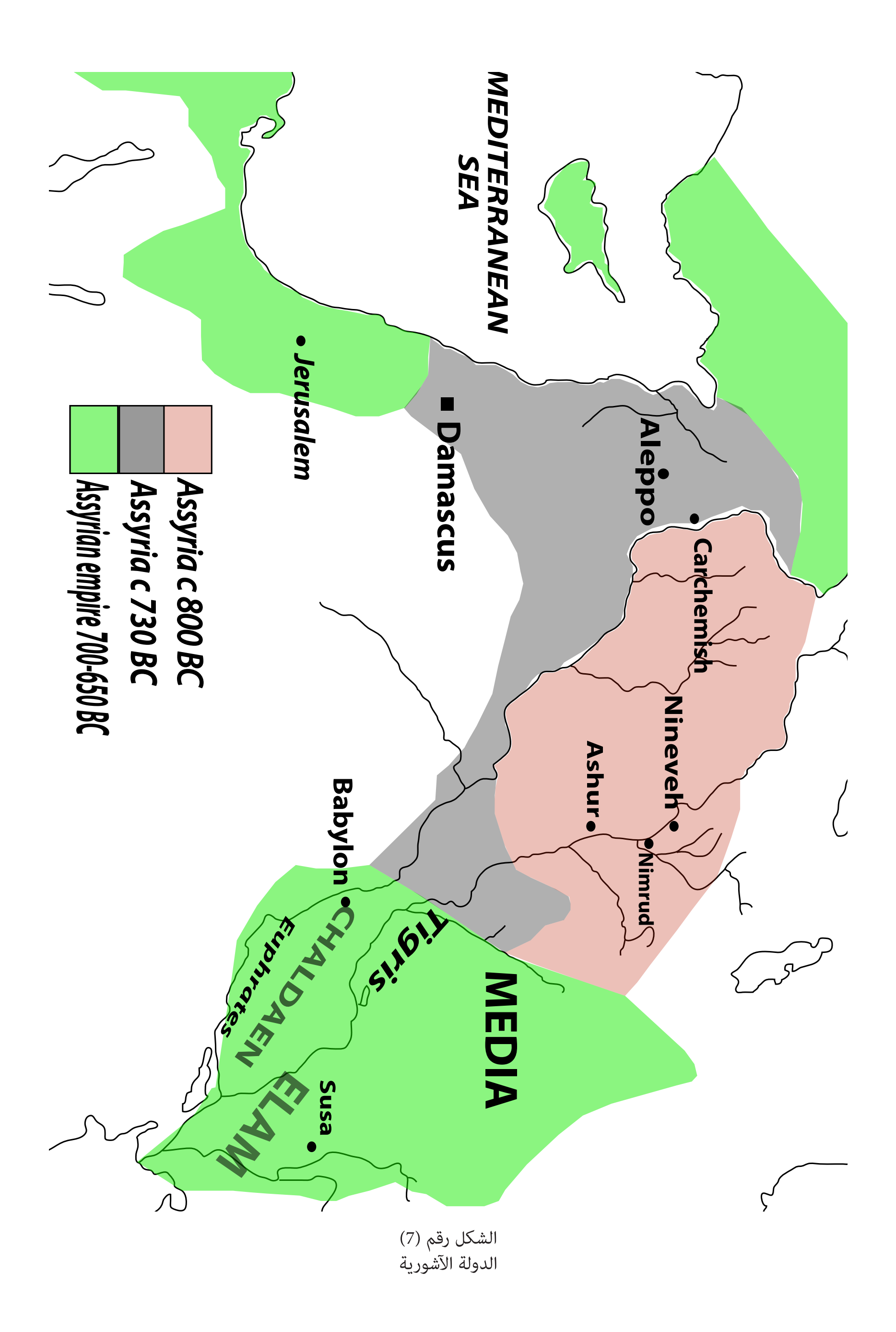
ولم يفكر نكاو بالتدخل في شؤون سورية بعدها، واهتم بشؤون مشاريع بلاده[59]. في حين كان الفرس الإخمينيون قد احتلوا بابل عام (539 ق.م)، لينتقل مصير فينيقيا وجاراتها من البلاد الأخرى إلى أيدي الفرس، لكنه بدا من الواضح أنه كان انتقالاً سهلاً، لم يصحبه شيء من العنف أو الخراب[60]. وظلوا في البلاد حتى احتل الاسكندر المملكة الإخمينية وممتلكاتها (الشكل 7).

57 زودن، 2003، ص 69.

58 Bienkowski،2000،P.65.

59 أحمد، 1996، ص 239.

60 الخطيب، 2006، ص 67.



الشكل رقم (7)
الدولة الآشورية

الباب الأول:

الآلهــة السوريــة

تصوّرَسكان مشرقنا القديم آلهتهم على شاكلتهم بحيث تشبههم في الصفات الفيزيائية والروحية، فهي تغضب وتعطف، تصارع وتهادن، تأكل وتشرب. أمّا علاقتهم مع الكواكب والنجوم وظواهر الطبيعة؛ فقد عرفوا عن طريقها دورة الزمن وتجدّد الحياة، وتأملوا أعماق الكون، وغاصوا في أسراره، وتعرّفوا من خلال متابعة هذه المظاهر الكونية على الكثير من العلوم والمعارف التي كانت تُصنَّفُ تحت ما يسمى بالكهانة والتنجيم والعرافة وقراءة الطالع.

لقد كانت منطقتنا المشرقية المهد الذي شهد ظهور المعبودة الأولى لدى البشر وهي الإلهة الأم التي ترمز للخصوبة والخلق والتكاثر ضمان استمرار الوجود البشري، وقد تم تشخيصها بأنواع من الدمى الحجرية أو الطينية الأنثوية ذات الأعضاء الجنسية الواضحة. كما كان هناك نظير ذكري لها، يمكن فهمه من خلال قرون ورؤوس الثيران التي وجدت في البيوت ومصاطبها وأساساتها. وقد ترسخت هذه الأفكار الدينية خلال العصور التي شهدت بداية الزراعة وتدجين الحيوانات وخاصة في الفترة الممتدة بين الألف الثامن والسادس قبل الميلاد، فازداد الاهتمام بالثور كرمز إلهي يجسد القوة والخصوبة، إلى جانب الإلهة الأم.

انعكس تأسيس المدن (بداية الألف الثالث) وتطور العلاقات الاجتماعية بشكل أكثر تعقيداً على معتقدات سكان منطقة المشرق

القديم، فاعتقدوا أن الإنسان قد خلق ليعبد الآلهة ويقيم لها المعابد والطقوس الواجبة، ويقدم لها القرابين، وإذا لم يُنفّذ تلك المناسك عوقب عقاباً شديداً. وتكمن الخاصية المتميزة لمعتقدات هؤلاء في أنها تستند إلى أديان تؤمن بتعدد الآلهة، فعملوا على تنظيمها وتصنيفها ضمن منظومة عقلانية وفقاً لأدوارها وأهميتها. لكن تلك الآلهة المتعددة لا يجوز اعتبارها مجموعة من الإلهات والآلهة المختلفة الأخرى، بل يجب فهمها كنظام تتفاعل عناصره ويفسر بعضها بعضاً، بحيث يهدف إلى المحافظة على الكون وتفسير ظواهره، وفي إطار هذا النظام من التفاعل والتفسير، فإنه يحصل كل من الإلهات والآلهة على مكانه ومكانته[61].

استخدمت مجموعة من النجوم والكواكب كرموز للآلهة، فكان من بينها القمر (سين)، والشمس (شمش)، ثم هناك الكواكب الرئيسة، ونجمة الصباح عشتار (وهي كوكب الزهرة فينوس)، والقمر في قاربه الهلالي يعبر السماء المظلمة بانتظام، أما الشمش فهي إله الشمس الذي يعبر السماء بعربته يومياً فيبدد الظلام والشر، موزعاً أشعته بالتساوي على جميع الموجودات على نحو صارم وبلا تفرقة، وفي الليل يعبر العالم السفلي، ويواصل دورته، بوصفه القاضي الأكبر (إله القرارات)، وكان يرمز له في بابل بالشمس ذات الأشعة الأربعة، على حين كانوا يصورونه في آشور بقرص الشمس المجنح. وكان لكل إله وظيفة، كما كان هناك آلهة كبيرة لكل المدن والبلاد، أو آلهة محلية لكل مدينة بعينها، ناهيك عن وجود آلهة محلية صغيرة. وكانت الآلهة مثل البشر يأكلون وينامون ويتزوجون ويحاربون، ويرتكبون حتى الجرائم، وقد يعاقبون عليها مثل

61 يرى بعض الباحثين أن ما يبدو من تعدد للآلهة، ما هو في نهاية المطاف إلا تمثيل لإله واحد محيط بجميع القوى الإلهية، وهذه الآلهة المتعددة هي مظهر من مظاهر وجود إله واحد. انظر: هنري ساغز، عظمة آشور، 2009، ص 301.

نفـي انليـل لأنـه أغـوى وخطـف العـذراء ننليـل، وقـام شـمش بمعاقبـة أحـد خـدام المعبـد، إثـر لعنـه، فحولـه إلى كلـب، وكان الإلـه بعـل يمـوت كالبـشر ولكـن بطريقـة الاختفـاء والعـودة مـن جديـد أو البعـث.

وكثـيراً مـا رافقـت الآلهـة الجيـوش في تحركهـا، بـل كانـت لا تخطـو خطـوة واحـدة إلا بعـد استشـارتها وسـؤالها عـما يحملـه الغيـب لهـا، وإذا مـا جـرت حـرب حُملـت صورهـا وشـعاراتها في مقدمـة الجيـوش، وهـي تحـارب في صفـوف المقاتلـين، وتتجـلى لهـم وكأنهـا في مقدمتهـم، أو فـوق رماحهـم.

الفصل الأول: آلهة أوغاريت

أولاً: آلهة أوغاريت

تقدم لنا المادة الأثرية والنصوص المكتشفة في رأس الشمرا (أوغاريت[62]، فكرة واضحة عن عالم الآلهة والأساطير، ليس في المدينة فحسب بل في كل بلاد الشام خلال الألف الثاني قبل الميلاد، والتي يرجع الكثير منها إلى أصول أقدم، ويمكن أن نجدها في أزمنة مختلفة في العديد من مناطق مشرقنا القديم، مثل: إبلا وماري وبلاد الرافدين. وقد وردت أسماء الآلهة في عدد من القوائم ومنها نصوص مجمع الآلهة التي ترتبط مباشرة بشعائر تقديم الأضاحي، ورغم وجود نصوص مشابهة غير مرتبطة بهذه الشعائر، إلا أن القوائم الأطول انبثقت من نصوص الأضاحي والصلوات. إن تعدد قوائم الآلهة يشير إلى أنها كانت تؤلف مجموعات تنضوي ضمن

62 يقع تل رأس الشمرا (10كم) شمالي اللاذقية، تبلغ مساحته 22 هكتاراً، وهو يحتوي في طياته مدينة أوغاريت الكنعانية القديمة. تم اكتشاف الموقع مصادفة عام 1928م عندما اصطدم محراث لفلاح من أهالي قرية مينة البيضا المجاورة بحجارة منحوتة ضخمة، تبين فيما بعد أنها سقف لمدفن عائلي، إثر ذلك تم تشكيل بعثة أثرية فرنسية للتنقيب برئاسة كلود شيفر، التي تمكنت من التعرف على خمس سويات أثرية يرجع تاريخها من 7500 وحتى 1200 ق.م. أهم السويات هي السوية الأولى RS.I المؤرخة لعصر البرونز الحديث 1600 - 1200ق.م، وهي تغطي مرحلة العصر الذهبي للمملكة. وقد كشف فيها عدد من المعابد والقصور والمنشآت، وعدد من الرقيمات الطينية التي كان من أهمها الأبجدية الأولى في العالم، هذا إضافة للكثير من التماثيل والنصب واللوحات المنحوتة، واللقى العاجية والذهبية التي عكست مقدار الازدهار الحضاري الذي وصلت إليه المدينة، والتي انتهت الحياة فيها على يد شعوب البحر، أو نتيجة زلزال أصابها حوالي 1187ق.م.



الشكل رقم (8)
أوغاريت – رأس الشمرا

عضوية مجمع آلهة أوغاريت الأكبر[63]، مع الإشارة إلى أن الكثير من هذه القوائم كانت تتضمن أسماء آلهة غير كنعانية. (الشكل 8).

إذا كانت نصوص إبلا قدمت ما يتجاوز الأربعين اسما إلهياً، ولبعضها اسماً سومرياً مثل انكي وزوجته ننكي، اللذين لم يذكرا إلا نادراً[64]، وإذا كانت نصوص ماري قد قدّمت ما يزيد عن المئة اسم لإله وإلهة، فقد بلغ عدد أسماء الآلهة التي جاء ذكرها في سلسلة "من نصوص أوغاريت" ما مقداره (234) اسماً، عرف منها (178) من خلال نصوص الأضاحي والتقدمات الدينية[65].

ومن المرجح أن الكثير من الأسماء الألوهية التي تبدو مختلفة، ما هي إلا وصفٌ ونعتٌ أو نسبةٌ، أو صيغةٌ لغويةٌ محورةٌ تتطابق مع اسم

63 Pardee،2002،P.11.

64 انظر: آركي، 1980، ص 94.

65 Pardee،2002،PP.19-22.

الإلـه الأسـاسي في مجمـع الآلهـة. وبالتـالي فـإن هـذا العـدد الكبـير مـن الأسـماء التــي ذكـرت في الأدب وقوائـم التقدمـات والأضاحـي، ليسـت فقـط أسـماء آلهـة، فالآلهـة الحقيقيـة أقـل بكثـير، وعددهـا بالمجمـل وفـق النصـوص بـين (100 ـ 110)[66]. وبالتـالي فهـو غـير معـروف بالضبـط. والسـؤال: تـرى مـا الـذي حـدا بمنظـم مجمـع الآلهـة لـكي يقـصر عـدد الآلهـة عـلى (33) اسـماً فقـط، وإغفـال الأسـماء الأخـرى، التـي تزيـد عـن السـبعين، وإبقائهـا خارجـاً، في طقـوس العبـادة العمليـة التـي ورد فيهـا مـا يزيـد عـن مئـة اسـم؟[67].

هنـاك مـن يـرى أن سـبب المشـكلة قائـم في عـدم التوافـق التـام بـين قائمـة أسـماء الآلهـة هـذه والأسـماء التـي تـرد في النصـوص الميثولوجيـة، حيـث يعـود لاحتـمال أن تكـون الأسـاطير تمثـل طـوراً أقـدم للديانـة الأوغاريتيـة، حيـث خضعـت لتفسـيرات وتطـورات طـرأت لاحقـاً عـلى العبـادة. أمـا بالنسـبة لترتيـب أسـماء الآلهـة في القوائـم، فهنـاك رأيـان في تفسـير ذلـك، فإمـا أن الترتيـب جـاء حسـب الأهميـة المتباينـة نسـبياً، وإمـا أنـه يعكـس الترتيـب الـذي تصطـف وفقـه رموزهـم في المواكـب الدينيـة[68]. لقـد كان أحـد مظاهـر تديّـن الأوغاريتـين؛ هـو اسـتخدامهم لأسـماء الآلهـة في تركيـب أسـماء الأعـلام، التـي يظهـرون مـن خلالهـا ضعفـاء تابعـين لإلههـم الرحيـم، المعـين، الملـك، العـادل، العطـوف[69].

وفي مـا يـلي نعـرض لعـدد مـن أسـماء الآلهـة ومعناهـا والوظائـف الرئيسـة التـي كانـت منوطـة بهـا:

---

66 Lete،2008،P.47

67 Lete،2008،P.47

68 كوبر، وكوجان، 2007، ص 65.

69 شيفمان، 1988b، ص 86.

1 - إيـل

تعنـي كلمـة إيـل باللغـة الأكاديـة (إلـه)[70]، ويـرد اسـمه في النصـوص هكـذا إيـل= el'،.. ومؤنثـه إيلـت أي الإلهـة.. وكان لـه مـن الأولاد سـبعون.. وكان يظهـر ميلاً للتخلي عـن بعـض سـلطانه لأولاده[71]، وهـو يقـف عـلى رأس مجمـع الآلهـة الكنعـاني، ويعـد أبـاً للآلهـة وللبـشر وملـكاً عليهـم جميعـاً، مـا عـدا بعـل الـذي أزاح الإلـه الطيـب والعجـوز عـن الحكـم[72]. إن مـكان إقامـة إيـل حسـب مـا يـراه الأوغاريتيـون يقـع عنـد منبـع النهـر والينابيـع، حيـث ينبثـق المحيطـان: الأرضي والسـماوي، أي مركـز الكـون، أو في شـنم (السـماء)، لقـد خلـق إيـل الأرض وكل مـا هـو حـي عليهـا، وهـو أب الآلهـة، وجدهـا الأول، وخالـق البـشر، وهـو الثـور الـذي يحمـل نطفـة الإخصـاب، وهـو الخالـد الأبـدي، وهـو ملـك الأرض وخاصـة عـالم الآلهـة، ولا يمكـن أن يحـدث شيء دون إذنـه. ويـؤدي الـزواج المقـدس الـذي يشـترك فيـه إيـل وزوجتـاه عشـيرات والعـذراء إلى ولادة إلهـي الخـير والعطـاء سـحر وشـالم (شـهر وشـالم)، وإحيـاء الخصـب الزمنـي. ويبـدو إيـل عـادة، حسـب الروايـات الشـعرية والرسـوم، عجـوزاً ذا لحيـة مبيضّـة (أب السـنين كـما يوصـف دائمـاً) يجلـس عـلى عـرش عـال ويضـع قدميـه عـلى مسـند.

وأهـم الصفـات التـي يتميـز بهـا إيـل (نمـوذج الإلـه المثـالي الحاكـم في عـالم الآلهـة) هـي الحكمـة والخـير والتسـامح، ومـع ذلـك فـإن إيـل لا يتدخـل في شـؤون الحيـاة اليوميـة، فـنراه يعـين بعـل حاكـماً عـلى الآلهـة، وعندمـا يهلـك بعـل يضـع عشـتارو بـدلاً عنـه. ولا نـراه يتدخـل في صراع بعـل ويـم، وهـو حـاضر دائمـاً لأن يقـف إلى جانـب الأقـوى[73].

70 عبد الله، 2008، ص 29.

71 فريحة، 1966، ص41.

72 هبو، 2006، ص 56.

73 شيفمان، 1988b، ص 78.

ورد تعبير إيل أكثر من 500 مرة في النصوص الأوغاريتية، ووجد اسمه في لغات أخرى؛ كالفينيقية والبونية والآرامية. وتصوره النصوص الأوغاريتية كراع حكيم وخيّر للمجلس الكهنوتي، كما تظهر الأساطير صورة غامضة عن موقع بعل بالنسبة لإيل، حيث أن بعل أكثر فعالية في الأساطير الأوغاريتية، ولا تذكر أي صراع بينهما. وقيل إن إيل أَذِنَ بعبادة بعل، وارتبط إيل بالثور، وفي هذا إشارة إلى القوة والشرف. (الشكل 9).

وقد ظهر في عمل فني أوغاريتي منحوت على الحجر القاسي، وهو شيخ حكيم عتيق، كان يجلس بوقار وعظمة فوق عرشه، يتقبل النذور، ويهب الرحمة والحكمة.. أما قلنسوته ذات الشكل الهرمي الملتف، فتبدو أكثر جمالاً ورهبة من قلنسوة المحارب أدد/حدد أو بعل إلى جانبه[74]. وعلى مقربة من معبدي بعل ودجن على الأكروبول؛ عثر ضمن بيت نحات على نصب حجري غير مكتمل، كان قد صُنع ليوضع في أحد المعابد، حيث يعرض مشهد عبادة وابتهال، فتحت شمس مجنحة يقف المصلي أمام إله جالس، تشير لحيته إلى تقدمه في العمر، ولذلك فقد اعتقد أنه الإله الأب إيل؛ فهو يضع التاج ذا القرون، ويرتدي ثوباً ملفوفاً، ويجلس على العرش

الشكل رقم (9)
الإله إيل

74 أحمد، وعبد الله، وعيد، 1999، ص 345.

ذي المسند المنخفض وله مسند للقدمين، وهو يرفع يده اليسرى محيياً، وبيده اليمنى يمسك بزهرة. ويقف المصلي أمام الإله بثوب طويل، وقبعة عالية مروسة، ويحمل في يده عصا تنتهي برأس حيوان، وإبريقاً يهم بتقديم ما بداخله للإله[75].

يرى بعض الباحثين أن (الساميين) كانوا موحدين، أو أن قسماً منهم على الأقل كان يميل إلى الأخذ بفكرة التوحيد. وإن كلمة إيل، كانت تعني لهم الله تعالى، لكن يصر آخرون، على اعتبار إيل اسم علم لإله كبقية الآلهة، لكنه كان أكثرهم وقاراً، وأعلاهم مرتبة، ويستندون في قولهم على الوثائق الآرامية والعربية والجنوبية ومؤلفات المؤرخين القدامى التي يرد فيها اسم إيل كاسم علم. كما يقول فيلون الجبيلي؛ إنه إله فينيقي يعادل الإله اليوناني كرونوس[76]. وقد ظل اسم إيل مستخدماً خلال العصور اللاحقة، بما فيها العصر الآرامي حيث يرد في عدد من النصوص الآرامية، كما سنرى ذلك لاحقاً.

2 - بعل

هو بعل النشيط، ومكان إقامته جبل سابون/صَفُن (الأقرع) شمالي اللاذقية، حيث كان يوجد على قمته قصر بعل المتلألئ[77]. وتعني كلمة بعل المالك والسيد والزوج. وقد كان بعل إله الخصوبة، وإله الطقس والأمطار والعواصف، ولقبه بعل عليان؛ أي بعل السامي العظيم[78]. وقد أحبه السكان في كل مكان من الشرق القديم، وكان يحمل أسماءً أخرى، مثل أدد، أدو، أد تيشوب، حدد. ومردُّ ذلك إلى الوضع المناخي للمنطقة

75 كولماير، 1985، ص 150.

76 الحكيم، 2010، ص 122، 126 و127.

77 فولكيرت، 1985، ص 346.

78 عبد الرحمن (قصي)، 2008، ص 226.

التـي تعتمـد عـلى السـقاية الطبيعيـة بمطـر السـماء أكـثر مـن اعتمادهـا عـلى ري الأنهـار[79]. ونجـد ذكـراً لهـذا الإلـه في نـص مـن ممباقـة (إيكلتـي)، حيـث يـرد ذكـره بصيغـة «بعـلاك»، وكان لـه معبـد في المدينـة[80].

و"بعـل" هـو ابـن الإلـه دجـن، كـرس الأوغاريتيـون هيكلهـم العظيـم لـه، وكان لـه هيـكل في أشـدود وفلسـطين، وهـو مـن خـلال الأسـطورة شـاب شـجاع وسـيم مقـدام يحـب النظـام، ويكـره الفـوضى، يعمـل للحيـاة ويكـره المـوت، يحمـل بيـده عصـا ترمـز للخـضرة، وبيـده الثانيـة الصاعقـة التـي ترمـز إلى الـبرق والرعـد (المطـر). وقـد ورد لقـب عليـان في صراعـه مـع "يـم"، ثـم "مـوت" فسـمي الظافـر بعـل، وسـمي بعـل «زبـل» أو «بعـل زيبـوب»؛ التـي تشـير إلى السـمو والـشرف والرفعـة، وتسـتعمل للإمـارة والسـلطان، فيقـال زبـل بعـل أي الأمـير بعـل، وكذلـك «ر ك ب ع ر ف ت»، أي راكـب السـحب والغيـوم، صوتـه الرعـد، وبهـاؤه الـبرق، وإذا احتجـب انحبـس المطـر، وييبـس العشـب، واختفـى الحـب بـين النـاس، وانقطـع التناسـل والنسـل. ومن أسـمائه المتأخـرة أدوني أي سـيدي ومـولاي وربّي، وألحـق الإغريـق سـيناً في آخـر الاسـم فأصبـح أدونيـس. وتبلـغ صورتـه شـكلها الأكمـل في شـخصية زيـوس كبـير آلهـة الأولمـب[81]. ويبـدو أن تأثـيره وصـل إلى مـصر فقـد عـثر عـام 1979م عـلى ختـم في تـل الضبعـة في مـصر، يظهـر فيـه إلـه الطقـس السـوري في وضـع يخطـو فيـه بثقـة عـلى قمـة جبلـين، وكان قـد وجـد عـلى أرضيـة قـصر مرصـوف يعـود للمملكـة الوسـيطة (السـلالة 13 القـرن الثامـن عـشر ق.م). وقـد افـترض الباحثـون أن ختـم تـل الضبعـة إن هـو إلا ابتهـال تصويـري لبعـل سـابون حتـى تهـب الريـاح، مستشـهدين بعـدد مـن النصـوص المتأخـرة التـي

79 هبو، 2006، ص 57.

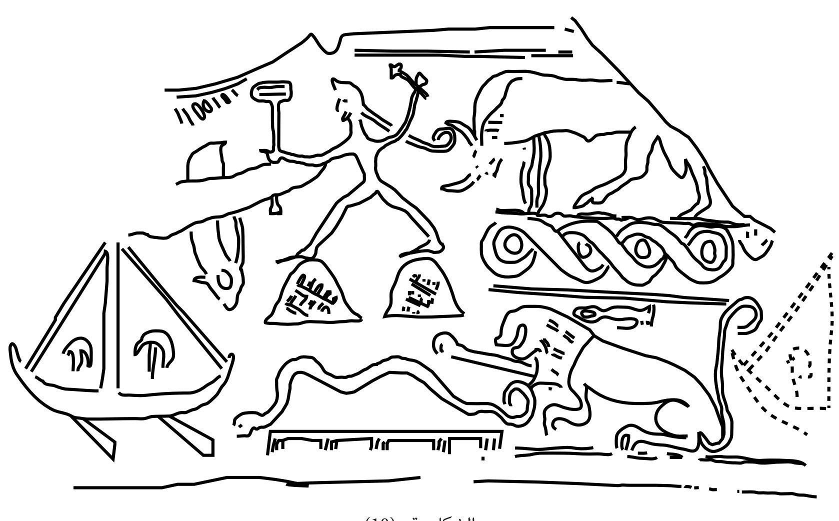
80 Werner،1998،P.128

81 السواح، 1996، ص 311.

عـثر عليهـا في أوغاريـت[82]. (الشـكل10).

توضـح أسـاطير أوغاريـت دور الإلـه البطـل بعـل كإلـه سـامي ورئيـسي، ملـك الرعـد والـبرق والمطـر، يتسـيد بموافقـة بقيـة الآلهـة والنـاس، دون أن يكـون لديـه عـدو قـادر عـلى مجابهتـه ومنافسـته عـلى عرشـه، يتـأتى مجـده وعزتـه مـن الاعـتراف بسـيطرته والتسـليم بهـا، وبصفاتـه كإلـه ثابـت لا يـزول لسـيادته الناجحـة[83].

وكان هنـاك عـدة خصـوم لبعـل في القصـص الأسـطورية، ويعـد مـوت أحـد الخصـوم الرئيسـين في الـوادي السـحيق، أي في العـالم السـفلي الـذي يحكمـه «مـوت» نفسـه، وهـو إلـه المـوت والفسـاد والجفـاف[84]. والخصـم الآخـر لبعـل هـو «عشـتارو». واسـتناداً إلى أن إيـل نصبـه ملـكاً بـدلاً مـن بعـل



الشكل رقم (10)
بعل يمشي على جبلين

82 Dijkstra،1991،P.127

83 Lete،2008،P.70،71.

84 فريحة، 1966، ص50.

الميـت، نسـتطيع أن نقـول: إن وظائـف هذيـن الإلهـين يجـب أن تتطابـق، ولكـن عشـتارو يصـور عـلى هيئـة قـزم مضحـك: فعـرش بعـل واسـع عليـه جـداً، ومـع أنـه اغتصـب السـلطة؛ إلا أنـه لم يسـتطع بعـث الحيـاة وإعـادة التـوازن إلى الطبيعـة.

الخصـم الثالـث لبعـل هـو: يم/يمـو، ويسـمح لنـا معنـى هـذا الاسـم (البحـر) أن نـرى فيـه إلـه الكـوارث البحريـة، وتعطينـا الصفـة الأخـرى التـي تطلـق عليـه، وهـي "ث ف ط"؛ بمعنـى قـاضي النهـر أساسـاً لأن نفـترض أن "يـم" عُـدّ سـيد النهـر أيضـاً، وقـد عُـدّت الأنهـار والبحـار مجمعـاً واحـداً. ولا ريـب أن النهـر المقصـود هنـا هـو نهـر عالمـي يسـكن "إيـل" عنـد منبعـه. وقـد كان القدمـاء يتخيلـون نهـراً يحيـط بأقـاصي المعمـورة، وعنـد هـذا النهـر ينتهـي العـالم العلـوي ليبـدأ العـالم السـفلي، وعنـده تـؤدي كل نفـس حسـاباً قبـل دخـول عـالم الأمـوات، وبمـا أن سـيد العـالم السـفلي هـو "يـم"، فقـد كان عـلى كل إنسـان أن يقـدم حسـاباً لـه، فهـو قـاضي الأمـوات عنـد النهـر[85]. أمـا مـكان إقامـة "يـم" فهـو مدينـة كوسـو[86]. وكان صراع البعـل ضـد "يـم" إلـه الفـوضى صراعـاً كونيـاً غايتـه ترسيخ النظـام، بينـما كان صراعـه ضـد «مـوت» صراعـاً فصليـاً، وكانـت الغايـة منـه رتابـة الفصـول، وتنظيـم المطـر، وذلـك ليسـقط في أوانـه، وكلـه لخـير الانسـان[87].

وشـخصية بعـل الجبـار لا تخلـو مـن التناقضـات الداخليـة كـما قدمتهـا لنـا الروايـات الشـعرية الأوغاريتيـة، فمـن أحـد جوانبـه يعـد بعـل: فارسـاً ومقاتـلاً جبـاراً ينتقـم مـن أعدائـه بغـير رحمـة، لكنـه مـن جانـب آخـر هـو جبـان يرتعـد أمـام تهديـدات «مـوت»، ويعلـن نفسـه عبـداً لـه، وقـد أظهـر

85 فريحة، 1966، ص 53.

86 شيفمان، 1988b، ص 82، 83.

87 فريحة، 1966، ص 51.

وصف معركة بعل وموت أنهما خصمان عنيدان تساوت قوتهما، ولذلك لم ينتصر أحدهما على الآخر فيها، بل وأكثر من ذلك؛ فإن بعل الجبار يحتاج مساعدة عناة وحمايتها[88].

ويبدو من النصوص أن بعل لم يكن كبير الآلهة، بل هو إله كنعاني للطقس، ويتمتع بشهرة عظيمة بين الآلهة، انتشرت عبادته في بلاد الشام، ومن ثم في بلاد الرافدين ووادي النيل وحوض المتوسط، وارتبط اسم بعل بمدن ومناطق عديدة، مثل بعل حاصور، بعل صيدا، بعل حران، وبعل البقاع، إضافة إلى الاسم الرئيس بعل سابون، كما أن له صفات كثيرة، بعل أدير (بعل القدير)، علي إي (العلي)، راكب عرفة أي راكب الغيوم، فهو إله الطقس، يجلب الغيوم، وينزل الأمطار، ويسبب الرعود والصواعق، وهو مالك السماء والأرض، العزيز الجبار الذي يرزق القوم، ويزيد نعمهم من أرضه (أرض بعل)[89].

دعا الأوغاريتيون الندى بـ «طلي ṭly»[90]، وغياب المطر والندى يدلان على الظمأ والجفاف والقحط، وكان يطلق على الإله بعل «بعل الظمأ»، وفي التقاليد الأوغاريتية المطر والندى يأتي من بعل. بنات بعل تبدو بهيئة الضباب أو الندى، وقد كان الندى يدل قديماً على مطر لطيف وضباب، وما ينضح من ماء على الأغصان وتتسبب به النجوم، وله أهمية خاصة؛ كونه شرط أساسي لخصوبة التربة في بعض مناطق المشرق، حيث تعتمد عليه الكثير من الغلال والمحاصيل[91].

إن صراع إله الطقس ضد إله البحر هو أقدم أسطورة معروفة من

88 شيفمان، 1988b، ص 80.

89 الحكيم، 2010، ص 130 ـ 132.

90 "طلي": هي إحدى بنات، أو رفيقات بعل الثلاثة، مع "أرصي" و "فيداري" اللواتي يمثلن الظواهر الجوية، واسمها مشتق من الطل والطلاوة، وتلقب بابنة المطر.

91 Healey،1994،P.17.

سـورية في الألـف الثـاني ق.م، وقـد نشـأت في الأصـل عـلى السـاحل السـوري الغـربي في منطقـة جبـل الأقـرع، ثـم انتـشرت عـن طريـق حلـب في المناطـق الشرقيـة، ووصلـت حتـى مـاري عـلى الفـرات الأوسـط[92]. أمـا صيغتهـا الأدبيـة؛ فقـد وجـدت مكتوبـة عـلى سـتة ألـواح مـن سلسـلة بعـل أوغاريـت، تحتـوي عـلى الأسـطورة البعليـة التـي تـدور أحداثهـا عـلى مجموعة متعـددة مـن الرقم، إلا أنهـا تنتظـم في مسـار واحـد يـؤدي إلى فكـرة الـصراع بـين الخـير والـشر، بـين الحيـاة والمـوت، بـين الخصـب والقحـط. أو هـي فكـرة صراع قـوى الحضـارة والبنـاء والنظـام مـن جهـة، مـع المـوت والدمـار والفـوضى مـن جهـة ثانيـة، قصة بـلا نهايـة. يـدور الحديـث فيهـا عـن بنـاء قـصر بعـل، وعـن صراعـه ضـد إلـه العـالم الأسـفل "مـوت"، ثـم عـن إنقـاذه وعودتـه مـن عـالم الظلـمات[93].

والأسـطورة تتحـدث عـن قمـة (سـابون/ صفـن) حيـث يسـود حكـم بعـل ويتجـلى في الـبرق والرعـد، وهـو مسـكنه أو مـكان وجـوده الميتافيزيقـي السـماوي، في حـين أن وجـود معبـد لـه في أوغاريـت هـو وجـود مـدني، وتسـتطيع العـين أن تدركـه فيهـا كـما في بقيـة المعابـد[94]. كان الأوغاريتيـون يرونـه في مسـكنه فـوق جبـل صفـن (الأقـرع) وذلـك عن بعـد 50 كـم بوضوح، ويعتقـدون أن قـصره الـذي بنـاه بـإشراف إلـه الحـرف والفنـون «كوثـر» كان المـكان الـذي يصـدر عنـه صـوت بعـل فيـدوي الرعـد ويلمـع الـبرق، وتنهمـر الأمطـار، وترتعـش أبـدان البـشر خوفاً وهـي تتطلـع إلى السـماء. وإذا اختفـى بعـل حـل الجفـاف والقحـط والمجاعـة والبـؤس[95]. وقـد احتفـظ سـكان بـلاد الشـام حتـى عصرنـا بتسـمية الأراضي التـي تعتمـد عـلى الأمطـار في ريِّهـا باسـم

92 هبو، 2006، ص 59.

93 نير، 2009، ص 78.

94 Lete،2008،P.70،71.

95 هبو، 2006، ص 57.

الأرض البعلية. ويبدو أن الكنعانيين توصلوا إلى أن دور الخصب كان يدوم سبعاً من السنين، وهي المدة التي بقي فيها "موت" عاجزاً عن التصدي لبعل كما في الأسطورة. وبعد انقضاء المدة يعود القتال بين "بعل" و "موت" من جديد، وينتصر "موت" على "بعل" الذي يختفي في عالم الموت السفلي، فتنحبس الأمطار، وتجف الأرض، ويموت النبات، ويجوع البشر والحيوان، ويسود القحط، ويحل دور الجفاف والجدب مدة من الزمن تطول أو تقصر. وهكذا يتناوب الدوْران اللذان يسود في كل منهما "بعل" أو "موت"[96].

بعد انتصار بعل وسيادته التدريجية على مقدرات الكون بدلاً من إيل أصبحت مظاهر الكون كلها بعلية، وتحولت المدن والأماكن كلها لصالح بعل.. وأصبح كل شيء إما شكلاً من أشكال بعل أو ابناً له، والدليل على ذلك وجود بعول المدن والأماكن، وبعول الصفات، ومنها بعل أدير أو القدير، وبعل قرنيم، أي ذو القرنين، وبعول الصناعة وأغلبها آلهة تابعة للإله بعل، وهي تعمل بمثابة الخدم له ومنها كوثر وخسيس وهما إلها الفنون والحرف، وإلش[97] منزل المطر، وهو بخار بعل، وجفن إله الكروم، ورسول بعل وآجر وهو إله الأرض الزراعية[98]، والإله عليون

96 هبو، 2006، ص 60.

97 يرد ذكر إلش في ملحمة قيرت، حيث استدعي بواسطة التعويذات بقصد شفاء الملك من مرضه وخلاص البلاد من غائلة الجوع والجفاف، ويلقب بالتعويذة الأوغاريتية بنجار بيت بعل، وتحمل زوجته اللقب نفسه (نجارة الإلهات)، وتنحصر مهمتهما بالصعود لسطح المنزل.. دون معرفة المزيد بسبب تشوه النص. ويُعتقد أن كلمة نجار لاتعني حرفة النجارة بقدر ما تعني استدرار عطف السماء لينزل المطر بواسطة السحر وأعمال الشعوذة، كما أن أصل معنى إلش لم يعرف بعد، انظر: أدزارد. د، و م. بوب، و ف. رولينغ، 2004، ص 173.

98 جفن وأُجر: اسمان لإلهين كانا يقومان بدور الرسول للإله بعل، والاسمان مختلفان في الشخصية والوظائف وليس اسماً مركباً لإله واحد، فالاسم الأول: يعني الكرمة، والثاني من أصل أكادي ويعني الأرض الزراعية، وكلاهما عاملان مؤثران في الاقتصاد الزراعي السوري، وقد استخدم اسم أُجر لرد الأعداء المهاجمين لمدينة أوغاريت، ومنه اشتق اسم المدينة.

الـذي ارتبـط اسـمه بالحـدادة، رغـم أن عليـون كان أحـد أسـماء إيـل، ويعنـي اسـمه الأكـثر علـواً. وبعـول الكواكـب، مثـل: عجـل بعـل إلـه القمـر، وملـك بعـل إلـه الشـمس. وبعـول النـار، مثـل رشـف، والإلـه حمـوت إلـه المباخـر، والإلـه بعـل حـارات إلـه الثـأر. والثالـوث الأول لبنـات بعـل: وهـن الإلهـات اللـواتي ارتبطـن بالزراعـة البعليـة (المطريـة). والثالـوث الثـاني لبنـات بعـل: وهـن الإلهـات اللـواتي ارتبطـن بمظاهـر الكـون الكـبرى، مثـل أرصـاي إلهـة الأرض، وبـداري إلهـة البـدر أو القمـر، وطـلاي إلهـة النـدى أو الطـل الـذي يسـقط فجـراً عـلى النباتـات في الصيـف[99].

عـثر في أوغاريـت عـلى العديـد مـن التماثيـل الصغـيرة الحجـم (دمـى)، وكذلـك النصـب الحجريـة التـي تمثـل الإلـه بعـل، وهـي بمجملهـا تعـود للقرنـين الرابـع عـشر والثالـث عـشر قبـل الميـلاد، بحيـث كان بعـض تلـك التماثيـل مصنوعـاً مـن مـادة البرونـز، ومغـشى بالذهـب. وكان مـن أهـم نماذجهـا؛ تلـك التـي يبـدو فيهـا الإلـه «بعـل» وهـو يحمـل بيـده اليمنـى سـلاحاً، أو خنجـراً، أو هـراوةً، أو رمحـاً.

إن نمـوذج هـذا الإلـه المسـلح الـذي يتخـذ وضعيـة الخطـو الوئيـد يعـد مميـزاً لمنطقـة سـاحل البحـر المتوسـط، وقـد نقلـه البحـارة منهـا إلى بـلاد الإغريـق، وإلى تيرنـس ومسـينا ورودس وتسـاليا. وهـو لا يلبـس سـوى مئـزر قصـير مزخـرف زخرفـة قصـيرة، ويضـع عـلى رأسـه غطـاء شـبه بيضـوي، ينتهـي بقلنسـوة متطاولـة مدببـة مـن الأعـلى، ويحـاكي هـذا الغطـاء التـاج الأبيـض في مـصر العليـا[100]. (الشـكل11).

الشكل رقم (11)
الإله بعل

99 الحكيم، 2010، ص 140.
100 كولماير، 1985، ص 139.

وهناك لوحة تمثل الرب بعل أكبر من سابقتها رسمت الأشكال فيها فوق السطح وفيها يلوح الرب بعل بالدبوس المرفوع بيده اليمنى، بينما يغز نصلة الرمح بالأرض. بدا جسم الرمح على شكل غصن شجرة يرمز إلى البرق الذي هو من أعمال الرب بعل رب المطر والعواصف. يعتمر تاجاً على شكل غطاء وعاء لا يعرف له مثيل من قبل، يبرز منه نحو الأمام قرنان، وتتدلى ضفيرتان على جانبي الرأس، نهايتهما حلزونيتان وتدلان على تأثير مصري. يرتدي الرب مئزراً يشده إلى جسمه حزام عريض يضع فيه سيفاً أو خنجراً. يقف الرب فوق قمم الجبال التي يشار لها بخط منحنٍ عميقٍ وعريضٍ، وبجوارها تجري الأنهار التي يشير إليها خط متعرج دقيق غير عميق متميز عن خط الجبال. وأمام الرب يقف متعبد يبلغ طوله ربع طول الرب تقريباً. (الشكل12).



الشكل رقم (12)
بعل إله العاصفة

3 - عناة

يعني اسم الإلهة "عناة" العناية والتبصر، كما يعني الاسم الغاية والهدف، والصيغة الآرامية تعني شأن، مهمة، عمل. أما في اللغة العربية فالاسم واضح المعنى (العناية)[101]، وهي أخت بعل ورفيقته، وهي تحتل مركزاً مهماً في عالم الآلهة، ومن صفاتها

101 أدزارد، 2004، ص 230.

البتـول. وهـي إلهـة الحـب والجـمال والخصوبـة، وفي الوقـت نفسـه هـي إلهـة الحـرب، وفي بعـض المناطـق كانـت إلهـة الطبيعـة وقـوة الحيـاة[102]. لقبهـا "ب ت ل ت" ويعنـي البتـول. وهـي ربـة متناقضـة الطبـاع والصفـات، تـذرف الدمـوع بسـخاء عـلى مـوت أخيهـا بعـد مقتلـه، ويهفـو قلبهـا بحـب جـارف، كـما أنـه ينبـض بعاطفـة صادقـة، وتبـدو في شـخصية مغايـرة تتسـم بحـب الانتقـام الشـنيع مـن قاتـل أخيهـا. وثمـة شـواهد كثـيرة عـلى حبهـا للعنـف، ومنهـا تهديدهـا لوالدهـا "إيـل" نفسـه مرتـين بضربـه عـلى الرأس حتى ينــزف دمـه إن لم يسـتجب لطلبهـا، ويوافـق عـلى انتقامهـا مـن أقهـات[103] الـذي أبى التنـازل لـه عـن القـوس الـذي صنعـه لهـا كوثـر، فتوقـع بالشـاب أقهـات (الصيـاد) العقـاب الشـديد عـن طريـق صقـر الـذي ينقـض عليـه ويخطـف حياتـه، ثـم تنـدم وتبـكي لمـا حـل بأقهـات الـذي لم تكـن قـد خططـت لإزهـاق روحــه بـل الاكتفـاء بإيذائـه، فتجـدب الأرض ويحـل بهـا القحـط. ويبلـغ دانيـال خـبر موتـه، فيعلـن الحـزن سـبع سـنين، لكـن أخـت أقهـات تنتقـم مـن القاتـل الـذي أوكلتـه عنـاة أمـر الانتقـام مـن أقهـات.

---

102 عبد الرحمن (قصي)، 2008، ص 226.

103 في أسـطورة أقهـات كان دانيـال قاضيـاً عـادلًا يجلـس عـلى البيـدر قـرب بـاب المدينـة يقـضي للأرملـة وينصـف اليتيـم، لم يرزقـه اللـه صبيـاً، وكان لـه ابنـة اسـمها بوغاتو/فوغـة، فاعتكـف بالمعبد يصـلي ويضحي، حتـى ظهـر لـه بعـل الـذي أشـفق عـلى حالـه وشـفع لـه عنـد إيـل، فـأولم سـبعة أيـام ثـم وُلـد لـه أقهـات، فقـام دانيـال بدعـوة كوثـر وخسـيس لمأدبـة طعـام فيـترك بعدهـا كوثـر قوسـه وجعبتـه عنـده (ربمـا نسـيها)، فأعطاهـا لابنـه أقهات طالبـاً منه أن يُقـدم بواكـير صيـده للمعبد...وأثنـاء رحلـة صيـد رأت عنـاة القـوس مـع أقهـات فطلبتـه منـه، وعندمـا رفـض ثـار غضبهـا وتوجهـت لأبيهـا إيـل للتدخـل، ثـم اسـتعانت برجـل اسـمه يطفـان (شـبه إلـه) وقالـت لـه: سأمسـخك نـسراً لتضربـه عـلى رأسـه وتأخـذ القـوس، لكـن يطفـان قتـل أقهـات وأخـذ قوسـه وطـار بـه ليقـع في البحـر ويضيـع القـوس، فحزنـت عنـاة عليـه وعـلى القـوس ووعـدت بإعـادة أقهات حيّـاً. وقـد تبـدّل وجـه الأرض، وأصـاب البـلاد الجفـاف، لأن نفسـاً بريئـة قتلـت، وقـد قامـت الطيـور بإخبـار دانيـل بمـصرع أقهـات، فأقـام مناحـة دامـت سـبع سـنوات مقدمـاً الذبائـح للآلهـة، ثـم طلبـت منـه ابنتـه بوغاتـو الثـأر لأخيهـا فتنكـرت بـزي جنـدي، وتقلـدت خنجـراً، ولبسـت فوقـه ثـوب إمـرأة (عنـاة)، وذهبـت ليطفـان الـذي دعاهـا للطعـام والـشراب، وعندمـا ثمـل أقـرَّ متباهيـاً بقتـل أقهـات، فصعـد الـدم إلى رأسـها وهاجـت كأفعـى، ثـم ينقطـع النـص فجـأة. ونتمنـى أن نـرى نهايـة القصـة بالعثـور عـلى الأجـزاء الباقيـة مـن النـص.

ويـرد في أحـد النصـوص أن "عنـاة" تسـلي نفسـها بمذبحـة يسـقط ضحيتهـا «نـاس مـن الـشرق، ونـاس مـن الغـرب»، أي مـن جميـع جهـات العـالم، وتتخـذ لنفسـها مـن أيديهـم المقطوعـة ورؤوسـهم المفصولـة زينـة، وهـي تخـوض في دمائهـم (يتنفـخ كبدهـا مـن الضحـك، ويمتلـئ قلبهـا بالفـرح، كبـد عنـاة مـليء بالطـرب، لأنهـا تخـوض حتـى الركـب في دمـاء الأبطـال). وبصفتهـا أخـت بعـل تلعـب دوراً مركزيـاً في أسـطورة الخصـب الدائـرة عـلى مـوت وقيامـة بعـل[104].

تظهـر في الرسـوم الأوغاريتيـة في الغالـب عاريـة، وأحيانـاً وهـي تحمـل خوذة عـلى رأسـها، وتلـوح بيدهـا بالأسـلحة. ورسـم الإلهـة المجنحـة الجالسـة عـلى ثـور مضطجـع هـو رمزهـا، كـما في أحـد الأختـام الاسـطوانية الأوغاريتيـة الـذي نشـاهدها فيـه مجنحـة تجلـس فـوق ثـور يمسـك أسـدين يقعـدان أمامهـا[105].

وتظهـر عـلى لـوح مـن العـاج كان يخـص سريـراً ملكيـاً في القـصر الملـكي في أوغاريـت بصـورة أماميـة، بينـما تتخـذ قدماهـا وضعـاً جانبيـاً كـما تبـدو مـزودة بـزوج مـن الأجنحـة، أحدهـا موجـه نحـو الأعـلى، والآخـر باتجـاه الأرض. يحيـط الشـعر بوجههـا عـلى شـكل ضفيرتـين مشـابهتين لضفـار الإلهـة المصريـة (حاتـور) بحيـث تنسـدلان فـوق الكتفـين، وينبـت مـن جبهتهـا قرنـان يسـبح بينهـما قـرص الشـمس، في الوقـت الـذي ترتسـم عـلى شـفتيها ابتسـامة خفيفـة، وينـم منخراهـا الواسـعان عـلى طبيعـة ناريـة صاخبـة، يقـف أمامهـا شـابان يرتديـان تنـورة قصـيرة وهـما يرضعـان مـن ثدييهـا المختفيـين تحـت رداء طويـل. إن هـذا المشـهد فريـد مـن نوعـه بـين فنـون الـشرق القديـم، والشـابان غـير معروفـين؛ فهـل هـما يـا تـرى الإلهـان المعروفـان في القصيـدة الشـعرية "شـحر" و "شـالم" اللـذان ترضعهـما الإلهـة "أثـيرة"؟ أم أن أحدهـما هـو يصـب ابـن الملـك (قـيرت)، الـذي كانـت ترضعـه "أثـير" و "عنـاة" مـن

104 فولكيرت، 1985، ص 346.

105 آمييه، 1980، ص 87.

ثدييها كما جاء في الملحمة[106]؟. (الشكل13).

لقد وصلت عبادة عناة إلى مصر مع الهكسوس، وتدعوها النصوص الهيروغليفية ربة السماء وسيدة الآلهة، وقد قام رعمسيس الثاني بتأسيس معبد للإلهة السورية عناة في عاصمته[107]. وعناة هذه هي عشتار في بلاد ما بين النهرين، وعشتروت في كتاب العهد القديم، وتقابل أفروديت عند الإغريق وفينوس عند الرومان[108].

الشكل رقم (13)
عناة تطعم عنزين

4 - دجن

ربما يكشف اسم دجن بعضاً من طبيعته فيما إذا ما كان أصل التسمية صحيحاً. فهناك من يفترض أن اشتقاق الاسم جاء من كلمة: داج «dag سمك»[109]، أو «دجن dagan القمح»، وهناك من افترض أنه من جذر الكلمة العربية «دجى أو دجن» والذي يعني الظلام أو الغيوم المحملة بالمطر، وهناك من يفترض أنه اسم غير (سامي). وبما أنه لم يتم العثور على إثبات أكيد عن أصله، فمن المفترض التعامل معه كإله اشتق اسمه من القمح، والقمح يشترك مع الندى (دسم الأرض)[110].

106 أدزارد، 2004، ص 234.

107 كراوس، 1985، ص 319.

108 هبو، 2006، ص 55.

109 يقدم المؤرخ والقديس هيرونيموس (المولود في ستريدون على بحر الأدرياتيك عام 347م والمتوفي في بيت لحم 420م ومترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية)، شرحاً للاسم على أنه مركب من داج و أون، ويعني شكلاً من أشكال السمك، وتبنى آخرون هذا التفسير على الرغم من أنه لم يثبت ما يشير لأية علاقة كانت تربط الإله مع السمك.

110 تجدر الإشارة أن سكان بعض المناطق السورية ومنها منطقة الساحل السوري يستخدمون في لهجتهم العامية كلمة دجن للدلالة على الخبز أو الطعام بشكل عام.

وقد ورد اسمه ضمن نصوص أحد معابد إيمار، وقد ورد في ألالاخ ضمن الرقيمات التي وجدت في الحصن العسكري والبوابة[111].

كانت أقدم مراكز عبادته في الألف الثالث ق.م في إبلا (تل مرديخ)، وماري (تل الحريري)، وترقا (تل العشارة)[112]، وتوتول (تل البيعة - الرقة)، وامتدت إلى أجزاء واسعة من سورية وفلسطين حتى أجزاء من بلاد الرافدين، وقد كان دجن توتول مشهوراً إلى درجة أنه كان يُبَجَّل في إبلا بصفته ملك توتول[113].

وكان دجن في سورية على الأقل إله الغلال، ونلاحظ أنه يوضع في لائحة آلهة سورية جنباً إلى جنب مع كبير الآلهة السومريين انليل،

111 Healey،1994،PP.72،89

112 يقع تل العشارة على الفرات الأوسط 60 كم شمالي ماري، جنوب مصب نهر الخابور في الفرات، يتبع لمحافظة دير الزور. أجرى الفرنسي تورو دانجان (Thureau Dangin) سبراً فيه عام 1923م بعد العثور فيه على رقيم مسماري عام 1910م، كما عثر على منحوتة حجرية آرامية عام 1948م. ثم نقبت في الموقع بعثة أمريكية بين عامي 1974 - 1986م برئاسة تيريزا كارتر، ثم برئاسة جورجيو بوتشيلاتي ومارلين كيللي من جامعة كاليفورنيا. ثم بعثة فرنسية برئاسة أوليفييه رووه، وما تزال تعمل حتى الآن. وقد تبين أن السكن بالموقع يرقى لبداية الألف الثالث ق.م، ثم أصبح مدينة يحيط بها سور بطول 2 كم وعرض 20 م، وكانت مركزاً دينياً وسياسياً واقتصادياً مهماً تبع لماري وتفاعل معها في كافة الأنشطة التي أدت لخلق حضارة متميزة في تلك المنطقة، ثم خلفت ماري في الأهمية بعد سقوطها وعرفت بمملكة خانا/عانا. أما في الألف الأول ق.م فقد سكنها الآراميون، وعرفت باسم سيرق وكانت تدفع الجزية لملوك آشور أحيانا وتتمرد عليهم أحياناً أخرى، قبل أن تلحق مباشرة بالإدارة الآشورية. كشفت التنقيبات عن ثلاثة أسوار تحصينية، وبيوت، ومبان إدارية، ومنها مبنى ضخم يعود للعصر البابلي القديم، وعصر ماري، إضافة لبعض الرقُم المسمارية.

113 يقع تل البيعة عند ملتقى البليخ بالفرات، أبعاده 800×700م، نقبت في الموقع بعثة ألمانية عام 1990م برئاسة إيفا شترومنغر E.Stromenger، وقد أنهت البعثة أعمالها الأولية عام 1995م، وكشفت أن استيطان الموقع يعود للألف الثالث، وبدأ يفقد أهميته منذ منتصف الألف الثاني ليهجر الموقع بداية القرن الثالث ق.م، وتبنى بجواره مدينة نيكفوريون، حيث بنيت عليها كنيسة بيزنطية لها أرضية من الموزاييك. كانت توتول المكان الذي سجد فيه شاروكين الأكادي لدجن وقدم له الأضاحي، كما طلب حفيده نرام السين منه المساعدة في القضاء على إبلا، وطلب منه ملوك ماري القوة والبأس، وقد عثر على المعبد الرئيس للمدينة المكرس للإله دجن، وعلى سلسلة من القصور والمدافن الملكية التي تعود لعصر السلالات الباكرة، ولفترة إبلا وفترة حكم الملك الآشوري شمشي حدد الأول (بداية القرن الثامن عشر ق.م)، ولهذه الفترة تعود الكثير من النصوص المسمارية ذات المواضيع الإدارية.

وبصفتـه الإلـه الحاكـم كان يلقـب بملـك البـلاد وسـيد الآلهـة، أمـا زوجتـه فهـي شـالاش المسـاوية للإلهـة ننليـل زوجـة انليـل. وابـن دجـن هـو إلـه الطقـس والأنـواء حـدد الـذي يعـد فيـما عـدا ذلـك ابـن إلـه السـماء وفي إحـدى المـرات سـميت ابنتـه عشـتار. وفي النصـف الثـاني مـن الألـف الثـاني كان دجـن مسـاوياً لإلـه الشـعير الحـوري كوموروي/كومـربي أبـو الآلهـة، وأماكـن عبادتـه كانـت أور كيـش وتوتـول (تـل البيعـة) وربمـا أيضـاً مدينـة كومـار التـي اشـتق منهـا اسـمه عـلى الأرجـح. وقـد جـاء ذكـر دجـن ضمـن إحـدى وثائـق تـل ممباقـة (ايكَلتـي)، حيـث يتحـدث عـن وجـود معبـد لـه في المدينـة (البيـت P)، كـما جـاء وصفـه في النـص مقترنـاً بإلـه الطقـس أدو/حـدد، عـلى أنهـما آلهـة الأخـوة[114].

كـرس لدجـن معبـد مهـم في أوغاريـت، كـما ورد في قائمـة الآلهـة الحوريـة في أوغاريـت، وكان موازيـاً لتيشـوب. وكان لـه دور في الأسـطورة الأوغاريتيـة، لكنـه لم يلعـب فيهـا إلا دوراً صغـيراً وغامضـاً، وخاصـة في قصيـدة نيـكال (إلهـة القمـر). الأدلـة حولـه قليلـة ومبعـثرة، فقـد ذُكـر سـابقاً كوالـد لبعـل (ابـن دجـن)، كـما ذُكـر أيضـاً كوالـد لإلـه القمـر ياريـخ. ولكـن لم يكـن لديـه نشـاط في الأسـاطير الرئيسـة، كـما أن اقترانـه مـع "بعـل" ربمـا يشـير إلى أن ملامحـه قريبـة مـن ملامـح "بعـل".

وفي اللاهـوت الأوغاريتـي الـذي تعكسـه قوائـم مجمـع الآلهـة المحـلي، كان دجـن مـن بـين الشـخصيات الرئيسـة فيهـا، وذلـك وفـق عـدد مـن النصـوص، وكان موقعـه هـو الشـخصية الثالثـة بعـد "إيـل" و "إيليـب"، وجاء قبـل "بعل". كـما تذكـره النصـوص الأوغاريتيـة مرتـين باسـم "دجـن تتـل ttl" ويعنـي دجـن مدينـة توتـول. وهـذا مـا يظهـر اسـتمرارية الثقافـة السـورية القديمـة مـن خلال اسـتمرار تقاليـد دجـن الأوغاريتيـة مـع تلـك التـي كانـت في مـاري.

114 Werner،1998،P.129

إن غياب دجن من أي نشاط في أساطير بعل، ربما يعكس التأخر النسبي لوصوله إلى الساحل السوري. وهذا ما دفع بعض الباحثين لأن يفترض أن بعل ليس ابن دجن، لكنه يتشابه بالنهاية معه. وتبقى مسألة نسب آلهة أوغاريت من المسائل المعقدة التي تحتاج لمزيد من الجهد لإثباتها[115].

5 - رشف

ذكر رشف أو رشب في نصوص إبلا، باعتباره أحد الآلهة الرئيسة فيها؛ ولاسيما أقنوم رشف عداني، هذه المدينة التي عرفت كتابتها بشكل (عدانيدو)[116]. أما في أوغاريت فكان أحد آلهة العالم السفلي، ولم يلعب دوراً يذكر في الأساطير الأوغاريتية. كما عُدَّ إلهاً للحرب «صاحب السهام راشابو الجنود»، وألقي على عاتقه إخفاء خمس عائلة الملك قيرت. وقد ظهر اسمه في قوائم الأضاحي بشكل متأخر، وذكره أحد النصوص مساوياً للإله الرافدي نيرجال، استمرت عبادته لدى دول آرامية، ويبدو أن رشف كان استثناءً من بين القلة من آلهة العالم السفلي الذين نادراً ما استلموا التقدمات في طقوس أوغاريت[117].

وجدت تماثيل صغيرة لإله الحرب رشف، صُنعَ بعضها من البرونز، وبعضها الآخر من النحاس المطعم أو المغشى بالذهب، ووجد عدد لابأس به منها في بلاد اليونان وفي صقلية وسردينية، وكذلك في ديلوس وفولاكوبي في جزيرة مولس وفي باتوس في كريت وفي تيرنس، ووجدت تماثيل أخرى في جبيل وفلسطين وقبرص وغيرها. يرجع تاريخ معظمها إلى القرن الثاني عشر والحادي عشر ق.م. ولا يمكن اعتبارها بضاعة تجارية؛ بل هي

115 Healey،1994،P.68.

116 أركي، 1980، ص 95.

117 Yon،1994،P.244.

هدايا دينية ثمينة، ذات تأثير سحري قادمة من الشرق البعيد[118].

6 - يم

إله البحر وهو مثل بوسيدون[119]، ملك البحور والأنهار، إنه إله الماء الذي خسر معركة السلطة ضد بعل، وتروي بعض الأساطير بأنه بعد هذه المعركة زُوِّجَ من الإلهة عشتارت لمراضاته[120]. هو يرمز إلى يم بلوياثان (في النصوص: ل ت ن) الحيّة المتلوية ذات الرؤوس السبعة. ويرمز إليه بالتنين أيضاً (في النصوص: ت ن ن)[121].

تعني كلمة "يم" لغوياً البحر، ومن هذه الكلمة ومعناها نستدل على طبيعة هذا الإله، فهو ابن إيل المحبوب، أمر له إيل ببناء قصر، وهو على طرفي نقيض من بعل إله المطر، ويتوافق مع موت إله الجفاف والقحط الذي كان يسبب الخراب والدمار ويسكن في العالم السفلي. وقد ورد اسمه في أحد النصوص بوصية بعل لرسله بعدم الاقتراب منه لأنه سيبتلعهم كالخراف، وإذا فتح فمه وصلت شفته العليا إلى السماء، والأخرى إلى الأرض. فهو في الأساطير أمير البحر، وحاكم الأنهار الذي أحبه الإله إيل، وساعده ليبني قصره، ثم وقع الخصام بينه وبين بعل. توجد قصة مصرية من عهد السلالة التاسعة عشرة 1345 - 1220 ق.م تروي أن إله البحر "يم" كان يطلب الجزية من بقية الآلهة[122]. و "يم" عكس الإله "موت" في قساوته، يستطيع الأحياء من البشر الابتهال إليه وهو يستمع إليهم ويستحوذ على تعاطفهم الطفولي[123].

118 هانس، 1985، ص 325.

119 بوسيدون هو إله البحر والخيول والزلازل والعواصف البحرية في الأساطير اليونانية، وهو نجل كرونوس وريا وشقيق زيوس كبير الآلهة، وزوجته أمفيترايت، وهو مخلوق تم وصف على أن نصفه رجل ونصفه سمكة.

120 عبد الرحمن (قصي)، 2008، ص 228.

121 فريحة، 1966، ص52.

122 الحكيم، 2010، ص 137.

123 Lete،2008،P.46.

7 - مــوت

يظهـر مـوت Mot في النصـوص بصيغـة (م ت)، وهـو الإلـه الثالـث مـع البعـل ويـم الـذي كان يخـوض صراعـاً عنيفـاً للفـوز بالسـلطة بعـد إيـل[124]. وهـو إلـه الجفـاف والمـوت في الميثولوجيـا الفينيقيـة الكنعانيـة، اسـمه يعنـي المـوت وهـو سـيد العـالم الأسـفل (بيـت الجثـث الأرضيـة)، بعـد أن قـام مـوت بابتـلاع بعـل نزلـت الإلهـة عنـاة إلى العـالم الأسـفل، وقطعتـه بسـيفها، وأنقذت حبيبهـا بعـل الـذي قـام مـن الأمـوات[125].

لقبــه: «م د د إل» وكذلــك «ي د د»، ولفظــة مــدد ويــدد تعنــي شــيئاً واحـداً هـو الحبيـب مـن جـذر مشـترك: ود، فهـو حبيـب إيـل أو الـذي يحبـه إيـل. ولـذا عندمـا أراد إيـل أن يتخـلى عـن بعـض سـلطانه لأولاده انتخـب أولاً يـم وأمـر ببنـاء قـصر لـه، وأرسـل وراء كوثـر وخسـيس إلـه البنـاء ليحـضر مـن مـصر. وهـذا كان سـبب اعـتراض عشـتار، وعندمـا وقـع الخيـار عليـه كان أول عمـل قـام بـه، هـو طلبـه تسـليم البعـل خصمـه، الـذي يمكـن أن ينازعـه السـلطة. ولكـن النـصر كان في آخـر الأمـر للأمـير البعـل[126].

الإلــه مــوت هــو الخصــم الأكــبر لبعــل في الأســطورة البعليــة، والــذي لم يسـيطر أبـداً عـلى عـالم بعـل. ينتهـي مـوت بـأن يصبـح العـدو الـكلي للحيـاة، ويبقـى العنيـد الـذي لا يقبـل ولا يتقبـل الأعـمال الخـيرة[127].

هنـاك الكثـير مـن المشـاهد التـي يظهـر فيهـا «مـوت»، ويرمـز فيهـا لـلأذى والقبـح والـشر. كـما لوحـظ ورود اسـمه ضمـن بعـض الأسـماء الشـخصية الأوغاريتيـة، مثـل كلمـة «بـن نـت bnn'nt» التـي ترجمـت باسـم „ابـن مـوت“[128]. وقـد يكـون إطـلاق اسـمه عـلى أسـماء الأشـخاص فيـه بعـض

124 فريحة، 1966، ص54.

125 عبد الرحمن (قصي)، 2008، ص 228.

126 فريحة، 1966، ص55.

127 Yon،1994،P244.

128 Werner،1998،P.129

الغرابـة، إلا إذا كان مـن أطلـق الاسـم يحمـل فهـماً مغايـراً لهـذا الاسـم، أو رأى فيـه جانبـاً خـيراً، أو كان الأمـر مجـرد اتقـاء لـشره ودفعـاً لأذاه.

لا توجـد مشـاهدة مصـورة مؤكـدة للإلــه مــوت في الفــن، ويظــن أن النصـب المشـوه الـذي عـثر عليـه في أوغاريـت يحمـل صورتـه، وهنـاك نصـب آخـر عليـه صـورة بعـل عليـان ولكـن يعتقـد المنقبـون بتحفـظ أنهـا يمكـن أن تكـون لمـوت أيضـاً. ويرتـدي الإلـه في النصـب رداءً قصـيراً لـه نطـاق عُلّـقَ فيـه سـيف وهـو ينتعـل حـذاءً معكوفـاً مـن الأمـام، وهنـاك عقـد في عنقـه، يحمـل بيـسراه رمحـاً، رأسـه الحـاد متجـه نحـو الأعـلى، ويحمـل بيمنـاه صولجانـاً يشـبه صولجـان الإلـه المـصري أوزيريـس. وممـا يلفـت النظـر؛ هـو شـكل الحـلي عـلى الـرأس، فمـن الأمـام يـبرز قـرن أو ريشـة يشـبه التـاج المعـروف في مـصر السـفلى، ينهـض فوقـه شـكل يشـبه شـجرة رمزيـة أو زخـارف الريـش. ولكـن مـن المسـتبعد أن يكـون الشـكل يمثـل حزمـة مـن سـنابل القمـح، وهـذان الشـكلان (سـنابل القمـح مـع الصولجـان الـذي يحملـه الإلـه) يشـيران إلى أن الإلـه الظاهـر في المشـهد هـو الإلـه مـوت[129]. (الشـكل 14).

الشكل رقم (14)
الإله «موت» - أوغاريت

8 – عتـر

هــو عــتر أو عشــتر أو عشــتارو، واســمه الثــاني «أريـز»، أي المخيـف أو الرهيـب، حـلّ محـل بعـل في الوقـت الـذي كان فيـه بعـل في العـالم الأسـفل[130]. إلا أنـه عُـزل بعـد عـودة

129 أدزارد، 2004، ص 245.

130 عبد الرحمن (قصي)، 2008، ص 226.

بعـل ثانيـة، عبـده الكنعانيـون والمؤابيـون وعـرب الشـمال والجنـوب[131].

وهـو مـن آلهـة مجمـع أوغاريـت الذكوريـة جـاء بصيغـة عتـار، والـذي ظهـر في المجـال الكنعـاني بصفتـه نجمـة الصبـاح. بينـما ظهـر الشـكل الأنثـوي (أشـتارت - عشـتار) بصفتهـا نجمـة المسـاء. أمـا مشـتقات النجمـة فينـوس فهـما الإلهـان التوأمـان سـحر الفجـر (نجمـة الصبـاح)، وشـالم[132] الغـروب (نجمـة المسـاء)[133].

9 - عشتــارت

عشـتار أو عشـتروت هـي إلهـة الخصـب والحـب والجنـس والحـرب، وهـي أعظـم الإلهـات وأسـماهن منـزلة. وتتصـف أنهـا إلهـة بـلا زوج، وهـي مؤنـث عشـتر، واسـمها في بـلاد الرافديـن عشـتار "عيـش الأرض"، وهـي ابنـة إلـه القمـر "سـين"، وأمهـا الإلهـة ننـكال، وأخوهـا الإلـه «أوتـو» إلـه الشـمس. وكانـت هنـاك ملكـة السـماء، وعابـرة السـموات، ونـور السـماوات، وهـي السـاطعة والمنـيرة واللامعـة. وبعدمـا أصبـح القمـر تجسـيداً لإلـه مذكـر هـو «سـن» الرافـدي (وأشـباهه)، أعطيـت عشـتار كوكـب الزهـرة، ثالـث الأجـرام السـماوية المنـيرة في السـماء[134]، وألمـع الكواكـب.

وتوصـف بأنهـا شـابة ممتلئـة الجسـم ذات صـدر نافـر، وقـوام جميـل سـامية الـروح مرهفـة الطبـع، قويـة العاطفـة، تحنـو عـلى الشـيوخ والأطفـال

131 الحكيم، 2010، ص 137.

132 يبـدو أن هذيـن الإلهـين سـحر وشـالم كانـا مـن الأهميـة بحيـث أن لهـما قصيـدة خاصـة معنونة باسـميهما تمجـد ولادتهـما وتصفهـما بالآلهـة المُنّعمـة المحبوبـة. ويـرد اسـم شـالم في قائمـة الأضاحـي، كـما تركـب مـن شـحر أسـماء الأشـخاص، وشـحر هـو السَّـحَرْ قبـل انبـلاج الفجـر، وشـالم الشـفق قبـل غـروب الشـمس، وهـذا يعنـي أنهـما كانـا نجمـي الصبـاح والسـماء. وقـد يرتبـط اسـم مدينـة القـدس أورشـالم الـذي يـرد في النصـوص المصريـة في عهـد الأسرة الثانيـة عـشرة ارتباطـاً وثيقـاً باسـم هـذا الإلـه منـذ القـرن التاسـع ق.م، وإذا أُضيـفَ لشـلم ألفـاً ونونـاً يصبـح شـلمان الـذي كان اسـماً لأحـد أهـم ملـوك الامبراطوريـة الآشـورية الحديثـة بمنتصـف القـرن التاسـع.

133 فولكيرت، 1985، ص 346.

134 انظر: السواح، 1996، ص 66، 98.

والنساء. في فمها يكمن سر الحياة وعلى شفتيها تتجلى الرغبة واللذة، ومنها يعبق العطر والشذا، يكتمل بحضورها السرور، ويشيع من ابتسامتها الأمن والطمأنينة في النفوس. (الشكل 15).

غالباً ما نشاهدها تجوب الحقول بخفة ورشاقة فتنفجر الينابيع خلفها بالماء والعطاء، وتزهر بالسنابل والنماء. وتكمن أهميتها في أن الإنسان أدرك ومنذ القدم أن بقاءه يتوقف على أمرين أساسيين هما الغذاء والتناسل، فجمعت في شخصيتها الخصب والجنس معاً، فمثلت خصب الطبيعة بمياهها وحيواناتها وهكذا يتوفر الغذاء، والرغبة الجنسية التي تتيح التواصل بين الذكر والأنثى فيضمن الإنسان تناسله وتكاثره. كان اسمها عند السومريين «إنانا/عينانا» وقد انتقلت عبادتها منهم إلى الأقوام الأخرى التي احتكت بهم كالأكاديين الذين سموها «عشتار»، وشعوب الجزيرة العربية الذين أطلقوا عليها لقب «عثر أو عطار»، والكنعانيين والعبرانيين الذين سموها «عاشرا أو عشتروت»، وورد اسمها «أستر» في العهد القديم، ونظراً لأن البابليين والآشوريين هم من سيطر على بلاد سومر منذ 1800 ق.م، وورثوا ثقافتهم لمن بعدهم، فإن الاسم الأكادي «عشتار» هو الذي شاع بين أهالي البلاد[135]. وفي ماري كُرِّسَ لعشتار عيد كان يدوم لمدة يومين. وعند العرب ارتبط كوكب الزهرة بالأم العربية الكبرى، وكانوا يعبدونه لدى ظهوره ويسمونه

الشكل رقم (15)
الإلهة عشتار

135 انظر: علي، 1999، ص34.

"العزى". كما كانوا يتفاءلون لرؤيته ويعتقدون بقدرته على جلب الحظ وإشاعة السرور والسعادة، ونسبوا إليه دوافع العشق والجنس عند البشر، وأسموه كوكب الحس[136].

أما في نصوص أوغاريت فقد عُرفتْ تحت اسم عتارت وعشتارت، وكانت عبادتها في بلاد ما بين النهرين وسورية وآسيا الصغرى أكثر شعبية من بقية الآلهة. ويبدو أن عشتار حملت في الفترات المبكرة في منطقة شمالي سورية سمات الإلهة الأم. وكانت عبادة عشتار - شاوشكا (الحثية) في سورية الشمالية وجنوب شرق آسيا الصغرى، ذات علاقة وطيدة بالجبال أو بآلهة الجبال. وظهرت في عبادات محلية مختلفة بصفتها عشيقة إله الجبل[137].

ويبدو أن جبل بشيشا (بهي) الواقع بين حلب ورأس شمرا مرتبط بتلك الاسطورة المثيرة للاهتمام التي تخبرنا عن اغتصاب الإلهة من قبل إله الجبل عندما (رأى) الجبل (بشيشا) أعضاء عشتار واستبدت به فكرة النوم (معها)، وهكذا نام بشيشا مع عشتار. أما عشتار فقد قفزت وقالت: «من الذي قام في هذا الوقت باستباحة شرفي وأصبح عدواً آخر لإله الطقس». هذا ما قالته عشتار بغضب وعندما رأى بشيشا عشتار مغتاظة، وسمع هذه الكلمات خاف وارتعب وسقط عند قدميها كتفاحة، وقال: لا تقتليني، سأمنحك الحياة والنجاة.

هذه الاسطورة من جملة الأساطير الدائرة عن صراعات إله الطقس مع كوماربي أو كوموروي، إله الشعير الحوري (دجن) المتمرد عليه مع أتباعه. وذكريات هذه الصراعات الرهيبة بين كوماربي وجماعته ضد إله الطقس يتردد صداها كذلك في النزاعات بين إله الطقس والأنواء وإله البحر وإله الجبل. ويبدو أن بشيشا عندما يحاول أن يجامع الإلهة، كان

136 السواح، 1996، ص 99.

137 فولكيرت 1985، ص 348.

يطبّق ذلك الحق القديم، وهو القيام بالعرس المقدس مع عشتار على قمة الجبال[138].

10 – أثيرات



الشكل رقم (16)
الإلهة عشيرة

هي في أوغاريت زوجة كبير الآلهة إيل وأم وخالقة الآلهة، وتدعى أحياناً إيلات، أي الإلهة[139]. وتبدو مرضعة ووالدة للآلهة، وقد كان لقبها إلهة البحر أو أم الآلهة[140]. وتبدو في الرسوم وهي تعتمر قلنسوة ذات مواصفات خاصة مرتفعة وعالية، وتحمل بيدها كأساً أو صليباً مثنياً، وهي إشارة الحياة المقتبسة من التزيينات المصرية الفنية[141]. وقد وردت في نصوص العمارنة (EA. 60) ضمن اسم مركب لملك عمورو عبدي أشيرة الذي أرسل رسالة لأمنحتب الثالث[142]. (الشكل 16).

يرد اسمها بالأحرف الأوغاريتية الساكنة بصيغة (أ - ث – ر- ت)، ولكن الباحثين الغربيين المحدثين قد حركوه بناء على اللفظ التوراتي لنفس الاسم فقالوا: (أثيرة)، أو كما ورد في التوراة (عشيرة). ويرى غالبية الباحثين أن الاسم أثرت مستجد من الجذر (أ ت ر)، الذي يفيد معنى المشي أو الخطو واستنتجوا أن اللفظ الرئيس لعشيرة

138 فولكيرت 1985، ص 348.

139 هبو، 2006، ص 56.

140 عبد الرحمن (قصي)، 2008، ص 226.

141 أحمد، وعبد الله، ومرعي، 1999، ص 348.

142 إسماعيل، 2010، ص 258.

وهـو (أ ث ر ت ي م)، يعنـي التـي تخطـو عـلى البحـر أو سـيدة البحـر. ومـن ألقابهـا الأخـرى إضافـة لأم الآلهـة وعشـيرة البحـر لدينـا في نصـوص أوغاريـت لقبـان آخـران: الأول (إيلـة) أو (إيـلات) وهـو مؤنـث (إيـل)، أمـا اللقـب الآخـر فهـو (قـدش) أو (قدشـو) ويعنـي القدوسـة[143].

عُـثر في أوغاريـت عـلى عـدد مـن التماثيـل البرونزيـة، التـي ربمـا كانـت مغشـاة بالذهـب أو الفضـة، والتـي رأى فيهـا الكثـير مـن الباحثـين أنهـا تمثـل عشـيرات. مـن أهـم نماذجهـا تلـك التـي تقـف فيهـا وقـد لفـت عباءتهـا الطويلـة ذات الأهـداب حـول جسـمها بحيـث تغطـي الـذراع الأيـسر كليـاً، وتحـت العبـاءة ترتـدي المـرأة ثوبـاً طويـلاً يصـل إلى العنـق ويشـده زنـار مـن الأعـلى. أمـا السـاعد الأيـسر الـذي كان عـلى الغالـب ممـدوداً إلى الأمـام؛ فقـد صـب عـلى حـدة، ثـم ركـب عـلى التمثـال، وجـرى تركيـب غطـاء الـرأس المصنـوع عـلى حـدة[144].

11 - كوثر وخاسيس

إلـه سـوري قديـم للحـدادة وهـو سـيد السـحر، الـذي يلعـب في أسـاطير أوغاريـت دور سـيد الفنـون والحـرف، وهـو الـذي بنـى قـصر بعـل، وصنـع لـه الأسـلحة قبـل معركتـه ضـد "يـم"، سـادت عبادتـه أيضـاً في قـبرص تحـت اسـم كينـيراس[145].

لم يعـرف عـن هـذا الاسـم شـيئاً قبـل اكتشـاف الأسـاطير الأوغاريتيـة، ويلفـظ اسـمه بأشـكال عديـدة، وفي النصـوص: ك ث ر. و خ س س، وهـو اسـم مركـب جـزآه متصـلان بحـرف العطـف الـواو. وقـد ترجـم بعضهـم اسـم "كوثـر" بالحـاذق والماهـر، مـن الجـذر: ك ث ر، أمـا جـذر: خ س س فيجـب

143 السواح، 2006، ص 77.

144 كولماير، 1985، ص 139.

145 عبد الرحمن (قصي)، 2008، ص 228.

أن يقابلـه حـسَّ، التـي نجدهـا في البابليـة بمعنـى فكَّـر[146].

يـرد اسـم كوثـر وخاسـيس (خسـيس) أكـثر مـن 30 مـرة، وموطنـه جزيـرة كريـت التـي تدعـى في النصـوص «ك ف ت ر» أي كفتـور أو كبتـار، ولكـن في أسـطورة أقهـات نقـرأ أن موطنـه «ح ك ف ت» حكفـت أو خيكوبتـا، أي مدينة ممفيـس المصريـة القديمـة مقـر الإلـه « فتـاح». ولفظـة مـصر في الإغريقيـة Egyptos هـي تحريـف لهـذا الاسـم حكفـت[147].

لعـب الإلـه كوثـر وخسـيس الأوغاريتـي دوراً جوهريـاً، والسـمة الخاصـة التـي يتصـف بهـا هـذا الإلـه؛ هـي مهارتـه وفنـه البـارزان في أي عمـل يقـوم بـه، فهـو الـذي يصنـع مختلـف أنـواع الهدايـا والمجوهـرات، وهـو الـذي يبنـي بيـت بعـل، ويسـكب في أثنـاء عمليـة البنـاء الطوبـات الذهبيـة والفضيـة عـلى النـار، ثـم يخيـط المعـدن والأوراق، ويصنـع القـوس لأقهـات. عمومـاً يمكـن القـول: إن نشـاطه الأسـاسي يتركـز في صنـع الأسـلحة، ولذلـك يلقـب «صاحـب السـلاح». وكوثـر (اسـم مؤنـث) هـو أيضـاً اسـم الإلهـات اللـواتي يسـاعدن في الحمـل والـولادة، وهـن بنـات الإلـه خالالـو. ويـدل لقبهـما الدائـم «السـنونوات» عـلى الطيـور المقدسـة المرتبطـة بهـذه العبـادة، والتـي عـدت تجسـيداً لهـن[148].

12 - شبش

شـبس هـي شـفش في النصـوص الأوغاريتيـة؛ وهـي الشـمس، أمـا لمـاذا تغـيرت الميـم إلى فـاء فأمـر يصعـب تعليلـه، ولكـن يجـب التذكـر أن الميـم والفـاء حرفـان متقاربـان في مخرجيهـما. وهـي إلهـة العـدل، لأنهـا تـرى كل شيء، وتراقـب كل حركـة. تعـرف كل مـا يحـدث عـلى وجـه الأرض، فـترى

146 فريحة، 1966، ص 65.

147 فريحة، 1966، ص66، وانظر: شيفمان، 1988a، ص 85.

148 شيفمان، 1988a، ص 85.

القاتـل يقتـل والسـارق يـسرق، وتعـرف كل مـا خفـي في قلـب الأرض، لأنهـا مسـاء تهبـط إلى جـوف الأرض، فتصبـح في الليـل خادمـة أمينـة للإلـه مـوت. أمـا خادماهـا في تثبيـت العـدل فهـما «صـدق وميشـور» أي الصـدق والاسـتقامة. ولكـن الشـمس في أثنـاء النهـار ترسـل أشـعتها المحرقـة بأمـر مـن مـوت فتحـرق العشـب وتجفـف الأرض[149]. وتدعـى أيضـاً نـور الآلهـة، وهـي المشـتركة في الجنـس الأنثـوي مـع إلهـة الشـمس عنـد العـرب شـبش.

تسـمى شباشـو عـادة، شـمعة إيـل. إنهـا تجفـف السـموات بحرّهـا، ويقـع مقرهـا في مدينـة أزادو الواقعـة في الـشرق. لقـد وصلتنـا أسـاطير شـبش في حـال سـيئة جـداً، لكننـا نسـتطيع بالرغـم مـن ذلـك أن نكتشـف العلاقـة القائمـة بـين هـذه العبـادة وعبـادة الحيـة، الأمـر الـذي يعطـي بـدوره إمكانيـة للحديـث عـن سـمات الصيـاد الموجـودة في شـخصية شباشـو. ويتقـوى هـذا الانطبـاع بالمقطـع حيـث شباشـو تجمـع السـم (وتقـود باقـي الآلهـة التـي تفعـل الـشيء نفسـه) كي تبـدد السـحابة فـوق الأرض، ولا يسـتبعد أن يكـون الحديـث قـد جـرى في المقطـع نفسـه (المخـرب جـداً) عـن علاقـة حـب مـا قائمـة بـين شباشـو والحيـة، وعـن بكائهـا لمـوت هـذه الأخـيرة.

وهـي تسـاعد عنـاة في بـكاء بعـل ودفنـه، وتنشـط في عمليـات البحـث عـن الإلـه المنبعـث، وهـي تلعـن «مـوت» الـذي يقاتـل «بعـل»: «اسـمع أنـت يـا مـوت، يـا ابـن إيـل! كيـف تجـرؤ أن تقاتـل بعـل الجبـار؟ عـسى ألا يسـمعك إيـل الثـور، أبـوك! فلينـزع أساسـات بيتـك، فليهـدم عرشـك الملـكي، وليكـسر عصـاك، رمـزك كقـاض!». وهكـذا تكتشـف العلاقـات القائمـة بـين عبـادة الشـمس وعبـادات الخصـب الزراعيـة. لكـن دعـوات شباشـو في ملحمـة صراع بعـل ويـم تبعـد غضـب إيـل عـن عشـتارو[150].

149 فريحة، 1966، ص 63.

150 شيفمان، 1988a، ص 85.

عدوها تنين هائل أو وحش ضخم يحاول ابتلاعها (الكسوف)، ولكنه لا يقوى على ذلك لأنها تعود حالاً للظهور والضياء. وقد كافأها البعل على صنيعها عندما أسعفت عناة بالعثور على البعل في قلب الأرض، في مملكة «موت» وساعدتها على حمل جثته إلى وجه الأرض، فرد عنها شر التنين، وقال لها: إن كوثروخسيس سيكون دوماً لجانبك في وقت الضيق (وقت الكسوف)[151].

13 - يرخ (ياريخ)

هو «سن» إله القمر الرافدي، وزوجته إلهة القمر السومرية نيكّال (نينجال Ningal). انتقلت عبادته إلى أوغاريت عن طريق حران، وتوجد أسطورة حول لقائه مع نينكال وزواجهما دون أن يرد فيها أي ذكر لإيل أو بعل[152].

وفيما خلا هذه الأسطورة والمقطع الذي يتحدث عن زواج يرخ من نينكال إلهة القمر، فلا يوجد عنه الكثير من المعلومات، إلا مشاركته في طقوس الزواج المقدس[153]. كما ربط الأوغاريتيون بين الخصوبة البشرية ودورة القمر اليومية والشهرية.

14 - حورون

يظهر اسم هذا الإله مركباً في الأسماء الكنعانية، وفي أسماء المواقع والمدن منذ عام 1900 ق.م حتى العام 600 ق.م، ويحمل ثلاثة أمراء فلسطينيين اسم حورون أبوم، وهم الذين ترد أسماؤهم في نصوص اللعنة المصرية خلال حكم السلالة الثانية عشرة في مصر[154]. وينسب إلى حورون انتزاع سم الثعابين، وهناك من ينسبه إلى مجموعة آلهة قدماء (الساميين). ورد

151 فريحة، 1966، ص 64.

152 الحكيم، 2010، ص 137.

153 شيفمان، 1988a، ص 85.

154 أدزارد. د، و م. بوب. و ف. رولينغ، 2004، ص 210.

اسـم (حـورون عبـم) في مـاري بصيغـة (حـا- او- را - ان - ا - بي) أي (حورون أبي). ويعـرف في رأس الشـمرا بــ (حـورون الفتـى) أو (حـورون الغـلام).

وفي قصيـدة قـيرت هـدّد ابنـه الثائـر بكـسر الـرأس مـن قبـل حـورون وتحطيـم الجمجمـة مـن قبـل عشـتار. وظـل معروفـاً خـلال الألـف الأول قبـل الميـلاد إذ عـثر عـلى تميمـة في موقـع أرسـلان طـاش[155] عليهـا نقـش قُـرأ: (شـت حـورون = زوجـة حـورون)، حيـث كان حاميـاً لامـرأة التجـأت إليـه. كـما ظهـر حـورون لاحقـاً في القـرن الثامـن ق.م، كـرب حافـظ مـن الأذى لـكل مـن تـوكل عليـه.

وقـد عـثر في أوغاريـت عـام 1968م عـلى رقيـم طينـي يبـيّن أن حـورون هـو الـرب الوحيـد الـذي يلبّـي نـداء مـن لسـعه ثعبـان سـام، في حـين أن بقيـة الآلهـة تختفـي.. وهنـاك مـن رأى في حـورون ربـاً يحمـي ويقـدر عـلى مواجهـة قـوى الـشر التـي تعتـبر الثعابـين أحسـن صورهـا ومنـه الشـفاء. وربمـا

الشكل رقم (17)
المعبود السوري حورون (أبو الهول)

155 يعنـي اسـم أرسـلان طـاش (باللغـة التركيـة) الأسـود الحجريـة، لاكتشـاف أعمـدة وتماثيـل أسـود بازلتيـة فيـه خـلال الفـترة العثمانيـة. يضـم الموقـع مدينـة خـدو الآراميـة التـي عرفهـا الآشـوريون بخداتـو. جـرت أعـمال تنقيـب فرنسـية بالموقـع عـام 1928م، أدارهـا F.Thureau Dnagin، كشـفت عـن حـاضرة آراميـة آشـورية حثية/لوفيـة. عـثر فيـه عـلى عـدد مـن المنشـآت، مـن أهمهـا: معبـد وقـصر بنـي وفـق المخطـط الآشـوري، توجـد عـلى جـدران بعـض غرفـه رسـوم جداريـة، وهنـاك المبنـى المسـمى بمبنـى العاجيـات لوجـود الكثـير مـن الأعـمال الفنيـة العاجيـة فيـه، والتـي كانـت تزيـن أثاثـه.

ارتبـط اسـمه بالمـكان وهـي المنطقـة السـورية مـن حـوران، أو هـو كان صيغـة للاسـم التدمـري (حـيرن) مـن أصـل عـربي. وفي نـص اكتشـف في رأس ابـن هانـئ عـام 1978م يظهـر لـه خصائـص سـحرية دينيـة يتنـاول طـرد كائنـات سـحرية مؤذيـة ذات مظاهـر شـيطانية، يسـمى الـرب حـورون بطريقـة لا تترك أي شـك بوظيفتـه الوقائيـة: «فليطـرد حـورون المشـاركين والفتـى الـشركاء». إن النـص يتعلـق حسـب الظاهـر بالمؤذيـين المتجمعـين ضـد الـذي لقـي الحمايـة (حـورون)[156]، وهـو رجـل أُعيـدَ شـاباً.

انتقلـت عبادتـه إلى مـصر منـذ السـلالة الثامنـة عـشرة، وقـد رآه المصريـون في أبي الهـول، ورأى بعـض الباحثـين أن ذكـره ورد أربـع مـرات في ملـف الـبردي السـحري (هاريـس 501) الـذي يعـود لـلأسرة التاسـعة عـشرة، وقـد جـاء ذكـر هـذا الـرب مشـتركاً مـع الآلهـة الكنعانيـة رشـف وعنـاة، وكان يبتهـل كالراعـي الحامـي الطـارد للحيوانـات المتوحشـة التـي تهـدد المؤمـن. وهنـاك مـن عـدَّهُ معـادلاً لمـوت، وقـد توحـد مـع حـوروس لأنـه عـدو سـيت المـصري[157]، المسـاوي لبعـل ضحيـة مـوت. وقـد عـرف رعمسـيس الثـاني بحبيـب حـورون، وقـد رمـز لـه بالصقـر بعـد أن تـم المـزج بينـه وبـين حـورس. (الشـكل 17).

ويُعـدُّ حـورون إلهـا رئيسـاً في مدينـة يبنيـا (حـورون يـبن) في القـرن الثالـث ق.م، كـما اقـترن اسـمه مـع هرقـل (ملقـارت) في نـص مـدوّن باللغـة اليونانيـة فـوق مسـلة عـثر عليهـا في جزيـرة ديلـوس. وكان يُلفـظ اسـمه في الأصـل حـوران مثـل اسـم المنطقـة في جنـوب القطـر السـوري، ويعنـي الاسـم (حـور) حفـرة أو جـوف وكان العـرب يقصـدون باسـمه كوكـب جوبيـتر ويعـادل في

156 كاكو، 1980، ص 97، 98، 99.

157 في الاسـطورة المصريـة الشـهيرة التـي تمثـل دورة الحيـاة، يتـزوج أوزيـروس (إلـه الحيـاة والخصوبـة) مـن إيزيـس وتنجـب لـه حـورس الـذي انتقـم مـن عمـه الشرير سـت (إلـه الصحـراء والظـلام والعواصـف) الـذي قتـل أبيـه، واغتصـب عرشـه، ومـزق جسـده إلى ثـلاث عـشرة قطعـة، حيـث نثرهـا بعيـداً، لكـن إيزيـس تمكنـت مـن جمعهـا، مـا عـدا قطعـة واحـدة التهمتهـا سـمكة.

وظائفـه إلـه الرافديـن نرجـال في نصـوص التعاويـذ الأكاديـة ونرجـال كـما هـو معـروف إلـه العـالم السـفلي والطاعـون في التصـوّر الرافـدي. وقـد عـثر عـلى مسـلة في شـيحان (مـؤاب) تحمـل صـورة إلـه يعتقـد أنهـا صـورة الإلـه حـورون.. وإلى جانبـه صـورة الإلـه حـوروس وقـد اتخـذ شـكل العقـاب[158].

15 - إشخارا

إشـخارا أو شـهراي (الإلهـة العقـرب)، هنـاك مـن قـال إنهـا إلهـة حوريـة، بـرز اسـمها في عـدة نصـوص طقسـية، ولكنهـا لا تظهـر في النصـوص الميثولوجيـة[159]. وهنـاك مـن قـال إن لهـا علاقـة مـع إلهـة ذكـرت في عيـلام منـذ العـصر الأكادي القديـم، وعرفـت في بـلاد الرافديـن باسـم (إشـخارا وإيشـخارا) منـذ عـصر أور الثالـث، وكانـت مختصـة بضـمان تنفيـذ العهـود المقطوعـة أمـام الآلهـة، وتسـمى بسـيدة القضـاء والأضاحـي، وتشـارك عشـتار في بعـض صفاتهـا الحربيـة المقاتلـة، وهـي أم لسـبعة أولاد[160].

لكـن نصـوص إبـلا أظهـرت أنهـا إلهـة سـورية أصيلـة حيـث ظهـرت في مجموعـة آلهـة إبـلا وكانـت طبيعتهـا مشـابهة لعشـتار. وبصفتهـا الإلهـة العليـا في منطقـة النفـوذ الحثـي في سـورية فقـد سـميت في الاتفـاق المـصري بـين رعمسـيس الثـاني وخاتوشـيلي الثالـث (أشـخارا سـيدة الجبـال والأنهـار في أرض الحثيـين)[161].

كـما ورد ذكرهـا في أحـد نصـوص تـل ممباقـة (ايكلتـي)، ويبـدو أنـه كان لهـا علاقـة بالفنـون[162]. وكان رمزهـا في العـصر البابـلي القديـم يتمثـل بالأفعـى الأولى باشـمو. وكان هنـاك قسَـمٌ كان يقـدم باسـم (أفعـى باشـمو إشـخارا)،

158 أدزارد. د، و م. بوب. و ف. رولينغ، 2004، ص 211.

159كوبر، وكوجان، 2007، ص 69.

160 أدزارد. د، و م. بوب. و ف. رولينغ، 2004، ص33.

161 فولكيرت، 1985، ص 349.

162 Werner،1998،P.129

وبعد ذلك أصبح العقرب كذلك رمزها الحيواني. وحسب نص أوغاريتي، فإن الملك يقدم لـ «عشر خلمت» قرباناً سائلاً. وهذه الحروف تعني أشخارا وكذلك نوعاً من الأفاعي. ويبدو أن الكلمة السريانية "خلماتا" تعني بدورها السحلية أو الحرباء، وتشكل هذه الإلهة وحدة متينة مع إله القمر « كوشوخ». وقد كانت في «حاتوشا/خاتوشا» مع القمر إلهاً للقسم والحلفان. أما خطرها فيعبر عن نفسه بشكل خاص، وذلك في أنها أصل مرض إشخارا المسمى باسمها[163].

16 - صفات الآلهة

هناك العديد من أسماء الآلهة التي وردت في النصوص الأوغاريتية بعضها كان عبارة عن صفات ألحقت بالآلهة، أو أسماء أمكنة نسبت إليها، وقد استطعنا أن نحصي لإيل من خلال أربع قوائم فقط، حوالي 27 اسماً، وهي:

إيل، إيل سابوني (إيل جبل سابون/صفن). إيل إيبي (الإله الأب). إيل لب – ن (إله أرض لابانا). إيل دادميما (إله أرض حلب). إيل تا ديري بعلي (مساعد الإله بعل). إيلم... (إله النساء والرجال). إيل بت (إيل بيتي: إله المنزل). عزب إيل (إيل القوي). إيل بن إيل (عيلو أبناء عليو). در بن إيل (دائرة أولاد عيلو). مفرت بن إيل (جمهرة أولاد عيلو). خن إيل (إيل الرشيق). نشبت إيل (إيل الصلب). شلم إيل (إلو الحسن). إيل خش إيل ند (إيل القلق، إيل النشيط). يادبيل (إيل المسامح). يارسيس (إيل علي الشأن). يارسيل (إيل علي الشأن). ب مرخ إيل (بنصلة إيل). ب نيت إيل (بفأس إيل). ب صمد إيل (بنير إيل). بدتن إيل (بفتنة إيل). ب شرب إيل (نار إيل). ب كنت إيل (مؤسسة إيل). ب غديان إيل (بعناية إيل). بن إيل (هل بنى إيل). إيل قاريتي

163 فولكيرت، 1985، ص 349.

(آلهة المدينة)[164]. وهناك لقب إيل دف إد (إله الرحمة والشفقة)، ولفظة ف إد هي الفؤاد العربية أي القلب والقلب يرمز للرحمة والحنان. ومنها لقب بني و بنوت ويعني خالق الخلائق والفعل بنى في الأوغاريتية يعني خلق. ومن ألقابه ملك أب شنم (أي الملك أبو السنين أو أبو المعالي)، وهناك لقب لطفن (إله اللطف والايناس)، ولقب ثر إيل (ثور إيل) والثور في الشرق الأدنى القديم رمز للقوة والانسان عند الذكور[165].

أما أسماء بعل فجاءت في عشرات الأشكال منها: بعل سابون (بعلو جبل سابون/صفن). بعلوما (تجلي من تجليات بعلو). إيلتا ديري بعلي (مساعد الإله بعل). بعل حلبي (بعلو حلب). يارجبعل (بعلو المهيب). يارجمبيل (بعلو الرحيم).

إضافة لهذين المعبودين إيل وبعل، فقد تم ذكر مجموعة من الآلهة الأخرى منها الإناث ومنها الذكور وجاء ذكرها في القائمة كما يلي: أرصو وا شاموما (الأرض والسماء). كوتاراتو (سيدة التناسل النسائي). ياريبو (القمر). بيدرايا (الدهون). عترو. جوروما واتاباماتو (الجبال ومياه الهاوية). عتيراتو. عناة. أرصايا (الأرض). أوشبارايا. عتاراتو. دمد ميش. بولرو إيليما (تجمع من الآلهة). أوتباتو (المبخرة). كينارو (القيثارة). ملكوما (الملوك). شالم[166] (نهاية النهار عند غياب الشمس). تاراتيا. شاجر- وا - إيتوم. رشب - إدريبي. دادميش. مسر. مت. أوبارايا. جاتارو. تيراتو. جوروما - وا - تاباماتو (الجبال ومياه الهاوية). م. مر. سو را. أوتاباتو (المبخرة). أوشهريا (أوشبارايا). يم خ ل (يمو: البحر، بعلو). يرخ (يايبو: القمر). كتر (كوتارو: المهارة). ترمن (تارومانو). دقت (داقيتو).

---

164 Pardee،2002،P.11،19،21،22.

165 فريحة، 1966، ص 43.

166 هناك من يرى أن جذر كلمة « ش ل م» يدل على التمام والكمال والنهاية، أما السلام فهو معنى ثانوي وليس أصيلاً، انظر: فريحة، 1966، ص84.

تـرت (تيراتـو: الخمـر الجديـد)، تـيروش (إلـه الكرمـة). عنـت خبـلي (عنـاة خبلايـا: عنـاة المشـوهين). يـرخ كتـي (كسـيت ياريـخ، كسـيت القمـر). يـا جبخـد (حـدو الكريـم). عمـتر (آمـو العائـد). يارجبليـم (ليمـو المهيـب). يادبخـد (حـدو المسـامح). ترمـن وسـنم (تـوك أمانـو - وا - سـوناما). أوغـرت (الأوغاريتـي)[167]. (انظـر الجـداول الملحقـة).

ويـرد في النصـوص اسـما رسـولين لبعـل والرسـول « م ل أ ك» مـلاك مـن جـذر لأك وإذا لّينـت الهمـزة أصبحـت مـلاك، والملائكـة رسـل السـماء. وفي النصـوص الأوغاريتيـة هـما «ج ف ن» و» أ ج ر»، وجـذر جفـن يعنـي الكرمـة والداليـة، ولا شـك أن اسـم هـذا الرسـول أو المـلاك يرمـز إلى الخمـر وعيـد قطـاف العنـب الـذي كان يحتفـل بـه دينيـاً (مهرجـان العنـب). أمـا جـذر»أ ج ر» أجـر فيفيـد معنـى المكافـأة أي الأجـر. ويقـرن اسـم هـذا الرسـول أو المـلاك باللفظـة البابليـة Ugaru ومعناهـا الحقـل ومنهـا «أ غ ر ت» أوغاريـت وتعنـي الحقـل أو حراثـة الحقـل، وطبيعـي أن يكـون رسـل البعـل، إلـه المطـر، آلهـة أو أشـباه آلهـة لهـم علاقـة بالحراثـة وبالغـلال[168].

ومـن الإلهـات هنـاك بنـات بعـل بيـدارى ابنـة النـور، وتـالاي ابنـة سـيد المطـر، وأرسي (أي الزمنيـة) ابنـة يعبـد را إلـه الصيـد، وهـي مجموعـة تعطـي الخصـب ومـن المرجـح أنهـن في الوقـت نفسـه كـن زوجـات بعـل، وحتـى الآن ليـس هنـاك ترجمـة مرضيـة لاسـمي بيـدارى ويعبـدرا لكـن مـن المعتقـد أنهـما مرتبطتـان بوظائـف بعـل في مجمـع آلهـة أوغاريـت. أمـا ذكـر الأسـماء السـتة الأخـرى لآلهـة باسـم بعـل (حـدو في الأكاديـة) في اللائحـة فـلا يوجـد لـه تفسـير مـرض وفقـاً لمـا يعـرف عـن الديانـة الأوغاريتيـة، غـير أن هـذا لا يمنـع مـن الاعتقـاد أننـا أمـام آلهـة محليـة مختلفـة أدخلـت المجمـع العـام للآلهـة تحـت اسـم مقـدس واحـد[169].

167 Pardee،2002،P.11،19،21،22.

168 فريحة، 1966، ص 66.
169 شيفمان، 1988a، ص 81.

إضافة لما سبق من أسماء فقد وردت من أوغاريت لوائح أضاحي احتوت أسماء آلهة جرى تصنيفها على أنها غير كنعانية، بعضها سوري قديم وبعضها حوري أو حثي، وهي تنم عن تقدير الأوغاريتيين وانفتاحهم على ثقافات المنطقة قديمها وجديدها، إضافة إلى أنها تعكس حالة من التسامح الديني أفرزها التمازج الديمغرافي والتعايش الاجتماعي الحاصل في المملكة. وقد عرفنا هذا التنوع في ماري التي تعكس نصوصها وأدبياتها وفنونها المختلفة حياة مليئة بالتعددية والتنوع الثقافي والديمغرافي يدل عليه تعدد أسماء الآلهة[170]. ومن هنا يمكن القول: إن ديانة أوغاريت تمتلك سلاسة هائلة من الانفتاح والتشاركية والتآلف والتبادل بين مجمعها الإلهي والمجمعات الأخرى[171].

17 - مقدسات أخرى

تظهر مقدسات أخرى، وهي كائنات مليئة بالقوى السحرية وأشياء طبيعية، مثل بعض الحجارة والنباتات والأشياء المصنوعة بيد الإنسان. إن هذه الموضوعات التي تحظى بالتوقير والعبادة، ليست فقط أشكالاً لأشخاص وحيوانات، بل قد يكون بعضها أصناماً ذات ملامح تجريدية وأدوات عبادة مختلفة مثل أسلحة الآلهة والشعارات، وأوان الأضحية وحتى أثاث المعابد. وسنتوقف في معالجة هذه الموضوعات عند المعابد المصغرة المنتشرة جداً.

بين مواضيع العبادة في معبد مدينة تدعى «هاشورا» (موقعها المفترض شمال سورية) نجد منزلين مصغرين مقدسين يسميان «حمري»، وهما مرصعان بالفضة والذهب، وقد غنمهما الملك الحثي حاتوشيلي الأول

170 خليف، 2005، ص 251.

171 Lete،2008،P.48.

وأخذهـما مـع تماثيـل بعـض الآلهـة إلى حاتوشـا وأورينـا. أمـا حمـري فهـو رمـز للبنـاء المقـدس المكـرس لإلـه الطقـس حـدد أو تيشـوب، وكذلـك لعشـتار ولإلـه المدينـة المذكـورة. وكان السـكان يقسـمون هنـاك بآلهـة بنـاء حمـري، وكان «حمـري» المـكان المقـدس للإلهـة إشـخارا، كـما كانـت في معبـد حاشـودا، وهـو بيـت صغـير مبجـل دينيـاً يشـبه بيـوت الصلصـال المصغـرة. ومـن الجديـر بالاهتـمام وجـود منـازل عبـادة مصغـرة في الألـف الأول قبـل الميـلاد أيضـاً، وفيـما بعـد أصبحـت أداة مقدسـة لأفروديـت – (أورانيـا القبرصيـة) في السـواحل السـورية الفينيقيـة بشـكل خـاص[172].

172 فولكيرت، 1985، ص 349.

قوائم أسماء الآلهة في أوغاريت

قائمة الآلهة التي وجدت في النصوص، كما وردت بشكلها القديم

Rs 1.017/Rs 24.264 + Rs 20.024/Rs 24.543

’Ilū Şapuni(The gods Mount Sapunu).	إيل سابوني (إله جبل سابون)	1
’Ilu ’ibi (the god of the father)	إيل إيبي (الإله الأب)	2
’Ilu.	إيل	3
Dagan.	دجن	4
Ba’lu Şapuni(Ba’lu of the Mountain Sapunu).	بعلو سابون (بعلو جبل سابون)	5
Ba’luma(another manifestation of Ba’lu).	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	6
Ba’luma(another manifestation of Ba’lu).	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	7
Ba’luma(another manifestation of Ba’lu).	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	8
Ba’luma(another manifestation of Ba’lu).	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	9
Ba’luma(another manifestation of Ba’lu).	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	10
Ba’luma(another manifestation of Ba’lu).	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	11
’ArşuwaŜamūma(Earth and Heaven).	أرصو وا شاموما (الأرض والسماء).	12
Kôtaratu(Mistresses of Female Reproduction).	كوتاراتو (سيدة التناسل النسائي).	13
Yaribu(Moon).	ياريبو (القمر)	14
Şapunu(The Mountain Sapunu).	سابون (جبل سابون)	15
Kôtaru(Skillful).	كوتارو/كوثر (المهارة)	16
Pidray(Fatty).	بيدرايا (الدهون)	17
Attaru.	عترو	18
GūrumawaTabamatu(Mountains and Waters of the Abyss).	جوروما وا تابا ماتو (الجبال ومياه الهاوية).	19
’Atiratu.	عتيراتو	20
‘ Anatu.	عناة	21
Ŝapŝu(Sun).	شبشو (الشمس)	22
’Arşay(Earthy).	أرصايا (الأرض)	23
’Uŝbaraya.	أوشبارايا	24
’Attartu.	عتاراتو	25
’Ilu Ta’diri Ba’li(AuxiliaryGodsBalu).	إيل تا ديري بعلي (مساعد الإله بعل)	26
Rašap.	رشب	27
Dadmiš.	دمد ميش	28

Pulru ‘Ilima(Assemblyofthe –Gods).	بولرو إيليما (تجمع من الآلهة)	29
Yammu(Sea).	يمو	30
’Utbatu(Censer).	أوتباتو (المبخرة)	31
Kinnaru(Lyre).	كينارو (القيثارة)	32
Malakūma(Kings).	ملكوما (الملوك)	33
Šalimu.	شليمو	

قائمة الآلهة التي وجدت في النصوص

Rs 1.017/Rs 24.264 + Rs 20.024/Rs 24.543

’Ilu ’ibi (the god of the father)	إيل إيبـي (الإله الأب)	1
’ArşuwaŜamūma (Earth and Heaven).	أرصو - وا - شاموما (الأرض والسماء).	2
’Ilu.	إيلو	3
Kôtartu(Mistresses of female Reproducton).	كوتاراتو (سيدة التناسل النسائي).	4
Dagan.	دجن	5
Ba’lu Halbi(Ba’lu of Aleppo).	بعلو حلبي (بعلو حلب)	6
Ba’lu Şapuni(Ba’lu of the mountain Sapunu).	بعلو سابون (بعل جبل سابون)	7
Tarratiya.	تاراتيا	8
Yaribu(Moon).	ياريبو (القمر)	9
Şapunu(The Mountain Sapunu).	سابونو (جبل سابون)	10
Kôtaru(Skillful).	كوتارو (المهارة)	11
Attaru.	عتارو	12
’Atiratu	عتيراتو	13
Šagarwa‘Itum.	شاجر ـ وا ـ إيتوم	14
Šapšu(sun).	شبشو (الشمس)	15
Rašap‘Idrippi.	رشب ـ إدريبي	16
...MSR.	مسر	17
Dadmiš.	دادميش	18
..Mt.	مت	19
...	....	20
...	....	21
‘Ušbaraya.	أوشبارايا	22

23	جاتارو	Gataru.
24	عتاراتو	Attartu.
25	تيراتو (دوارا)	Tiratu(doara).
27	إيل قريتي (آلهة المدينة)	‘Ilū Qariti(Gods of City).
28	إيلم... (آلهة النساء والرجال)	‘Ilū M...(Gods of Men and Gods of –Women).
29	جوروما ـ وا ـ تاباماتو (الجبال ومياه الهاوية)	Gūruma –wa Tabamatu(Mountainsand Waters of the Abyss).
30	يمو (البحر)	Yammu(Sea).
31	م. م. ر	...MMR.
32	سو را	Su ra.
33	.....	...
34	إيل دادميما (آلهة أرض حلب)	‘Ilū Dadmima(Gods of theLandofAleppo).
35	إيل ل. ب ـ ن (إله أرض لابانا)	‘Ilū LBN(Godsof Labana).
36	أوتاباتو (المبخرة)	‘Utbatu(Censer).
37	كينارو (القيثارة)	Kinnāru(Lyre).
38	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	Ba’luma(another manifestation of Ba;lu).
39	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	Ba’luma(another manifestation of Ba;lu)
40	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	Ba’luma(another manifestation of Ba;lu)
41	بعلوما (تجلي آخر من بعلو)	Ba’luma(another manifestation of Ba;lu)
42	ملكوما (الملوك)	Malakūma(Kings)
43	شاليم	Šalimu.

قائمة الآلهة التي وجدت في النص

RS 23.246

1	إيل بت (إيل بيتي: إله المنـزل).	’il bt (’IluBeti; God of the House)
2	أوشهريا (أوسبارايا)	úšhry (usbaraya)
3	يم خ ل (يمو: البحر، بعلو)	ym. h‘l (yammu:sea; Ba’lu)
4	يرخ (يايبو: القمر)	yrh (yaibu;Moon).
5	كطر (كوتارو: المهارة)	kṭṭr (kotaru:Skillful)
	طرمن (تارومانو)	ṭrmn (Tarrumannu)
7	بدريا (بيدرايا: الدهون)	pdry (Pidray: Fatty)
8	دقت (داقيتو)	dqt (Daqqitu)

trt (Tiratu:Young Wine	ترت (تيراتو: الخمر الجديد)	
ršp (Rašap)	رشب (رشاب)	0
‘nt hbly (‘Anatu Hablay: ‘Anatu the Mutilated)	عنت خبلي (عناة خبلايا: عناة المشوهين)	1
špš pgr (šapšu Pagri: šapšuoftheCorpse)	شبش بجر (شبشو بجري: شبشو الجثامين)	2
[‘i]ltm hnqtm (‘Ilatama Haniqatama: The Two StranglingGoddesses).	إيلتم خنقتم (إيلاتاما خانيقاتامو: إلهتا الاختناق)	3
yrh kṭy (Kassite Yarihu.Kassite Moon)	يرخ كتي (كسيت ياريخو، كسيت القمر).	4
[y]gbhd (Haddu is generous)	يا جبخد (حدو الكريم)	5
yrgbb’l (Ba’lu is awesome)	يارجبعل (بعلو المهيب)	6
ydbíl (Ilu is magnanimous)	يادبيل (إيل المسامح)	7
yársís (Ilu is concerned)	يارسيس (إيل علي الشأن)	8
mtr (Ammu has returned)	عمتر (آمو العائد)	0
yrbíl (Ilu is magnanimous)	ياربيل (إيل المسامح)	1
yrgblím (Limu is awesome)	يارجبليم (ليمو المهيب)	2
mtr (Ammu has returned)	عمتر (آمو العائد)	3
yársíl (Ilu is concerned)	يارسيل (إيل علي الشأن)	4
ydbbel (Balu is magnanimous)	يادبيل (بعلو المسامح)	5
yrgmbel (Balu is compassionate)	يارجمبيل (بعلو الرحيم)	6
azbel (Balu is powerful)	عزب إيل (إيل القوي)	7
ydbhd (Haddu is magnanimous)	يادبخد (حدو المسامح)	8

قائمة الآلهة التي وجدت في النص

RS 4.474

íl b[n]íl (’Ilu the sons of ’Ilu)	إيل بن إيل (عيلو أبناء عيلو)	1
dr b[n] íl (the circle of the sons of ’Ilu)	در بن إيل (دائرة أولاد عيلو)	2
mphrt b níl (the assembly of the sons of ’Ilu)	مفرت بن إيل (جمهرة أولاد عيلو)	3
trmn wsnm (tuk amunawa Sunama)	ترمن وسنم (توك أمانو ـ وا ـ سوناما)	4
’il w atrt (’Ilu and Ateratu)	عيل وا عترت (عيلو وأتيراتو)	5

6	خن إيل (عيلو الرشاقة)	hnn íl (the grace of ’Ilu)
7	نشبت إيل (عيلو الصلب)	nšbt íl (the solidity ’Ilu)
8	شلم إيل (عيلو الحسن)	šlm íl (the well being of ’Ilu)
9	إيل خش إيل ند (إيل القلق، إيل النشيط)	íl hš íl[n]dd (solicitous ’Ilu active ’Ilu)
0	بعلو سابونو (بعل سابونو، بعلو)	b‘...spn bl (Balu Sapunu Balu)
1	أوغرت (من أوغاريت)	ugrt (of Ugarit)
2	ب مرخ إيل (بنصلة عيلو)	b mrh íl(by ’Ilu blade)
3	ب نيت إيل (بفأس عيلو)	b nit íl (by ’Ilu’s blade)
4	ب صمد إيل (بنير عيلو)	b şmd íl (by ’Ilu;s crusher)
5	بدتن إيل (بفتنة علو)	b dtn íl (by ’Ilu’s crusher)
6	ب شرب إيل (بنار عيلو)	b šrp íl (by ’Ilu’s fire)
7	ب كنت إيل (بمؤسسة عيلو)	b knt íl (by ’Ilu foundation)
8	ب غديان إيل (بعناية عيلو)	b ǵdyn[i]l (by ’Ilus care)
9	بن إيل (هل بنى ييلو)	[b] n[íl] (did ’Ilu build)

وهكذا، يمكن تلخيص قائمة مجمع الآلهة الأوغاريتي بالآتي:

- توجد ثلاثة أسماء من إيل، وهو الكلمة (السامية) التي تعني إله. الإيل الأول ويدعى إيل سابون (صفن)، والثاني هو إيل - إب، ومن المحتمل أنها تشير إلى روح الأسلاف، تلك القوة القدسية التي تعبر عن نفسها في عبادة الموتى الأوغاريتية، أي من أجل الروح المقدسة لأبيه المتوفى. والثالث هو رئيس مجمع الآلهة الأوغاريتي. هؤلاء الإيلات الثلاثة يعكسون الأشكال الرئيسة للألوهية الأوغاريتية، وهي: القوة الحكيمة والحكمة التي أوجدت الآلهة والبشر، والقوة التي تسكن في أي مكان مقدس، والحضور الملموس لأرواح الموتى.

- الإله الثاني في القائمة هو دجن الذي لا يلعب أي دور في الميثولوجية الأوغاريتية، على الرغم من أن الإله بعل يحمل لقب ابن دجن، وهذا

أمـر إشـكالي في حـد ذاتـه، لأن المفـروض أن إيـل هـو أب لـكل الآلهـة. ولحـل هـذه الإشـكالية هنالـك ثلاثـة تفسـيرات محتملـة: ربمـا كان دجـن بمعنـى مـا متطابقـاً مـع إيـل، وربمـا يمثـل لقـب ابـن دجـن موروثـاً مختلفـاً بشـأن أبـوة بعـل، أو يجـب عـدم النظـر إلى صفـة ابـن هنـا حرفيـاً، ولكـن كدلالـة عـلى أن بعـل ينتمـي إلى صنـف معـين مـن الآلهـة اتخـذت دجـن نموذجـاً لهـا.

- بعـد دجـن يـأتي بعـل بسـبعة أسـماء، الأول هـو بعـل جبـل سـابون (صفـن)، إن الصيغـة الأكاديـة لاسـم بعـل هـي آداد، التـي تـدل عـلى اسـم إلـه الجبـل وإلـه الطقـس، الأكـثر شـهرة لـدى (الساميين) الغربيـين. أمـا بخصـوص الأبعـال السـتة الآخريـن فـإن أهميتهـم غـير مؤكـدة (وجميعهـا لا يحمـل ألقابـاً خاصـة بـه، ويقـرن أيضـاً مـع أدد)، وربمـا يمثلـون تجليـات محليـة لبعـل في معابـد متفرقـة، أو رمـوز عبـادة لـه، أو خصائـص متمايـزة مـن خصائصـه. وفي مقابـل إيـل المفـارق للطبيعـة، فـإن بعـل يمثـل القـوة الكامنـة في العـالم، والمفعّلـة بظواهـره. فـإذا أخذنـا بالحسـبان نـدرة الأمطـار في معظـم الأقطـار المشرقيـة، لا يفاجئنـا أن إلـه العاصفـة هـو الأكـثر أهميـة وحضـوراً بـين الآلهـة، والـذي يقـع عـلى عاتقـه عـبء إحـلال الخصوبـة ووفـرة إنتـاج الأرض، وهـو لهـذا مبجـل بـين الآلهـة الذيـن أعلنـوه ملـكاً عليهـم. ولكـن نـوع الإلـه الكامـن في العـالم الطبيعـي تحـدده مجريـات هـذا العـالم نفسـه، وهكـذا نجـد بعـل في النصـوص الميثولوجيـة يواجـه ثلاثـة أعـداء، العـدوان الأولان يمثـلان قـوى التدمـير الكامنـة في الطبيعـة، وهـما الإلـه يـم - البحـر، وآلهـة الصحـراء المدعـوون بالمفترسـين، والعـدو الثالـث هـو الإلـه مـوت الـذي يعنـي اسـمه المـوت والفنـاء، لقـد نجـح بعـل في إخضـاع يـم وآلهـة الصحـراء، ولكنـه ينهـزم بـدوره أمـام مـوت (واسـم هـذا الإلـه غـير وارد في النصـوص الطقسـية).

- بعـد الأبعـال السـبعة تـأتي القائمة عـلى ذكـر الأرض والسـماء، بالأوغاريتية

«أرص وشميم»، ووظيفة هذا الإله غير واضحة، ومن الممكن أنه يدل على تألية مجال حكم الإله بعل، علماً بأن الآلهة ثنائية الاسم، كانت شائعة في أوغاريت. أو هي من قبيل الإشارة إلى إلهين كانا مستقلين ثم اندمجا في شخصية واحدة. ومن الآلهة التي تتخذ أسماء جغرافية في أوغاريت لدينا إلهان آخران، الأول هو سابون المذكور آنفاً، وإله آخر مزدوج التسمية هو الجبل والوادي. ودلالة هذا الأخير غير واضحة، إلا إذا كان يدل على مجال حكم الإله عثتر الوارد ذكره قبلهما في القائمة.

- إن الإلهتين الأكثر شهرة في النصوص الميثولوجية هما أثيرات أو (عشيرة) وعناة. وأثيرات هي زوجة إيل. وبهذه الصفة فإنها الأعلى مرتبة بين إلهات مجمع الآلهة، لقبها الكامل هو أثيرات سيدة البحر (أو ربما هي التي تخطو على البحر)، وهي أم الآلهة وتحمل لقب (خالقة الآلهة) وتدعى أيضاً إيلة (إيلات)، الصيغة المؤنثة من الاسم إيل. ويبدو أنها كانت تلعب دور المنافح والمدافع عن نسلها من الآلهة. وعلى عكس إلهة الأمومة أثيرات، فإن عناة هي إلهة عنيفة للحب الجنسي والحرب وهي أخت (أو زوجة) الإله بعل، التي هزمت عدوه موت، لقبها الأساسي هو العذراء، تبجيلاً لجمالها وشبابها وجاذبيتها الجنسية، إلا أن المشاكسة وحب القتال ميزتها الرئيسة في النصوص الميثولوجية، مثلما في ملحمة أقهات، حيث نراها تعطي القوس السحرية لأقهات بطل الملحمة، وهي القوس التي تسببت في موته.

- الأسماء المقدسة الباقية على القائمة يمكن أن تجمع في عدة زمر:

آلهة وإلهات معروفة، أو على الأقل مذكورة في النصوص الميثولوجية، وهناك آلهة أقل أهمية ترد بشكل مجموعات، والآلهة الحورية، وهناك آلهة غير معروفة أو ضعيفة التوثيق، ومنها كينار، وربما يمثل القيثارة

المؤلهـة. وتـرد في القائمـة أربـع تسـميات جماعيـة، الأولى هي الكوثرات، وتشير إلى فرقـة مـن المغنيـات الإلهيـات اللـواتي يظهـرن في المناسـبات السـعيدة أو الحزينـة، كـما في ملحمـة أقهـات، وقصيـدة نيـكال. ومـع أن للتسـمية صلـة مع اسـم الإلـه كوثـر، إلا أنـه لا يمكـن قـول أي شيء بخصـوص هـذا التشـابه[173].

ثانياً: بيوتات الآلهة

كانـت المعابـد تشـكل أماكـن تسـكنها معظـم الآلهـة بواسـطة صورهـا ورموزهـا الطقسـية، وكان يتعـين عـلى النـاس تزويدهـا بـكل مـا تحتاجـه مـن مسـتلزمات الحيـاة. ومـن أجـل القيـام بهـذه الرعايـة بشـكل صحيـح وسـليم، كانـت هنـاك طقـوس يتـولى الكهنـة وضعهـا، والحـرص عـلى احترامهـا وتطبيقهـا، وكانـت العنايـة بالآلهـة الحـاضرة عـبر صورهـا، وعـبر الرمـوز المعبرة عنهـا، تشـمل تقديـم القرابـين والأضاحـي، مـن طعـام وشراب وبخـور، والقيـام بغسـل اللبـاس، وتزيـين التماثيـل الإلهيـة، هـذا إضافـة للابتهـالات وأداء الصلـوات والأناشـيد والأغـاني الدينيـة والموسـيقى. وإذا لم تـؤد جميـع هـذه المهـام بالطريقـة التقليديـة الصحيحـة ينسـحب الإلـه غاضبـاً مـن المعبـد، ولا يعـد قابـلاً للمخاطبـة، فتنقطـع مسـاعدته ورحمتـه للنـاس، وينتـج عـن ذلـك انتشـار الأمـراض والفـوضى والخـراب. ومـن أجـل تفـادي هـذه العواقـب الوخيمـة، كانـوا يضعـون قوائـم بأسـماء الآلهـة، ويحرصـون عـلى عـدم إهـمال أي مـن الآلهـة الكبـارن وذلـك عنـد أداء الشـعائر الدينيـة وطقـوس العبـادة.

وكان سـدنة المعبـد يتألفـون إلى جانـب الكهنـة والكاهنـات مـن الراقصـين والقصابـين والسـقاة أو حملـة المـاء، صحيـح أن الدخـول إلى قـدس الأقـداس لم يكـن مسـموحاً إلا للكهنـة، إلا أن عبـدة أحـد الآلهـة؛ كانـوا يقيمـون صلواتهـم أمامـه، مـن خـلال التماثيـل المخصصـة للمصلـين داخـل المعبـد.

173 كوبر، وكوجان، 2007، ص 66، 67، 68، 70.

أما فرص رؤية الصورة الحقيقية للآلهة، فكانت تأتي في إطار مواكب احتفالية خاصة خلال بعض الأعياد. وكان الجزء الأساسي من هذه الاحتفالات يتألف من الموسيقى والغناء والرقص[174].

ولكن الآلهة يغادرون بين الحين والآخر بيوتهم لكي يقوموا برحلة، أو يزوروا في أماكن بعيدة آلهة آخرى مرتبطين معهم. وتتحدث النصوص عن رحلات طويلة في البر والبحر، وفي مناسبات معينة؛ كانت تُقام مواكب احتفالية، تُحمل فيها تماثيل الآلهة عبر المدينة والمناطق المحيطة بها لكي يراها الناس. وكان هناك الكثير من الأماكن المقدسة التي لم توقف لإله واحد، بل كانت تضم آلهة آخرين، وهذا يعني أن عدة آلهة أو إله وشريكته يمكن أن يسكنوا معاً. وكانوا يعاملون كبشر، فيقدم لهم الطعام والشراب واللباس وغير ذلك، وكانت لهم صفات بشرية جداً؛ فالآلهة يأكلون ويشربون، وهم يشربون الخمر حتى الإشباع والثمالة[175].

أما مكان سكن الآلهة الأخرى، وحسب ملحمة أقهات، فإن مدينة أبولوم مثلاً تعد مدينة إله القمر ياريخ، على حين يعيش ياريخ في لارغيتوا، ويعيش إله الحرف كوثروخسيس في خيكوبتا أي في (ممفيس) مصر؛ وفي كبتارو (كريت)، أما «موت» فيعيش في مدينة حمراي، ومسكن إله الحبوب ومعطي الغذاء دجن يقع في توتولو، ويسكن كل من الآلهة توتو وكيماسو في خيرياتو، وماليكو في عشتروتو، أما سحر وشالم في الصحراء، وحرانو في ماسادو، وشبش إلهة الشمس تنتسب إلى أزادو المدينة الشرقية. وتقطن عشيرات والدة الآلهة وسيدة البحار في البحر، بينما تعيش عناة في أينابـاب... وهكذا نرى أن الآلهة تسكن العالم الذي يسكنه الإنسان نفسه، ولا يفصل العالمين أي فاصل كان. ولكن؛ هناك تصور آخر: ففي ملحمة قيرت نقرأ أمر إيل الموجّه إلى قيرت بالصعود إلى كتف الجدار

174 نير، 2009، ص 76.

175 ريم، 2009، ص 82.

الواقع في أعلى البرج، وبسط يديه نحو السماوات، وتقديم ثور قرباناً لأبيه إيل، ليكسب رضى بعل ودجن.

ويبدو جلياً لمن يقرأ النص الأصلي أن الراوي ومستمعيه، يؤمنون أن الآلهة التي يجري الحديث عنها تسكن السماء (عالم الآلهة). وفي نص آخر يوجد بعل في جبل سابون الذي في السماوات، وهكذا يتحول سابون إلى جزء من العالم السماوي.

يتضح من رواية بعل وموت، أنه يوجد وسط آخر للخلق يتمثل في العالم السفلي، مملكة الموت، فحسب النص KTU=C51.5 ينبغي على بعل أن يلبي دعوة موت إلى الوليمة، وينزل إليه حيث يسكن، وبلاد موت هي واد سحيق، وفي مكان آخر يُدعى بعل إلى النزول إلى بيت العزلة الموجود في الأرض. وتبين المقارنة مع ما جاء في العهد القديم أن السياق الأسطوري هو عبارة عن موقع ينعزل فيه بعل عن العالم الخارجي ويبدو أن هذا هو القبر نفسه[176].

- جبل الآلهة (قصر بعل)

يحفظ جبل الأقرع (صفن) الكثير من الملاحم والأحداث التي كانت تشكل مسرحاً لها. (الشكل18). وهو مدين بهذا الاسم لقمته حيث لا تنمو الأشجار، وهو ينتصب قرب شاطئ البحر، وعلى بعد خمسين كيلومتراً شمالي اللاذقية، تصل ذروته إلى ارتفاع 1760 م. وقد هيمن الطابع الديني على أجوائه منذ أقدم العصور. وتأليه الجبل صفن «spn» واضح ويظهر مراراً في النصوص الشعائرية الأوغاريتية، ويبدو في ذلك إشارة واضحة لمسكن وإقامة الإله. وهو انعكاس لمفهوم «الجبل الإلهي» في بلاد الرافدين. وهو المفهوم الذي سيظهر مجدداً في الأدبيات التوراتية بصيغة «جبل لسيون»[177].

176 شيفمان، 1988a، ص 54.

177 Lete،2008،p،45



الشكل رقم (18)
جبل الصفن (الأقرع)

يظهـر الجبـل في النصـوص التـي تعـود إلى مصـادر مختلفـة باعتبـاره مقـر إلـه العاصفـة. فـنراه في النقـوش الحثيـة يحمـل اسـم «حـازي»، لاسـيما في قصيـدة ميثولوجيـة عرفـت باسـم «نشـيد أوليكومـي»، حيـث نـرى إلـه العاصفـة متسـلقاً ذروتـه، هـذا الإلـه بالـذات يبتهـل إليـه في معاهـدة عقدهـا أحـد الملـوك الحثيـين مـع ملـك بلـد مجـاور.

وتوجـد في الوثائـق الأوغاريتيـة إشـارات كثـيرة لهـذا الجبـل، فقـد ورد ذكره في القـرارات الرسـمية والقضائيـة التـي دونـت بالكتابـة البابليـة باسـم: حـازي. وفي القصائـد الدينيـة المدونـة بالكتابـة الأوغاريتيـة المحليـة ورد ذكـره باسـم: صفـن، وبالتـالي يظهـر أن شـعب أوغاريـت كان يدعـو الجبـل الكنعـاني باسـم صفـن. وكان يحمـل اسـم خـازي في الألـف الثـاني أيضـاً، في سـورية الشـمالية وفي البلـدان المجـاورة. ومـن المثـير للاهتـمام أن نشـير إلى رقيـم تظهـر فيـه عـلى عمـود قائمـة بأهـم الآلهـة الأوغاريتيـة وفي عمـود مقابـل أسـماء الآلهـة

البابلية الموازية. ومن بين آلهة العمود الأول نجد بعل صفن وقبالته في العمود الثاني اسم أدد جبل خازي، لأن جبلنا كان في نظر الجميع مقر إله العاصفة فهو بعل عند الكنعانيين، وأدد عند البابليين والعموريين[178].

أما التسمية اليونانية للجبل فكانت «أورس كاسيون»، والتسمية الرومانية هي «مونز كاسيوس»، وتعود التسميتان إلى الاسم القديم «حازي». وكان هذا الجبل جبل الآلهة المقدسة الذي وجد على قمته قصر بعل، وعبره هبطت الآلهة من السماء، في حين سلكت قوى محلية أقل منزلة الجبال الأخرى. ولم يفقد الجبل قدسيته في العصر الهلنستي، لكن قمته أصبحت مسكن إله الطقس والأنواء زيوس كبير الآلهة وحاشيته، وقد قدّم قواد الجيوش الرومانية خلال حملاتهم في سورية أضحية جوبتر - كاسيوس على قمة الجبل. وقدّم ترايان وهادريان كؤوساً فضية، وقرون ثور مذهبة، وهي الأعطيات التي كانت الآلهة ترحب بها منذ العصور الحثية، إذ كانت أوعية الشراب نذوراً محببة لدى تيشوب. ولا نعرف تفاصيل أدق عن العبادات هناك في ذلك الوقت، ووجد على قطع نقدية سلوقية هيكلاً مبنياً على جبل أو على صخرة مقدسة من جبل[179].

ويحضر إله جبل خازي شاهداً في العديد من القرارات الدبلوماسية والرسمية الصادرة عن ملوك أوغاريت. كما تم اكتشاف عدة قصائد ميثولوجية في رأس الشمرا، وفيها يقوم جبلنا بدور بالغ الأهمية، وقد حمل اسم صفن. إنه المكان الأسمى المقدس حيث يقيم بعل إله العاصفة.

178 سعادة، 1987، ص 121.

179 فولكيرت، 1985، ص 349.

- قصة بناء قصر بعل

تتلخص قصة بناء مسكن (معبد) لبعل، بأن تتوسط شقيقته، الربة عناة، لدى إيل، رب الأرباب في مجمع الآلهة الأوغاريتي، كي يحصل على قصر يليق به، فبني له حينذاك قصراً فوق قمة صفن، وكان قصراً زاخراً بالفخامة والأبهة، نقلت إليه الأخشاب من أقطار نائية، وذوبت من أجل تزيينه سبائك عديدة من الذهب والفضة. كما تصور لنا تلك القصائد احتفالات بهيجة تهرق فيها الخمور وترتل الأناشيد. ثم ها نحن نرى بعل في معركة ضروس مع التنين، وحش البحر، على الشطآن الممتدة أسفل الجبل. أما قصة بناء قصر بعل على جبل سابون فقد جاءت على عدد من الألواح الطينية، نوردها حسب مراحلها لأهميتها:

- مساعي بناء قصر بعل

"استقبلها بعل بحفاوة، ولكن عندما واجهته علمت عناة شيئاً قاطعاً؛ هذا الإله ليس لديه قصر، العنصر الأساسي ليثبت ملوكيته المرتبطة برضا الإله الأعلى إيل EL. خطت أخت بعل لحظتها خطوة رشيقة، أجل، لابنة أبيه".

ثم قررت أن تتحمل أعباء الحصول على هذا الرضا، حتى لو أدى ذلك إلى اللجوء للتهديد باستخدام العنف. يرجع الرضا بالدرجة الأولى لإعلانه كملك للآلهة، اللقب الذي حصل عليه بعل سابقاً في صراعه مع يم، النص (53-46 و 42 - 37 « KTU 1.3 » IV). عناة. أجابت العذراء عناة. (في الطريق) من منزله، آه، يا إيل"، النص (KTU1.3 V1- 34).

"ثم ظهرت المعارضة السابقة التي واجهتها عناة: فبعل ليس لديه قصر ولكي تقهر(عشيرا) تحمل الرسائل الإلهية، لكوثر إله الحرف الذي خضع لأوامر بعل وقبل بتنفيذها. ولكن لابد من رضا عشيرا لكي يمنح إيل الموافقة على هذا البناء ويعطيه الملكية الأكيدة كما يفترض"[180].

180 Lete،2008،P.60.

- موافقة إيل على بناء قصر بعل (المملكة الإلهية)

وجـدت الأسـطورة التـي تتطـرق للحديـث عـن بنـاء القـصر في النصـوص KTU 1.3 - 1.4، وهـي تظهـر عـودة عنـاة إلى بعـل حافظـة حقـه الأكيـد بالانتصـار والرفعـة، لكـن الآن الأمـر لا يتعلـق بضـمان حـق بعـل بالاسـتحواذ عـلى القـصر لنفسـه إنمـا ببنـاء القـصر الـذي سيفسـح المجـال لعـرض أسـطوري عـن طبيعـة وظيفـة هـذه الآلهـة.

ويبـدو أن النصـوص تختلـف في تفاصيلهـا حـول سـير القصـة، فيرينـا النـص (KTU، 1.6V3 SS73III 1.3،30ـ 3،27ـ1)، إشـارة لانتصـار عنـاة عـلى يـم وحلفائـه، في حـين يـرد في النـص (KTU SS 53IV14.2) أن بعـل هـو مـن هـزم يـم.

وهنـاك اختـلاف حـول اهتـمام كل مـن عنـاة وعشـيرا للحصـول مـن إيـل عـلى موافقـة بنـاء قـصر بعـل، لكـن يبـدو أن وسـاطة الأولى لم تكـن كافيـة في هـذا الموضـوع[181]. عـلى كل حـال لا يعـرف مـا هـو جـواب إيـل عـلى اهتـمام عنـاة، حتـى نتمكـن مـن تحديـد قيمـة التدخـل لـكل منهـما إذا مـا قبـل الطلـب. ولكـن وبعـد أن واجـه إيـل ضغـوط وتهديـدات عنـاة يمكـن الافـتراض، أنـه أمـر بـأن يطلـب سـلفاً موافقـة عشـيرات/ عشـيرا ورضاهـا ورضى أبنائهـا الآلهـة، النـص (CF.KTU 1.4 II21SS).

ومـن الممكـن أن يكـون لهـذا اللجـوء لعشـيرا معنـى طوباويـاً، القصـد منـه انتخاب/اختيـار الإلهـة الأم للمرشـح للمملكـة الإلهيـة وبشـكل خـاص بعـل، كـما افـترض النـص (KTU 1.6 I43- 55).

إن الظهـور الجـلي والمفاجـئ للإلـه يـم يوضـح أنـه لم يكـن مهمشـاً بـل كان لـه وجـود في المسـار الأسـطوري، فـما يـزال هـو المعـارض لبعـل.

في الجـزء الثـاني مـن الأسـطورة يغيـب الـصراع بـين الآلهـة، ويبـدأ ببعـض

181 Lete،2008،p.61.

مشاهد الاستقبال السماوي والتحرر (الطقسي ـ السحري) لـ «عناة».

"حسناً تخبطت عناة في الوادي. تخبطت بين الآلهة المذكورين. سحقت شعب ضفتي البحر. دحرت أناس الشمس المشرقة. عند قدميها تدحرجت الرؤوس ككرات صغيرة. وفي الأعلى حلقت الأيادي كالجراد...»، النص (KTU1.3II541).

توصلنا القصة لموعد يتحدث خلاله أحدهم مع عناة، عن هدف بعل للمباشرة ببناء يخصه. موعد أجابت خلاله عناة بسرعة بعد أن تأكدت من استقرار أخيها وهي تمضي للسقاية: "رسالة من بعل القادر. قول البطل الأكثر قدرة"، النص (KTU 1.3III 28- 38; IV 7)

"سأقول لك شيئاً آخر. خذ حذرك لو سمحت من اللقاء المهيب..»، النص (KTU1.4 I19- 30).

"بفضل الهدايا التي صنعها كوثر، اتجه كل من عناة وبعل إلى مكان إقامة عشيرا، التي قفزت في البداية، عند رؤيتها ثم استقبلتهما بطريقة فيها قليل من الود. عندما رفعت عينيها رأت قدميها (ترتجفان)»... النص (. KTU 1.4 II 12.26) رغم ذلك، فُتنت بعدها بالهدايا وحذرتها من طموح واحتجاج ابنها يم، النص (KTU 1.4 II 26- 38).

وعندما سمعت تسبيحها وشكواها، طلبت منهما تسبيح الرب الأعلى إيل، وأخذت الطريق معهما إلى مكان إقامته لتقديم طلبهما:

"أجاب بعل القادر جداً. تلفظ بذلك لسائق عربة الأنواء. إنه واقف يتهيأ (يام؟) لمقاومتي"، النص: (KTU 1.4 III 16- 32: IV 20- 26) [182].

لقد اتبع عناة وسيلة من مراسم السحر والالتماس من خلال القربان الذي قدمته قبل أن تبدأ مساعيها لبناء بيت بعل هو مثال على المراسم السحرية التي أفضت إلى نجاح المسعى[183]. كانت ردة فعل إيل مليئة

182 Lete،2008،P62،65،71.

183 شيفمان، 1988a، ص 90.

بالفـرح ورحـب بهـا، فاقترحـت عليـه عشـيرا رغبتهـا دون أيـة مقدمـة:

"هــي رغبــة عنــاة عينهــا أن يعــرف بعــل بقــرار منــه (إيــل) أنــه ملــك للآلهــة. بالــكاد رآهــا إيــل.... أجــاب إيــل، هــذه المــرة، آمــراً ببنــاء بيــت/ قــصر، لبعــل. أجـاب الرقيـق والعطـوف... فلتبنـوا لبعـل منـزلاً كمنـزل الآلهـة. مسـكناً، أجـل، يشـبه سـكن ابـن عشـيرا»، النـص (KTU 1.4 IV 58V) والنـص (KTU 1.4 IV27- 43) "، أمـر كهـذا مـلأ قلـب عشـيرا بالفـرح، فطلبـت أن يعلـن الخـبر إلى بعـل بسرعـة، أمـر تلقـاه، كل مـن عنـاة وبعـل، مسـارعين للعمــل، مناديــن كوثــر ليكلفــاه بالتنفيــذ. الســيدة الكبــيرة، عشــيرا، ســيدة البحـر أجابـت: لكـن بنـاء فيـه محـراب أمـر خطـأ، وهـذا مـا عارضـه بعـل إذ خـشي أن يلاقـي منــزلاً... يدعـو للسـخرية عليـه. أجـاب كوثـر: اسـمع – يـا بعـل – القـادر...». (لكنـه) تـرك هـذه المسـألة عالقـة، أحـضر عدتـه، وبنـى القــصر الــذي افتتــح باحتفاليــة، دعــي إليهــا جميــع الآلهــة. النصــوص:

(KTU 1.4 V2- 57و15 -KTU 1.4 VI 3 و46 -KTU 1.4 VI 16)

"واسـتحق بعـل الصفـات التـي منحـت لـه وانطلـق في حملـة لإثبـات مملكتــه التــي قصدهــا. فشــق منــوراً صغــيراً لبيتــه كعنــصر لابــد منــه ليســمع جميـع الآلهـة والنـاس فعاليـة صوتـه القـوي (الرعـد) وروحـه (الـبرق). اغتبـط كوثـر بعـد أن قبلـت نصيحتـه فنفـذ المنـور في بيـت بعـل الـذي برهـن عـلى قدرتـه عـلى إنـزال الرعـب في قلـوب أعدائـه».

شـعر بعـل الآن بأنـه مهيـأ تمامـاً لاقـتراح تحـدي حاسـم لعـدوه الأخـير المتبقــي لــه وهــو «مــوت»، الإلــه الــذي عرشــه في الجحيــم. وبذلــك لا يمكــن لخصمـه أن يبقـى متربعـاً عـلى عـرش الآلهـة والنـاس.. فأرسـل لـه رسـائل فيهـا أوامـره لقبـول سـيادته المسـلم بهـا».

النص: (KTU 1.4 VII 5- 41 و KTU 1.4 VII 41 –VIII 24)[184].

184 Lete،2008،P66،64

توضح الأسطورة دور الإله البطل كآلهة سامية ورئيسة تسود، كملك للرعد والبرق والمطر بموافقة الآلهة والناس، دون أن يكون لديه عدو قادر على مجابهة عرشه وعزته، والاعتراف بسيطرته والتسليم بها. وضمن هذا المعنى؛ فالقصر هو وجه لموضوع المواجهة أو الصراع، لإثبات السيادة التي جاءت بعد الفوز بقرار إلهي بتشييد المعبد وعبادة صاحبه[185].

ومع هذا ورغم شهرة هذا المعبد، فلم يعثر حتى الآن فوق قمة جبل صفن/ كاسيوس على بقايا أي معبد، لكن التحري الأثري تمكن من كشف بقايا القرابين التي احُتفل بتقديمها في الأزمنة القديمة، حيث تم الكشف عن وجود تل اصطناعي فوق قمة الجبل قطره 55 م، وارتفاعه 8 م، وهو مكون من الرماد والحجارة المحمرة بفعل النار التي كانت توقد لشي الأضاحي المقدمة.

ارتبط مصير الإله منذ ذلك الوقت ارتباطاً وثيقاً بمصير الجبل، ومن هنا نفهم السر في تسميته باسم بعل صفن، وهو الاسم الذي نجده في العديد من الكتابات. واكتشفت في رأس الشمرا بين أنقاض معبد بعل شاهدة حجرية تتحدث عن مجد بعل صفن. وهي مكتوبة بالهيروغليفية المصرية، كما أن حوليات الملوك الآشوريين تتحدث عن بلاد صفن الواقعة على ضفاف العاصي. ويبدو أن الشعوب الإيجية كانت قد عرفت أيضاً هذا الجبل[186].

ثالثاً: صراع الآلهة

ترمز صراعات الآلهة فيما بينها في الديانة الكنعانية إلى انتصار الخير في الطبيعة وحمايتها من الجفاف والموت. ونصادف بين المؤلفات الشعرية

185 Lete،2008،P.70،71

186 سعادة، 1987، ص 123، 124.

الأوغاريتية روايات عن الآلهة وصراعها من أجل السلطة، ومنها مجموعة الملاحم التي تتحدث عن الإله بعل الجبار - وإلهة الشمس شبش. أما المجموعة الأخرى فهي شبه أساطير عن قيرت وأقهات.

ويشار هنا، إلى أن أهم أهداف تسجيل الروايات الشعرية الأوغاريتية على الرقم الطينية، كان تثبيت نصها الدقيق، بشهادة أعلى المصادر وهو كبير الكهنة، الذي يعد حافظ التقاليد وحاميها[187].

تبين الروايات الشعرية عن بعل الجبار أن العلاقات الاجتماعية التي صيغت في عالم الآلهة قامت حسب رأي الأوغاريتيين على سلطة الحاكم المطلقة من جهة، والعنف السافر من جهة أخرى. فإيل هو سيد الكون، وأبو الآلهة، وكبيرها، وقد بدت سلطته مطلقة، ولا تستطيع الآلهة أن تفعل شيئاً دون إذنه. ولكن يكفي أن نلقي نظرة على عالم الآلهة ذاك لنرى فيه صراعاً حاداً وعنيفاً على السلطة، وينتصر الأقوى ويفوز بها.

فبعد أن فقد إيل سلطته أُزيح عملياً إلى النسق الثاني، وكل ما استطاع عمله أنه عُين في أحد المشاهد ملكاً على الآلهة[188]، لكن قراره هذا لم

187 شيفمان، 1988a، ص 56.

188 في ملحمة البعل وعناة، يقوم إيل بتعيين يم نائباً له، مما أثار حفيظة عشتر/ عشتارو، وغضب بعل الذي رفض أن يكون يم أمير البحر والمياه المتمردة هو مدبّر الأرض، فبعل يريد النظام والرتابة لا الفوضى والتخريب. وهذا ما أدى لقيام صراع بين يم وبعل، وكاد بعل يقضي على يم لولا تدخل عشتروت وتوبيخها لبعل، لكن الجو خلا بعد ذلك له، فراح يخلق البرق والرعد، وينظم أمر المطر، لينهمر في أوانه. وبعد بناء كوثر القصر له ،وقيام الحفلات ابتهاجاً لذلك، راح البعل يُجهز على أعدائه، فذهب إلى الشاطئ، وقضى نهائياً على يم، وراح ينتقل من مدينة لأخرى، ليثبت سلطانه. في حين راحت أخته عناة تُجْهِز على ما تبقى من أعدائه، وانتقل الصراع بين بعل في هذه المرة وموت، الذي دعا بعل لمأدبة في عالم الأموات(العالم السفلي)، فقبل بعل التحدي رغم تحذير عناة له. وفي هذه الأثناء يحتل عشتارو عرش أخيها، في حين تذهب عناة للبحث عنه، وأخبرت إيل بذلك، فأوعز لها بالاستعانة بالشمس على استرداده، وأذاعت الخبر السار: لقد عاد البعل، وستمطر السماء زيتاً، وستسيل الأودية عسلاً، وهنا رمز لانتصار الحياة على الموت.

يكـن موفقـاً واعتـلى العـرش ذلـك الـذي حقـق الانتصـار في المعركـة. ولقـد هـددت العـذراء المقاتلـة عنـاة إيـل بالانتقـام ونـراه يتراجـع أمامهـا. وتـدل ملحمـة قـيرت أن هـذه الصـورة يمكـن أن تتكـرر في الحيـاة العمليـة، فهنـاك وصـف لمحاولـة يصـب، الابـن الأكـبر لبطـل الروايـة، انتـزاع السـلطة عـلى البيـت وذلـك مـن أبيـه الـذي يعـاني مـن مـرض صعـب. ولا ريـب أن الوثائـق الأوغاريتيـة تخفـي خلفهـا كـثرة مـن النــزاعات المماثلـة[189].

وهنـاك أسـطورة بنـاء قـصر بعـل، وصراعـه ضـد إلـه العـالم الأسـفل مـوت، وإنقـاذه وعودتـه مـن عـالم الظلـمات[190]. ونلاحـظ في هـذه القصـص الميثولوجيـة البطوليـة وجـود تنافـس مـن أجـل الملكيـة الإلهيـة بـين بعـل ويـم عـلى الملكيـة الإلهيـة ولكـن؛ غالبـاً تحـت سـقف سـلطة إيـل: النـص (KTU1.1، 102). إذ يظهـر بعـل وقـد كان لـه ملكيـة سـابقة ثـم جـرى الانقـلاب عليهـا، في حـين أعطـي «يـم» الصفـات الملكيـة، حينـما يجلـس عـلى عـرش إيـل، ويعامـل بعـل بعـد ذلـك كسـجين يتـم تقييـده، عندمـا يظهـر كوثـر بالأسـلحة مـن أجـل بعـل ويخـبره بأنهـا فرصتـه للنجـاة، تقلـب الطاولـة، فيقـوم بعـل بقتـل يـم بعـد عـراك بينهـما، ثـم ينتـصر الملـك بعـل ويتـوج بعـد أن يسـتعيد ميراثـه: النصـان (1.3، 1.4). لكـن هـذا النـصر يبـدو أنـه لا يـدوم إلا لوقـت قصـير أمـام تهديـد خطـير يمثلـه «مـوت»، وأخـيراً يتلقـى المسـاعدة مـن الإلـه الملـكي شـبش، النصـان (KTU1.5، 106).

يظهـر، ولـو بشـكل مقتضـب، في هـذه القصـة الطويلـة والمفصلـة الإلـه عشـتر/ عشـتارو وهـو يـصرح في البدايـة بعـدم وجـود رغبـة ملكيـة عنـده، لكنـه لاحقـاً، يتـوج مـكان بعـل خـلال غيابـه للعـالم السـفلي. في حين نـرى بعـل يحتفـل بانتصـاره وزواجـه، النـص (KTU1.10)[191]. باختصـار تنتظم الأسـطورة

189 شيفمان، 1988a، ص 51، 52.

190 نير، 2009، ص 78.

191 Wyatt،2006،P.701

البعلية في مسار واحد يؤدي إلى فكرة الصراع بين الخير والشر، بين الحياة والموت، بين الخصب والقحط. أو هي فكرة صراع قوى الحضارة والبناء والنظام من جهة مع الموت والدمار والفوضى من جهة ثانية، قصة بلا نهاية[192]. ولا نشك أنه في كل الأساطير التي نعرفها، كما أن الفكر الميثولوجي برمته لدى مختلف الشعوب، يتجسد فيه الصراع بين هذه المفاهيم المتناقضة، ينتصر في نهايتها النور على الظلام، والخير على الشر، والعدل على الظلم، والعمل على الكسل، والمحبة على البغض، والتسامح على الحقد، والسمو والرفعة على الإسفاف والوضاعة.

رابعاً: الملك والآلهة في أوغاريت

كانت الديانة القديمة في مصر تؤله الملوك، وتقر بقدرتهم وسيطرتهم الفائقة، وعلى نفس المنوال نجد الملوك الآشوريين قد ادعوا الألوهية المبطنة مع إله الحرب نينورتا في بحثهم القلق نحو فتوحات جديدة.

وعموماً كان وضع الملوك في ممالك المشرق الصغيرة، ومنها أوغاريت، مختلف فقط في الدرجة. فما زالت عناصر الإيديولوجية الدينية في هذه المملكة تظهر شيئاً فشيئاً، وهي تصور الملك (ذروة الهرم الاجتماعي) يحكم بثبات تحت سيادة الآلهة لأنها شكلت المثل العليا للأمة. وجميع الأدبيات والرموز الدينية توجهت نحو دعم البنية القوية القادرة على صيانة المملكة[193].

كل المعلومات المتوفرة عن الدور الرسمي للملك في العبادة تعده ممثل الآلهة على الأرض أو ينوب عنها، فقد منحته الآلهة السلطة لكي يتصرف نيابة عنها، وهي تتوقع منه أن يعامل الناس بالعدل وبلا محاباة

192 هبو، 2006، ص 59.

193 Wyatt،2006،P.695

بحيث يدافع عن الضعيف أمام القوي، وأن يكون نصيراً لليتامى والأرامل، وقيِّماً على تطبيق المعايير الأخلاقية لما تجلبه من رضا الآلهة وبركاتها وما يمنع لعناتها. ولقد تداولت الأجيال طرائق الحياة، والحكم السليمة، وأيدتها بالنصوص التي تقدم التعليمات والنصائح. لقد كانوا يعتقدون أن سلامة الملك تقوم عليها سلامة الجماعة، ولهذا فإنه تتخذ إجراءات صارمة لضمان ذلك، وما يقوم به الملك طوال حياته من أعمال تحكمه طقوس دينية واحتفالات تضمن طهارته وتحرس شخصه، وفي حالات معينة كحالة ترقب نذير مشؤوم يوضع على العرش ملك بديل يتلقى الفأل السيئ أو حتى الموت إذا كانت النبوءة تقول به[194].

كانت العلاقة بين الملك والناس على الشكل التالي: يشكل الملك صلة الوصل بين الآلهة والناس، فهو الوسيط الذي ينقل إلى البلد والناس البركة والسلامة، ويبني المعابد ويعين الكهنة ويتقدم العبادات والشعائر الدينية التي تقدم باسمه[195].

وكان يحق للملك، بصفته السيد الأعلى للاحتفالات الدينية، أن يتولى بنفسه في أحيان كثيرة أداء الشعائر المهمة، وإن كان التنفيذ العملي يؤديه كبير الكهنة، لأن منصب كبير الكهنة لم يكن يتولاه الملك إلا في حالات نادرة[196].

إذن؛ فالملك لم يكن إلهاً لكنه اعتبر ابن الإله الأكبر ويتصرف بصفته ممثله على الأرض، وعلى هذا الأساس كان الملك يشكل الضمانة للنظام الذي أراده الإله ويحافظ على استمراره واستقراره بواسطة العبادات والطقوس التي تمارس في المعابد، وأيضاً؛ بواسطة اهتمامه بوضع القوانين

194 بارندر، 1993، ص 22.

195 نير، 2009، ص 76.

196 ريم، 2009، ص 83.

والسـهر عـلى تطبيقهـا[197]. وإذا لم يكـن الملـك يُعـدُّ إلهـاً في حياتـه، لكنـه كان يُمنـح، بعـد موتـه في إطـار طقـوس الدفـن والتكريـم الملكيـة، صفـات إلهيـة، بحيـث أنـه يصعـد إلى سـماء الآلهـة ويحصـل عـلى حصـة مـن الأضاحـي.

يصـف لنـا النـص الأوغاريتـي (KTE.1،41) نهايـة طقـس ملـكي يقـوم بـه الملـك عـلى تـراس معبـد بعـل. رغـم أنـه مـن الصعـب تخيـل كيـف كان الملـك يـترأس مـن الـتراس طقـس الأضاحـي الـذي يقـدم فيـه أربعـة عـشر حيوانـاً، هـم سـبعة خرفـان وسـبعة جواميـس، لأنـه مـن الصعـب إدخالهـا عـن طريـق درج المعبـد! لكـن مـن المعتقـد أن تهيئـة الأضاحـي كانـت تجـري في باحـة المعبـد، فيـما يجـري تقديمهـا فـوق الـتراس مـن قبـل الملـك الـذي يبتهـل للـرب رافعـاً يديـه نحـو السـماء (KTE.1،41)[198]:

"عندمـا قـدم الملـك أضحيـةً لبرغـالي (إلهـة يمكـن أن تكـون حوريـة)، عـلى الـتراس، حيـث يوجـد أربـع...، وأربـع دعامـات مـن أغصـان الشـجر: خـاروف للمحرقـة، جامـوس وخـاروف أضحيـة للتنـاول، سـبع مـرات.. الجميـع كانـوا عـلى الـتراس، سـيعطي فيهـا الملـك.. تغيـب الشـمس والملـك ينهـي (حفـل) القداسـة، فيلبسـونه ثيابـاً مهيبـة، ويمسـحون لـه وجهـه، و يعيدونـه إلى المعبـد وعندمـا يعـود إليـه يرفـع ذراعيـه».

197 نير، 2009، ص 76.

198 Tarragon،1993،pp.203-211

الفصل الثاني: آلهة قطنة، ألالاخ، وإيمار

أولاً: آلهة قطنة

جاءت من هذه المملكة الواقعة في وسط سورية[199] مجموعة قليلة من النصوص، تعود للقسم الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وهي توضح جانباً من عبادتها، ومجمع الآلهة فيها.

ويبدو أن الإله الحامي للمعبد الرئيس المكتشف (معبد الإلهة نينجال[200]، كان أنثى تدعى بيليت - إيكاليم/بالت بختم belet - ekallim\balt - bhtm سيدة المعبد/القصر. وقد دعيت «بيليت قطنة» (سيدة قطنة)، بالإلهة الحامية للمدينة. (الشكل 19).

هناك أربعة نصوص؛ وهي عبارة عن قائمة جرد بكنز من المجوهرات

---

199 قطنة: هي تل المشرفة، تبعد 18 كم شمال شرق حمص، مساحته حوالي 100 هكتار، يحيط به سور ضخم تخترقه أربع بوابات، كانت قطنة خلال الألف الثاني قبل الميلاد عاصمة سورية الوسطى، وبلغت مكانة مرموقة بين ممالك بلاد الشام في عصر ملكها اموت بيل، المعاصر لحمورابي البابلي وزمري ليم ملك ماري. عملت في الموقع خلال عشرينيات القرن العشرين بعثة فرنسية لعدة مواسم، أدارها دومينيك دو بواسون D. Du Buisson كشف فيها عن القصر الملكي، ومنشآت أخرى، ورقيمات مسمارية، وتماثيل، ولقى مختلفة. ومنذ التسعينيات تنقب بعثة وطنية برئاسة ميشيل المقدسي (وعمار عبد الرحمن عام 1999)، ثم تشكلت بعثة مشتركة سورية ايطالية ألمانية مازالت تعمل حتى الآن، كشفت العديد من المنشآت واللقى، من أهمها مدفن ملكي وقصر وعدد من الرقيمات المسمارية.

200 نينجال إلهة سومرية، يعني اسمها السيدة الكبيرة، وهي زوجة إله القمر السومري نانا، والأكادي سن وأم إله الشمس، انتقلت عبادتها إلى سورية منذ نهاية الألف الثالث ق.م، وأصبحت تعرف باسم نيگال. انظر: أدزارد، 2004.



الشكل رقم (19)
المشرفة (قطنا)

والحلي نهبه الحثيون، جاء فيها ذكر لمجمع سمي بـ «إيلمي شاري elumesaei (آلهة الملوك)"، وهي تسمية عرفناها من خلال رسائل العمارنة، التي يرد فيها ذكر قطنة وشمش/شبش إله الأرض. ومن خلال خمس رسائل من العمارنة، يرد فيها ذكر لملك قطنة "أكيزي قطنة" (الإله أبي)، وهو وبالحقيقة إله الأسرة[(201)]، نلاحظ المكانة الكبيرة للإله أدد/حدد في المنطقة خلال تلك الفترة، خاصة حينما يتم تشبيه ملك مصر بهذا الإله، وهذا ما لم يرد في رسائل أخرى، وهذا هو موضوع الرسالة (EA52)، التي يؤكد فيها هذا الملك وفاء الأسرة الحاكمة في قطنة لـ «أمنحتب الرابع» ويطلب منه المجيء إليه، ويعده بأن لا يكون من المتمردين، ولن يخاصم بيريا وازا ملك دمشق: "إلى ملك بلاد مصر، هكذا يقول أكيزي خادمك، لقد جثوت أمام قدمي سيدي، أددي (حددي)،

201 Lete، 2008، P. 53..

سبع مرات، تفحص ياسيدي رُقمه، (ستجد أسماء) بيوت قطنة، وأنها تتبع سيدي (وحده)»[202].

وفي رسالة أخرى (EA55)، نرى ذكراً للإله شيميجيا الذي تعرض تمثاله للنهب مع عدد من تماثيل الآلهة الأخرى ومقتنياتها، على يد الحثيين بعد غزوهم للمدينة مع قوات عزيرو (ملك عمورو)، وإحراقها واعتقال رجالها. ويطلب من أمنحتب الرابع مساعدته في تحرير الرجال، وبعض الذهب، لإعادة صنعة التمثال وتزيينه من جديد:

"سيدي: لقد صنع أسلافك (تمثالاً) للإله شيميجيا، إله أبي، فتحققت لهم شهرة من لدنه. والآن أخذ ملك بلاد ختى (تمثال) الإله شيميجيا إله أبي. ولكن سيدي يعرف كيف تكون أفعال الآلهة، والآن ها هو (تمثال) الإله شيميجيا إله أبي، قد عاد إلي، فإن يسعد ذلك قلب سيدي ليعطي كيساً من الذهب، بقدر الحاجة من أجل (تمثال) الإله شيميجيا إله أبي حتى يصنعوه لي من جديد. وبذلك وبسبب الإله شيميجيا يصير سيدي مشهوراً أكثر من ذي قبل»[203]. وكنا قد رأينا هذا الإله في ألالاخ وعرف بأنه سيد أشباح الموتى، سيد العالم الأعلى والأسفل[204]. وربما كان له علاقة بالإله الأب، وعبادة الأسلاف.

ولا يفوتنا أن نذكر تمثالاً لرب وجد في قطنة، رأسه مشابه لرأس حجري وجد في الجبول، كما يرتدي بردية مشابهة لبردية إدريمي في ألالاخ. حيث يجلس الرب على كرسي ثلاثي الأرجل، يرجح أنه كان مثبتاً على قاعدة أكبر من مادة أخرى، ويضع قدميه على دواسة خاصة[205]، وربما كان له علاقة بعبادة تقديس الأسلاف. (الشكل 20).

202 إسماعيل، 2010، ص 240.

203 إسماعيل، 2010، ص 248.

204 Oesch، 1995، p. 58.

205 انظر: أبو عساف، 1988، ص 229.

لقد بدا التنظيم الديني الثقافي في قطنة حسب النصوص مشابهاً لذاك الموجود في المدن الفينيقية في الألف الأول ق.م، ومشابهاً لتنظيمٍ لاحظناه إلى حد ما في ألالاخ، وفي الوجه الملكي للعبادة الأوغاريتية، ويبدو فيه أن قوام الحياة الدينية في قطنة كان اندماجاً بين العناصر اللاهوتية والاجتماعية، بحيث رأينا مثيلاً له في نصوص مدن سورية أخرى في الألف الثاني ق.م[206].

الشكل رقم (20)
تمثال إله من قطنا

ثانياً: آلهة ألالاخ

نظراً لطابع الكتابة الرمزية لأسماء الآلهة التي تقدمها نصوص ألالاخ[207]، فإنه بوسعنا فقط أن نستنتج أسماء الآلهة الموجودة فيها من خلال مقارنة الأسماء الواردة في نصوصها مع أسماء الآلهة السورية السائدة في المنطقة، والعائدة للقرن الخامس عشر، ومنها أوغاريت وإيمار، وهي دون أدنى شك مشابهة ومطابقة لنظائرها الرافدية والحثية والحورية. وهذا الشيء يتم من خلال دراسة أسماء الأعلام الواردة في النصوص، التي لا يوجد إلا القليل

206 Lete، 2008، P. 53.

207 ألالاخ: مملكة سورية قديمة قامت في تل عطشانة (قرب أنطاكية في لواء اسكندرون). نقبها الإنكليزي ليوناردو وولي Leonard Wolley بين 1936-1949م، توج أعماله بتأليف كتاب «مملكة منسية» عام 1953م. تبعت ليمحاد (حلب) خلال القرنين الثامن والسابع عشر ق.م. أعاد لها ادريمي قوتها وشهرتها، وخلّف لنا قصراً ومعبداً وداراً للمحفوظات، حوت على الكثير من الوثائق. وجد وولي أن المدينة سُكنت منذ عصر البرونز القديم، ودامت قرابة الألفي عام. كُشف في الموقع الكثير من اللقى، من أهمها 400 نص مسماري، وعدد من المعابد والقصور والتحصينات. تحمل المدينة طبعات حضارة سومر وبابل ومصر والحثيين والميتانيين، وأثرت في تطور الثقافة والفن الإغريقي، وكانت نهايتها على يد شعوب البحر.

منها الذي يفيد في هذا الموضوع، ومنها النصان الدينيان الوحيدان (AT 127- 126) اللذان يشيران بطريقة غير مباشرة، إلى آلهتين رئيسيتين[208].

ويظهر النصان المكتشفان بالسوية السابعة (برونز وسيط) أن أهم الآلهة التي كانت في حلب هي إله الطقس، وخيبات، وعشتار. وقد اعتبرت خيبات زوجةً لإله الطقس الحلبي «أدا» منذ الألف الثالث ق.م. كما قد تكون عبادة إله الطقس قد انتقلت من حلب إلى ماري مع المبادلات التجارية النشيطة آنذاك. وظلت حلب تبجل هذا الإله بعد سقوط ماري. وعندما زحف الحثيون نحو حلب، كان أول ما قام به مورشيلي عند مهاجمته لثغور حلب، أن نقل إله الطقس الحلبي إلى العاصمة حاتوشا (خاتي)، وظل معبوداً عند الحثيين حتى نهاية دولتهم[209].

ومن خلال تتبع الأسماء الشخصية يمكننا أن نتعرف على عدد من الآلهة التي كانت تعبد خلال هذه المرحلة في ألالاخ، حيث ورد اسم الإله إيل ضمن تركيب اسم الملك إليما إيليما، وكان ملكاً على ألالاخ، وحمل اسم جده نفسه الذي كان ملكاً على يمحاض قبل أن تضع ثورة عليه الحدَّ لحكمه عليها. كما استخدم ملك ألالاخ نيقميبا بن ادريمي ختماً يحمل اسم ملك يمحاض العظيم أبا إيل.

إن غياب ذكر الإله إيل، بوصفه إلهاً كونياً وفضائياً، بشكل واضح، مقابل حضور آلهة أخرى هو أمر مدهش، لمعرفتنا بسمو هذا الإله في المنطقة. ولكن هناك من يعتقد أنه ربما كان موجوداً بشكل مبطن ومموه تحت بعض الرموز مثل ans، وهي صيغة عرف فيها ببعض النصوص الأكادية في أوغاريت. وقد يكون اختصاراً لاسم هذا الإله[210].

208 Lete، 2008، P. 51.

209 عبد الرحمن (عمار)، 2008، ص 172.

210 Lete، 2008، P. 51.

ومـن جانبـه؛ فـإن نقـش أدريمـي الـذي يمكـن أن يضـاف لصلـب نصـوص ألالاخ، يقـدم لنـا مـا يمكننـا تعريفـه بأهـم آلهـة ألالاخ في ذلـك الوقـت. وهـو يذكـر نفـس الآلهـة التـي ذكـرت في نصـوص السـوية السـابعة: فـيرد فيـه اسـم مجموعـة مـن الآلهـة وهـي تيشـوب، خيبـات، شاوشـكا، شـيمجيا «سـيد أشـباح المـوتى، سـيد العـالم الأعـلى والأسـفل»، وكوشـوخ. إن ذكـر النـص لعـدد مـن الآلهـة التـي تنسـب للحوريـين: تيشـوب، خبـات وشاووشـكا (عشـتار) سـيدة ألالاخ، سـيدتي، سـيد السـماء والأرض والآلهـة الكبـار[211]، يشـير للتزايـد العـددي للسـكان الحوريـين في المدينـة، الذيـن يعـدون الإلـه (تيشـوب) هـو الأسـمى لديهـم[212]. كـما يـرد في نـص المعاهـدة التـي عقـدت بـين ادريمـي وبللييـا (حاكـم كيزوانتـا) حـوالي 1480 ق.م، وتتعلـق باسـتعادة الفاريـن، ذكـراً لبعـض الآلهـة، وهـي إيـم إلـه العاصفـة، وأوتـو إلـه الشـمس، وإيشـارا، وجميـع الآلهـة[213].

ثالثاً: آلهة إيمار

وردت أسـماء بعـض الآلهـة في نصـوص إيمـار[214] وخاصـة تلـك المرتبطـة

211 مرعي، 1988، ص 108، 119.

212 Oesch، 1995، p. 58.

213 عبد الرحمن (عمار)، 2008، ص 156.

214 إيمار: هـي مسـكنة الحاليـة، تبعـد 90 كـم جنـوب شرقـي حلـب عنـد منعطـف الفـرات شرقـاً، تتوضـع فـوق تـل طبيعـي اسـتراتيجي يـشرف عـلى نهـر الفـرات. كانـت ملتقـى القوافـل القادمـة مـن كل الجهـات كونهـا مينـاءً فراتيـاً مهـماً ترسـو فيـه المراكـب القادمـة مـن كركميـش أو مـن مـاري. عرفـت في العصـور الكلاسـيكية باسـم بارباليسـوس وفي العصـور الاسـلامية بالـس. نقّبـت فيهـا بعثـة فرنسـية برئاسـة جـان مارغـرونG. Margueron بـين 1971-1976م. كشـفت عـن المدينـة القديمـة التـي ورد ذكرهـا في نصـوص الألـف الثالـث والثـاني ق.م. وكانـت عاصمـة عموريـة مهمـة منـذ مطلـع الألـف الثـاني ق.م قبـل أن تتبـع لكركميـش مقـر نائـب الحاكـم الحثـي. وقـد تـم الكشـف عـن سـور المدينـة وخنـدق بطـول 500 م، وعـرض 25 م، وعمـق 15 م، وعـن قصـور ومعابـد وبيـوت سـكنية ونصـوص مسـمارية. انتهـت المدينـة حـوالي 1200 ق.م بسـبب التغـيرات التـي ألمّـت بالمنطقـة. إن أهميـة اكتشـاف إيمـار لا تـأتي مـن كونهـا فقـط مدينـة كـبرى لعبـت دوراً مهـماً وأساسـياً في القـرن الرابـع عـشر والخامـس عـشر ق.م كنقطـة التقـاء بـين بـلاد الرافديـن وسـورية والأناضـول، إنمـا لمـا هـو وراءهـا؛ أي العـالم السـوري بحالـه، والعـالم الحثـي اللـذان بـرزا مجـدداً للوجـود.

بالمهرجانات والأعياد وكذلك المعابد. ومن المهم أن نذكر أن أسماء الآلهة الموجودة في إيمار، لا تختلف كثيراً عن الآلهة السورية التي سادت عبادتها في المنطقة، خلال نفس المرحلة التاريخية، وبعدها، أو حتى قبلها. وخاصة تلك المطابقة لنظيراتها الرافدية والحثية والحورية[215]. (الشكل 21).

يُعدّ دجن رئيس مجمع الآلهة في إيمار، ومن المعلوم أن منطقة عبادته، امتدت، من إبلا إلى ماري وترقا وتوتول التي كانت تعتبر أقدم مراكز عبادته في الألف الثالث. كما شملت أجزاء واسعة من سورية وفلسطين ومن بلاد الرافدين. وقد كان دجن توتول مشهوراً إلى درجة أنه كان يبجل في إبلا بصفته ملك توتول، وسمي معبداه في ترقا بيت راحة الموتى وبيت رعشة البرد. وقد ورد اسمه ضمن نص جاء من أحد معابد إيمار، وعرفناه في ألالاخ[216].



الشكل رقم (21) إيمار القديمة على الفرات

أشارت نصوص إيمار المسمارية، إلى أن بعل وعشتار عُبدا في المدينة، فنسب لهما معبدان متجاوران مرتبطان بفناء واحد، وقد حدد المنقب بأن المعبد الشمالي كان مخصصاً لعبادة بعل، أما المعبد الجنوبي فكان مخصصاً لعبادة الإلهة عشتار[217] وهناك معبد ثالث، كرس لجميع الآلهة،

215 Lete، 2008، P. 51.

216 Healey، 1994، PP. 72-89.

217 Margueron، 1985، p14.

في حين لم يعرف الإله الذي كرس له المعبد الرابع[218]. وكان حفل تنصيب الكاهنة يجري في معبد بعل[219]. وتظهر في احتفال «ماش أرتو» الإلهة خيبات كشريكة لبعل عشتار، ويبدو أن لهذا الطقس علاقة بعشتار المحاربة وليس بعشتار الشريكة لبعل.

من بين الاحتفالات في إيمار؛ الطقس الذي كان يجري في معبد بعل وعشتار كآلهة مزدوجة، وكذلك دجن وبعل. وقد جاء ترتيب بعل ثانياً في مجمع الآلهة بعد دجن. أما احتفال العرش المسمى «كيسو» فقد شارك فيه إضافة لدجن هناك آلهة أخرى من أعضاء مجمع الآلهة الذي يتكون أيضاً من: «إيريش. كي. جال»، و«إيا»، و«إشخارا»، و«نين كور»[220].

وتأتي النصوص على ذكر «نينورتا NIN.URTA»، وهو البطل وابن انليل (السومري)[221] ، ولعب دور إله مدينة إيمار[222]. وذكرت أسماء آلهة مدن محلية مثل مدينة شومي، وشبتي، وغيرها[223]. كما يأتي ذكر "إيم شا كي نا يIM SA KI NA I" الذي يعادل، أحياناً، إله العاصفة في إيمار، وهو بعل[224].

كما عُبد في إيمار، إله القمر الرافدي سين، (سهر/شهر منطقة حران)، وهو الذي تمت الإشارة إليه في نصوص إبلا تحت اسم «سا نو جا رو SA NU GA RU». وقد شارك في مهرجانات اكتمال القمر في إيمار[225].

218 مارغرون، 1983، ص 270.

219 Flieming، 1992، pp. 58-59.

220 Flieming، 1992، pp. 58-59.

221 نين كور: إله سومري، اسمه سيد الأرض، تسرب للديانة الأكادية، وحافظ على شكل اسمه السومري، وهو ابن الإله انليل، زوجته إلهة الشفاء جولا، وهو يجسد الخصوبة في أقدم مظاهره، ومن ألقابه ملك الصواعق المرعبة الرائع.

222 Fliming، G، 1992، pp. 248-252.

223 جاموس، 2004، ص 77.

224 Fliming، 1994، pp. 129-130.

225 Lipinski، 2000، p. 623.

الفصل الثالث: آلهة الفينيقيين

عند الحديث عن جوانب الحضارة الفينيقية، كثيراً ما تتم الاستعانة بما قدمته أوغاريت من أدبيات ونصوص للتعرف على الكثير من تفاصيل المجتمعات الساحلية السورية، فالسكان هم أنفسهم، والعادات والتقاليد واحدة، والثقافة هي نفسها، إلا ما تخللها من دخول عناصر جديدة جاءت بعد نضوج الفكر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع، وكذلك حركة الكشوف والتوسع الحضاري الناجم عن النشاط الكبير والمميز لسكان حوض الساحل، خاصة في مجال التجارة البحرية. تواكب ذلك مع نهضة وامتداد مشابه للآراميين، سكان الداخل السوري، الذين وصلوا إلى أماكن قصية لم يألفها السوريون من قبل.

كان جوهر العبادات بالنسبة للفينيقيين والكنعانيين عموماً، هو ما يعكس اهتماماتهم الزراعية. إذ كانوا يتوسلون إلى الآلهة كي تمدهم دائماً بالخبز والماء والصوف والكتان والزيت والخمر والحليب والعسل. فكان إذاً لا بد من وجود أعياد عندهم تتفق مع تغيرات الفصول، والحياة الزراعية، كمواسم الزرع والربيع والحصاد والبيع وقطف الثمار.

إضافة لاهتماماتهم الزراعية، جعل الفينيقيون من ديانتهم مرجعاً لتجارتهم وسياستهم، وشعروا مثل كل السكان القدماء، بقرب كبير إلى آلهتهم. لقد كان الإله هو سيد المدينة، له سلطته القوية على المجتمع

من خلال المعبد، وبالتالي كان الدين الفينيقي أحد الأدوات الرئيسة للدولة والسلالة الحاكمة. وحسب فيلون الجبيلي، ونقلاً عن سانخونياتون[226]، فإن الفينيقيين، وكما المصريين، عدّوا آلهة كبرى أولئك الذين اكتشفوا أشياء مفيدة للحياة، الذين أفادوا شعوبهم بطريقة ما، اعتبروهم مصدراً للخير والبركة، فعبدوهم كآلهة، وبنوا لهم بعد وفاتهم معابد، وأقاموا لهم نصباً ومسلات بأسمائهم، وقد عظمهم الفينيقيون كثيراً، وأقاموا أعياداً كبرى على شرفهم، وأطلقوا أسماء منتقاة من أسماء ملوكهم على عناصر الكون وعلى بعض الآلهة المعترف بها. ومن بين قوى الطبيعة عدّوا آلهة فقط الشمس والقمر والكواكب الأخرى والعناصر والأشياء المرتبطة بها. وهكذا أصبح لديهم بهذه الطريقة بعض الآلهة البشرية وبعض الآلهة غير البشرية[227].

لقد حل تدريجياً محل الآلهة الكثيرة لدى سكان الساحل السوري، ثالوث أعظم يضم كلاً من إيل الإله الأكبر، وبعل الذي هو السيد، وبعلة التي هي عشتروت، بالإضافة إلى إله شاب هو مبدأ الحياة والعمل يدعى في أوغاريت عليان وكانت له تسميات أخرى، إذ دعي ملقارت في

226 كان كتاب أوزيب المتوفى عام 340م يتضمن مقتطفات من مؤلف فيلون الجبيلي الواقع في ثمانية مجلدات بعنوان فينيقيا أو تاريخ فينيقيا، ولم يكن أوزيب الوحيد من المؤرخين الذين اعتمدوا كتابات فيلون التاريخية، إذ أن عمله كان معروفاً وشائعاً في حينه، وكتابات فيلون نفسه عبارة عن ترجمة، وبعبارة أدق ترجمة وتحقيق لكتاب مؤرخ يدعى سانخونياتون أو سانخينتون (اسم شائع في الكتابات البونية وهو مركب ومخفف من ساكون يتن أي ساكون يعطي) عاش قبل حرب طروادة في مدينة بيروت (أو صيدا أو صور) ربما في القرن السابع ق.م وربما في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. تلقى علومه عن كاهن الإله يو ويدعى هيرومبالوس، ولقيت كتاباته صدى حسناً لدى الملك أبي بعلوس وحاشيته. فقام سانخونياتون بنسخ وجمع الكتابات الموجودة داخل المعابد ودوّنها باللغة الفينيقية. والقسم الأعظم عن كتاباته الدينية تتضمن نظرية الخلق ونشوء الكون، ونشوء الحيوان، والآلهة الخالقة، ونشوء المعادن، وحكم كرونوس وأجيال الآلهة، ومقاطع تتحدث عن تأليه الثعابين والتضحية بالأطفال. انظر: أدزارد، 2004، ص216.

227 مرعي، 1993، ص 28.

صـور، وإشـمون في صيـدا، وأدونيـس[228] في جبيـل. وكان ملقـارت وإشـمون يرمـز إليهـما بشـخص محـارب منتـصر أو بحـار عظيـم[229].

وحـوالي القـرن السـابع ق.م أصبـح مجمـع الآلهـة الفينيقـي أكـثر تعقيـداً وتأرجـح التأثـير والنفـوذ لبعـض الآلهـة فتزايـد تأثـير تانيـت وبعـل حمـون، وأصبحـت ذات شـعبية عارمـة في الغـرب البـوني. أمـا ملقـارت فقـد ارتبـط بالتجـارة الفينيقيـة وتوسـعها في البحـر المتوسـط. ولكـن؛ لم يعـرف لملقـارت أجـداد أسـلاف في الألـف الثـاني، وشـخصيته والطقـوس الدينيـة توثـق فقـط مـن الوقـت الـذي ربحـت فيـه صيـدا السـيادة عـلى المـدن الفينيقيـة. لقـد كان إلـه الخصوبـة، والبحـر، وسـكان صـور، حيـث دُعـي بسـيد صـور، واسـمه ملقـارت يعنـي سـيد المدينـة (ملـك قـرت)، وهـذا يظهـر أن أصـول طقوسـه

228 أدونيـس: إلـه مـن آلهـة الخصوبـة السـورية، ورغـم أنـه سـوري الأصـل، لكـن لم تعـرف عبادتـه في سـورية إلا في عصـور متأخـرة، ويعنـي اسـمه (أدون) السـيد، و(أدوني) سـيدي، ولحقـت بالاسـم النهايـة اليونانيـة (س). أقـدم الوثائـق اليونانيـة التـي تـأتي عـلى ذكـره تعـود للقـرن الخامـس ق.م، لكـن الكتابـات المكتشـفة في سـورية لا تذكـره لا مـن قريـب ولا مـن بعيـد، ويعتقـد أن السـبب يعـود لأنـه لم يكـن مـن الآلهـة الرئيسـة في سـورية، لذلـك لم تقـدم الأضاحـي باسـمه، رغـم أن عبادتـه كانـت منتـشرة بشـكل أوسـع في العـالم القديـم. تقـول الأسـطورة إن أدونيـس ولـد يـوم مسـير، في الجبـال المنتصبـة فـوق جبيـل في أفقـا بالقـرب مـن الينابيـع المتفجـرة مـن ذلـك الشـلال الكبـير الـذي مايـزال يحمـل اسـمه، ويقـال إنـه ذهـب للصيـد رغـم تحذيـرات عشـيقته أفروديـت، وأصيـب بجـرح قاتـل عندمـا هاجمـه الخنـزير الـبري، ومـزق فخـذه، وظـل دمـه ينـزف وهـو ممـدد عـلى بسـاط مـن العشـب الطـري، ثـم تـسرب دمـه في الأزهـار، وهكـذا نبتـت شـقائق النعـمان، وفي كل سـنة تسـيل ميـاه نهـر أدونيـس حمـراء (دم أدونيـس) لتصـب في البحـر. وكانـت الأزهـار الذابلـة المصـورة عـلى الصحـون والأواني (حدائـق أدونيـس) ترمـز لمـوت هـذا الإلـه. وتتحـدث الأسـطورة عـن الاحتفـالات السـنوية التـي كانـت تقـام مـن أجـل أدونيـس في الصيـف، والتـي يكـثر فيهـا البـكاء والنحيـب عـلى فقدانـه في كل مـن أثينـا حـوالي 415 ق.م والإسـكندرية منـذ عـصر بطليمـوس الثـاني، وفي جبيـل حـوالي القـرن الثـاني للميـلاد، وفي أنطاكيـة حـوالي 362ميـلادي، ووصلـت عبادتـه رومـا حـوالي القـرن الأول ق.م. وكانـت ترافـق طقوسـه العهـر الجنـسي المقـدس في جبيـل حسـب المـؤرخ (لوسـيان) في كتابـه آلهـة سـورية الـذي يجعـل مـن قـبرص موطـن الأسـطورة، فأدونيـس ابـن الملـك كنـيراس نشـأ وترعـرع وشـب عـن الطـوق في قـبرص، وتعـرف عـلى ملكتهـا بالتـي (بعلـة)، وفي روايـة أخـرى يتعـرف عـلى عشـتار (أفروديـت) التـي تقـع في غرامـه، وتصفـه الروايـة بالصيـاد أو الراعـي، فتثـير في ذلـك غـيرة زوجهـا أريـس الـذي يتخـذ شـكل الخنـزير ويقتـل عشـيق زوجتـه.

229 مازيل، 1998، ص 33.

كانت ذات جذور مدنية واضحة. لقد مثل الإله قوة السلالة الملكية واحتفظ بشخصياته الإنسانية، كما نسب إليه تأسيس المدن والمستعمرات، وهناك بعض الأساطير التي تشير له كصياد[230].

يعد كل إله من مجمع الآلهة في كل مدينة إلهاً حامياً للمدينة، ويمثل الشكل الأنثوي مجالاً للخصوبة بمفهومها الواسع، أما الإله الشاب فيمكن أن يعد كابن للربة. ونلاحظ في عائلات الآلهة هذه استمرارية تأثير التقاليد القديمة، إلا أن الملمح الجديد يتمثل في نوع من عدم تحديد وظيفة لكل إله، وهذا ربما يشير إلى وجود حالة من التطور في العقيدة الدينية من تعدد الآلهة نحو شيء من التوحيد الذي لا ينكر الآلهة الأخرى. فلم يعد هناك آلهة محددة المعالم بدقة تنفصل مجالاتها عن بعضها بوضوح. ومن أهم الآلهة الفينيقية:

1ـ ملقارت ورشف

يتكون اسم هذا الإله من: ملك بمعنى الملك، وقرت هي القرية أو المدينة، وهو يشير للسيد الأعلى، لكن ارتباطه بالقرية المدينة يظهر احتمال وجود خصائص تحت أرضية لهذا الإله إذا ما كان معنى كلمة قرت، العالم السفلي أو المدينة المستقر تحت سطح الأرض، كما يعتقد بعض الباحثين.

ارتبط اسم ملقارت مبدئياً بصور، فقد ظهرت عبادته فجأة في القرن العاشر ق.م في احتفالات كانت تجري بحضور الملك، وقد عرفت مقاربته مع هيراقليس عند الإغريق منذ وقت مبكر، وفي أحد التفاسير الميثولوجية هو ابن زيوس/زوث وأستريا (عشترت). وفي تفسير آخر عند فيلون الجبيلي هو حدد دمروس (من نسل أورانوس)[231]. وحسب

230 Aubet، 1999، p. 128.

231 فرزات، 1992، ص 49.

روايات الإغريق، فقد كان ملقارت يظهر بشكل سنوي أو دوري في مدينة صور وعدد من الأمكنة. ونرى ذكراً تصويرياً له وهو يرفع الفأس بيده، على منحوتة النيرب الحجرية التي يظن أن ملك دمشق بر حدد، هو الذي أقامها[232]. (الشكل 22).


الشكل رقم (22)
رأس تمثال ملقارت (عمريت)

كان ملقارت من أهم آلهة الفينيقيين مع أدونيس إلا أن ارتباطه بالقدرة على الشفاء ليست بالواضحة دوماً، رغم أنه ارتبط مع إله الشفاء شادرابا في عمريت حيث كُرِّس له هناك المعبد النبع، وكان على شكل بركة كبيرة يتوسطها مزار. انطلق ملقارت في تأسيس المستعمرات من صور، وانتشر في قبرص ومنطقة البحر المتوسط وشمالي أفريقيا، لكن المشكلة المرتبطة بهذا الإله تتجسد في وصف شخصيته، ومن المهم في هذا الصدد دلالة اسمه، ملك وقرت، حيث إن قرت ليست المدينة؛ أي صور، بل العالم السفلي أيضاً. وتستند علاقة ملقارت بالعالم السفلي من خلال مساواته بهيراقليس (هرقل)، ولا تعود بالضرورة السمات الشمسية التي يظهرها ملقارت نقيضاً لذلك. لأنه من المعروف أيضاً، في أوغاريت أو بلاد الرافدين، تلك التقاليد التي تربط بين إله الشمس والعالم السفلي، عندما يعود في الليل عبر العالم السفلي إلى نقطة بزوغه من الشرق. إن الشخصية التي تقيم الارتباط للملقارت مع العالم السفلي، هي ملك «ميلكو» وجاءت في النصوص «ملكوم»[233].

232 GI، 2000، p. 192.
233 Hutter، 1995، pp. 128-136.

وبسبب سيادة صور وتفوقها، عُدَّ ملقارت إلهاً رئيساً للفينيقيين عموماً، خاصة قرطاج المدينة الشقيقة لصور، وكان من الشائع أن يُدعى بعل ملقارت. وكان ملقارت في الأصل إلهاً شمسياً، لكنه اكتسب أيضاً صفات بحرية، حين راح الفينيقيون يطورون اهتماماتهم الملاحية. وما يشير إلى أهميته في قرطاجة (التي واظبت سنوات طويلة على إرسال الالتزامات والأموال إلى مزار ملقارت في صور)، عدد الأسماء التي تحتوي في جزئها الثاني على اسم ملقارت، مثل هاملقار، وبوملقار التي شاعت هناك[234].

وقد جاء ذكر ملقارت في المعاهدة التي وقعها الملك الآشوري أسرحدون مع ملك صور، حيث ظهر بين عدد من الآلهة التي تم القسم بها[235].

يطلعنا يوسيفوس فلافيوس على نبأ مفاده؛ أن ملك صور حيرام شيَّد معبداً لملقارت هيراكليس/هرقل ولعشتروت أفروديت، وكان أول ملك يحتفل في شهر بريتيوس (آذار - نيسان) ببعث الحياة في الإله. يستخلص من هذه المعلومة ومن غيرها من الأخبار الأخرى، أن ملقارت يعني كإله يموت ويحيا ثانية. فتبعاً لمرويات الأساطير تعرض ملقارت للموت أثناء رحلته إلى ليبيا (يعترضه تيفون ويقتله)، ثم يعود للحياة عندما يشم رائحة طيور السُمُّنْ (أو الحمام) المشوي[236]. ويمكن أن يستنتج مبدئياً من ملاحظات أخرى، أن ملقارت وجد الموت من خلال النار، حيث جسدت هذه الناحية في العبادة من خلال حرق عروس سنوياً. وكانت تضرم النار باستمرار على المذبح، حيث تبين قوة الشعلة والحريق المرتبط بها، أن ملقارت وصل إلى درجة التطابق مع الإله الأوغاريتي رشف (كلمة رشف

234 دونالد، 2007، ص 112.

235 GI، 2000، p. 192.

236 وهذا ما دعى الباحثين للاعتقاد أن ملقارت كان واحداً من آلهة الخصب والنبات، يموت ويحيا في فصول معينة من السنة.

تعنـي: الحريـق أو الشـعلة)، وقـد كان هـذا الإلـه في أوغاريـت هـو القـادر عـلى جلـب الحريـق والأوبئـة، ويمكـن لذلـك أن تتحـدد علاقاتـه مـع العـالم السـفلي أيضـاً. ويتضـح ارتباطـه مـع ملقـارت أيضـاً مـن خـلال الاسـم المـزدوج «رشـف ملقـارت»[237].

كان رشـف مـن الآلهـة الفينيقيـة الشرقيـة المهمـة، وكان إلهـاً للـبرق والنور، ويـوازي أبولـو، لكنـه يختلـف اختلافـاً واضحـاً عـن حـدد وتيشـوب السـوريين الشـماليين. ولقـد عبـد رشـف أيضـاً في قرطـاج في معبـد لأبولـو كـما تقـول النصـوص القديمـة، حيـث كان يقـع بـين الموانـئ وبيرسـا[238].

2 ـ أشمون

اشـتهر في صيـدا بصيغـة بعـل صيـدون وذلـك في القـرن الخامـس ق.م. فالملـك أشمن/أشـمون عـزر = (أشـمون سـاعد) يقـول عـن نفسـه وعـن أمـه التـي يدعوهـا كاهنـة عشـترت: "نحـن مـن بنـي بيـت أشـمون الأمـير المقـدس عنـد نبـع في الجبـل، وأقمنـا لـه في السـموات العـلى".

وقـد جـاءت معظـم النقـوش التـي تتحـدث عـن أشـمون مـن التنقيبـات التـي أجريـت في معبـد أقامتـه الأسرة المالكـة تعظيـماً لـه. وهـو في الديانـة الفينيقيـة مثـل ملقـارت وأدونيـس، يمـوت ويرجـع إلى الحيـاة. وقـد انتقلـت أخبـاره إلى المصـادر الهيلينيـة، حيـث ترجعـه إلى أصـول فينيقيـة مـن صيـدا، ويتـم وصفـه بأسـكليبيوس الفينيقـي، الـذي يتحـدر مـن الشـمس ومـن أم خالـدة، ولـه القـدرة عـلى الشـفاء مـن الأمـراض. ونهايـة قصتـه كقصـة أدونيـس في مصرعـه وموتـه وبعثـه، وترقـى بـه المصـادر إلى مرتبـة إلـه لا يمـوت[239]. لقـد كان إشـمون الخـاص بصيـدا إلهـاً للعـالم السـفلي، وكان أيضـاً يـشرف عـلى الصحـة والشـفاء، شـأن اسـكليبيوس. وكانـت أسـطورة الخصـب الأرضي والحصـاد شـائعة في كل مـكان مـن الـشرق الأدنى، فهـي معروفـة في

237 Hutter، 1995، pp. 128-136.

238 دونالد، 2007، ص 113.

239 فرزات، 1992، ص 49.

الأدب على أنها أسطورة فينوس وأدونيس، أو عشتروت وإشمون، بحسب الاسمين الفينيقيين التقليديين، واللذين ظهرا في بابل على أنهما عشتار وتموز، وفي مصر على أنهما إزيس وأوزيريوس[240].

3 ـ بعلشمين

يتجلى تأثير القيم الدينية لدى سكان الساحل الفينيقي بما رواه عنهم فيلون الجبيلي: "عندما كان يحدث جدب كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء باتجاه الشمس. حيث عدّوا سيد السماء الإله الوحيد ودعوه بعلشمين الذي كان يعني سيد السماء للفينيقيين وزيوس للإغريق»[241]. ونجد في كلامه إشارة واضحة لما يمكن أن يكون الاعتقاد بوحدانية الإله سيد السماء المتجلية قدرته بالشمس والقمر وظواهر الطبيعة جميعها[242].

4 ـ عشترت (تانيت)

لقد أصبحت وظائف وصفات كل إلهة أنثى، مثل بعلات وعشتروت وتانيت أو عناة، متبادلة فيما بينهن، وانصهرن أكثر على الدوام، ولم يعد يشكل الاسم في نهاية المطاف سمة للتمييز[243]. أي أنها كانت أسماء وصفات مختلفة لنفس الإلهة التي في الواقع لم تكن على اتساع فينيقية، سوى إلهة واحدة، هي عشتروت إلهة الخصب والإلهة الأم، والتي عرفت في الغرب القرطاجي باسم تانيت. ومع أن الاسمين يشيران إلى الإلهة ذاتها، فإن من الغريب أن أسماء أشخاص مثل بودعشتروت وعبد عشتروت كانت شائعة، في حين أن قلة من الأسماء هي التي كانت تحمل اسم تانيت، على الرغم من غلبة هذا الاسم على الإلهة. وبالمثل فإن اسم تانيت لم يكن موجوداً كما يبدو كاسم للإلهة في الشرق، في المراحل

240 دونالد، 2007، ص 113.

241 مرعي، 1993، ص 31.

242 فرزات، 1992، ص 49.

243 Hutter، 1995، pp. 128-136.

القديمة على الأقل. وكانت عشتروت بوصفها إلهة الخصب تقابل عشتار وأفروديت، غير أنها كانت أشد تعدداً منهما في مزاياها، فقد تغلبت لديها مزايا الملكة والزوجة على مزايا الخصب، واسمها الثابت في النقوش هو تانيت بيني - بعل (تانيت وجه البعل)، حيث دارت نقاشات حادة حول هذا الاسم. فبعضهم يعتقد أنه صورة أو وجهاً من صور بعل أو وجوهه، في حين يعتقد بعضهم الآخر، أن اسم تانيت هو اسم محلي مواز للاسم اليوناني بروسو بون ثيو (وجه الإله). لكن هذه الإلهات مهما تعددت أسماؤهن وتباينت، لم تكن الواحدة منهن تختلف كثيراً عن الأخريات في الجوهر، ويمكننا أن ننظر إليهن جميعاً باعتبارهن تجليات مختلفة للإلهة الأنثى الأساسية لدى الفينيقيين[244].

من الآثار التي تلقي الضوء على الشعائر الفينيقية المتعلقة بعشتروت، تمثال صغير من المرمر يتضح من أسلوبه الفني أنه مشرقيٌّ من القرن السابع أو السادس ق.م. غير أن القبر الذي وجد فيه ربما لا يعود إلى أكثر من القرن الرابع. (الشكل23).

في هذا التمثال تبدو عشتروت متربعة على عرش يحيط بها كائنان مجنحان من كل جهة، وهي تحمل طاسة كبيرة تمدها تحت ثدييها مفتوحي الحلمة، من الواضح أن هذا التمثال كان يستخدم في اجتراح المعجزات أو استحداثها، حيث كان يمكن للحليب في وقت محدد من طقس العبادة أن يجري في الأثداء إلى الطاسة من فراغ يملأ عن طريق الرأس، وإلى أن تجري المعجزة؛ كان الثقبان يُسدان بالشمع أو أي مادة أخرى، يمكن أن تزال بالتسخين اللطيف[245]. وهذا الطقس يذكرنا بعبادة إلهة الينبوع في ماري، العائدة لعصر البرونز الوسيط، حيث تجسدت

244 دونالد، 2007، ص 114.
245 دونالد، 2007، ص 122.



الشكل رقم (23)
قبور فينيقية من عمريت

بتمثال وهي تحمل بيديها إناءً تفيض منه المياه يوم الاحتفال عن طريق ثقب من داخل التمثال، ويجري وصله من خزان ماء يوضع في أعلى المعبد، كل ذلك في إشارة إلى قدرة هذه الإلهة على بعث الحياة.

5 ـ بعل حمون

يعني الاسم بعل حمون رب مذبح البخور، وذلك انطلاقاً من كون البخور يشكّل التقدمة الرئيسة على مذبحه، والباحثون المحدثون يعرفونه بإيل لا بالإله بعل، مثلما تعرف زوجته تانيت/عشيرة. ونجده إلها رئيساً في الغرب الفينيقي، وتواجد أيضاً في كثير من المعمّرات الغربية الأخرى. وكان هذا الإله القرطاجي أيام السيطرة الرومانية وعظمة روما، يقابل ساتورن (كرونوس)، الذي ذكر أنه كان له معبداً في قرطاج، ولعله قبل ذلك كان يقابل زيوس أيضاً (والد هرقل ـ ملقارت)[246].

246 السواح، 2006، ص 79.

وهنـاك كثـير مـن الأنصـاب الحجريـة الفينيقيـة الغربيـة الموقوفـة لبعـل حمـون وتانيـت الملقبـة (بينـي - بعـل) معـاً، حيـث يظهـر بعـل حمـون عـلى أنـه الأقـل شـأناً بـين الإثنـين. غـير أنـه يظهـر أيضـاً عـلى بعـض الأنصـاب الحجريـة وحيـداً، وكانـت لـه مقاماتـه الخاصـة كـما في جبـل بوقرنـين مثـلاً، ذلـك الجبـل الـذي يطـل عـلى قرطـاج عـبر الخليـج. ولعـل بعـل حمـون كان يمثـل نوعـاً مـن التداخـل بـين بعـل الفينيقـي الشرقـي والإلـه الأفريقـي (ليبي) المشـابه لزيـوس آمـون في واحـة سـيوة. وبعـل حمـون لا يمكـن أن يكـون آمـون وحـده، وقـد كتـب اسـمه بحـروف اللغـة الفينيقيـة، وذلـك عـلى الرغـم مـن أنـه غالبـاً مـا كان يصـور مثلـه بقـرون كبـش ولحيـة[247].

ولا بـد أن نذكـر هنـا أن تلـك الأشـكال المتباينـة والمحليـة لبعـل والتـي جـاء ذكرهـا في النصـوص مثـل بعـل سـافون وبعـل حمـون وبعـل مـالاج وبعـل أدير أو بعـل لبنـان وبعـل أبيثيتيـونEpitheton إنمـا هـي تقديـس للسـيد الأعـلى بعـل الـذي يحتـل المرتبـة الأولى في مجمـع الآلهـة[248]. وقـد يشـير هـذا الـكلام إلى أن الأسـماء المحليـة للآلهـة لاتعنـي وجـود فروقـات بينهـا بـل هـي آلهـة واحـدة بصفـات محليـة مختلفـة.

إن أسـماء أربـاب بعينهـم يمكـن أن تكـون ألقابـاً كـما هـو الحـال في أوغاريـت، إن بعـل مثـل إيـل يمكـن أن يكـون كلاهـما لقبـان بمعنـى سـيد، كـما يمكـن أن يكـون إلهـاً معينـاً خصـص فيـما بعـد بالإضافـة إلى اسـمه، مثـل بعـل صفـون، وبعـل لبنـان وبعـل أدر (أي القـوي ومنـه جـاء اسـم شـهر آذار) وهـو معـروف في القـرن الخامـس ق.م في جبيـل، ثـم انتقلـت عبادتـه إلى قرطاجـة، والمغـرب، وبعـل مرقـود، سـيد الرقـص - ربمـا كان سـيداً شـافياً، وبعـل حمـون، سـيد الأمانـوس في شـمال سـورية، وأضحـى فيـما بعـد معبـوداً شـعبياً في قرطاجـة والمغـرب، وبعـل صـور وبعـل صيـدا وبعـل المجـن (مجنيـم

247 دونالد، 2007، ص 113.

248 Hutter، 1995، pp. 128-136.

جمع مجن)، ويظن أنه رشف، وهناك أيضاً بعل بقعة (بعل البقاع).

وكما يتضح من المصادر، كان الأرباب يميلون غالباً إلى مكان يكون على الأرجح مؤشراً على ظاهرة طبيعية، كأعالي الجبال أو النبع العظيم. وهكذا جاءت تسمية بعل بالإضافة إلى الأمانوس وصفون لبنان والكرمل. أما الآلهة الفلكية الممثلة للكواكب، فقد ذكرت في مجامع الأرباب الفينيقية، لكنها لم تذكر بكثرة كما هو الشأن في أوغاريت[249].

الآلهة والمدن الفينيقية

لقد كان لكل مدينة آلهتها الخاصة بها، منها الآلهة التي سلف ذكرها، ومنها ما قد يحمل اسماً مختلفاً، ويمكن أن نرى تجسيداً للآلهة الفينيقية. بشكل عام، في مواقع مثل جبيل: حيث عُبِدَ فيها إيل، واحتلت بعلات جبيل «سيدة جبيل» مكاناً مركزياً في المدينة التي كان لها فيها تقاليد قديمة تجاوزت حماية المدينة والسلالة الملكية[250]، فإليها كان الناس يتضرعون، بحسب النقوش الكتابية الأقدم في جبيل، لتهبهم البركة والحياة المديدة[251]. وقد سادت المدينة بالاشتراك مع قرينها الإله بعل شمين. ويبرز اسم أدونيس في جبيل وهو مثال على تهلّن معبود سوري أصيل، هو أدن/أدوني، وهو يعني سيد وسيدي. ولم يظهر اسم أدونيس اسماً لعلم بهذا الشكل مطلقاً في أي نقش فينيقي. ولكن قصته معروفة تماماً من المصادر اليونانية واللاتينية، كولد جميل ولد سفاحاً، تنازعت عليه الربتان أفروديت وبرسفونة، وقتله خنزير بري بينما كان يصيد، وأضحى مصرعه موضوعاً لطقوس حداد خاصة، كانت تنظم في جبيل[252].

249 فرزات، 1992، ص 48.

250 Aubet، 1999، p. 126.

251 Hutter، 1995، pp. 128-136.

252 فرزات، 1992، ص 48.

أُشير لهذا الإله بصيغة دا- مو DA.MU في رسائل العمارنة. وفي حقيقة الأمر لا يوجد مواز دقيق، ولا تفاصيل حوله في الأسطورة الإغريقية، لكنه ارتبط بزيوس الذي نحا منحاه في الموت لأربعة أشهر في العالم الأسفل، وقضاء ما تبقى من السنة مع أفروديت[253].

وفي صيدا (صيدون)، نجد بعل في المكانة الأولى، وإلى جانبه عشتروت مع اللقب شم بعل أي اسم بعل وإشمون، الإله الفتى. وفي النقوش الكتابية من صيدا (القرن الخامس ق.م)، وصفت الآلهة الثلاثة الصيداوية في نقش الملك اشمو نازار «أنا اشمو نازار ملك الصيداويين ابن الملك تابنيت وأمي أما شتارت، الفارسة عشتروت سيدتنا.. كنا من بنى معبد الآلهة والمعبد من أجل عشتروت في دائرة صيدا البحرية ونقلناها إليه، هناك، بالأعلى كنا نحن من أمر ببناء معبد من أجل إشمون، والأمير المقدس للنبع النزاز على الجبل ونقلناه. هناك بالأعلى، كنا نحن أيضاً بناة المعبد من أجل آلهة الصيدونيين، في دائرة صيدا البحرية، ومعبد من أجل بعل صيدا، ومعبد من أجل عشتروت - اسم بعل»[254].

وفي صور، كان الإله الرئيس هو ملقارت الفتى الشاب سيد وحامي المدينة، ورمز المؤسسة الملكية، ومؤسس المستعمرات. أما عشتروت وبعل شمين فقد لعبوا دوراً داعماً مع بعل حمون[255]. وتسجل الحوليات الصورية أن الملك أحيرام بنى معابد لملقارت ولعشترت في القرن العاشر وكان أول من احتفل بقيامته. ويتناول الباحثون بعامة موضوع بعث الإله بوصفه دليلاً على موت الإله وقيامته. وملقارت مثله مثل الآلهة الأخرى يموت ويقوم[256]. وفي الاتفاق الذي تم بين اسرحدون وبعل صور،

253 Beinkowski، 2000، p. 40.

254 Hutter، 1995، pp. 128-136.

255 Aubet، 1999، p. 129.

256 فرزات، 1992، ص 54.

أتى في الطليعة ملقارت وهو يتطابق بنيوياً في مكانته وإيل جبيل وبعل صيدا، وهناك ملامح واضحة في جوهره مع أدونيس وتأتي إلى جانبه مرة ثانية عشتروت، في حين لم يكن الإله الثالث واضحاً تماماً[257]. لكن ملقارت كان على الأرجح رب البيت المالك كما يوحي بذلك أحد النصوص أكثر مما يحتمل أن يكون رب المدينة[258].

أما في بيروت، فقد كانت بعلات الأنثى هي رئيس الآلهة هناك[259]. بينما ظهر في قبرص كل من ملقارت - إشمون، كمؤسسين لمملكة كيتيون، التي كانت تسك العملة وعليها صورة ملقارت في القرن الخامس ق.م.[260] (الشكل24).



الشكل رقم (24)
دمى طينية تمثل آلهة من صور

257 Hutter، 1995، pp. 128-136.

258 فرزات، 1992، ص 47.

259 Aubet، 1999، p. 127.

260 Aubet، 1999، p. 129.

الفصل الرابع: آلهـة الآراميـين

حينـما اسـتقر الآراميـون في الحـواضر، اتخـذوا بشـكل عـام الآلهـة التـي كانـت تعبـد في المناطـق التـي سـكنوها كآلهـة بـلاد مـا بـين النهريـن والآلهـة الكنعانيـة والفينيقيـة[261]، كـما تداخلـت ثقافتهـم وعباداتهـم مـع السـكان الذيـن أطلـق عليهـم الباحثـون اسـم الحثيـين والحوريـين. وقـد قدمـت بعـض النصـوص عـدداً مـن الإشـارات للآلهـة والمعابـد والكهنـة الآراميـين، كـما وردت في أسـماء الأعـلام الآراميـة المركبـة، الكثـير مـن الإشـارات التـي يمكـن أن يسـتنتج منهـا أسـماء الآلهـة التـي عبـدت في كل منطقـة عـلى حـدة، والآلهـة الرئيسـة التـي كانـت تعبـد في كل المـدن، والتـي منهـا:

1 ـ حــدد

جـاء ذكـره بأكـثر من صيغـة؛ منها أدد وأدو وحـدو وهدد، ويعنـي الـ«أحد» أو الواحـد، وربمـا الهـدّ بمعنـى مطلـق الرعـد، وهـو إلـه الطقـس والعواصـف والغيـوم الممطـرة، الـذي تبـوأ دوراً كبـيراً عندمـا كانـت البشريـة تعتمـد إلى حـد كبـير عـلى الهطـولات المطريـة في بقـاء السـكان القاطنـين. لذلـك نجـد تبجيلـه بشـكل خـاص في بقـاع العـالم القديـم الـذي ترتـوي حقولـه بصـورة رئيسـية أو شـاملة بمياه المطـر. وسـهول شـمال سـورية المحيطـة بحلـب هـي واحـدة مـن هـذه المناطـق، إنهـا منطقـة ذات زراعـة بعليـة واسـتيطان كثيـف

261 سومر، 2007، ص 133.

نسـبياً، وهـذه الحقيقـة تشـهد عليهـا النصـوص المسـمارية مـن محفوظـات إبـلا في منتصـف الألـف الثالـث ق.م. إن كميـة التهطـال التـي كانـت كافيـة لقيـام زراعـة دائمـة وخصوبـة الـترب الضاربـة إلى الحمـرة أيضـاً جعـلا مـن شـمال سـورية أحـد أهـم المناطـق الزراعيـة في الـشرق الأدنى، لـذا لم يكـن مـن قبيـل الصدفـة أن أصبحـت سـورية الشـمالية أيضـاً إحـدى المناطـق المركزيـة لتبجيـل إلـه الطقـس(262).

إن تمثيـل إلـه الطقـس بـأي دور مـن الأدوار يتغـير ويتعـرض للتبديـل عـلى الـدوام، وقـد أضحـت هـذه الظاهـرة أمـراً مألوفـاً في تاريـخ منطقتنـا، إذ كثـيراً مـا نـرى أن رمـز إلـه مـا قـد دل عـلى إلـه آخـر، أو أنـه اسـتعمل لعـدة آلهـة في آن واحـد(263). وقـد أطلـق عـلى حـدد اسـم بعـل، رغـم أن هـذا اللقـب لم يقتـصر عـلى إلـه الطقـس فقـط في سـورية بـل شـمل آلهـة أخـرى. كـما حمـل لقـب رامـون، ورامانـو وهـو معـروف بهـذا الاسـم في النصـوص الآشـورية أيضـاً، ويعنـي المزمجـر كالرعـد وهـذا مـا يتناسـب وإلـه الطقـس(264).

عُبِـدَ حـدد في جميـع «دول» المـدن الآراميـة، وظهـر زعيـماً لمجمـع الآلهـة الآرامـي في سـورية والجنـوب الشرقـي لبـلاد الرافديـن. ويبـدو أن السـوريين أعطـوا اسـم حـدد للإلـه الـذي يـأتي بالمرتبـة الأولى مـن حيـث التبجيـل والتوقـير. وهـو الأقـوى والأعظـم مـن بـين كل الآلهـة، واقـترن ذكـره مـع الإلهـة عترغاتيـس، وعـدّوا هذيـن الإلهـين القـوة العظمـى فـوق كل شيء. ويبـدو أنـه يديـن بالمنـزلة والمكانـة التـي حظـي بهـا خـلال هـذه المرحلـة في بعـض المناطـق، للأقـوام المشرقيـة القديمـة التـي اعتـادت عـلى عبادتـه في عـدد مـن المراكـز الدينيـة المهمـة مثـل حلـب. وقـد تـم التحقـق والتثبـت مـن عبادتـه في شـمال سـورية مـن خـلال نصـوص إبـلا والتـي تذكـر اسـمه حـدا «أدّا» كـما

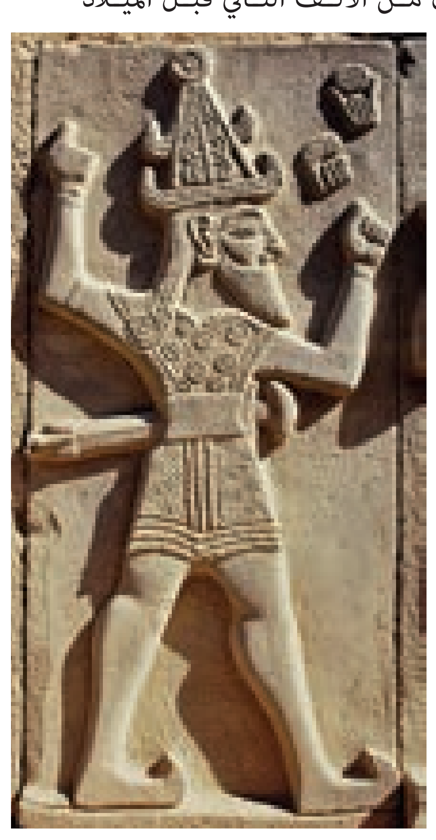
262 كلينغل، 1988، ص 311.

263 أبو عساف، 1966، ص 85.

264 Kreuzer، 1995، p. 101-115.

تذكر حدد حلب «أدّا خلم»[265]. وخلم اسم مكان لا بد أن يتطابق مع حلب فالحرفان "ب" و "م" يقبلان التبادل، وكان اسم قرينته خا - أبات HA-ABATU والحرف الصامت « ل L" لا يكتب أحياناً في الإبلائية وعليه فإن خابات (خبت لاحقاً) تعني خلبيت (مؤنث خلب). (الشكل25).

وخلال القرن الرابع والعشرين كانت خلب واحدة من أهم الأماكن المقدسة في مملكة إبلا. وفي النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ارتبط مصير حلب بمصير إله طقسها، فها هو ياريم ليم ملك حلب (في العقود الأولى من القرن الثامن عشر ق.م) يُعلم ملك "در" (النص A1314): « لقد أنقذت مدينة بابل بفضل جيوش الإله أدّو إله ياريم ليم، ووهبت الحياة لك ولمدينتك».



الشكل رقم (25)
منحوتة تمثل الإله حدد (حلب)

ومن خلال أحد النصوص في ماري يظهر أن هذا الإله كان يعُبدَ هناك حيث يقدم زمري ليم النذور والأضاحي ولاءً له ويشير فيه للعام الذي قدّم فيه تمثاله «لحدّا» الحلبي[266]. إن هذا الوضع يختلف في بابل حيث يُعَدُّ غياب حدد من المفردات الكلدانية ومن لغة القبائل الآرامية فيها أمراً ملفتاً للنظر، كما أنه لم يظهر في نقوش أي حاكم، ومن

265 Lipinski، 2000، p. 626.

266 أركي، 1999، ص291.

هنـا يتضـح لنـا بأنـه لم يكـن مـن الآلهـة السـائدة عنـد البـدو الرحـل الآراميـين وأنصـاف البـدو. ويُعـدُّ حـدد نظـير الإلـه أدد عنـد البابليـين والآشـوريين، كـما يماثـل في وظائفـه الإلـه الأكـبر عنـد الحثيـين والحوريـين.. ولأنـه إلـه السـماء قبـل كل شيء عُـدَّ فيـما بعـد نظـيراً لإلـه الشـمس، وكان يصـور ممسـكاً بالـبرق في إحـدى يديـه وبفـأس في الأخـرى، وواقفـاً عـلى ظهـر ثـور، وهـو حيوانـه المقـدس. وقـد دخـل دنيـا اليونـان والرومـان عـلى أنـه إلـه الشـمس، فاعتـبروه زيـوس وجوبيـتر[267].

خـلال الفـترة الفاصلـة بـين العـصر البرونـزي وعـصر الحديـد، لم يسـتمر تبجيـل إلـه الطقـس بعـل، لكنـه اكتسـب بعـداً جديـداً كإلـه شـائع نوعـاً مـا، ذي كفـاءة عاليـة، اسـتطاع أن يجـذب المتعبديـن مـن منطقـة أوسـع مـن تلـك التـي كان النـاس يعبـدون الجانـب الخـاص بإلـه الطقـس. وأدى هـذا التطـور إلى ضرورة ابتـكار مزيـد مـن التجليـات، ولربمـا في هـذا السـياق اسـتطاع بعـل سـابون (الصفـن) أيضـاً أن ينـال اهتمامـاً خاصـاً. فقـد عـثر في مواقـع الآراميـين واللوفيـين عـلى شـواهد كتابيـة ونحتيـة تـدل عـلى اسـتمرار تبجيـل بعـل أو حـدد، كـما كان يدعـى آنـذاك في النقـوش الآراميـة بصفـة خاصـة. وقـد اكتشـفت المسـلات التـي تصـور الإلـه بعل/حـدد في عـدة مواقـع في سـورية وشـمالي بـلاد الرافديـن. وفي نقـش آشـوري مـن عهـد الملـك تيغـلات - بليسرالثالـث (القـرن الثامـن) تـم تصويـر عمليـة نقـل الآلهـة، ومـن بينهـا إلـه الطقـس بعـد عمليـة عسـكرية ناجحـة عـلى سـورية. وتشـير الحوليـات الآشـورية أيضـاً إلى بعـل صفُن/بعـلي سـابون باعتبـاره اسـماً جغرافيـاً، ويـأتي مـن نفـس الفـترة تقريبـاً دليـل عـلى تبجيـل بعـل بوصفـه بعـل صفـن مـن العهـد القديـم، وقـد جلـب التوسـع التجـاري الفينيقـي المنطلـق مـن مـدن السـاحل السـوري، ثـم مـن قرطاجـة أيضـاً ديانـة بعـل صفـن إلى مناطـق

267 موسكاتي، 1986، ص183، 184.

المتوسـط الغربيـة[268].

نجـد في نقـوش زنجرلي/شـمأل[269] الكثـير مـن الدلائـل عـلى المكانة الرئيسـة لحـدد، ومنهـا الشـاهدة التـي أقامهـا برراكـب لوالـده التـي تصـور مجمـع آلهـة شـمأل، ويظهـر فيهـا حـدد عـدة مـرات متربعـاً عـرش هـذا المجمـع الدينـي بشـكل لا منـازع لـه فيـه:

"حدد، إيل، رشف، راكب إيل، شمش

حدد، إيل، راكب إيل، شمش، أرق، رشف

حدد، إيل، راكب إيل، شمش

حدد، إيل، راكب إيل، سيد السلالة، شمش وسائر أرباب يأدي»[270].

تشـير المعاهـدات الموقعـة بـين الحـكام الآراميـين إلى الـدور الفعـال الـذي كانـت تلعبـه الآلهـة في الحيـاة اليوميـة، حيـث أن الآلهـة مدعـوون دائمـاً ليشـهدوا عـلى توقيـع المعاهـدات، ولتحـل لعناتهـم السـماوية عـلى أي انتهـاك لمضمونهـا. فقـد عقـد متـع إيـل ملـك بيـت أجـوشي معاهـدة مـع آشـور نِـراري الخامـس (754 ـ 745 ق.م) نجـد فيهـا الملـك الآشـوري يدعـو الآلهـة أن تلعـن متـع إيـل إذا مـا أخـل بـشروط المعاهـدة. وذكـر كل مـن سـن وحـدد بشـكل خـاص[271].

وفي نقـش السـفيرة (شرقـي حلـب) نجـد معاهـدة رسـمية بـين ملـك كتـك

268 كلينغل، 1999، ص 314.

269 يعنـي اسـم زنجـرلي (باللغـة التركيـة)، ذات السلاسـل الحديديـة، وتعنـي كلمـة هيـوك؛ التـل، فيكـون تـل السلاسـل الحديديـة. وهـو يقـع في محافظـة عينتـاب ضمـن وادي خصيـب عـلى السـفوح الشرقيـة لجبـال الأمانـوس حـوالي 110 كـم شـمال أنطاكيـة و60 كـم جنـوب جبـال طـوروس، وهـو مدينـة يـأدي أو شـمأل (الشـمال) التـي عُرفـت ببيـت جبـاري التـي ذاع صيتهـا خـلال عـصر الحديـد سـيما بـين 1000 و 725 ق.م قبـل أن تفقـد سـيادتها عـلي يـد المملكـة الآشـورية الحديثـة. تنقـب في الموقـع منـذ عـدة سـنوات بعثـة أمريكيـة بعدمـا كانـت قـد نقبـت فيـه بعثـة ألمانيـة بـإدارة فـان لوشـان بـين 1888 و 1902م، حيـث تـم الكشـف عـن الكثـير مـن المنشـآت التحصينيـة والمعابـد والقصـور وبعـض النقـوش الكتابيـة الآراميـة، وقـد تميـزت المدينـة بطابعهـا الثقـافي المختلـط الآرامـي والحثي/اللـوفي.

270 Kreuzer، 1995، p. 101-115.

271 تيكسيدور، 2007، ص 135.

وملك أرفاد[272] يرد فيها ذكر عدد من الآلهة: "أمام مردوخ[273] وزربانيد وأمام نابو[274] وتشمت... وأمام نركال ولايس، وأمام شمش ووير، وأمام سين نيكّال (إله وإلهة القمر)[275] ، وأمام نكار وكديعة، وأمام حدد حلب وأمام كل إلهة روحبا، وأمام سيبيتي وأمام إيل وعليون وأمام السماء والأرض والينابيع وأمام النهار والليل». ويلاحظ أن كل أسماء الآلهة التي جاءت في هذه المعاهدة معروفة ما خلا اسمين: نكار وكديعة الزوجين، وتأتي في المقدمة آلهة ما بين النهرين الكبرى زوجاً زوجاً، ثم يأتي حدد حلب الذي كان معبده قريباً من هناك ثم سيبيتي (الإله سبعة)، ويليه إيل وعليون إلهة كنعان الكبرى، وفي ختام اللائحة تأتي السماء والأرض والينابيع ثم النهار والليل، حقائق الكون المادي المؤلهة. وقد يكون ذلك تحت التأثير الحثي. وتعكس اللائحة صورة الأوساط المختلفة التي احتك بها الآراميون[276].

272 أرفاد: مدينة قديمة يعتقد أنها تقع في تل رفعت 35 كم شمالي غرب حلب على طريق عفرين، نقبت في الموقع بعثة تشيكوسلوفاكية، ثم بعثة بريطانية خلال الستينيات من القرن الماضي، كشفت الكثير من المنشآت واللقى الأثرية العائدة لعصر الحديد.

273 كان اسم مردوخ في الأصل السومري (أمار- أوتوك) ويعني عجل إله الشمس الفتي، ثم شاع اسمه المعروف مردوخ. ويفسر اسمه (مار - دوكو) على أنه ابن الإله دوكو. ويعود صعوده لقمة الهرم الإلهي في المجمع البابلي لأسباب سياسية محضة. انظر: أدزارد، 2004.

274 نبو: إله أكادي ظهر بداية على شكل نبيوم، ثم تحول لنابو، وهو ابن مردوخ والإلهة صربنيتو (الفضة اللامعة)، من صفاته أنه كان إله الكتابة، وحامي حمى الأدباء، والمدافع عنهم. وبهذا يكون قد اكتسب صفة الحكمة، وتحول من إله محلي صغير إلى إله كوني. ظلت عبادته قائمة حتى العصر السلوقي، ووصلت إلى تدمر. يرمز له بالقلم، وبصفته كاتباً فإنه كان يحتفظ بألواح القدر، وهذا يعني أنه كان يتحكم كإله رئيس بمقدرات الكون، فانتزع بذلك أسماء مردوخ الحسنى في المدائح الإلهية، ووصف في أحد أناشيد العصر الآشوري بمفجر الينابيع، ومانح الخصب والنمو للمزروعات، وهذه من صفات الإله إنكي إله الحكمة والمياه العذبة، وربما كان يمثل اتجاهاً جدياً في تكوين الديانة التوحيدية منذ القرن الثامن ق.م، حيث تذكر كتابة على أحد التماثيل في نهاية النص»أثق بنابو ولا أثق بغيره من الآلهة «. انظر: أدزارد، 2004.

275 نيكّال: إلهة سومرية، ظهر اسمها في بلاد الرافدين على شكل نينجال، ويعني السيدة الكبيرة، وهي زوجة إله القمر السومري نانا؛ والأكادي سن؛ وأم إله الشمس. انتقلت عبادتها لسورية منذ نهاية الألف الثالث، وأصبحت تعرف بنيكّال، وقد ذكرت في نصوص أوغاريت ضمن قصيدة مديح عندما تم تزويجها من إله القمر (يرخ)، كما ورد اسم الإلهة مركباً على شكل (نيكال- إب) مرتين، ويفسر القسم الثاني أنه مشتق من الأصل الأكادي (إينو) ويعني الخصب. انظر: أدزارد، 2004، ص248.

276 سومر، 2007، ص 139.

في زنجرلي (شمأل) أيضاً، يظهر حدد وهو يعطي لبنموا الأول صولجان وراثة العرش. هذه الوظيفة لحدد ربما ترتبط بمؤهلات حدد الملك، التي وجدت في الأسماء الآشورية الحديثة في مجموعة «أدد ميلكي» وفي اسم «إم ملكي مو» في نيبور الاخمينية، وتعني حدد الملك المعطي[277]. وقد احتل إله الطقس وبجلاء المكانة الأولى ضمن مجمع الآلهة سواء في النقوش الكتابية الآرامية أو اللوفية. وقد أطلقت عليه تسمية (تارخونت/ تارخونزا) في النصوص اللوفية، إلا أنه لا بد وأن يؤخذ في الاعتبار تداخل في تكوينات محلية كثيرة: أشهرها شكل التجلي لإله الطقس في حلب، الذي تمتع بتقديس تفصيلي في الألف الثاني ق.م. فصور على ما يسمى شاهدة - بابل كإله يمسك بيده اليسرى حزمة برق، ويحمل في يمناه إسفين الرعد. من الواضح في كلا النقشين الكتابيين أن الموضوع يتعلق بإله الطقس الحلبي. لكن الأهم بالنسبة لموضوعنا؛ تلك النصوص التي تتعلق بهذا الإله، فإذا ما ذكر في النصوص الآرامية واللوفية على حد سواء، فإن ذلك يعد دليلاً جلياً على أنه لم يكن في الأصل لا لوفياً ولا آرامياً، وإنما لجأت إليه كلتا الجماعتين، وجعلته مطابقاً لإله الطقس الخاص بهما[278]. ونعلم من كتابة كيلامو أن الإله الخاص بجبار/جبرا، مؤسس سلالة شمأل، كان (بعل - صمد)، كما كان إلهُ من خَلَفَهُ (بمه) هو(بعل - حمان). وقد تكون هذه الآلهة من الآلهة المحلية الصغيرة، غير أنه من المحتمل أن يشير اللقبان إلى الإله الأعظم (بعل) نفسه في مناسبات دينية مختلفة. وهكذا ترسخت زعامة إله العاصفة في ديانة آراميي شمأل[279].

وقد عُبدَ في دمشق حيث كرس معبدها له، كما اتخذ ثلاثة ملوك

277 Lipinski، 2000، p. 631.

278 Hutter، 1995، pp. 117-118.

279 سومر، 2007، ص 137.

اسماً مشتقاً من اسمه: بر – حدد الأول والثاني، وحدد عيزر. لقد احتفظ حدد في مجمع الآلهة الآرامية بتلك المنزلة التي شغلها بعل في مجمع الآلهة الكنعانية، كما عبد تحت أسماء مختلفة، فعلاوة على رامان (المرعد) عُرف بـ «إيل وير» الذي ورد في نقش زكير، إضافة لاسمه كحدد حلب[280].

ويعرفنا الفقيه السوري لوقيانوس السميساطي (125 - 190 م)، في كتابه (في الآلهة السورية)، على المعبد الذي كرس لهذا الإله في هيرابوليس، إذ يصفه لنا بعد زيارته له بنفسه، ويصف الحفلات التي شاهدها بأم عينه. تقدم هذه الشهادة الديانة السائدة آنذاك بعناصرها الجوهرية، ومنها أن الإله المعبود هناك كان حدد إله العاصفة. ونلاحظ أنه كان ذا حظوة لدى الآراميين، وكان له قرينة في هيرابوليس هي الإلهة (عترغاتيس)، إلهة الخصب الكبرى المماثلة لعشتار ما بين النهرين، ولعشتار - أشترتي إلهة الفينيقيين، و(عناة) الإلهة الكنعانية القديمة[281].

وعبده الناس في دوليشي الواقعة في مقاطعة كماجينا (في الشمال الشرقي من شمأل). وكان لإله دوليشي الكبير أنصار وعباد في المملكة كلها وظلت عبادته مستمرة حتى العصر الروماني، فعُبِدَ تحت لقب (جوبتر دوليشي نوس)، وهناك عدد كبير من الكتابات والآثار تشهد بانتشار عبادته التي دخلت مع الكتائب الرومانية حتى إلى إفريقية وإلى بريطانيا[282].

وفي تل آفس، حيث وجد النصب الشهير لزكير ملك حماة ولعش، لا بد أنه كان هناك معبد قديم للإله وير (وكانو يكتبون أيضاً اسمه مير) إله العاصفة الكبير المماثل لحدد، وقد أقام الملك نصبه إكراماً لإله

280 Hutter، 1995، pp. 118.

281 سومر، 2007، ص 134.

282 سومر، 2007، ص 138.

هـذا المعبـد، ولكـن الغريـب أن الكتابـة تشـيد ليـس بذكـر ويـر، بـل بذكـر بعـل شـمايين (أي رب السـماء) ويبـدو أن بعـل شـمايين ليـس إلا ويـر نفسـه، وأن اللقبـين يطلقـان عـلى نفـس الإلـه وهـو حـدد بعـل، وقـد ظهـر لقـب بعـل شـمين لأول مـرة في بيبلـوس المدينـة الفينيقيـة في كتابـة ترتقـي، حسـب الـرأي السـائد اليـوم إلى نحـو 1000 ق.م وربمـا أتى مـن فينيقيـا إلى حـماة. فقـد عبـد الآراميـون حـدد في سـورية الداخليـة، وعبـد الفينيقيـون بعـل شـمين عـلى سـاحل المتوسـط. ويمكـن أن يكـون المقصـود مـن تحالـف إلـه السـماوات الفينيقـي مـع إل ويـر (حـدد) في نقـش زكـير هـو نـوع مـن الإجـراء السـياسي ليكسـب الملـك إلى جانبـه تحالـف بعـض السـكان[283].

ويظهـر هـذا الإلـه في الأسـماء الآراميـة الشـخصية بـشيء مـن الاختـلاف فـيرد: حـدد، دد، حـد، د. ويعـزا الاختـلاف إلى ضعـف في لفظ الأحـرف الخارجة مـن الحنجـرة. وهنـاك دليـل عـلى ورود اسـم حـدد بالأسـماء الشـخصية الآراميـة، إذ ذكـر اسـم نـور حـدد حاكـم نصيبـين حـوالي 900 ق.م في عهـد أدد - نِـراري الثـاني. وقـد ثبـت وجـود الاسـم (حـدو، حـدد) في الأسـماء الملكيـة في القـرن التاسـع، وذلـك في كل مـن أرفـاد ودمشـق وجـوزن. كـما كـرس التمثـال في تـل الفخيريـة للحاكـم حـد يسـعي، وقـد نصـب هـذا التمثـال في مدينـة سـيكاني أمـام معبـد إلـه طقـس جـوزن. كـما اسـتخدم اسـم رامـان "المرعـد" في أسـماء السـكان بـدلاً مـن اسـم حـدد. رغـم أنـه كإلـه لم يـرد اسـمه في النقـوش الآراميـة حتـى الآن، لكنـه ورد في الأسـماء الشـخصية في بعـض النصـوص[284].

وقـد كانـت بيـت زمـان مـن المناطـق التـي عبـد فيهـا رامـان، وهـذا واضـح مـن اسـم «بـر رامـان» ابـن رامـان الـذي حكـم حـوالي 879 ق.م. ومـن المعـروف أن الآشـوريين أطلقـوا الاسـم الآرامـي بـر رامـان عـلى العـام 847

283 تيكسيدور، 2007، ص 135.

284 Lipinski، 2000، p. 627.

ق.م، وهناك موقع بلدة في الشمال اسمها بيت رامان، وهي منطقة على حدود أرض بيعت عام 672 ق.م من قبل «دانايا» وكيل حاكم الرسابا (الرصافة)[285].

ومن الأدلة على استخدام الاسم في الكتابة الآرامية ختم يعود للقرن الثامن ق.م كتب عليه «رامان الصالح»، كما وجدت عدة أسماء وأجزاء من اسم رامان خلال الفترة الآشورية والبابلية الحديثة. كما ورد في الحقبة الفارسية في نقش تاياما اسم «رمنتن RMNNTN» وتعني (رامان أعطى)، ووجد في بابل رقيم عليه كتابة تعني «رمان هو مخلصي» وعلى نفس الرقيم كتب اسم الشيخ بالآرامية «رمن يليا RMN YLY».

ورامان الرعد المتلألئ أو الطيران السريع، وهو يعني بشكل صريح البرق الخاطف. وقد فهم فيلون الجبيلي «رامان» بالإله العالي، وهو المظهر الأساسي لحدد الذي هو إله العاصفة له علاقة بالرعد، وهو مرتبط بتوقع المطر والخصوبة، ويبدو هذا واضحاً من خلال نقش الفخيرية.

نفس المظهر لإله العاصفة يدل على «بعل السماء» والذي يشير إلى ظهور الإله في السموات بمعناه الرعدي والبرقي. هذه الوظيفة لبعل السماء ظهرت لاحقاً في تدمر، وحتى الثور وهو الحيوان الذي يرمز لبعل ارتبط به بعملة المدينة[286]. كما استمرت عبادته في بعلبك (بعل بقاع)، وعرفت انتشاراً واسع النطاق في العصرين الهيليني والروماني، ولكن؛ تحت تأثير دافع التوحيد المنتشر آنذاك، اندمج إله العاصفة القديم بالإله الشمس: فاتخذت المدينة اسم هليوبوليس أي (مدينة الشمس). وعرف العالم الروماني الإله السوري تحت اسم «جوبيتر هليوبوليتانوس»[287].

285 Lipinski، 2000، p. 628.
286 Lipinski، 2000، p. 630.

287 سومر، 2007، ص 141.

ربما تركبت ملامح إله العاصفة الحلبي الذي كان يعبد من قبل الحثيين اللوفيين، من «تارخونزا TARHUNZA» الإله الحثي ومن حدد. وقد ارتبط في منطقة الأمانوس التي سكنها هؤلاء خلال عصر الحديد مع هذا الإله الأكبر "تارخونزا"، كما عرفت له عدة معابد منها معبد "ايما IMMA".

وقد جاء ذكر حدد في النصوص ثنائية اللغة الآشورية الآرامية التي جاءت من منطقة حران وتتعلق بحدد جوزن. وفي نقش تل الفخيرية (بالنسخة الآرامية) ظهر باسم "حدد سيكاني" أو "حدد المقيم في سيكاني"، في حين أطلقت عليه النسخة الآشورية «أدد المقيم في جوزن» و"أدد المقيم في سيكاني". ويلمح أكثر من نص آرامي لوجود معابد محلية منها معبد حدد في «معالانا MA`ALLANA»، وعرف من خلال إرسالية من القصدير توجب دفعها لشخص اسمه حراني، كما أودعت كمية من الفضة في معبد محلي، ونسبت لحدد «فضة حدد». مع الحذر هنا، فمن الممكن أن تكون لهذه المواد علاقة بالمعبد المركزي، الذي كان في جوزن أو سيكاني. ونُّنوه إلى أن الإلهة «شو والا ŠUWALA» تظهره قرينة لحدد في جوزن وسيكاني[288].

يرفع حديسعي حاكم سيكاني وجوزن في نقشه المعروف، امتنانه إلى حدد سيكاني، ويمجده في النسختين (الأرامية والآشورية) في صيغة غالباً ما تستخدم في تمجيد أداد في النقوش الأكادية في بلاد ما بين النهرين. ويلقب الإله بمفتش مياه السماء والأرض والذي يسكب الخصب، ويمنح المرعى والحقول الندية إلى كل البلدان، وحدد هو الذي يمد الآلهة إخوته بالسكينة والرزق، وهو رب سيكانو العظيم إله رحيم، رب تضعه خصائصه الإلهية فوق الآلهة الآخرين، ويجعله البشر إلهاً للعاصفة، وإلهاً

288 Lipinski، 2000، p. 636.

للطقس[289] "دمية حد يسعي التي نصبها قدام حدد سكن. جوجل (أي سيد أو مراقب) السماء والأرض، منزل الخيرات، ومعطي (ومنبت) الرعي. ومسقي البلاد كلها، ومعطي السلوة والشراب. لكل الآلهة أخوته. جوجل (أي سيد أو مراقب) الأنهار كلها ومجمل (مسعد) البلاد كلها. إله رحيم، الذي صلاته طيبة. ساكن. سكن (مدينة سيكاني) السيد رب حد يسعي ملك جوزن بن سسنوري (شمس نوري) ملك جوزن لتحيا نفسه ولتطول أيامه...»[290].

ونرى مكانة إله جوزن حدد، المرموقة عند الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني في حولياته: "إلى الإله أدد مراقب قناة السموات والعالم السفلي، الذي يرسل المطر بغزارة، الذي ينبت المراعي ويسقي الناس في كل المجتمعات، الذي يزود المعبد بحصته وبالتقدمات للآلهة أخوته، مراقب قنوات الأنهار، الذي يجلب الرخاء إلى الجهات الأربعة، الإله الرحيم الذي يكون خيراً في الصلاة له، الذي يقيم في مدينة جوزنو السيد العظيم سيده»[291].

وقد نقش آشور ناصر بال الثاني اسمه في معبد حدد في جوزن، والهدف على ما يبدو كان طلب الرعاية والحماية: "كل من يمحي اسمي من أثاث معبد الإله حدد، سيدي، ربما الإله حدد لا يقبل خبزه ولا ماءه (تقدماته). ربما يبذر ولايحصد ربما يبذر الألف ولا يكسب إلا الواحد، ربما مئة من نعاجه لا تستطيع إطعام خروف واحد. ربما مئة من أبقاره لا تستطيع إطعام أكثر من عجل واحد. ربما مئة أم لا تستطيع إطعام طفل واحد. ربما مئة خباز لا يستطيعون ملئ تنور واحد. ربما يكون جامع نفايات والذي يعيش على النفايات. ربما الأمراض (التي تدعى)

289 تيكسيدور، 2007، ص 132.
290 أبو عساف، 1982، ص 41.
291 Grayson، 1996، p. 391.

(ديـو، شـيبتو، ديليبتـو DILIPTU ŠIBTU DI`U) لا تتوقـف في أرضـه»[292].

في المناطـق التـي دانـت بالسـيطرة لآشـور أو كانـت حـواضر لهـا، نشـاهد بعـض الأعـمال الفنيـة التـي تعكـس بعـض التصـورات والاعتقـادات الدينيـة المتشـابهة للسـكان، ومنهـا المنحوتـة التـي عـثر عليهـا في تـل الشـيخ حمـد، والتـي وجـدت في القاعـة B في بيـت هيـلاني، وهـي تصـور إلـه العاصفـة ولـه قـرون وتـاج مشرشـب يهـم بالـضرب ماسـكاً فأسـاً بيـده المرتفعـة اليمنـى، وبجانـب الـرأس إشـارات الآلهـة انليـل، سـيبيتو، عشـتار، سـين، وحـدد. إن وجـود إلـه الطقـس هنـا يوضـح أصلـه. إن نمـوذج هـذه المنحوتـة وتركيبهـا الفنـي آشـوري إلا أنـه لا نظـير لهـا في الفـن الآشـوري، باسـتثناء وحيـد في نينوى[293].(الشـكل 26).

2 ـ إيــل

اسـمه هـو الأكـثر شـيوعاً ضمـن الأسـماء الآراميـة في الألـف الأول ق.م وهـذا يعكـس الاهتـمام الكبـير بطقـس إيـل، وقـد عـرف في كل منطقـة



الشكل رقم (26)
منحوتة تل الشيخ حمد

292 Grayson، 1996، p. 391.
293 Kuhne، 2009، p. 52 &: Bobtaz، 1998، p. 121.

المشرق القديم كما رأينا.

يذكر إيل في نقش معاهدة السفيرة ويرد اسمه بعد حدد حلب والكواكب السبعة ال «سبتي SIBITTI“ قبل عليون: «والعهود هذه التي أبرمها برغاية قدام... ملش وقدام مردوك وزرفنت وقدام نبو وتشمت وقدام إر ونوسك وقدام نرجال ولص وقدام شمش ونور وقدام سن ونكال وقدام نكار وكدأه وقدام كل آلهة رحبة وأدوم... وقدام حدد حلب وقدام سبتي وقدام عليون وقدام السموات والأرض وقدام مياه اللجة والينابيع وقدام النهار والليل شهوداً»[294].

وفي نقش بنموا بن قرل ورد ذكره ثانياً بين مجموعة الآلهة بعد حدد، في حين جاء بعده رشف وراكب إيل وشمش[295]. (راجع نص بنموا في الباب الرابع - تقديس الأسلاف عند الآراميين).

يقف حدد منفرداً وغالباً ما يذكر وحيداً، في حين يوجد سبب يوضح حضور رشف في هذه المجموعة «رشف وقفت معي». الآلهة الثلاثة الآخرون يرأسهم إيل ويظهرون كثالوث منظم. ويظهر الإله الثاني «كسيد للسلالة» يحمل اسماً بمعنى «سائق إيل“، ويلفظ راكب بي RA KAB BI. ويفترض هذا الاسم أن الثالوث المؤله في شمأل يُصور كفريق مؤلف من ثلاثة رجال على عربة فيهم آمر للفريق وسائق والشخص الثالث حامل للدرع. هناك مفهوم مستمد من فكرة قديمة؛ وهي أن الشمس عبارة عن دولاب يدور عبر السموات[296].

وهنا كاسم إلهي مركب من إيل وير ”WER - IL“ إله زكير ملك حماة ولعش. ولا يوجد شك أنه هو الإله الرافدي إيل مير الذي عرف مع إله العاصفة. وإذا ما كان «إيل وير» إله الحبوب مثل دجن، فمن

294 إسماعيل، 2001، ص 225.
295 إسماعيل، 2001، ص 300.

296 Lipinski، 2000، p. 615.

الطبيعـي أنـه يعـرف مـع إلـه العاصفـة موزعـاً الـري الطبيعـي بشـكل أمطـار[297]. كـما يـرد ذكـر إيـل في نقـش قـره تيبيـه الفينيقـي حيـث ينسـب أزتـود جميـع النعـم المتدفقـة عـلى مملكتـه وشـعبه إلى فضـل بعـل ورشـف وبعـل شـميم وإيـل[298].

وهنـاك إشـارة لأهميـة إيـل نجدهـا في نـص كيلامـو (825 ق.م) باعتبـاره إلهـاً للبيـت الحاكـم، يمكـن أن تحـدد حتـى الآن بصـورة عامـة فقـط. وقـد أضيـف الاسـم إلى الفعـل ركـب المعـروف جيـداً خاصـة في الكتابـات الشـمالية الغربيـة، ويعنـي (سـافر) أو (امتطـى)، وبذلـك تعنـي راكـب كصيغـة اسـمية: المسـافر/فارس إيل/الإلـه، ويفهـم مـن ذلـك أنـه الإلـه الحامـي للسـلالة الحاكمـة. ويبـدو لنـا أننـا مـع الإلـه الحامـي للسـلالة الحاكمـة أمـام عنـصر آرامـي خـاص. فراكـب - إيـل يرمـز إلى الآلهـة الفعالـة العاملـة عـلى مسـاعدة الحاكـم، أو بالأحـرى القيـام بهـذا الجانـب مـن قبـل الآلهـة.

إن اسـتخدام اسـم إيـل في الكثـير مـن الأسـماء الشـخصية، وبشـكل واسـع في المجتمعـات الآراميـة، وكل مشرقنـا القديـم، ليـدل عـلى الشـعبية الكبـيرة التـي حظـي بهـا هـذا الإلـه في تلـك الفـترة.

أخـيراً تتجـلى أهميـة راكـب - إيـل في العلاقـة بـين الإلـه والبيـت الملـكي ثانيـة في النقـش الكتـابي (كيلامـو، حيـث ذكـر راكـب - إيـل كسـيد لبيـت الملـك) فتسـمية السـلالة الحاكمـة (بيـت) توجـد كـما ذكـر آنفـاً في أسـماء دول آراميـة كثـيرة[299].

ويشـهد مجمـع آلهـة شـمأل (زنجـرلي) بـدوره عـلى تعـدد مماثـل للآلهـة، فذكـر كل مـن حـدد وإيـل ورشـف وراكـب - إيـل وشـمش، وفي لائحـة بنمـوا الثـاني ورد حـدد وإيـل وراكـب - إيـل رب البيـت (السـلالة الحاكمـة) وشـمش

297 Lipinski، 2000، p. 617.

298 البستاني، 1985، ص 110 و146.

299 Hutter، 1995، pp. 137-138.

وكل آلهة يأدي. فنرى أن حدد يأتي دوماً في المقدمة ثم يليه إيل الإله الكنعاني ويتبعه راكب - إيل (أي عربة إيل) ويظهر أنه إله من المرتبة الثانية، ولكنه يحتل في شمأل مكانة مرموقة بصفته رب البيت أي رب السلالة المالكة أو البلاط[300].

وقد أعطي له هذا اللقب كذلك في كتابة كيلامو الفينيقية الكبيرة التي فيها أظهر الملك برراكب، واسمه يعني ابن راكب، وهو مختصر لراكب - إيل، أنه من عباد هذا الإله. ولكننا نلاحظ أن كتابة تمثال حد يسعي تعطي الأسبقية مرة واحدة لاسم رشف على اسم الإله راكب - إيل، وهو يأتي بعد إله العاصفة، وبجانبه كمساعد له، أو كقائم مقامه. وأخيراً يأتي (شمش) الإله الشمس، وهو إله العدالة، ونجده في كل المعابد الرئيسة في الشرق القديم.

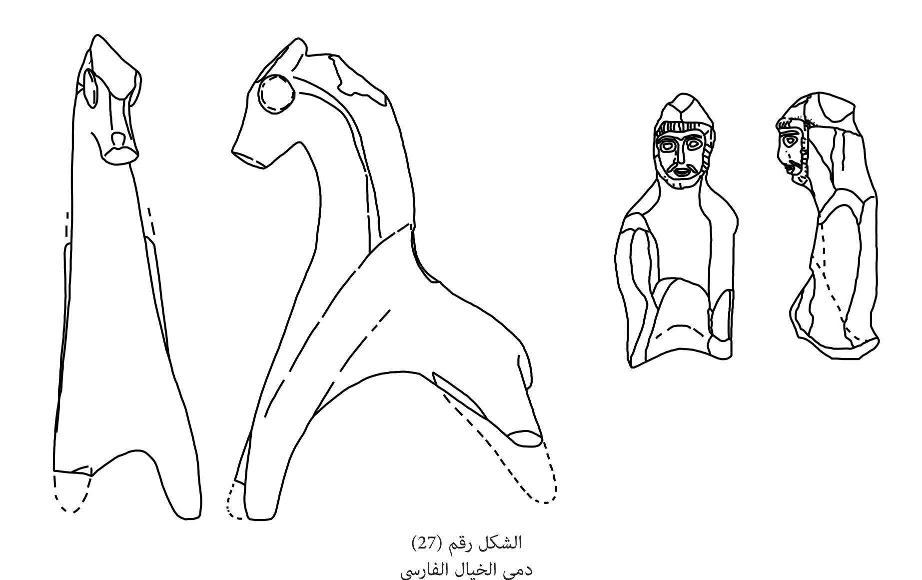
وهناك نقش بارز للملك برراكب يصور لنا الهلال فوق رأس العاهل ومع هذه الكتابة: (سيدي بعل حران). ونعلم أن بعل حران وسيد حران ليس إلا (سين) الذي كان له معبد شهير في حران[301].

انتشرت نماذج من الدمى الطينية المصنوعة باليد، في سورية بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر ق.م، وهي تمثل فرساناً تمتطي صهوات الخيول. ومثلها دمى الخيّال الفارسي أو الإخميني التي تظهر بشكل واسع في العديد من المواقع الأثرية، وقد جاءت مع فترة السيطرة الاخمينية، وظلت منتشرة حتى العصر الهلنستي[302]. وقد رأى فيها بعض الباحثين تعبيراً عن عقيدة دينية، وتمثيلاً لآلهة ما، فهل يمكن ربط هذه الدمى مع صورة الإله راكب إيل؟. (الشكل 27).

300 سومر، 2007، ص 136.

301 سومر، 2007، ص 137

302 وليامز، 1967، ص 173



الشكل رقم (27)
دمى الخيال الفارسي

3 ـ شهر

هـو إلـه القمـر شـهر، أو سـهر، أو سـحر، الـذي ورد ذكـره في إبـلا تحـت اسـم «سـا نـو جـا رو SA NU GA RU“، كـما ورد في نـص مـن إيمـار يتعلـق بمهرجـان اكتـمال القمـر[303]، أمـا في أوغاريـت فقـد عـرف باسـم ياريـخ (يـرخ).

اكتسـبت عبـادة إلـه القمـر شـهرة واسـعة في حـران وعـبر اقليـم مـا بـين النهريـن السـوري، ولكـن النقـوش الآراميـة تصـور أسـلوباً متنوعـاً للحيـاة الدينيـة في هـذه الأراضي: فتكشـف شـواهد القبـور التـي تمثـل كاهنـين لإلـه القمـر اكتشـفت في النـيرب (جنـوب شرق حلـب) ويعـود تاريخهـا للقـرن السـابع ق.م، أن الكهنـة حملـوا أسـماءً أكاديـة مركبـة تحتـوي في أحـد شـطريها عـلى الاسـم سـن، ولكنهـم عبـدوا هـذا الإلـه تحـت الاسـم (السـامي) الغـربي شـهر/ سـهر أو شـحر الـذي يعنـي اسـمه السَّـحر[304].

أصبـح إخـلاص الشـعب الآرامـي لإلـه القمـر (تحـت كل الأسـماء) معلـماً

303 Lipinski، 2000، p. 623.

304 تيكسيدور، 2007، ص 133.

بـارزاً للتديـن في سـورية الشـمالية، ولاسـيما عندمـا خضعـت المنطقـة للحكـم البابـلي بعـد تدمـير الإمبراطوريـة الآشـورية[305].

وتـدل الكثـير مـن الأعـمال الفنيـة والنقـوش الحجريـة المكتشـفة عـلى مكانـة هـذا الإلـه في العديـد مـن المناطـق السـورية حيـث كان يرمـز لـه بالهـلال. ففـي شـمأل (زنجـرلي) وعـلى اللوحـة التـي تحمـل نقـش بـر راكـب الجالـس عـلى العـرش، نجـد تصويـراً للملـك وخادمـه وبجانـب رأس الملـك الأيمـن تظهـر رمـوز إلهيـة منهـا خـوذة ذات قرنـين، رمـز الإلـه حـدد، ونـير عربـة، رمـز الإلـه راكـب إيـل، ونجمـة خماسـية ضمـن دائـرة وقـرص الشـمس المجنحـة رمـزا الإلـه شـمس، والهـلال رمـز الإلـه سـين سـيد حـران[306].

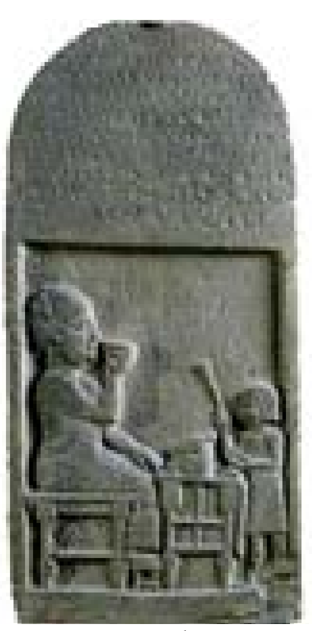
مـن الملفـت للانتبـاه، ورغـم ورود رمـز إلـه القمـر، أنـه لم يذكـر ضمـن مجموعـة الأسـماء التـي سردت في بعـض نقـوش شـمأل، باسـتثناء القليـل منهـا، لكنـه حظـي بالتأكيـد بأهميـة كـبرى، كـما يبـين ذلـك نقـش برراكـب مـع خادمـه (الكاتـب) المؤلـف مـن سطر واحـد هـو «مـري بعـل حـران»، ومعنـاه سـيدي هـو بعـل حـران. فبعـل - حـران هـو إلـه القمـر الشـهير في حـران، وهـو يحتـل هنـا مكانـة إلـه السـلالة الحاكمـة، حيـث يذكـر في أمكنـة أخـرى راكـب - إيـل ومـن المحتمـل أن التطابـق بـين راكـب إيـل وسـن مـا هـو إلا تعبـير عـن ولاء برراكـب للآشـوريين، إذ لعبـت حـران وإلههـا سـن دوراً مهـماً لديهـم. إلا أنـه يجـب ألا يغـرب عـن البـال سـواء بالنسـبة لشـمأل، وحـران أيضـاً، الأهميـة الكـبرى للقمـر، ويمكـن أن يفـترض أيضـاً أن سـن وراكـب - إيـل متطابقـان، ولذلـك يوجـد عـلى شـاهدة برراكـب زوجـان مـن الآلهـة، حـدد وإيـل وراكـب - إيـل (القمـر) وشـمش (الشـمس)[307].

لقـد كان بعـل حـران هـو سـين إلـه القمـر، وقـد كانـت حـران مدينتـه المقدسـة، عـلى الأقـل منـذ بدايـة الألـف الثـاني ق.م. وقـد عُبـد هنـاك مـع

305 تيكسيدور، 2007، ص 134.
306 إسماعيل، 2001، ص 281.
307 Kreuzer، 1995، p. 623.

الإلهـة نيـكال وابنهـا الإلـه نوسـكو[308]. كان لشـعائر سـين ونوسكو/نُشـك مـكان بـارز في الديانـة الآرامية في مناطـق الرافديـن العليـا وشـمال سـورية، كـما يظهـر مـن خـلال الكثـير مـن الأسـماء الآراميـة الأصيلـة المتداخلـة مـع عنـاصر مـن أسـماء آلهـة[309].

ويبـدو أنـه كان مـن أهـم الآلهـة في منطقـة النـيرب بحلـب التـي أطلـق كهنتهـا عليـه تسـمية «شـين زيـر ابنـي šin zer ibni " و»شي جبـار ši gabbar"، والعمـل الرسـمي كمـر شـهر (كاهـن شـهر)[310].


الشكل رقم (28)
كاهن معبد الإله شهر

وتـبرز أهميـة الإلـه سـين في هـذا النقـش لـورود ذكـره في أول مجموعـة أسـماء الآلهـة: سـهر وشـمش ونيـكال ونشـك. ونيـكال هـي زوجـة إلـه القمـر أمـا نشـك فهـو ابن هـذا الـزواج الإلهـي[311]. كـما يـرد في نقـش الكاهـن اسـم الإلـه شـهر وهـو يشـير لسـين: "شـاجبار كاهـن الإلـه شـهر في نـيرب، هـذا تمثالـه، بفضـل إخـلاصي تجاهـه، سـمَّاني اسـماً جميـلاً، وأطـال أيامـي، في اليـوم (الـذي) مُـتُّ (فيـه) مـا توقـف فمـي عـن نطـق كلـمات... أيـاً تكـون أنـت (الـذي) سـتؤذيني، وتحركنـي، ليـت شـهر ونـكال ونشـك يعـسرون، مماتـه. وتفنـي ذريتـه"[312]. (الشـكل28).

وصُفـت الغنيمـة التـي أخذهـا الآشـوريون عـام

308 نوسـكو: إلـه سـومري تـسرب للديانـة الأكاديـة بنفـس الاسـم، وهـو معـروف عـلى أنـه ابـن ووزيـر الإلـه انليـل، ويظهـر في النصـوص الأكاديـة إلهـاً للضـوء والنـار، وكان يسـتدعى في التعاويـذ التـي نشـأت بعـد العـصر البابـلي القديـم لحـرق السـحرة والمشـعوذين، وارتفعـت مرتبتـه الإلهيـة في مدينـة حـران خـلال العـصر الآشـوري الحديـث، ليصبح معروفـاً بابـن إلـه المدينـة الرئيـس سـن إلـه القمـر. انظـر: أدزارد، 2004: قامـوس الآلهـة والأسـاطير.

309 إسماعيل، 2001، ص 315.

310 Lipinski، 2000، p. 621.

311 سومر، 2007، ص 138.

312 أحمد، 2000، ص 55، وانظر: إسماعيل، 2001، ص 319.

833 ق.م من معبد إله القمر في مالاخا، على أنها جاءت من معبد شهر. كما ذكر شهر في نقش زكير، والمنحوتة البازلتية المكتشفة عام 1994م في تل آفس ربما تعود لنفس النمط، وقد نحتت مع نجم فوق هلال القمر. كما ظهر شهر أيضاً في وثيقة بيع آرامية تعود للقرن السابع ق.م يتم فيها استلام أحصنة بيضاء كانت مكرسة لشهر كفدية فرضت على إثم مرتكب. كما جاء بصيغة اللعن على نص قضائي آرامي، كما ذُكر مؤخراً ضمن نقوش جاءت من «كيسي تشيك كويو KESECEK KOYU» وفي «غوزني GOZNE»، حيث يظهر سوية مع إله الشمس[313].

ويذكر نص دير علا الطيني شاجار، إلى جانب ذلك يظهر «شجر sgr" كاسم آرامي للقمر على كأس برونزي الشكل وجد في غرب إيران، في منطقة لورستان. وتم تأريخها بالقرن الثامن ق.م، وقد زخرف داخلها بشكل كامل بالنجوم والأبراج، كتبت أسماؤها أحياناً بنقوش آرامية قصيرة، مثل «شمش šmš" (شمس)، "شجر šgr" (قمر)، "قرّ تيمن qrr tymn" (سائق الجنوب)، "ر ش شر r'š šr" (رأس الثور). وقد كتب اسم "شجر" فوق صورة مشتركة لقمر مكتمل وهلال. لا توجد آثار على طقوس لـ "شجر" في العالم الآرامي القديم، باستثناء نقش دير علا، لكن هذا الطقس مثبت في العصر الإغريقي الروماني، حيث يظهر في دورا أوروبوس، بصيغة ابن شجر[314].

انتشرت عبادة هذا الإله لتصل إلى منطقة عين العرب وسهل الساروج حيث أرسلان طاش، وبالقرب منه نحو الشمال الشرقي يقع تل الحاجب الذي عثر فيه ضمن أحد بيوت المدينة السفلى على كتلة عليها مشهد نحت على حجر لوزي دياباس (ارتفاعه 26 سم، وعرضه 30 سم، وعمقه 23 - 28 سم)، يوجد عليه هلالان كل منهما على منصب قصير،

313 Lipinski، 2000، p. 621.

314 Lipinski، 2000، p. 623.

يقومـان عـلى قاعـدة متطاولـة، ربمـا رمـزت قاعدتـا القمـر الاثنتـان إلى إلـه القمـر ومرافقتـه[315]. كـما ورد إلى متحـف حلـب نصبـان مـن حجـر البازلـت عـثر عليهـما في صريـن (بالقـرب مـن عـين العـرب) عـلى أحدهـما مشـهد عربـة يقودهـا رجـلان، ومـن دراسـة أسـلوب النحـت فيـه، نـرى أنـه مشـابه لمنحوتـات الدولـة الآشـورية ويمكـن ضمـه إلى مجموعـة المنحوتـات المكتشـفة في أرسـلان طـاش (خدو/خداتـو) في متحـف حلـب الوطنـي. أمـا النصـب الآخـر فهـو بحجـم الأول وقـد نقـش عليـه رمـز إلـه القمـر (سـن) وهـو عبـارة عـن هـلال يرتكـز فـوق رمـز آخـر للإلـه مـردوخ[316]

هنالـك مـا يرجـح وجـود صـلات دينيـة بـين الآراميـين في حـران، والقبائـل العربيـة في ديـدان وتيـماء في شـمال الجزيـرة العربيـة. ويذكـر أحـد المصـادر المتعلقـة بإخضـاع الولايـات الآراميـة لسـيطرة الملـك الآشـوري أدد نِـراري الثـاني (911 - 891 ق.م) وجـود ثلاثـة مشـايخ تيمائيـين في المنطقـة، كـما أن الإقامـة الطويلـة لنابونيـد (والمحتمـل أنهـا لدافـع دينـي) في تيـماء لا يمكـن إلا أن تقوي هـذه الروابـط. وتثبـت النقـوش الآراميـة مـن القـرن السـادس ق.م المكتشـفة في تيـماء صحـة هـذا، حيـث اكتشـفت غالبـاً رؤوس ثـيران مـع النقـوش، وهـذا يـدل عـلى وجـود عبـادة القمـر بـين الشـعوب متكلمـي الآراميـة في الصحـراء العربيـة[317].

في نهايــة القــرن الســابع ق.م وطّـنَ نابـو - بـولا صر (625 - 605 ق.م) ونبوخـذ نـصر (604 - 562 ق.م) البابليـين في البلـدان المتعـددة التي أخضعوها. وعـرف الديـن فـترة ازدهـار في ظـل نابونيـد آخـر ملـوك بابـل، حيـث أعـاد بنـاء معبـد سـين في حـران الـذي دمـره الميديـون عـام 610 ق.م عندمـا سـحقوا الحاميــة الآشــورية في المدينــة. ومــن كلــمات نابونيــد نفســه وكلــمات أمــه

315 أينفاك، 2005، ص 152

316 خياطة، 1999، ص 132.

317 تيكسيدور، 2007، ص 134.

كاهنة الإله في الحرم، نفهم أن سن هو ملك الآلهة. وباستثناء نابونيد والملك الآشوري آشور بانيبال (668 - 627 ق.م) الذي أقام في حران، لم يعرف عن ملك آشوري أو بابلي آخر أنه منح رب حران هذه الصفة (ملك الآلهة) التي كانت تمنح إلى الإلهين آشور ومردوك[318].

كما ورد اسم سين في عدد من النصوص التي اكتشفت في موقع سلطان تبه الواقع إلى الشمال من حران بحدود 20 كم (ربما كانت مدينة حوزيرينا المعروفة في الحوليات الآشورية)، وكان أكثرية سكانها من الآراميين. وهذا يتوافق مع المعلومات التي جاءت فيما عرف بـ «إحصاء حران»، وهي مجموعة من النصوص لها علاقة بمدينة كانو (يجب أن تكون مجاورة لحران).

وهناك نصوص تعود لعصر شارو نوري، ومانو زيري، يتعلق أحدها (S.U. 52\36) باتفاقية بين طرفين موضوعها دفع دين بوجود شهود: "من ناشوخ غوريني.... من المرأة التي بيعت.... (أَمَتَهُ) مع ثلاثة روتو (مقياس ربما كان أقل من ذراع) هم لناشوخ غوريني، سيع - رابي، ابن سين - زكيب - كينا حق مكتسب لأربع شيقلات من الفضة»، ويمكن ربط اسم سين بإله القمر في حران[319]، كما يرد اسم سين في النص (S.U. 52\44)[320].

4 ـ شبش

شبش أو شمش آلهة الشمس، وهي في أغلب الأحيان إلهاً ذكراً، وقد كانت تمثل السفر والجَوَلان في السماء في سفينة تشبه القارب أو العربة أو الفنجان.

نادراً ما ذكرت في النقوش الآرامية خلال الألف الأول، مما يدل على

318 تيكسيدور، 2007، ص 134.

319 Finkelstein، 1957، p. 141.

320 Finkelstein، 1957، p. 143.

أنـه لم يكـن لهـا دور بـارز خـلال هـذا الوقـت، لكـن في نقـش ديـر عـلا الجصي، نجـد مـا يفـترض أن إلهـة الشـمس تسـبب كسـوف الشـمس، ولهـذا فـإن لهـا تأثـيرات مشـؤومة، وتملـك القـدرة عـلى تحـدي قوانـين الطبيعـة عـلى الأرض. أمـا في نقـوش شـمأل؛ فيبـدو أن إلـه الشـمس كان ينتمـي لمجمـع إلهـي جـاء ترتيبـه متأخـراً دائمـاً بينهـم، وقـد ضـم هـذا المجمـع كـما ذكرنـا: حـدد وإيـل ورشـف وراكـب إيـل وشـمش[321]. وفي نقـش بـر راكـب الثـاني يـأتي أخـيراً: "فليـت حـدد وإيـل وراكـب إيـل، سـيد البيـت، وشـمش وكل آلهـة يـأدي يرضـون عنـي أنـا ابـن بنمـوا»[322]. ولكنـه كان ضمـن فريـق العربـة السـماوية المقدسـة، لا بـل ربمـا جسـد العربـة الشمسـية نفسـها، حـين كانـت الشـمس تظهـر في المنحوتـات الفنيـة كـدولاب يـدور في السـماوات.

في نصـوص أخـرى ومنهـا نقـش زكـير، ونقـوش النـيرب وكيسيشـيك كويـوك وغـوزني، ذكـر إلـه الشـمس ببسـاطة مـع إلـه القمـر، بينـما يـرد في نصـب السـفيرة شـمش ضمـن مجموعـة آلهـة بـلاد الرافدين (ملـش ومـردوك وزرفنت ونبـو وتشـمت وإر ونوسـك ونرجـال ولـص وشـمش ونـور وسـين ونـكال ونـكار وكـدأه). ولا واحـد مـن هـذه النصـوص كشـف خصائـص الشـعائر المكرسـة لإلـه الشـمس، والتـي مـا تـزال غامضـة[323].

الوضـع ليـس مختلفـاً جـداً في محيـط حـران نهايـة القـرن الثامـن، حيـث ظهـر شـمش في عـدد مـن أسـماء الأعـلام الآراميـة، وردت في إحصـاء حـران السـكاني، حيـث نجـد «سـمسي إيـابي» بمعنى شـمش المعطـي، و«سـمسي إيدي ري» بمعنـى شـمس هـو معينـي، والاسـمان كلاهـما آراميـان. وهناك«سـمسي دينجـير أ» بمعنـى شـمش إلهـي، وهـو اسـم أكادي.. وفي أرسـلان طـاش وجـدت منحوتـة تعـود للقـرن التاسـع صنعـت مـن العـاج والذهـب، وهـي تمثـل ولادة

321 إسماعيل، 2001، ص 299.

322 إسماعيل، 2001، ص 308.

323 Lipinski، 2000، p. 624.

إلـه الشـمس، حيـث نجـد إلهـين مجنحـين حارسـين يحمـلان الزنبـق في أيديهما، وبينهـما نبتـة اللوتـس التـي يجلـس إلـه الشـمس الصغـير عـلى زهرتهـا، وهـو تقليـد للتصـور المـصري القديـم حيـث يلـد هـذا الإلـه كل صبـاح مـن جديـد. وزهـرة اللوتـس المتفتحـة، والتكويـن، وحركـة الخطـوط، والكثـير مـن الملامـح مسـتمدة مـن نماذج الفـن المـصري، والتـي يُعـد التـاج المـزدوج، وذنـب البقـر الطويـل لـكلا الحارسـين الإلهـين، مـن علامـات الأبهـة والعظمـة الملكيـة في مـصر، أمـا المئـزر فهـو قطعـة لبـاس مـن الـشرق الأدنى[324].

وسـادت عبـادة هـذا الإلـه بقـوة في أرسـلان طـاش (خـدو)، كـما انتـشرت الأسـماء الشـخصية التـي يدخـل في تركيبهـا اسـمه إضافـة لاسـم إيـل، وهـذا مـا نلاحظـه في أحـد نقـوش الموقـع، حيـث ينبؤنـا النـص بـأن شـخصاً اسـمه شـمش إيـل، هـو الـذي بنـى مدينـة خدو/خداتـو وجعـل أبوابهـا مـن خشـب الأرز الشـهير، وزيـن بواباتهـا ورصـف شـوارعها، كـما ورد في السـطرين الثـاني والثالـث، وعمـد الكاتـب إلى وضـع كلمـة (بشـنته) بعد السـطر الثالث، وبسـطر خـاص، والتـي تعنـي بأيامـه أو بعهـده؛ أي بعهـد شـمش إيـل أنـره بلـصر. وأمـر بنصـب أربعـة أسـود مـن حجـر البازلـت، تزيـن بوابتـي الدخـول والخـروج وتحرسـها، ونظـن أن بوابتـي الدخـول والخـروج هـما البوابتـان المتقابلتـان في الـشرق والغـرب، أمـا في الأسـطر الثلاثـة الأخـيرة، فقـد أوكلـت إلى الـرب شـمش حراسـة وحمايـة المدينـة إلى الأبـد، واسـتجار أنـره بلـصر بالـرب آشـور عـلى كل مـن يمحـي اسـم أنـرة - بلـصر وينقـش اسـمه محلـه، عندهـا تحـل عليـه لعنـة وغضـب الـرب آشـور، ونجـد في السـطر الأخـير تضرعـاً للـرب حـدد الـذي بيتـه بـكار شـلمنصر، أن يبسـط عـلى المنطقـة العـز والفـرح طيلـة حياتـه[325].

انتـشر هـذا الاسـم أيضـاً في جـوزن في الجزيـرة السـورية في تـل الفخيريـة، حيـث ورد في نقـش حديسـعي ثنـائي اللغة اسـم شـمش نـوري ملك جـوزن[326].

324 كوملاير، 1985، ص159.
325 أبو عساف، 2003، ص 34.
326 إسماعيل، 2001، ص 171.

ويـرد ذكـر هـذا الحاكـم أيضـاً في أحـد نصـوص الملـك الآشـوري آشـور - نـاصر بـال الثـاني «أدد إيتـي ADAD IT`I“ حاكـم مدينـة جـوزن ابـن شـمش نـوري (الـذي كان) أيضـاً حاكـماً للمدينـة، الـذي نـذر وكـرس هـذه الأشـياء مـن أجـل حياتـه، لتكـون أيامـه أطـول، وسـنواته أكـثر، ولسـعادة عائلتـه، نسـله، والنـاس، لطـرد المـرض مـن جسـده، لعـل صلواتـه تلقـى الاسـتجابة، لعـل كلماتـه تلقـى القبـول (مـن حـدد)[327].

تتضمـن روايـات أحيقـار مـن القـرن السـابع ق.م عـدة إشـارات لإلـه الشـمس «شـمش» عـلى أنـه العدالـة الإلهيـة ورب الإراقـة العظيـم، ورب الحكمـة، ورب الحراسـة. هـذه الملامـح تـوازي شـخصية شـمش في الأدب الأكادي ونصوصـه الشـعائرية، وتعـد انعكاسـاً لمفهـوم إلـه الشـمس الآشـوري البابـلي[328].

زودتنـا دراسـة الأسـماء الآراميـة في العصـور الآشـورية والبابليـة الحديثـة والإخمينيـة بعـدد جديـد مـن الأسـماء الشـخصية التـي ترتبـط بشـمش، وهـي أسـماء مثبتـة في النصـوص المسـمارية التـي وجـدت في بـلاد مـا بـين النهريـن، حيـث لعـب شـمش فيهـا دوراً مهـماً في طقـوس العبـادة الآشـورية البابليـة، وقد لمـس ذلـك لاحقـاً في تدمـر وحـضرا. لم يـرد ذكـر لاسـم شـمش في برديـات وادي الداليـة، والقليـل منهـا وجـدت في وثائـق آراميـة جـاءت مـن مـصر. كـما وردت أسـماء مثـل «شـمش لـك ŠMŠLK“ و“شـمشي ŠMŠY“ بشـكل صريـح في بعض مـن النقـوش الفينيقيـة، وممـن حمـل هـذا الاسـم الصانـع الرئيـس للسـفن في ممفيـس وهـي المهنـة التـي تعـزز الخلفيـة الفينيقيـة لهـذا الاسـم[329].

327 Grayson، 1996، p. 391.

328 Lipinski، 2000، p. 625.

329 Lipinski، 2000، p. 24-624.

5 ـ عتــر

لعبـت عـتر دوراً مهـماً في الديانـة الآرامية، ولها دور إلـه نجمـي. ظهـرت مرتبطـة مـع «شـجر» ومـع «شـمش» في ثالـوث واضـح. وفي الجنـوب العـربي كانـت عـتر إلهـاً ذكـراً للعاصفـة الرعدية، ومـوزع الـري الطبيعـي عـلى شـكل المطـر، ذكـرت معـه كقرينـة لـه «كـروم Krwm»، وظهـر عـدد مـن الأسـماء المرتبطـة بـه، منهـا اسـم شـيخ قبيلـة في لاقـي في وادي الخابـور بصيغـة بـر عـتر، وكذلـك في عـتر سـمك ملـك أرفـاد. وجـاءت ضمـن اسـم «عـتر أمـو»، كما حملـت طبعـة ختـم تعـود للقـرن الثامـن ق.م اسـماً آرامياً هـو «بـر عـتر» أي ابـن عـتر، وهنـاك ختـم اسـطواني آرامـي باكـر لخـادم «عـتر السـموات» يـؤرخ للقـرن التاسـع وجـد في جبلـة السـورية، يصـف مالكـه نفسـه بخـادم «عـتر السـموات» وهـو يحمـل اسـم «بـرق»، وهـو يشـير بوضـوح إلى إلـه الرعـد والـبرق الـذي كان يخدمـه، وقـد نحـت الاسـم فـوق حيـوان مضطجـع هـو نفسـه الحيـوان المقـدس الـذي يرمـز لعـتر في الجنـوب العـربي[330].

في مقاطعـة بيـت أجـوشي لا توضـح المصـادر التـي في حوزتنـا عـما كان يحتويـه مجمـع آلهـة أرفـاد العاصمـة مـن الآلهـة. إنما نعـرف كـما ذكرنـا اسـم متـع إيـل في نقـوش السـفيرة التـي يتضمـن معاهـدة سياسـية بـين مملكتـي كتـك وأرفـاد ممثلتـين بملكيهـما برجايـة ومتـع إيـل: عهـود برجايـة ملـك كتـك مـع متيـع إيـل بـن عـتر سـمك ملـك أرفـاد[331]. لقـد حمـل الاسـم والـد ملـك أرفـاد، متـع - إيـل هـذا الـذي يعتصـم بحبـل إيـل ولكنـه يشـير أيضـاً لتعبـده للإلهـة عـتر. ومـن الأكـثر احتـمالاً أن يكـون حـدد معبـوداً أيضـاً في أرفـاد بجانـب عـتر[332].

وفي حـران الواقعـة عـلى نهـر البليـخ، وجـدت وثيقـة آشـورية مهمـة مـن

330 Lipinski، 2000، p. 610.

331 إسماعيل، 2001، ص 225.
332 سومر، 2007، ص 138.

القرن السابع ق.م، وهي نوع من سجل الأملاك تطلعنا على أسماء سكان المقاطعة، وتورد عدداً من أسماء أشخاص آراميين - وهي في أغلبها مركبة من أسماء الآلهة المعبودة، ومنها عتر وإيل الإله الكنعاني الكبير، ونبو أحد آلهة بابل الكبرى، وشمش (إله الشمس) وسين (إله القمر) الذي له معبد في حران منذ أقدم العصور، ولابن الإله سين وهو نشك[333].

وفي مصر تكشف الأسماء الآرامية الشخصية عن عبادة بعل وشمش ونرجال وعتر، بالإضافة إلى آلهة المصريين[334].

يبدو أن ترابط الديانة السورية استمر حتى الوجود السلوقي في القرن الرابع ق.م، وتظهر عبادة الإله الأعظم مهما كانت تسميته (بعل -ح بل - حدد - بعل شمين) أكثر توحداً. ومن المحتمل أن هذا حصل بعد عبادة زيوس من قبل الملوك الجدد. وقد جاء من بلدة كفر يوسف قرب عكا لوح من الحجر الجيري يعود للقرن الثاني ق.م يحمل نقشاً إغريقياً نقرأه كالآتي: "إلى حدد وعتر غاتيس الإلهان اللذان يصغيان إلى المصلي ديودوتس ابن نيو تبوليموس"[335]. وهذا يشير بوضوح لاستمرار عبادة عتر بجانب حدد في المنطقة حتى وقت متأخر.

6 ـ رشف

عبد رشف في شمال سورية منذ الألف الثالث ق.م ولعب هناك دوراً مهماً في الطقوس الدينية[336]. وكان أحد الآلهة الرئيسة في إبلا ولا سيما رشف عداني هذه المدينة التي تعرف كتابتها بشكل عدانيدو[337]. ويُعد رشف إلهاً كنعانياً معروفاً، ويعده المصريون إله البرق واللهيب، وهو

333 سومر، 2007، ص 136.

334 تيكسيدور، 2007، ص 136.

335 تيكسيدور، 2007، ص 136.

336 Lipinski، 2000، p. 617.

337 أركي، 1980، ص 95.

أبولـون عنـد اليونـان[338]، ومرتبتـه بعـد إلـه العاصفـة[339]. كـما اعتـبر هـذا الإلـه لاحقـاً إلهـاً للطاعـون وللشـفاء والعـالم السـفلي، ولكـن أيضـاً صاحـب الخـير[340].

في شـمأل كان الإلـه رشـف مـن أهـم أعضـاء المجمـع الإلهـي، ويبـدو أنـه كان ضمـن أحـد أهـم خمسـة آلهـة في المنطقـة، وهـذا مـا نجـده واضحـاً مـن نقـش بنمـوا بـن قـرل: "لقـد قامـت معـي الآلهـة حـدد وإيـل ورشـف وراكـب إيـل وشـمش. وأعطـت بيـدي الآلهـة حـدد وإيـل وراكـب إيـل وشـمش ورشـف عصـا الحكـم»[341]. لقـد جـاء ترتيـب رشـف ضمـن هـذا النص في البدايـة ثالثـاً بعـد حـدد وإيـل ثـم جـاء خامسـاً، كـما ورد ذكـر هـذا الإلـه في نقـوش قـره تبـه[342] ومـن الواضـح أنـه كان ذا مكانـة كبـيرة فيهـا:

"أنـا هـو أزتـود بـر كبعـل، عبـد بعـل الـذي رفعنـي أورك ملـك الدنيـين، جعلنـي بعـل للدنيـين أبـاً وأمـاً، أحييـت الدنيـين وسّـعت أرض عمـق أدنـه مـن منبثـق الشـمس وحتـى مغربهـا وكان بأيامـي كل سـعد للدنيـين وخـير ونعيـم..... وبنيـت هـذه المدينـة وجعلـت لهـا اسـم أزت ودي لأن بعـل ورشـف ص ف ر م أرسـلاني لبنائهـا فبنيتهـا بفضـل بعـل وبفضـل رشـف ص ف ر م في خـير وفي نعيـم وفي اسـتقرار وهنـاء"[343].

ولا بـد مـن الإشـارة إلى أمـر ملفـت، وهـو عـدم ورود اسـم رشـف ضمـن

338 أبولـون (أو أبولـو) هـو أكـثر آلهـة الأسـاطير اليونانيـة انتشـاراً وأسـماهم منـزلة بعـد أبيـه زيـوس، أمـه ليتـو وأختـه التـوأم أرتميـس. وترجـح الأسـاطير أنـه ولـد في جزيـرة ديلـوس (في بحـر إيجـه)، وانطلقـت عبادتـه منهـا إلى اليونـان وآسـيا الصغـرى، ويقـال أنـه بنـى أسـوار طـروادة بيديـه، ونـاصر الطرواديـين. بينـما نـاصر بقيـة الآلهـة الإغريـق، وكانـت لـه وظائـف متعـددة فقـد عُبـد في البـدء إلهـا للشـمس، ولقبـه فيبـوس أي السـاطع.

339 سومر، 2007، ص 76.

340 تيكسيدور، 2007، ص 133.

341 إسماعيل، 2001، ص 299.

342 قـره تبـه: هـو موقـع مدينـة أدنـة الآراميـة القديمـة الواقعـة في قضـاء كيليكيـة، التـي ادّعـى ملكهـا أزتودي بـر كعبـل (القـرن الثامـن ق.م) أنـه هـو المؤسـس للمدينـة، وافتخـر ببنائهـا، وجعـل اسـمها أزتـودي، ليعـش سـكانها بأمـان وبسـعادة ورفـاه طيلـة فـترة حكمـه.

343 البستاني، 1985، ص 119ـ120.

تركيب الأسماء الشخصية لدى السكان الآراميين، دون أن يُعرف السبب، رغم الأهمية التي يحظى بها ذاك الإله بينهم.

لقد وصلت عبادة هذا الإله السوري إلى مصر خلال عصر الدولة الحديثة، وعُدَّ فيها رباً حامياً ضد الأمراض والشر، ورباً للحرب والرعد، ومعيناً للملوك في حروبهم. وحمل لقب (المُنصت إلى الصلوات)، وهو من ألقاب المعبود «بتاح»، كما حمل لقب (الرب العظيم). ويظهر رشف أو رشب في هيئة آدمية لرجل يضع قلنسوة مخروطية الشكل على رأسه، ويحمل درعاً ورمحاً في يده اليسرى، ودبوس قتال في يمناه. وكان رشف يصور وهو يلوح بمختلف الأسلحة لابساً تاج الصعيد الأبيض، وفوق الجبهة قرنان، أو رأس غزال كامل[344]. وقد عُبِدَ في بلاد الرافدين أيضاً حيث عرف هناك بنيرغال[345] وعرف بأبوللو عند الإغريق[346].

7 ـ عشتار (عترغاتيس)

كانت عشتار (عترغاتيس) من الربات المشهورات في مجمع الآلهة الآرامي، غير أن دورها في الحياة الدينية لم يكن دائماً واضحاً، لأن ملامح الإلهات الأنثى الشخصية غالباً ما كانت ضبابية في النصوص.

يمكن التعرف على الأهمية الكبرى لعشتار من خلال وجودها بين الأرباب الثلاثة على بوابة القصر الملكي الآرامي في جوزن، حيث تقف الإلهة على ظهر لبوة. وفي معبد عين دارة عثر على منحوتة تصور الربة المحاربة عشتار، التي لم تكن محاربة فقط؛ بل هي ربة للحب والحرب، أو الربة الحامية، هذه هي نفس السمات المميزة لعترغاتيس المعبودة في فترة لاحقة في هيرابوليس، والتي عرفت بصورة مميزة بـ «دياسورية»[347].

344 نور الدين، 2009، ص369.

345 نيرغال: هو إله الجائحات والأمراض والعالم السفلي، وهو الإله الحامي لكوثاه مجمع الأشباح، كان له قرينة تسمى لاز، ولكن وبصفته سيد العالم السفلي، فقد كانت قرينته تدعى ايدش كيغال.

346 Beinkowski، 2000، p. 241.

347 Kreuzer، 1995، p. 101-115.

ونشاهدها في شمأل ضمن مشهد على ميداليتين متشابهتين، وتظهر واقفة على أسد رافعة يديها. ويشير العدد الكبير من القرون بأنها كانت ذات مرتبة رفيعة، وعرفت من خلال وجود النجم الكبير معها.

وقد ثبت في أرسلان طاش (خدو) عبادة الإلهة الكبرى عشتار، إذ ذكرت في أحد النقوش الكتابية كسيدة للمعبد، الذي بناه أو ربما جدده تيغلات - بليسرالثالث (745ـ727 ق.م)[348].

وفي نصوص سلطان تبه (النص S.U.51\44)، ذكرت ضمن مجموعة أسماء تضم إضافة لها اسم سين وبعل[349].

يبدو أن حماة[350] عاصمة العاصي خصصت مكاناً للعبادات الفينيقية المقربة للإلهة «بعلات»، وللإلهة الكبيرة «أشتارتي» (عشتاروت)، وأدونيس ابن هذه الإلهة أو حبيبها، وكانوا كل سنة يحتفلون بآلامه وموته وقيامته (انبعاثه)[351]. لقد ورد اسم الإلهة بعلات في حماة على كسرة من الفخار تحمل نصاً صغيراً هو: عبد الإلهة بعلة. ورغم عدم ورود الاسم في النقوش الآرامية الأخرى، لكنه كان له مماثل في نصوص أوغاريت الأكادية، والأسماء الأمورية في نصوص ماري. والإلهة بعلة هي إلهة الحب والخصب لدى الكنعانيين الفينيقيين، تركزت عبادتها في جبيل، وكان لها معبد هناك. ويبدو أنها تمتعت بمكانة مهمة في حماة، حيث تذكر كذلك

348 Kreuzer، 1995، p. 101-115.

349 Finkelstein، 1957، p. 143.

350 يقوم في قلب مدينة حماة تل أثري أبعاده 400×300م، إضافة لمنطقة المدافن في الجنوب والغرب، نقبت فيه بعثة دانمركية بين الأعوام 1931 - 1938م برئاسة الاستاذ انغولت Angult، حيث كشفت عن سويات أثرية تمتد من النيوليت (الألف السادس) إلى العصور الوسطى، وقد كان امتداد السوية الأقدم محدوداً على قسم من التل، أما خلال عصر البرونز القديم والوسيط فقد توسع السكن أكثر على التل. عثر على بيوت، وشوارع ضيقة، ومستودعات أسطوانية الشكل للحبوب، وقد عرفت المدينة خلال هذه المرحلة باسم أماتو أو حماتو ’Amatu، كما عثر على البلدة العائدة لعصر الحديد، وعثر على المقبرة، والبوابة، والأبنية العامة المزينة بمنحوتات الأسد، وقد تعرف الباحثون على هوية القصر والمعبد. للمزيد، انظر:

-The Assyrian Dictionary، 1961، Fourth Printing 1998، Vol، 21. (z)، Chicago (U.S.A)،p. 138.

351 سومر، 2007، ص 140.

في النقوش الحثية الهيروغليفية المكتشفة في حماة التي تعود للقرن الثامن ق.م[352]. إن ورود اسم هذه الإلهة في حماة بعد ذكرها في ماري وأوغاريت، يشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى استمرارية الثقافة الدينية عبر فترة طويلة من الزمن، ويشير إلى أصالة الكثير من عناصر تلك الثقافة التي نمت وتفاعلت ضمن حوض جغرافي كبير اسمه سورية، بحيث لم يكن مغلقاً أمام أي تأثير خارجي على الإطلاق.

عُبدت عترغاتيس سوية مع حدد، فهي متوجة على الأسود، بما يتطابق وصورة ميدالية عشتار المذكورة آنفاً، بينما يُتوّجُ حدد على الثيران، وعترغاتيس بالنسبة لهيرا بوليس هي الأهم بين كلتا الإلهتين، وهي ميراث الآراميين التي ورثوها مع معبدها.

والقسم الأول من اسم عترغاتيس؛ مشتق من اسم الملك عترسمك (عتر - حمى) والد متع إيل من أرفاد. وربما يكون اسمها من عشتروت وعناة، الذي يبين تقاليد الربة الأم وربة الحب والحرب؛ أو بالأحرى الربة الحامية.

لم تبلغ عبادة عترغاتيس عند الآراميين المستوى الذي بلغته لاحقاً في هيرا بوليس (منبج[353] حالياً)[354]، ومما يؤسف له أنه لا يوجد في هيرابوليس مكتشفات أثرية، بل أثبتت عبادة عترغاتيس بالنسبة للمنطقة من خلال الأدبيات والنقود فقط. وبحسب لوقيانوس (في كتابه الآلهة السورية)؛ فإن تمثالي حدد وعترغاتيس كانا يحملان إلى البحر في موكب مهيب مرتين في السنة، وكان يأتي الناس إلى المدينة المقدسة من كل أنحاء سورية، ومن الجزيرة العربية وحتى من وراء الفرات.

وفي نقش لاحق من دورا أوروبس تظهر عترغاتيس وزوجها يجلسان

352 إسماعيل، 2001، ص 193.

353 عرفت منبج خلال الألف الأول ق.م باسم نَبِّج Nappigu ودعاها الآشوريون «ليتا آشور Lita Assur»، وكانت تتبع لمملكة بيت عدين الآرامية، وعاصمتها تل - بارسيب (تل أحمر حالياً).

354 تيكسيدور، 2007، ص 138.

جنباً إلى جنب، ولكن عترغاتيس المحاطة بأسديها تبدو أضخم من حدد. وكما الحالة في هيرابولس فإن عظمة إله الطقس قد غطت عليها شعبية شريكته الأنثى.

تغير لفظ عناة في المصادر الآرامية المتأخرة إلى عتا وعتّ أو عت، وقد عثر في تدمر والمناطق المجاورة على مجموعات من الأسماء تتضمن اسم الإلهة بألفاظ وأشكال مختلفة، مثل (ع. ت. أ. م) أي عناة أمي، و (ع. ت. ن. ر)، و (ع. ت. ن. ر. ن) التي تعني عناة نوري، و (ع. ت. ك. ب. ر) أي عناة الكبيرة، و (ع.ت.ن.ت.ن) وتعني عناة أعطت، و (ز.ب.د.ع.ث) أي عطية عناة، و (ي. ك. و. ن. ع. ث) وتعني عناة قوية كالوجود. ويلاحظ أن اسم عت أو عث يلحق بالأسماء المركبة في أولها أو آخرها، ثم تتحول كلها في عصر لاحق إلى اسم مركب، تشترك فيه عناة وعشتار ويلفظ (عتر غاتيس)[355].

ويمكن أن يشاهد اليوم الرمز الأعظم للإلهة في تدمر على لوح من الحجر الجيري الضخم في معبد بل، وعلى اللوح يبدو بل في عربته يهاجم وحشاً، وتشهد على القتال ست ربَّات، إحداهن عترغاتيس التي تعرف من خلال السمكة عند قدميها، وهو تقليد فني يُصور عترغاتيس حورية بحر[356].

انتشرت تماثيل عشتار خلال الألف الأول قبل الميلاد، ونكاد نجدها تقريباً في كل المواقع العائدة لهذه المرحلة، وكانت ذات أشكال مختلفة، إذ ظهرت على شكل تصاوير رسمت على لوحات من الطين، أو دمى طينية مختلفة، بحيث صنعت بالقالب في أغلب الأحيان، وهذا كله يدل على الانتشار الواسع لعبادتها في سورية، وعلى تنوع الوظائف التي كانت منوطة بها.

355 أدزارد، 2004، ص229.
356 تيكسيدور، 2007، ص 138.

ليس من السهل الإجابة عن وظيفة الدمى والتصاوير الطينية الخاصة بعشتار، ولكن يفترض الباحثون أنها ربما كانت تمثل إلهة الخصب والحظ السعيد، وكذلك الحب والحرب. وهنا يجب أن نذكر أن تفسير الدمى العارية بالشكل المعروف «إلهة الخصب» يعود بجذوره إلى الماضي الذي يبدأ من القرن التاسع عشر ق.م، حين ظهرت الدمى النسائية المصنوعة بالقالب في العصر البرونزي الوسيط في شمال سورية، لكنها لم تصبح واسعة الانتشار إلا عند أواخر عصر الحديد والعصر الفارسي. وقد لوحظ أن الدمى النسائية بدأت بالتزايد في جنوب منطقة مشرقنا القديم منذ عصر الحديد الثاني[357]. ويمكن أن نفهم من هذا الدليل وبوضوح الزيادة في انتشار عبادة الإلهة عشتار في هذه المناطق، وتعلق الناس الشديد بها خلال هذه المرحلة.

نلاحظ نماذج مختلفة لدمى عشتار في أغلب المواقع العائدة لهذه المرحلة من تل آفس إلى تل رفعت (إعزاز) إلى عين دارة (عفرين) والمسطومة وتل دينيت (بإدلب)[358]، إلى منطقة الجزيرة السورية الشمالية والوسطى والجنوبية، كما في تل العبد حيث عثر على صفائح تمثل عشتارت وهي تحمل زهرة، أو بأوضاع أخرى[359].

وفي قبرص عُثر على وثيقة نذرية بمناسبة تدشين معبد مكتوبة باللغتين الفينيقية واليونانية، من أجل عناة ملجأ الأحياء، في حين يسمي النص اليوناني الإلهة أثينا سويترانيكه، ويعتقد الباحثون أن الإلهتين اليونانية والفينيقية في صفاتهما القتالية المشتركة ليستا سبباً في تبادل مراكزهما بل في تشابه لفظ الأسمين أيضاً[360].

نشير أخيراً إلى أن النصوص الآرامية أوردت عدداً آخر من أسماء الآلهة، بعضها محلي؛ وبعضها رافدي الأصل، وهذا يؤشر من جديد

357 Nishiyama، 1997، pp. 73-98.

358 شعث، 1990، ص 59.

359 البني، 1974، ص 55.

360 أدزارد، 2004، ص 230.

على انفتاح العقل الآرامي على كافة الثقافات، مثلما يشير إلى وحدة البنية الفكرية والثقافية التي كانت تجمع أبناء المشرق القديم خلال هذه المرحلة. و من هذه الآلهة: نكال ونشك اللذان ذكرا بعد شهر وشمش في نقش سين زر ابني بالنيرب، كما ورد ذكر أرق مع عدد من الآلهة في نقش بنموا الأول. ومنها الذي ورد في نقش السفيرة، مثل ملش ومردوك وزرفنت وبنو وتشمت وإر ونوسكك ونرجال ولص ونور ونكار وكدأه عليون وأنرت[361]. كما ذكر الإله ملقارت المعروف أكثر لدى مدن السواحل[362]. وذكرت إلهة أنثى حملت اسم شالا من الواضح أنه كان لها مكانة رفيعة في جوزن[363].

ـ الآلهة والتحالفات السياسية:

من المعتقد أنه كان للحياة الاقتصادية؛ وبالتالي السياسية التي عاشها الآراميون، دولاً وقبائل، انعكاس على الحياة الدينية لهؤلاء. إن التحليل الدقيق لا بد أن يقودنا إلى هذا الاستنتاج، فالأزمات السياسية، والنزاعات والتحالفات والاصطفافات والحروب ظهرت في النقوش المكتشفة، وفيها أسماء آلهة ربما لم يكن له من داع للظهور إلا الاستثمار السياسي.

لقد كان ذكر آلهة من أصول مختلفة شائعاً في النقوش، ولكن من المحتمل أن هذا التجمع يبدو كتحالف قام نتيجة اتحادات سياسية، حيث أن قبائل وجماعات مختلفة سوف تبتهل إلى آلهتها الخاصة من أجل أن تضمن عهودها المشتركة[364]. ونتذكر في هذا السياق نقش زكير ملك حماة ولعش (في محيط حماة) الذي يبدو أنه كان مغتصباً للعرش، وقام ضده التحالف الآرامي الشهير بقيادة ملك دمشق، في وقت وصلت

361 إسماعيل، 2001، ص 225.

362 إسماعيل، 2001، ص 156.

363 إسماعيل، 2001، ص 171 و190.

364 تيكسيدور، 2007، ص 134.

النــزاعات في هـذا الجـزء الغـربي مـن سـورية إلى حـد مأسـاوي، وذلـك في بداية القـرن الثامـن ق.م.

"النصـب الـذي أقامـه زكـير ملـك حـماة ولعـش لــ (إيـل ور) سـيده - أنـا زكـير ملـك حـماة ولعـش. رجـل وضيـع أنـا (كنـت) فأنقـذني - بعـل شـمين، وقـام معــي، وجعلنــي بعـل شـمين ملـكاً عـلى - حـزرك. فوحـد ضـدي بــر حــدد بــن حــزائي ملــك آرام - ســتة عــشر ملــكاً (هــم) بــر حــدد وجيشــه وبرجـش وجيشـه و - وملـك شـمأل وجيشـه وملـك ملـز وجيشـه وملـك -... وجيشـه وملـك... وجيشـه وسـبعة آخريـن، - هـم وجيوشـهم. وأقـام كل هؤلاء الملـوك حصـاراً عـلى حـزرك - ورفعـوا سـوراً (أعـلى) مـن سـور حـزرك، وحفـروا خندقـاً (أعمـق مـن خندقهـا) - فرحـت أرفـع يـدي إلى بعـل شـمين، و(بـدأ) يجيبنـي بعـل شـمين ويتحـدث - بعـل شـمين إلي بوسـاطة العرافـين وبوسـاطة الرسـل ويقـول - لي بعـل شـمين: لا تخـف لأننـي جعلتـك ملـكاً وأنـا - سـأقوم معـك، وأنـا سـأنقذك مـن كل هـؤلاء الملـوك الذيـن - فرضـوا عليـك حصـاراً. ويقـول لي بعـل شـمين... - كل هـؤلاء الملـوك الذيـن فرضـوا عليـك حصـاراً -... وهـذا السـور الـذي رفعـوا.."[365]

بعـد أن تحقـق للملـك زكـير مـا أراد، بـدأ بإيفـاء التزاماتـه تجـاه الآلهـة التــي آزرتــه وقــت الشــدة، وحمتــه ونصرتــه عــلى التحالــف الكبــير الــذي تشـكل ضـده، فبنـى لهـا المعابـد في كل مـكان تعبـيراً عـن شـكره الجزيـل لهـا، ويخبرنـا النقـش أن زكـير قـد أقـام نصبـاً لإلهـه إيـل ويـر، ليعـبر عـن امتنانـه لبعـل شـمين لمسـاعدته لـه في التخلـص مـن أعدائـه الآراميـين الكـثر:

"... حـزرك.... -.... للراكـب وللفـرس.... -.... ملكهـا بوسـطها. أنـا - بنيـت حـزرك (ثانيـة) وأضفـت - لهـا كل منطقـة - الحصـون، وأنشـأتها كمملكتـي - وأنشـأتها كأرضي وبنيـت - كل الحصـون أولاء في كل (مـكان مـن) مقاطعتـي

365 إسماعيل، 2001، ص 212.

- وبنيت بيوت الآلهة في كل (مكان من) - أرضي وبنيت... و - وبنيت آفس وأسكنت - الآلهة في بيت إيل ور - بآفس وأقمت قدام إيل ور - النصب هذا، وكتبت - عليه أثر يدي مآثري.... - من يزيل أثر - يدي زكير ملك حماة ولعش - من هذا النصب، ومن -يزيل هذا النصب من - قدام إيل ور، ويحركنه من - مكانه، أو من يرسل ابنه.... - ليقتل بعل شمين وإيل ور - و.... وشمش وشهر - و.... وآلهة السموات - وآلهة الأرض وبعل -... الرجل و - ابنه وكل نسله"[366].

في نص حثي لوفي من تل أحمر نجد صياغة مشابهة لنص زكير عند تعرضه للمشاق والصعوبات، فهنا الملك يبدأ بالصلوات إلى الآلهة لكي تحمي حكمه من أعدائه، وقد استجابت لصلواته وانتصر على أعدائه بفضل تدخلها:

"ولكني رفعت يدي إلى هذا الإله تارحو نزاس - وله أرتل بهذه الكلمات.... صلاة طويلة مفقودة -... ابنائي.... - (و) أنا بنفسي سأجعل بنات أعدائي عبيداً لهم - وهذا الإله تارخونزاس استجاب لي - فهو من أجلي أخضع أعدائي - وأنا حطمت رؤوسهم - وأبناءهم... - وبناتهم (جعلتهم عبيداً)»[367].

ويندرج ضمن هذا الإطار كل أنواع المعاهدات التي عقدها الآراميون بما فيها المعاهدات التي وقعها متع إيل ملك أرفاد الآرامي مع برجاية ملك كتك، وفي هذه الحالات لابد أن ترغم الآلهة على اتخاذ موقف يتماشى مع الموقف السياسي السائد، كما تستحضر آلهة بعيدة ربما للاستقواء بالقوى السياسية التي تبجل هذه الآلهة، كالآشوريين والحثيين وغيرهم:

"عهود برجأية ملك كتك مع متيع إيل بن عترسمك ملك أرفاد -

366 إسماعيل، 2001، ص 212، 213.

367 هوكنز، 1989،ص 275.

وعهـود، أبنـاء برجأيـة مـع أبنـاء متيـع إيـل، وعهـود كتـك مـع عهـود - أرفـاد، وعهـود سـادة كتـك مـع عهـود سـادة أرفـاد، وعهـود اتحـاد... - ومـع آرام كلهـا ومـع مـصر ومـع ابنائـه الذيـن سـيعتلون العـرش بعـده ومـع ملـوك - كل آرام العليـا والسـفلى، ومـع كل داخـل بيـت الملـك. والنصـب مـع هـذا النقـش - أقـام و(كذلـك) هـذه العهـود. والعهـود هـذه (هـي) التـي أبرمهـا برجايـة قـدام....- وملـش وقـدام مـردوك وزرفنـت وقـدام بنـو وتشـمت وقـدام إر ونوسـك - وقـدام نرجـال ولـص وقـدام شـمش ونـور وقـدام سـن ونـكال وقـدام - نـكار وكـدأه وقـدام كل آلهـة رحبـه وآدم.... وقـدام حـدد حلـب - وقـدام سـبتي وقـدام إيـل وعليـون وقـدام السـموات والأرض وقـدام ميـاه اللجـة - والينابيـع وقـدام النهـار والليـل شـهوداً. (يـا) كل آلهـة كتـك وآلهـة أرفـاد - افتحـوا عيونكـم لرؤيـة عهـود برجأيـة مـع متيـع إيـل ملـك - أرفـاد. وإن يغـدر متيـع إيـل بـن عترسـمك ملـك أرفـاد ببرجأيـة - ملـك كتـك، وإن يغـدر نسـل متيـع إيـل بنسـل برجأيـة - .. وإن يغـدر بنـو جـش......- (سـبعة كبـاش يجامعـون؟) شـاة فـلا تحبـل، وسـبع مرضعـات يدهـن أثداءهـن و... وإن يغـدر متيـع إيـل و - ابنـه ونسـله فلتكـن مملكتـه كمملكـة الرمـل، مملكـة الحلـم التـي يسـود (عليهـا) آشـور ليصـب (عليهـا) - حـدد كل مـا هـو شر في الأرض والسـموات وكل مـا هـو بـلاء، ويصـب عـلى أرفـاد حجـارة.... - الغـازي والعويـل. ولترسـل الآلهـة كل مـا هـو مفـترس إلى أرفـاد، ومـن شـعبها ليفـترس فـم»[368].

وفي معاهـدة ثانيـة لنفـس الملـك يسـتقوي بآلهـة الطرفين في سـبيل الحفاظ عـلى العهـد وحمايـة الاتفـاق: «عهـود كتـك مـع عهـود أرفـاد، وعهـود سـادة كتـك مـع، عهـود سـادة أرفـاد ومـع شـعبها، وعهـود آلهـة كتـك مـع عهـود، آلهـة أرفـاد، وعهـود الآلهـة أنفسـها التـي قـررت: بالخـير ليحكـم، برجأيـة إلى

368 إسماعيل، 2001، ص 225.

الأبـد ملـكاً عظيـماً. ومـن العهـود أولاء..... والسـموات، والعهـود، أولاء كل الآلهـة يحمونهـا، ولا تسـكت واحـدة مـن كلـمات هـذا النقـش، بـل تسـمع مـن عرقـو حتـى يـأدي وبـز، مـن لبنـان حتـى يـبرود، ومـن دمشـق حتـى عـرو ومـن.... ومـن البقـاع حتـى كتـك»[369].

369 إسماعيل، 2001، ص 242.

الباب الثاني:

المعابد السورية

المعابـد السوريـة

يرتبـط ظهـور المعابـد كأبنيـة مميـزة وكبـيرة بظاهـرة التمـدن، وظهـور بيئـه اجتماعيـة وسياسـية جديـدة.

ونظـراً لأنهـا كانـت تعـد بيوتـاً للآلهـة؛ فقـد شُـيِّدتْ في أماكن بـارزة ومهمة بالنسـبة للمحيـط، وفي الغالـب فقـد بُنيـت مـع القصـور الملكيـة، وذلـك فيـما يُعـرف بمنطقـة الأكروبـول، والأماكـن الأكـثر علـواً في المـدن والبلـدات، بالنسـبة لمسـاكن السـكان العاديـين. كـما بُنيـت خـارج المـدن، وفي السـهول، وأعـالي الجبـال، وهـذا ماحصـل خاصـة خـلال الألـف الأول قبـل الميـلاد.

لقـد كانـت الحاجـة الأولى للإلـه هـي وجـود معبـد كبيـت لـه، وقـد كانـت المعابـد الأولى ذات أبعـاد عاديـة بحيـث تـم بناؤهـا بشـكل متواضـع قبـل أن تتسـع وتصبـح ذات أبعـاد كبـيرة ضاهـت القصـور في عظمتهـا.

لقـد كانـت معابـد الحـواضر أبنيـة مسـتقلة حـرّة مـن جميـع الجهـات، وذلـك لتـترك المجـال واسـعاً للطائفـين حولهـا. أمـا المـواد التـي بُنيـت منهـا؛ فقـد تشـكلتْ مـن الحجـارة واللـبن والطـين والخشـب وأغصـان الأشـجار. ومـن الثابـت أن اسـتخدام هـذه المـواد يحتـاج لترميـم دائـم وتجديـد دوري، وهـي أعـمال تتطلـب جهـداً ومـالاً وفـيراً، وغالبـاً مـا كان ينـبري الحـكام والملـوك للتصـدي لهـذه المهمـة، رغـم وجـود موظفـين دائمـين مهمتهـم العنايـة الدائمـة بهـا. وقـد بـدت هـذه المعابـد في كثـير مـن الحـالات وكأنهـا بيـوت لهـؤلاء

الملـوك مـن خـلال مواظبتهـم عـلى إقامـة الطقـوس فيهـا، أو مـن خـلال الموظفـين والكهنـة الذيـن قامـوا بخدمتهـا وكان أهمهـم ينتمـى للعائلـة الحاكمـة، ولم لا..؟ فطالما كانـت أماكـن العبـادة أيـسر الطـرق لتمجيـد الحـكام وفـرض سـيادتهم عـلى الرعيّـة عـبر التاريـخ.

وفي مشرقنـا القديـم لم يكـن المعبـد مركـزاً عمرانيـاً فقـط، بـل شـكَّل مؤسسـة دينيـة وروحيـة للمملكـة، سـاعدت في خلـق حالـة مـن التآلـف بـين أفـراد المجتمـع بـكل فئاتـه وطبقاتـه، وذلـك مـن خـلال منظومـة مـن القوانـين والضوابـط التـي تمـت صياغتهـا عـبر المراحـل التاريخيـة.

اختلفـت أشـكال المعابـد بـين مـكان وآخـر، فمـن البنـاء البسـيط المؤلـف مـن غرفـة واحـدة، إلى المعابـد التـي وجـدت داخـل القصـور أو أُلحِقَـتْ بهـا، إلى المعابـد المعقـدة التـي كانـت تحتـوي عـلى العديـد مـن الغـرف المحيطـة بالحـرم المركـزي، والتـي كان لهـا فنـاء وردهـات وممـرات بسـيطة أو معقـدة.

لقـد شـاع في سـورية منـذ العصـور الباكـرة نمـوذج المعبـد الطـولاني (Antins) مـع بعـض الاختلافـات البسـيطة، والـذي كان قـد شـاع خاصـة في غـرب سـورية، بينـما كانـت المعابـد في منطقـة الجزيـرة ذات سـمة رافديـة[1]. وكان لهـذه المعابـد مذابـح مقدسـة تتقـدم مـا يُدعـى بقـدس الأقـداس، وهـو تجويـف توضـع فيـه تماثيـل الآلهـة أو الأشـياء التـي تمثلهـا، كـما احتـوت بعض المعابـد عـلى مصاطـب (بوديـوم)، أو عـلى مقاعـد تحيـط بجـدران الحـرم، أو بجـزء منهـا.

1 Akkermans & Schwartz، 2003، P. 325.

الفصل الأول: معابـد أوغاريـت

مازالـت الأبنيـة الدينيـة المكتشـفة في أوغاريـت، حتـى الآن، محـدودة جـداً ولا تتجـاوز الأربعـة أبنيـة، هـي معبـدا بعـل ودجـن والمعبـد الحـوري ومـا اصطلـح عـلى تسـميته معبـد الريتونـات، بينـما مـن المتوقـع أن يوجـد في المدينـة معابـد أكـثر بكثـير مـما تـم العثـور عليـه، لكـثرة آلهتهـا، وكـثرة الاحتفـالات والشـعائر التـي كانـت تجـري فيهـا إذا مـا صدقنـا النصـوص التـي جـاءت منهـا، والتـي تعطـي انطباعـاً واضحـاً أن آلهتهـا لعبـت دوراً كبـيراً في حيـاة سـكان أوغاريـت[2].

كشـفت التنقيبـات في أكروبـول المدينـة عـن معبديـن رئيسـين نُسـبا لبعـل ودجـن للعثـور قربهـما عـلى نصبـين حجريـين يخصّـان هذيـن الإلهـين. في الحقيقـة وللوقـوف عنـد هـذه النقطـة نُبـيّنُ أنـه ونتيجـة العبـث الـذي تعـرض لـه الموقـع بواسـطة الباحثـين عـن الكنـوز، فقـد تـم تحريـك الكثـير مـن الحجـارة مـن مكانهـا، ورغـم ذلـك فإنـه توجـد أهميـة كبـيرة للمنحوتـات الحجريـة التـي عـثر عليهـا في أمكنـة مجـاورة مبـاشرة للمعابـد، ومنهـا المسـلة المسـماة «مامـي»، وهـي تقدمـة للإلـه بعـل، فقـد وجـدت مجـزأة؛ بعضهـا في الحـرم، وبعضهـا الآخـر في الفنـاء. وهنـاك منحوتـات أخـرى، منهـا «صاعقـة بعـل». هـذه الأشـياء هـي التـي دفعـت المنقبـين الآثاريـين لإطـلاق اسـم معبـد بعـل عـلى هـذا المعبـد.

2 Yon، 1994، P. 405

تشكل المسلات جزءاً من القسم الشعائري المتحرك في المعبد، بعضها يجب أن يكون في الحرم، وبعضها الآخر في الهواء الطلق في ساحات الحرم حيث عثر على قواعد حجرية ربما خصصت للحفاظ على الهبات النذرية، كذلك الحال في الجانب الجنوبي الشرقي من المعبد المسمى «دجن»، الذي أثار شكوكاً فيما يتعلق بنسبته إلى دجن لأسبابٍ ليست معمارية وإنما دينية، فقرب المنحوتات من محيط الحرم لا يشكل برهاناً قاطعاً يجعلنا ننسب هذا المعبد له، لأن ما نعرفه عن الدين في أوغاريت لا يجعل من دجن إلهاً يضاهي بعل[3]، ولهذا يجب أن نترقب العثور على معبدٍ ثالث في منطقة الأكروبول. لكن يبقى المعبدان (بعل ودجن) من المعابد السورية الكنعانية المتميزة التي عثر عليها في إيمار، إبلا، حاصور، مجِدّو... الخ، وذلك بغض النظر عن الاختلافات الثانوية المعروفة بينها، ورغم الدمار الكبير الذي تعرضا له مع سقوط المدينة وذلك فيما بين 1195 ـ 1185 ق.م. (الشكل 29).

أولاً: معبد بعل

يُعدُّ معبد بعل، الذي شيد بداية الألف الثاني قبل الميلاد على منحدر الأكربول (المدينة العليا)، وبقي مستخدماً عدة قرون، أفضل معابد أوغاريت من حيث المحافظة على شكل البناء ووضوح مخططه. ويتألف المعبد من بناء متجمع على شكل برج تظهر فيه بقايا درج كبير، وكان بحكم موقعه يُرى من مسافة بعيدة في البحر فكان بمثابة نقطة علام للبحارة القادمين إلى مرفأ مينة البيضا قرب الموقع. لكن هناك من رأى في هذا الكلام مجرد فرضية كما سنبين فيما بعد. (الشكل30).

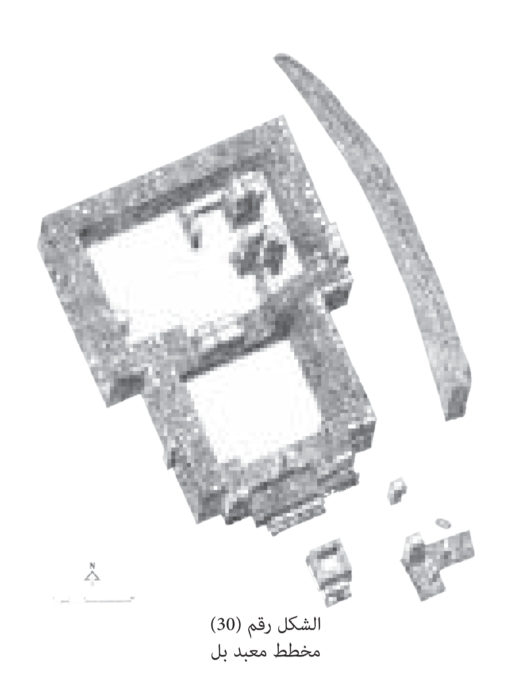
3 Yon، 1994، P. 406.



الشكل رقم (29)
مخطط أوغاريت

شيد المعبد فوق مصطبة بارتفاع 120 سم، أبعاده 22×16 م، وهو يتألف من حرم مربع الشكل تقريباً، يتقدمه مدخل كبير، ورواق يقل عرضه عن الحرم. أمام المدخل باحة كبيرة مسورة فيها مذبح مرتفع على نفس محور المعبد، وهو يغطي مع الأرض المقدسة التابعة له مساحة 850 متر مربعاً[4].

4 حيدر، 2010، ص 58.



الشكل رقم (30)
مخطط معبد بل

توجد في الجهة الغربية من البناء المذكور ملاحق سكنية ألحقت به بغرض الحماية، وهي تتوضع داخل السور الذي يُحدد المكان المقدس للبناء[5]. ويستدل من عمارة هذا المعبد، وسماكة جدرانه البالغة (170 سم)، أنه كان بناءً ضخماً على شكل برج عال مؤلف من عدة طوابق[6].

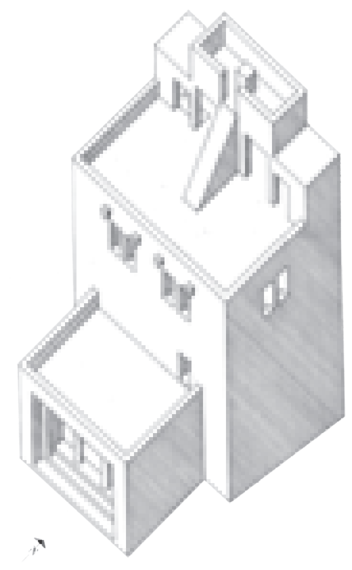
وجد في هذا المعبد عدد من الرقيمات الطينية التي تحمل نصوصاً، من بينها نص يشتمل على وصف لافت لقيام الآلهة ببناء معبد بعل بتشجيع من عشيرة، ويصف هذا النص كيف يقطع بعل أشجار الأرز كيما تستخدم في البناء، وكيف يقوم بعل عليان بفتح المنور أو كوة السقف، في حين تقوم وصيفة عشيرة بصنع الآجر وتشكيله، بل إن هذا النص يصف كيف جمعت عشيرة المال من أجل العمل، وأقامت خزينة للمعبد[7].

ويتناول نص آخر بعض الإصلاحات المتعلقة في الطقوس والممارسات التي كانت تتم داخل المعبد. فيذكر ضيق المكان لوضع الأعداد الكبيرة من الأضاحي (بقر، ماعز، غنم)، ووجود مشكلة في الصعود بالأضاحي

5 الدالاتي، 1980، ص 51.

6 محيسن، 1988، ص 269.

7 دونالد، 2007، ص 110.



الشكل رقم (31)
معبد بعل (مشهد تخيلي) - أوغاريت

أعلى إلى البرج، كما أن المعبد لم يعد يتسع لجميع من يدخله، من كهنة وزوار وأضاحي وتقدمات. ويتحدث نص آخر عن الأضاحي على قمة المعبد، حيث قام الملك بتقديم 40 أضحية من رؤوس الغنم، و7 أضاحي من البقر، وكان نقلها إلى السطح أمراً صعباً[8]. ولا تعتقد مارغريت يون أنه كان باستطاعة الملك ترؤس طقس الأضاحي لهذا العدد من الحيوانات التي كانت تجري على تراس المعبد، وذلك لصعوبة إدخالها عن طريق درج المعبد. فكان لا بد لهذا الطقس أن يتم حسب القواعد المألوفة في باحة المعبد، وفي وقت الغسق كان الملك يقدمها للإله على التراس[9]. وفي أسطورة قيرت؛ هناك مقطع يصعد البطل فيه إلى البرج ليقدم أضحية، ولكن النص لم يؤكد إن كان هذا الفعل قد حدث في معبد أو في قصر، رغم احتمال أن يكون الصعود لتراس القصر غير مستبعد[10]: "... اصعد إلى سطح المجدل (البرج)، وعلى سطح المجدل قف (اركب)، على متن (كتف) الجدار وارفع يديك نحو السماء، واذبح لثور - إيل أبيك [واصنع] ثريداً (؟) للبعل من ذبحك، لابن دجن (بعل) من صيدك (أي من ذبيحة الطير)[11]. (الشكل 31).

---

8 Tarragon، 1993، P. 208.

9 Yon، 1994، P. 406.

10 Yon، 1994، P. 406.

11 فريحة، 1966، ص 487.

ثانياً: معبد دجــن

يقـع إلى الجنـوب الشرقـي مـن معبـد بعـل، عـلى بعـد سـتين مـتراً منـه، وعـلى مسـتوى واحـد مـن حيـث الارتفـاع، ولم يعـثر فيـه إلا عـلى الأساسـات، والقواعـد التـي ارتفعـت بشـكل بـارز فـوق السـكن المحيـط بالمعبـد[12]، وقـد شـيد عـلى أرض مسـتطيلة أبعادهـا 28×17 م. وأمـا أطلالـه فكانـت كافيـة لمعرفـة مخططـه المشـابه لمخطـط معبـد بعـل، لكنـه أصغـر حجـماً منـه[13]، كـما بنـي فـوق مصطبـة، لكـن جدرانـه أكـثر سـماكة، إذ بلـغ عرضهـا (5 م). عـثر فيـه عـلى عـدد مـن النصـب الحجريـة المدونـة باسـم الإلـه دجـن المعـروف لـدى الأوغاريتيـين باسـم إلـه الحصـاد والحبـوب[14]. كـما أن سـماكة جدرانـه تقـوّي الظنـون بـأن طقوسـاً غريبـة كانـت تمـارس بداخلـه. وقـد وجـد بجانبـه عـدد مـن أقـداح الـشراب، مـا يوحـي بأنهـا كانـت تسـتخدم لسـكب الخمـر[15].

إن تحليـل وقـراءة مخطـط معبـد بعـل ووظائفـه، المشـابه مـن حيـث التصميـم لمعبـد دجـن سيسـاعدنا في فهـم هـذا البنـاء القائـم عـلى الأكربـول (المدينـة العليـا)، الـذي يتـم الوصـول اليـه مـن عـدة طـرق قادمـة مـن كل الاتجاهـات، للوصـول مـن الجنـوب إلى سـاحة صغـيرة عامـة تقـع مقابـل هـذا المعبـد، الـذي كان سـوره يحدهـا مـن الجهـة الشـمالية.

لابـد بدايـة مـن الإشـارة إلى براعـة ومهـارة بنّـائي أوغاريـت، فقـد خططـوا

---

12 الدالاتي، 1980، ص 52.

13 محيسن، 1988، ص 269.

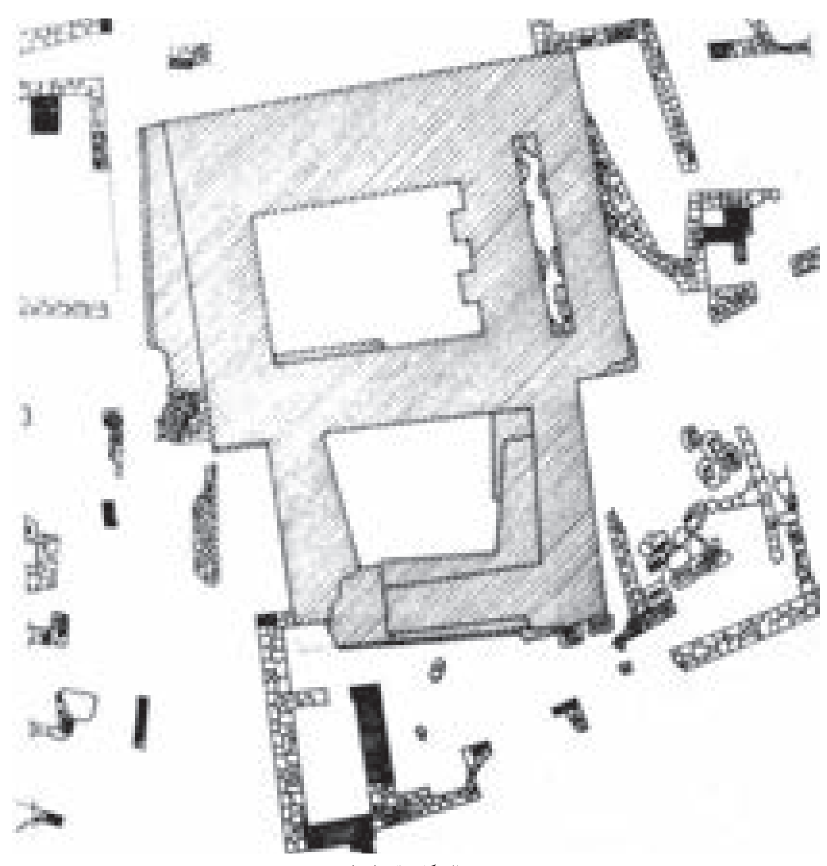
14 عـثر حتـى الآن عـلى (23) نصبـاً حجريـاً في أوغاريـت، تسـعة منهـا في معبـد بعـل ومحيطـه، وأربعـة منهـا في معبـد دجـن ومحيطـه والعـشرة الباقيـة في باقـي أنحـاء المدينـة. للمزيـد انظـر:
Caubet، Annie. «Stela Depictting the Storm God Baal». Musee du Louvre. http: www. louvre.fr/node/38663. Retrieved 27 October 2012.

15 حيدر، 2010، ص 58.

للمبنى بشكل كامل، بدءاً من الأساسات وحتى انتهاء البناء. لقد كان من الصعب حساب مساحة المعبد والمرفقات بسبب الفراغات في الجهة الجنوبية الشرقية، ويمكن تقديرها بحوالي 650 متراً مربعاً، كما يبدو أنه كان معزولاً بشوارع وساحة، ومثل معبد بعل؛ فقد كانت فيه جزيرة سكنية. جدار السور في الجنوب كان مرتفعاً على الأرجح، اتجاهه جنوب غرب/شمال شرق، ولم يكن موازياً تماماً لواجهة المعبد، وما فرض هذا هو الهندسة العمرانية والترتيبات الموجودة في المكان سابقاً. كان الباب منحرفاً قليلاً عن محوره بالنسبة لواجهة المعبد، وله دعامتان من الشرق والغرب. كما يمكن افتراض وجود فناء (باحة)، مشابهة لتلك الموجودة في الجانب الغربي من سور معبد بعل، وله باب عرضه خمسة أذرع (275 سم)، يمكن التحكم بمصراعيه وإغلاقهما من الداخل. وكان هذا الفناء يُطل على قاعة واقعة أمام المعبد، وكان له مدخل ثان. وفي الطرف الجنوبي من السور توجد آثار بناء صغير مستطيل الشكل، له بابان؛ الأول في الجنوب، يصل بين الساحة العامة والمبنى. والثاني، الأكثر عرضاً في الشرق، وهو يسمح بالمرور من المبنى إلى القاعة. والقاعة نفسها عميقة قليلاً (حوالي 5م)، وهي متطاولة من الغرب إلى الشرق، مع مخطط منحرف الزوايا قليلاً. ونجد هنا أيضاً نظام الدخول نفسه إلى هيكل بعل، وهو عبارة عن باحة ضخمة، وملحق يضم ممراً ثانوياً يراقبه حارس، وهذا يعني أنه لم يكن الدخول متاحاً دائماً للفسحة الرئيسة، وقد امتد السور لشرقي الفسحة، والتف نحو الشمال ليضم المبنى، ويمكن الافتراض أن هذا القطاع الخارجي كان جزءاً من المكان المقدس كما في هيكل بعل[16].

يشكّلُ البهو الواقع في الجهة الجنوبية ردهة للانتقال بين المكان

16 Caloot، 2011، P. 95.



الشكل رقم (32)
معبد دجن - أوغاريت

المقـدس الخارجـي والبنـاء المقـدس في الداخـل، والـذي كان يحيطـه جـداران مـن الـشرق والغـرب، وهـو مسـبوق بعـدة درجـات على كامـل عـرض الواجهة. وفي عمـق الردهـة كان ينبغـي وجـود بـاب يـؤدي إلى قـدس الأقـداس، لكـن لم يبـق أي أثـر لوجـود بـاب كهـذا قابـل للفتـح والإغـلاق مـن الداخـل، مشـابه لمعبـد بعـل[17]. (الشـكل رقـم 32).

ونلاحـظ في الجهـة الشرقيـة مـن المـكان المسـمّى قـدس الأقـداس وجـود

17 Caloot، 2011، P. 95.

دعائم وأساسات المشكاة التي تحتل مركز الجدار الشرقي وهو المكان الذي ينبغي أن يوضع فيه ما يمثل الحضور الإلهي بشكل أو بآخر.

وعند الجدار الشرقي كان هناك باب يُطِلُّ على مكان ضيق وصغير ومظلم تحت الدرج، ربما استخدم للحارس الليلي.. ومن خلال ممر موجود ضمن الجدار الداخلي الشرقي كان يمكن الوصول إلى الدرج الذي، كما في معبد بعل، بُنيَ من الخشب، وكان يوصل إلى المنصة الواقعة على ارتفاع حوالي 5،50 م فوق مستوى الأرضية الداخلية. وبخلاف المنصة الموجودة في هيكل بعل، فإن المنصة لم تشغل سوى الجهة الشرقية من المكان المسمى قدس الأقداس.

ولابد من الاشارة إلى أن الدرج (شبه المخفي) في الجدار، يبدو أنه كان ممراً خفياً، وقد حُصر استخدامه على بعض الشخصيات فقط. هذا الترتيب الخاص جداً في هيكل دجن؛ قاد الباحثين لافتراض وجود نظام من الستائر المخصصة لإخفاء قلبة السلم الثانية عن هيكل بعل. وكانت الشرفة العلوية واقعة على بعد حوالي 27 ذراعاً؛ (14.85م) فوق مستوى الأرضية الداخلية. (30 درجة =16.50م فوق الأرضية الخارجية)[18].

لقد رأى بعض العلماء ومنهم أندريه Andrae في المعابد المرتفعة والزقورات مكاناً لسكن الإله الذي كان ينزل في أوقات مناسبة إلى المعبد السفلي، في حين رأى آخرون أن المعبد العالي كان مكان استراحة مؤقت للإله وهو في طريقه من السماء إلى المعبد السفلي. وهكذا اعتبروا الأدراج الموجودة في الزقورة واسطة للحصول على الارتفاع المناسب، للاتصال ما بين السماء والأرض وكانت الملائكة تستعمل هذه الأدراج أيضاً في الصعود والهبوط[19].

---

18 Caloot، 2011، P. 95.

19 ساغز، عظمة بابل، 2008، ص373.

لقـد كان الـدرج (في أوغاريـت) عمـلاً معمارياً باهـراً، وربمـا لم يكـن مصمماً فقـط كـدرج خدمـة بسـيط، وهـذا مـا دفـع بعضهـم للاعتقـاد بإمكانيـة أن يتوضـع فوقـه مـكان شـديد القدسـية. لكـن؛ وقياسـاً عـلى بنـاء معبـد بعـل فقـد تـمَّ تصميـم الجـزء المسـمّى قـدسَ الأقـداس بشـكل مخطـط مسـبقاً قبـل التأسـيس، فبُنـيَ الجـدار الشـمالي السـميك لدعـم بنـاء مميـز في قمـة المعبـد، والـذي سـيكون الـتراس المخصّـص كمـكان لتقديـم الأضاحـي. لكـن درج معبـد دجـن، لم يكـن سـوى ترتيـب ثانـوي، مخفـي بمهـارة في الجـدار الداخـلي الضخـم[20]. (الشـكل 33).

ثالثاً: المعبد الحوري

معبـد بسـيط يتوضـع بالقـرب مـن منطقـة القصـور (مـن الجهـة الشـمالية)، ويبـدو أنـه بنـي في عصر البرونـز الوسـيط وظـل مسـتخدماً حتـى نهايـة أوغاريـت. ولا يمكـن اعتبـاره مـن المعابـد الحوريـة الأصيلـة، لكنـه جمـع بـين التقاليـد الحوريـة والتقاليـد المحليـة. وهـو أصغـر بكثـير مـن المعبديـن الأولـين، لكنـه يتماثـل معهـما في تفصيلاتـه، وخاصـة مـا يتعلـق بالـدرج القائـم في الغرفـة الداخليـة منـه، والـذي

الشكل رقم (33)
معبد دجن – مشهد تخيلي - أوغاريت

20 Caloot، 2011، P. 95.

يصل إلى القسم العلوي من المعبد، حيث تتم تلاوة الطقوس الدينية[21]. أبعاده 12×8 م، يتألف من حجرتين مستطيلتين متتاليتين، يتم الدخول إليه من الجهة الجنوبية عبر باب يؤدي إلى ردهة. ليس هناك من رواق وأعمدة تتقدمه، والملفت أنه ليس هناك باحة للمعبد temenos وهيكل لتقديم الأضاحي، وهذا ما دفع الباحثين للقول إن دوره اقتصر على أن يكون مصلى للقصر، ويعزز هذا الرأي أنه ملحق بالقصر[22]. مدخله غير مرتفع، ويوجد حوله ساحة صغيرة، له درج يقود للطابق الثاني. وجدت بداخله فأس ميتانية الطراز، والكثير من الأسرجة، واللقى الأخرى. (الشكل34).



الشكل رقم (34)
فأس عُثر عليه في المعبد الحوري (أوغاريت)

كما وجد فيه تمثالان صغيران قرب الدرج (في السيلا)، وهما مصنوعان من البرونز، ومطليان بالذهب. أحدهما لإلهة بوضعية الجلوس على العرش، والآخر لإله بوضعية الوقوف[23]، وقد كان هذان التمثالان السبب في إطلاق اسم المعبد الحوري على هذا البناء. أما الاكتشافات الأخرى المهمة؛ فهي مئات الأسرجة الزيتية النذرية التي أودعت عند قاعدة درج قدس الأقداس، إضافة للعديد من الجرار والأواني الصغيرة جداً.

21 الدالاتي، 1980، ص 52.

22 حيدر، 2010، ص 59.

23 Tarragon، 1993، P. 207.

ونحـن نعلـم أن أوغاريـت شـهدت حالـة مـن التعايـش والتآلـف والتسـامح بـين العبـادة المحليـة والعبـادة الحوريـة، لكـن المعبـد بقـي حوريـاً، ولم يصبـح أوغاريتيـاً خالصـاً، وهـذا مـا يبرهـن عـلى وجـود اتصـالات وعلاقـات سياسـية وطيـدة مـع المراكـز الحوريـة، مثلـما كانـت مـع مـصر، التـي تـدل عليهـا الكثـير مـن الأشـياء المصريـة، أو ذات الطابـع المـصري رغـم أنهـا لاتعنـي وجـوداً مصريـاً مبـاشراً في أوغاريـت[24].

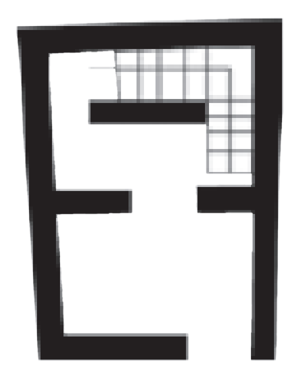
أمـا فيـما يخـص سـير بعـض الطقـوس الشـعائرية في هـذا المعبـد؛ فقـد وجـدت فسـحة بمسـاحة كافيـة تحيـط بالمبنـى مـن كل جوانبـه، كانـت مخصصـة لممارسـة بعـض الطقـوس؛ ومنهـا الطـواف، حيـث كان الموكـب الملـكي يمـر فيهـا حـين كان الملـك أو الكهنـة يذهبـون لأخـذ تماثيـل العبـادة الصغـيرة مـن الصـدر المعتـم في الـحرم (cella)، لنقلهـا بشـكلٍ احتفـالي لأحـد معابـد الأكروبـول الكبـيرة.

للمعبـد الحـوري خاصيـةٌ أخـرى إضافـة للفنـاء الممتـد أمـام المدخـل، إذ توجـد مصطبـة عـلى الواجهـة في عمـق الحـرم (السـيلا)، وهـذا التجهيز مشـابه لمـا هـو موجـود في المعابـد الكـبرى، لكنهـا تختلـف عنهـا في أنهـا أكـثر بسـاطة. كـما توجـد اختلافـات معماريـة إذ يلاحـظ أن مسـتوى الجـدران منخفـض، وهـذا ينفـي وجـود مبنـى برجـي مرتفـع، كـما أن الـدرج يوصـل فقط للسـطح أو تـراس الطابـق الأرضي الوحيـد، الـذي ربمـا جـرت عليـه بعـض الطقـوس المخصصـة لعبـادة الكواكـب. ولا توجـد عنـاصر أخـرى في المعبـد الحـوري تتيـح افـتراض عبـادة وشـعائر مختلفـة، كـما أنـه مـا مـن أحـواض، أو مقاعـد جانبيـة، أو قواعـد تماثيـل، أو مشـكاةً شـعائرية[25].

24 Michel، 1993، P. 204.

25 Michel، 1993، P. 203.

لا بد من القول: إن هندسة بناء أماكن العبادة كانت على جانب كبير من الأهمية، وكان لها تقاليد معمارية وهندسية راسخة. كما أن وجود عدد من التماثيل التي رأى فيها المنقب تأثيراً حورياً ضمن أحد هذه المعابد لا يكفي وحده لنسب المعبد الثالث للحوريين كون مخطط بنائه متناغم مع تقاليد العمارة الدينية الأوغاريتية، وهو لا يشابه التقاليد المعمارية الحورية المكتشفة حتى الآن[26]. (الشكل 35).



الشكل رقم (35)
المعبد الحوري (أوغاريت)

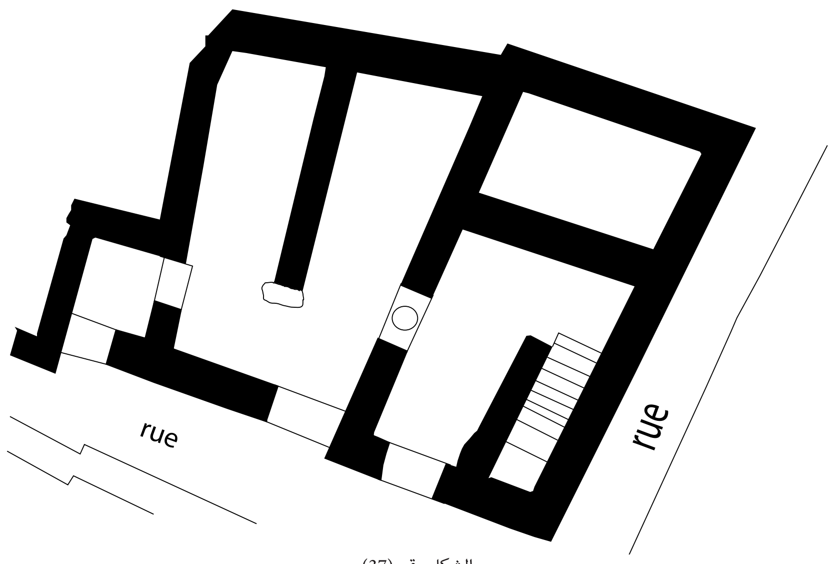
رابعاً: معبد الريتونات

إضافة للمعابد السابقة؛ فقد عثر على معبد جديد في أوغاريت وذلك فيما بين عام 1978 وحتى 1983م، وقد اعتبره المنقبون منشأة شعائرية، أو معبداً بأبعادٍ متواضعة، أطلقوا عليه اسم معبد الريتونات (Rhytons)، بسبب العثور على عدد كبير من الأواني الفخارية القمعية الشكل التي تسمى ريتون، وكانت تحتوي على النذور النباتية والسائلة، كالزيت والخمور وغيرها. (الشكل 36).

يقع البناء إلى الجنوب من مركز المدينة، ضمن الحي السكني الجنوبي. وتحيط به عدة شوارع، وبسبب

الشكل رقم (36)
إناء فخاري ريتون (أوغاريت)

26 Yon، 1994، P. 405.



الشكل رقم (37)
مسقط معبد الريتون (أوغاريت)

موقعه؛ فقد كان أكثر شعبية من المعابد الأخرى الكبيرة إلى الحياة اليومية للسكان. لكن توضعه في هذا الحي؛ يزيد من احتمال وجود معابد كثيرة في أحياء المدينة كانت مخصصة لممارسة العبادات اليومية[27].

إن الدخول للمعبد يتم بشكل غير مباشر، إذ يجب الاستدارة نحو اليمين باتجاه الغرب عبر دهليز حيث المدخل الذي ما تزال الحجارة التي تدل عليه موجودة[28]. يتألف المعبد من قاعة كبيرة ذات مدخل غير محوري، أبعادها 7 م طولاً، وحوالي 6 م عرضاً، له أرضية طينية، وفيها آثار أعمدة خشبية لحمل السقف، أما السقف؛ فقد بُني من عوارض خشبية، وُضع فوقها اللبن (الآجر). (الشكل 37).

ويلاحظ هناك وجود مقاعد للجلوس على الجدارين الشمالي والغربي، وفي منتصف الجدار الشرقي؛ هناك مصطبة فيها ثلاث درجات، على حين

27 الحكيم، 2010، ص 169.

28 Yon، 1994، P. 407.

يوجد مخرج يؤدي إلى الدرج الذي يقود للأعلى في الجهة الجنوبية الشرقية. وفي الزاوية الشمالية الشرقية هناك حجرة صغيرة؛ لعلها بيت المعبود، أو مكانٌ لحفظ معدات الطقوس والاحتفالات الدينية[29]. ولهذا المعبد الصغير منصة مرتفعة بالداخل. كما وجد فيه مذبح صغير، إلا أنه لا وجود لساحة محيطة به، كذلك لا وجود لمذبح مخصص لتقديم الأضاحي[30].

لقد عانى المعبد كغيره من السلب والنهب، وتحطم أثاثه ومحتوياته، وتبعثرها في داخل المبنى وخارجه، ومنها العديد من الريتونات، والأدوات المستخدمة في الطقوس والتقدمات من البرونز والعاج[31].

إن هذا النموذج من العمارة المقدسة، يذكر ببعض معابد المشرق من العصر البرونزي الحديث ومنها: معابد وجدت في إيمار، وفي اينكومي Enkomi (قبرص)، وبيسان (في فلسطين). ومن المعتقد أن هذا المعبد لم يكن من المعابد التقليدية في أوغاريت بل ربما كان مخصصاً لاجتماع الكهنة وممارستهم لبعض الطقوس[32]. في حين كانت معابد أوغاريت الأخرى (بعل ودجن)، تنتمي لطراز سوري له نظائر في أكثر من مكان، ومنها إبلا (تل مرديخ)، الذي يعود للعصر البرونزي الوسيط، وفي مسكنة (إيمار) الذي يعود للعصر البرونزي الحديث[33].

من الناحية المعمارية، لا يُعدُّ هذا البناء معبداً بالمعنى الدقيق، حيث يرى المنقبون أنه لم يكن مؤهلاً لتقديم الأضاحي الدموية فيه، بل هو مبنى مؤلف من طابق واحد، فيه الحجرة الرئيسة[34]، وقدس الأقداس

29 يون، 1983، ص 190.

30 Tarragon، 1993، P. 204-205.

31 يون، 1983، ص 190.

32 Tarragon، 1993، P. 204-205.

33 يون، 1984، ص 246.

34 Michel، 1993، P. 204.

ودرج متكئ على الجدار الشرقي للحجرة وهو مكون من أربع درجات ارتفاعها بمجموعها حوالي 70 سم.. كلها مغطاة بطينة سميكة تساعد في الحفاظ على تماسكها، وقد شكلت الدرجة العليا طاولة أضاحي قليلة العمق، كما وجدت في الحجرة الأكواب والأواني والقرون المخصصة للنذور. وبهذا يمكن القول: إننا أمام حجرة لممارسة الطقوس، وتقديم القرابين النذرية دون أضحيات، والتي ربما اقتصرت على إراقة الخمر[35].

وبالعودة إلى بنية الدرج؛ فلا شك أنها تلعب دوراً رمزياً أكثر من الدور الوظيفي، فقاعدةٌ مسبوقة بدرجةٍ واحدة، قد تفي بالغرض عوضاً عن أربع درجات، فرجلٌ بقامةٍ متوسطةٍ يستطيع وضع الأشياء المقدسة على طاولة بارتفاع 70 سم، وبصعوده درجةٍ واحدةٍ فقط. ولهذا يُعدُّ وجود الدرجات الأربعة ميزةٌ معماريةٌ قصد منها شيئ ما يظل موضع الشك[36]. ومن العناصر الملفتة للنظر وجود المقعدين، إذ لم يستطع المنقبون معرفة العلاقة بينهما وبين الدرج، ولم يعرف لمَ هذا التكدس في هذا الحيّز، في حين بقي الجدار الجنوبي شاغراً. كما أن المقعد الثاني أكثر انخفاضاً؛ فارتفاعه (15) سم. وفي الأسفل توجد ثلاث مقصوراتٍ محدودةٍ بثلاثة من الحجارة المصفوفةٍ بشكلٍ عمودي باتجاه المقعد. وإذا حاولنا أن نتخيل وبشكل مجرد طبيعة استخدام هذه المنشأة لبقينا حائرين. ولكن يُعتقدْ أن هذه المقاعد هي موائد قرابين أو طاولات يضع عليها محتفلو القداس أغراض العبادة، وليس بالضرورة التماثيل الإلهية، التي غالباً ما تُعرض في مشكاة أو محراب، أو على قواعد تماثيل أكثر وقاراً بالقرب من المعبد. ويمكن أن تكون أغراض العبادة الموضوعة على المقاعد المتواضعة أوانٍ من السيراميك ليس إلا، إذ إنها تحتوي على القرابين النباتية وبشكلٍ

35 Michel، 1993، P. 204.

36 Michel، 1993، P. 204.

أساسي السوائل والزيوت... الخ. وقد تساءل بعض فيما إذا كانت هذه البنى مقاعد للمشاركين. لكن الاعتقاد الأرجح هو أن المساند الحجرية ليست سوى حجارة، الهدف منها فصل وتقسيم وعزل بعض القرابين. وقد ذكرت مارغريت يون، أن هناك تشابهاً في هذه العناصر مع معابد وُجدتْ في إنكومي بمعبد الرب ذي السبيكة مع مقاعده، ومعبد القاسيل بمقاعده، وأخيراً معبد الفوس في لاكيش ومقاعده، التي يبدو أنها لم توضع للجلوس، وذلك لأنها متوازية وقريبة جداً من بعضها. وهناك المعبد المسمى «أمينوفيس» في بيسان (السوية السابعة)، الذي يحتوي على سطح للدرج ومقاعد، ومعبد القطاع «ب» في لاكيش مع درجه، والمعبدين التوأمين في إيمار، وخاصةً معبد «عشتار» بمقاعده المصفوفة على طول الجدار الكبير (مقاعد يمكننا الجلوس عليها بارتياح)، وخلف المعبد معبد الكاهن مع مقاعد ومذابح خلف المعبد[37].

ونخلص إلى أنه من الأبنية الدينية الأربعة التي اكتشفت في أوغاريت، كان هناك ثلاثة منها معابد كُرّست لآلهة عبدت في المدينة، أما الرابع فيمكن أن يكون بناءً دينياً له وظائف كانت مختلفة عن المعابد الأخرى. ويبدو أن معبدي بعل ودجن، شكّلا اختلافاً (وإن لم يكن جذرياً) عن المعبد السوري التقليدي ذي المخطط الطولاني الذي عرفناه في العديد من المواقع السورية، وقد تكوّن بناؤهما من جدران ضخمة، وهذا ما دفع للاعتقاد أنها أبنية استخدمت كأبراج، وجرت على أسطحتها بعض الشعائر الدينية، ووضع بعضهم لها وظيفة مساعدة، وهي استخدامها كمنارات للبحارة، وقد دعم هذا الرأي اكتشاف بعض حجارة المراسي بجوار معبد بعل، حيث تم وضعها هناك كتقدمات

37 Michel، 1993، P. 203-204.

نذرية. أما البناء الثالث في الموقع فقد تألف من غرفتين صغيرتين شكلتا ما سُمِّي بالمعبد الحوري، وربما كان معبداً ملكياً. أما البناء الرابع؛ والذي دُعي بمعبد الريتونات، فهو يُمثّلُ نوعاً من المصلّيات الشعائرية التي تخدم السكان المجاورين لها[38]. في حين افترضت السيدة يون أنه يمكن أن يكون مكاناً يحتشد فيه أعضاء المجموعة التي عُرفت بالمرزيخ/مرزح، وهذا يجعل من غير الممكن أن نطلق عليه اسم المعبد بالمعنى التقليدي للكلمة، خاصة بسبب غياب مذبح الأضاحي في الفناء. مع التنويه لإمكانية وجود عبادة شعبية، يمكن أن تقتصر تقدماتها على بعض الهبات والهدايا دون الأضاحي، وإن مبنى كهذا يمكن أن يستخدم لهذه الغاية، ويمكن أن يكون بديلاً للعبادة الرسمية الكبرى، وإن حظيت بتمثيلٍ فيه[39].

معابد أم أبراج للمنارة؟

افترض بعض الباحثين أنه كان يتم إيقاد النار على قمم المعابد لتظهر على شكل إشارات ضوئية تهدي البحارة ليلاً لمدخل ميناء أوغاريت، خاصة أوقات الطقس العاصف. وقد دفع توضُّع "المعابد" من جهة مدخل الميناء، لاستخدامها كمعلم يهتدي به العاملون في البحر، فيتمكنوا من إدخال مراكبهم إلى داخل حوض الميناء.

من المؤكد أن ارتفاع هذه المعابد قد جُعل على هذا النحو لكي تكون مرئية من بعيد؛ من اليابسة كما من البحر، إلا أنه وقبل أن يجعل بعض الباحثين منها منارة سابقة لمنارة الإسكندرية، فمن الضروري إبراز الفروق الدقيقة بين هذه الفرضيات.

لم تصمم هذه المعابد البرجية إطلاقاً لتصدر منها الإشارات الخاصة بهداية البحارة ليلاً. كما أن هذه الأبنية، رغم ارتفاعها، لم تكن مبان

38 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 339.

39 Michel، 1993، P. 203-204.

معزولـة فـوق تلـة، بـل كانـت محاطـة بأبنيـة مـن كافـة الجهـات. ورغـم أن للمعبديـن (بعـل ودجـن) نفـس الاتجـاه (شـمال - غـرب) صـوب البحـر، فـلا وجـود لأدنى صلـة مـع الواقـع بشـأن هـذا الزعـم. ولا يمكـن تمييـز هـذه المعابـد البعيـدة جـداً، مـن مركـب بعيـد في عـرض البحـر، لا بـل يمكـن ملاحظة مجمـل المدينـة، دون التمكـن مـن تمييـز المعبديـن إلا فقـط في حـال الاقـتراب مـن الشـاطئ، وعندهـا تصبـح هـذه المعابـد غـير ذات فائـدة. (الشـكل 38).

كـما أن هـذا الافـتراض (أبـراج منـارة)، لم يكـن وارداً إلا في الطقـس الجيـد، لأنـه كيـف كان يصبـح الأمـر حـين تكـون السـماء ملبـدة بالغيـوم، أو في الأجواء العاصفـة في البحـر؟ ونـادراً مـا كان الإبحـار يتـم ليـلاً في ذلـك العـصر[40].

أمـا الافـتراض بـأن المعابـد كانـت مطليـة بألـوان حـارة، فيمكـن القـول: إنهـا لم تكـن الأبنيـة الوحيـدة في المدينـة المطليـة بالألـوان الحـارة. وفي الواقـع،



الشكل رقم (38)
برج معبد بعل – مشهد تخيلي – (أوغاريت)

40 Caloot، 2011، P. 81-82.

لقد كانت المدينة نفسها هي المعلم الوحيد الممكن الاهتداء به، وعلى الأغلب بسبب ألوانها المتنوعة التي جعلت منها نقطة العلام الحقيقية (خلال النهار) التي كان يبحث عنها البحارة.

وهناك أسئلة عدة تُطرح حول الإشارات البصرية باتجاه البحر، وحول منشأة ابن هاني، وبالتأكيد حول التجمعات السكنية الأخرى في المملكة. إن الإشارات البصرية إجراء شاع استخدامه منذ أقدم العصور، ويرجح أن يكون مثل هذا النظام معمولاً به في أوغاريت. وإذا ما كانت مثل هذه الإشارات قد تم إرسالها فعلاً، فليس من المؤكد إن كانت قد أُرسلتْ من المعابد كما افترض بعض الباحثين. لقد كانت هذه المعابد وبالتحديد شرفاتها العالية، أماكن مقدسة غير متاحة أبداً لأي نشاط ذي طبيعة مدنية أو عسكرية، فقد توفرت البدائل؛ ووجدت أماكن أخرى عالية يمكن رؤيتها عن بعد، كما حال البرج الكبير، الذي يضم الباب المفضي إلى الجدار الملكي في الجهة الغربية، ويبدو واضحاً أن هذين المبنيين كانا مرتبطين بالقصر وبتحصيناته، وأنهما كانا يقعان على ارتفاع أعلى بقليل من المباني الأخرى.

وينبغي أخيراً التذكير ببعض المعلومات الخاصة بالتسلسل التاريخي بمعابد أوغاريت، وهي أن المعبدين، حتى ولو استخدما كمنارات للإشارة، فقد استمرا بالعمل طوال الوقت كأمكنة للعبادة، وقد تعرض المعبدان للهدم في عام 1250، وأعيد بناء معبد بعل حوالي 1213 - 1212 ق.م، في حين لم يتم إعادة بناء معبد دجن. أما قصر موقع ابن هاني (المجاور لأوغاريت) فقد تم بناؤه حوالي عام 1250 ق.م، رغم أنه لم يستخدم كقصر إلا لفترة وجيزة جداً، فمن الثابت أنه استخدم كمركز لإرسال الإشارات[41].

41 Caloot، 2011، P. 81-82.

الفصل الثاني: معابد ألالاخ، إيمار، إيكَلتي، وبراك

أولاً: معابد ألالاخ

كانت المعابد الجديدة في ألالاخ وخلال تاريخها الطويل تقوم على أطلال المعابد السابقة، وقد جرى استعمال أنقاض المعبد القديم بغية إعداد أرضية مرتفعة (بوديوم) للمعبد الجديد تجعله أكثر بهاء وأكثر إطلالة، ولم يشذ عن هذا التقليد سوى معبد السوية الخامسة[42].

1 ـ معبد السوية الخامسة

بدلاً من أن يلجأ البناؤون إلى تسوية بقايا معبد السوية السابقة (السادسة)، فقد قاموا بالحفر في وسط معبد هذه السوية حفرة مستطيلة الشكل، وأقاموا عليها معبد سوية البناء الخامسة الجديدة، ولم ينج من التخريب الكامل سوى وجه الجدار الشمالي الشرقي من معبد السوية السادسة.

يقع المعبد الجديد وسط باحة سماوية، تحيط بها غرف الخدمات، ووجدت بقايا تلك الغرف مبعثرة في الجهتين الشمالية الشرقية، والشمالية

42 تم الكشف في تل عطشانة (ألالاخ) عن 17 سوية أثرية تمتد لألفي عام، أما أهم السويات بينها؛ فهي السوية السابعة العائدة للعصر البابلي القديم، وخاصة القرنين 18 و 17ق.م، وتعلوها السوية السادسة، وتمتد حتى القرن السادس عشر، ثم السوية الخامسة، وتمتد حتى حوالي 1500 ق.م، أما السوية الرابعة فترجع للفترة الممتدة بين 1450 - 1370 ق.م، وهي عصر الملك إدريمي، ثم السويتان الثالثة والثانية، وتعودان للقرنين الثالث والثاني عشر، ثم السوية الأولى التي تنتهي حياة المدينة فيها على يد شعوب البحر حوالي 1187 ق.م.

الغربيـة مـن الباحـة المذكـورة، كـما ظهـر أن للمعبـد صالـة دخـول كانـت قائمـة عـلى سـوية الأرض، ولم يبـق منهـا أي أثـر، ولكـن قاعـة المعبـد الأخـرى الواقعـة إلى الـوراء، كانـت أخفـض بمتريـن عـن سـوية الأرض، وكانـت واسـعة ومنخفضـة، حيـث بلـغ انخفاضهـا ثلاثـة أمتـار وثمانـين سـنتميتراً في الوسـط، وبلـغ الضعـف في الأطـراف. وأمـا الطـرف الجنـوبي الغـربي مـن الصالـة المذكورة فقـد تهـدم عندمـا قامـت أساسـات سـوية البنـاء الرابعـة[43]. بلغـت أبعـاد الصالـة مـا تحـت الأرضيـة 3.80×8 م عـلى طـول الجداريـن؛ الشـمالي الغـربي، والشـمالي الشرقـي[44]. وقـد كان لهـذه الصالـة مصطبـة عريضـة ومرتفعـة عـلى امتـداد جـدران المعبـد الداخليـة، أمـا الجـدار الأمامـي مـن المعبـد، أي الجـدار الجنـوبي الشرقـي؛ فقـد حـوى البـاب المـؤدي إلى غرفة الدخـول وصـولاً إلى درج خشـبي يهبـط إلى أرض أخفـض قـام أمامـه مبـاشرة، وبالقـرب مـن المصطبـة الواقعـة في قلـب المعبـد هنـاك مذبـح مخصـص للقرابـين التـي تشـوى عـلى النـار. والمذبـح مسـتطيل الشـكل، مبنـي مـن اللـبن، ومطـلي بالمـلاط، ارتفاعـه 57 سـم، يوجـد في أعـلاه تجويـف تسـمح آثـار الحـرق الشـديد الباقيـة عليـه بالتعـرف عـلى وظيفتـه كمذبـح[45].

هـذا ولم تعـرف بـلاد المـشرق القديـم سـابقة معبـد قـام هيكلـه تحـت سـوية الأرض، لكنهـا بالتأكيـد عرفـت في معابـد الـرب "ميـترا" الـذي بُنيـت محاريبـه بهـذه المواصفـات[46]، ومـن خـلال مقارنـة أطـلال هـذه المعابـد، ومصاطبهـا، ودرجهـا، ومذبحهـا المخصـص لوقـد النـار فيـه، فقـد بـدت هـذه

43 وولي، 1992، ص 87.

44 Oesch، 1995، P. 57.

45 Oesch، 1995، P. 57.

46 ميـترا Mithra، إلـه الشـمس الفـارسي، عـرف في منطقـة مشرقنـا القديـم، وانتقلـت عبادتـه إلى رومـا، فعبـده فيـما بعـد جنـود الإمبراطوريـة الرومانيـة، وأخـذت الفـرق الرومانيـة تقيـم في معسـكراتها المعابـد تكريمـاً لـه، وكان يمثـل جنديـاً مـن الجنـود.

المعابـد أحيانـاً؛ وخلافـاً للعـادة، مشـابهةً لمعبـد قريـة عطشـانة (ألالاخ)[47].

ومـن معبـد هـذه السـوية؛ يعـود تمثـال لإلهـة مـن البرونـز، وهـي مسرَّحـة الشـعر، وترتـدي ثوبـاً طويـلاً، كـما لفَّـت يديهـا فـوق نهديهـا، وأُشـير لأعضائهـا التناسـلية بمثلـث مـن فـوق الثـوب، وهـو تمثـال لا يختلف عـن بقيـة التماثيل إلا مـن خـلال المـادة فقـط. كـما عـثر عـلى تمثـال آخـر لأحـد الآلهـة المذكـرة بالقـرب مـن بوابـة المدينـة، يضـع الإلـه تاجـاً مرتقعـاً، وثقبـت فيـه الأذنـان بهـدف وضـع الأقـراط التـي لم يعـثر إلا عـلى أحدهـا، أمـا العيـون فقـد نفـذت عـلى شـكل كـرات صغـيرة، الأنـف طويـل، وفيـه بـدا الإلـه وهـو يمـدّ ذراعـه اليـسرى، بينـما يحنـي يمنـاه إلى الأمـام[48].

عـثر عـلى عـدد مـن الآبـار يعـود تاريخهـا لنفـس تاريـخ معبـد سـوية البناء الخامسـة، وقـد احتـوت عـلى أوان فخاريـة مزخرفـة. وكانـت الآبـار المذكـورة عبـارة عـن مسـتودع لنـذورٍ سـابقةٍ جـرت طقوسـها في المعبـد، وتلـك النـذور تتألـف مـن أوان فخاريـة انتهـى اسـتعمالها، ولم تعـد مرغوبـة، أو لعلهـا أوان فخاريـة جـرى كسرهـا عمـداً (علـماً بأنـه لم يعـثر عـلى أي دليـل يشـير إلى أن المعبـد قـد تـم سـلبه أو نهبـه). هـذا؛ ولمّـا كانـت هـذه الأشـياء قـد تـم نذرهـا للآلهـة، فإنـه لا يمكـن أن تعامـل كفضـلات رخيصـة يلقـى بهـا خـارج محيـط المعبـد، بـل سـبق وأن وضعـت في آبـار قريبـة مـن المعبـد كانـت قـد حفـرت خصيصـاً لهـا[49]. وتعـد الأواني الفخاريـة مـن أهـم الأشـياء التـي عـثر عليهـا، ومنهـا قطعـة كبـيرة مـن طاسـة مـن صناعـة مصريـة مزججـة باللـون الأزرق، وعليهـا مشـهد تقديـم أضحيـة، رسـمت فيـه زهـرة اللوتـس (أفانثيـا) رباعيـة الوريقـات باللـون الأزرق، مـع صـورة رجـل يجلـس عـلى مقعـد أمـام

47 وولي، 1992، ص 88.

48 Oesch، 1995، P. 57.

49 وولي، 1992، ص 86.


الشكل رقم (39)
معبد السوية 5-(آلالاخ)

طاولـة الأضحيـة محاطـاً بأرغفـة مـن الخبـز، وبـدا وهـو يقـدم الأضحيـة[50]، في رمـز لقصـة مصريـة معروفـة، وفي أعـلى الصـورة كتابـة بالهيروغليفيـة تضمنـت طريقـة أو أصـول تقديـم النـذور.

ومـن المؤسـف أن الكتابـة السـابقة كانـت ناقصـة، واسـم الموظـف كان غائبـاً، لكنـه يرمـز إلى الكاتـب، وهـو لقـب يخصـص عـادة لموظـف كبـير يمثـل الإدارة المدنيـة المصرية في ألالاخ. وكان فرعـون مـصر "تحوتمـس الأول" قـد وصـل إلى نهـر الفـرات، وأقـام عـلى ضفافـه النصـب التذكاريـة تخليـداً لانتصاراتـه، ولم يكـن غـزوه إلا لتحقيـق أمـور معينـة، ومنهـا الاسـتيلاء عـلى المـدن والقـرى، وجعلهـا مسـتعمرة تابعـة لمـصر[51].

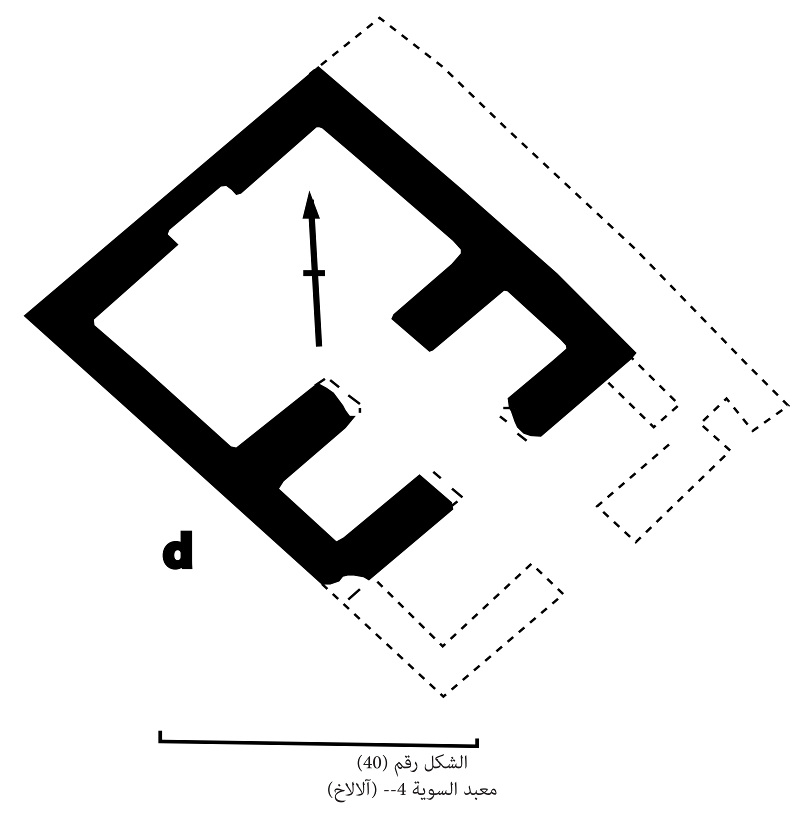
لكـن السـيطرة المصريـة عـلى سـورية الشـمالية لم تـدم طويـلاً، إذ اسـتطاع الحوريـون في الشـمال السـوري، ومنهـم مملكـة الميتانيـين، لعـب دور رئيـسي في طـرد المصريـين والحلـول مكانهـم. (الشـكل 39).

2ـ معبد السوية الرابعة

يشـكل القـصر الملـكي ذو الحالـة الجيـدة، المنشـأة الرئيسـة في السـوية الرابعـة، ويعـود تاريخـه للقـرن الرابـع عـشر ق.م، ولربمـا كان قـد بُنـي مـن قبـل نيقميبـا. تـم فيـه الكشـف عـن 281 رقيـماً. بالمقابـل لم يبـق مـن المعبـد إلا القليـل، إلا أنـه هـدم مـن أجـل إشـادة مبنـى آخـر. (الشـكل40).

50 Oesch، 1995، P. 57.

51 وولي، 1992، ص 86.



الشكل رقم (40)
معبد السوية 4-- (آلالاخ)

تـم اكتشـافه مـن قبـل "وولي" حـين كان عـلى وشـك الانتهـاء مـن كشـفه للسـوية الثالثـة، وبـدا المعبـد وكأنـه يتألـف مـن غرفتـين، بالإضافـة إلى سـاحة كانـت عـلى مسـتوى أخفـض مـن مسـتوى الغرفتـين، وتبـين أن مسـقط ذاك المعبـد مربـع الشـكل تقريبـاً، بحيـث بلغـت أبعـاده 17×20م، ووجـدت قاعـة أماميـة، وربمـا كانـت غـير مسـقوفة، وهـذا أمـر غـير شـائع. كـما كُشـف هنـاك عـن درج متموضـع ضمـن الجـدار الشـمالي الشرقـي. وكان البـاب الخارجـي للمعبـد عريضـاً وواقعـاً وسـط مقدمتـه، وبذلـك فقـد كان يقابـل المعبـد الداخـلي. أمـا بابـا الغرفتـين؛ فـكان عرضهـما كبـير، بحيـث بلـغ 930 سـم[52].

52 عبد الرحمن (عمار)، 2008، ص41.

تتوضع الحجرتان خلف بعضهما: بلغت أبعاد الحجرة الأولى (3×12م)، على حين كانت أبعاد الثانية (7×12 م). تقدمهما بهو أبعاده (2.30×12م)، وإذا ما دخل المرء إلى المعبد عبر البوابات العريضة جداً لهذا البهو، فإنه يتماثل أمام ناظريه حنية عريضة في الهيكل المركزي يبلغ عرضها 3.30م، وعمقها 0.60م، وهذه تشكل تجديداً في عمارة المعابد في ألالاخ[53].

دُمِّر قصر السوية الرابعة بصورة عنيفة، حيث التهمه حريق هائل، ويرجح أنه كان على يد القوة الحثية بقيادة شوبيلوليوما[54]، حيث انتهى فيه عصر سوية البناء الرابعة ليحل محله عصر السوية الثالثة.

3ـ معبد السوية الثالثة

ضمت هذه السوية قلعة انتصبت جدرانها مباشرة فوق أطلال قلعة سوية البناء الرابعة وشملت كامل مساحة قصر الملك نيقميبا[55] عثر في هذه السوية على بناءين صغيرين يساهمان في إلقاء الضوء واسعاً على الحياة الدينية في ألالاخ، ويمكن التعرف على بنية أحدهما بصورة أوضح من الثاني، وهو بناء صغير مؤلف من غرفة واحدة[56] أضيف له بناء آخر؛ اعتقد بداية أنه بيت عادي، وقد أقيم على أرضية منخفضة مفروشة بالآجر. أما جدران البناء؛ فكانت عبارة عن جدران مائلة بانحدار، ومطلية بمونة غضارية، وفوق هذه الجدران قام حاجز من الآجر. جدران المعبد كانت سميكة، وقد بلغت 1.20 م، وأرضيته كانت من حجارة كلسية فرشت بالآجر.

للمعبد باب واسع ذو قوائم، وعتبة حجرية، أما داخل المعبد؛ فكان عرضه أقل من ثلاثة أمتار في حين بقي طوله مجهولاً لعدم الكشف عن

53 Oesch، 1995، P. 58.

54 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 339.

55 وولي، 1992، ص 109

56 Oesch، 1995، P. 57.

طرفـه الجنـوبي الغـربي، وكذلـك أرضـه كانـت مفروشـة بألـواح حجريـة. أمـا جدرانـه فمطليـة بطـلاء جيـد ومتقـن. وبالقـرب مـن بـاب المعبـد الداخـلي؛ وجـدت حليـة ذهبيـة صغـيرة عـلى شـكل صليـب، وبالقـرب منهـا وجـد نصـب للربـة المعبـودة، وهـو عبـارة عـن لـوح حجـري ثـلاثي الشـكل، ارتسـمت عـلى أحـد أطرافـه صـورة إنسـان عابـس الوجـه[57]، ولـه تـاج ذو قـرون، كصـورة للعبـادة[58]. كـما وجـد وعـلى بعـد متريـن مـن هـذا اللـوح، وفي الطـرف الشـمالي الغـربي مـن المعبـد، قسـم مـن أرضيـة مشـابهة لأرضيـة المعبـد، ويبـدو أن هناك معبديـن متجاوريـن متقابلـين خصصـا لعبـادة ربـات تـوأم[59].

أزيـل المعبـد بصـورة تامـة، وذلـك مـن أجـل بنـاء حـرم جديـد يتطابـق مـع المعبـد السـابق لـه مـن حيـث الاتسـاع والأبعـاد الخارجيـة، إلا أنـه يختلـف عنـه في المسـقط الأفقـي، وللبنـاء بهـو لـه عضائـد عاليـة نسـبياً بارتفـاع 2م، وهـو يقـود إلى الحـرم المركـزي، (عرضـه 5.50م، وعمقـه 3.30م)، وهـو يرتفـع حـوالي 2م. يصعـد إليـه بـدرج يقـع في الزاويـة الجنوبيـة، ومـن هـذا البهـو يمكـن الوصـول إلى مدخـل الهيـكل المركـزي (أبعـاده 5.50×12م)، جدرانـه سـميكة، يصعـد منـه عـبر درج بسـبب سـماكة الجـدران إلى الطابـق العلـوي. إن بهـو الهيـكل المركـزي ذي العضائـد يدعـو إلى التفكـير بنظائـر حثيـة[60].

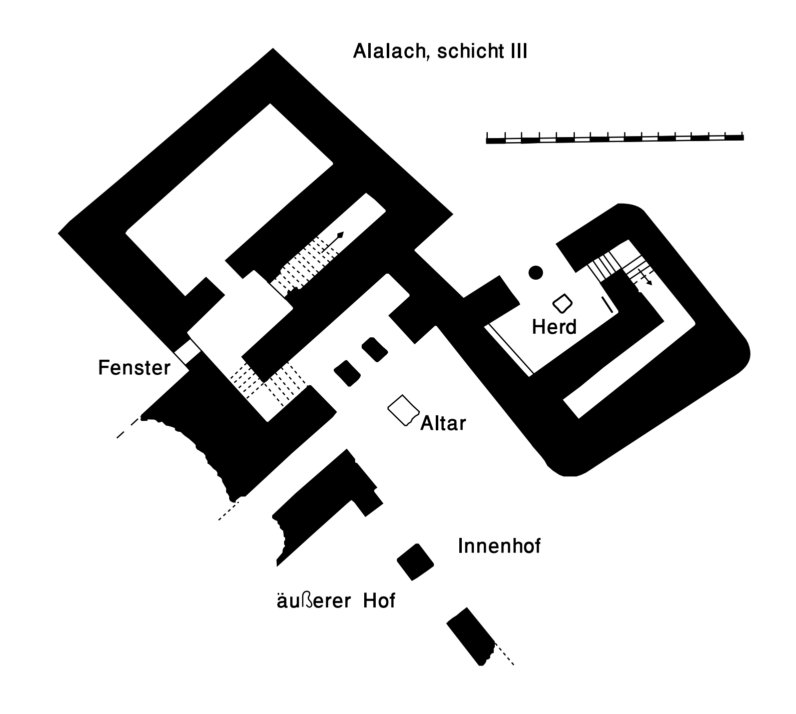
بـدا أن شـكل معبـد هـذه السـوية يتوافـق وشـكل معبـد تقليـدي آخـر موجـود في مدينـة كركميـش لـه أعمـدة، وثـلاث فتحـات، وغرفـة وحيـدة في الطابـق الأرضي، ولـه في الخلـف درج يقـود إلى الطابـق الثـاني، وهـذا التشـابه يقـود إلى القـول: إن هـذا النمـوذج مـن المعابـد هـو النمـوذج الأصـلي للبنـاء المسـمى بيـت هيـلاني والـذي أرجعـه المنقـب إلى أصول آشـورية. (الشـكل41).

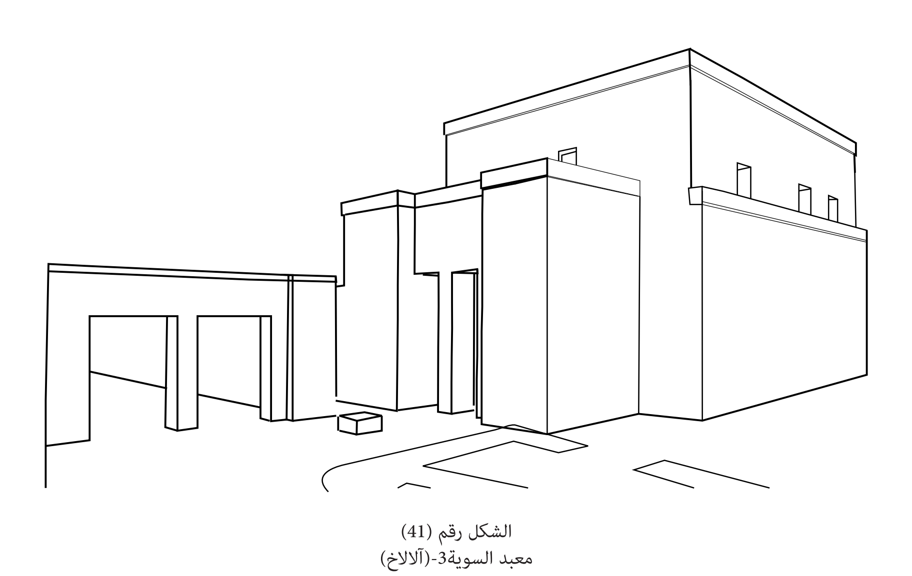
57 وولي، 1992، ص 89.

58 Oesch، 1995، P. 57.

59 وولي، 1992، ص 89.

60 Oesch، 1995، P. 58.





الشكل رقم (41)
معبد السوية3-(آلالاخ)

احتوى ذاك البناء الديني بالأعلى على غرفة علوية خاصة بالملك، وعلى الأرجح كانت مخصصة لنذور الملك. لكن ظهوره هنا قد يكون بفضل الحثيين الذين نسبوه إلى أنفسهم، وما قد يعزز هذا الاستنتاج، الرقيم المحترق الذي عثر عليه في منطقة المعبد بين أساسات معبد السوية الثانية، وهذا دليل على أن تاريخ الرقيم أسبق من تاريخ البناء. وأهمية هذا الرقيم ليست فيما احتوى من معلومات ولكن في تميزه، إذ هو من نموذج حثي، ولم يعثر على ما يماثله خارج عاصمة الحثيين /بوغازكوي/ وظهوره هنا في ألالاخ، في منطقة بعيدة غير حثية، له الكثير من الدلالات المهمة[61]. إن المعبد يشير إلى وجود عناصر الأصالة والاستمرارية في بناء معابد ألالاخ التي تختلف عن المعابد الحثية. وحقيقةً؛ يمكن إرجاع المخطط الأساسي لمعبد هذه السوية، إلى نفس تقاليد المعابد في ألالاخ التي لم يطرأ عليها سوى انقطاع قصير كان في معبد السوية (5) فقط. وهي تتألف من حرم مركزي (وغالباً ما يكون حجرة عريضة) مع بهو، إضافة إلى فناء، ومذبح النار، وهي عناصر تقليدية دائمة في تقاليد هذه المعابد[62].

4ـ معبد السوية الثانية

لقد تعرض كامل معبد السوية الثالثة للتخريب جراء النيران الشديدة، وبني مكانه المعبد الجديد وفق نفس التصور؛ لكن بشكل أكثر تواضعاً. نصادف في هذه السوية هيكلين مركزيين متوضعين جانب بعضهما، ولكليهما ذات المساحة التي تبلغ ما مقداره (5×5 م)، ويتقدمهما بهو أبعاده (4×12م)، له مدخل على محور الهيكل الغربي للبهو، وتتموضع أمامه وعلى بعد 2 م عدة درجات، ويوجد على نفس المحور مذبح كبير

61 ووللي، 1992، ص 126.

62 Oesch، 1995، P. 58.

لحـرق الأضاحـي. ونظـراً لهـذا الترتيـب المتتابـع للعنـاصر، (مذبـح ومدخـل إلى بهـو الفنـاء ومدخـل إلى الهيـكل المركـزي)، فإنـه يبـدو أن الهيـكل المركـزي الغـربي كان مكرسـاً للآلهـة الرئيسـة. وكانـت تتبـع لهـذا المعبـد منحوتـات بشـكل أسـود أيضـاً، وقـد أُعيـد اسـتخدامها لاحقـاً في معبـد السـوية الأولى. وتبعـاً للغايـة مـن وجودهـا كحاميـة (مـن الأذى والـشرور) فقـد توجّـب أن توضـع عـلى جانبـي أحـد المداخـل. كـما توقّـع المنقبـون وجـود حـرم ثالـث قـرب المبنـى الملحـق بمعبـد السـوية الثالثـة، إلا أنـه لم يتبـق شيء مـن أثـر البنـاء، الـذي اسـتخدم كملحـق لمعبـد السـوية الثالثـة لتقديـس الأسـلاف[63].



الشكل رقم (42)
معبد السوية 2-- (آلالاخ)

هنـاك بنـاء ملحـق آخـر يقـع شـمالي المعبـد، ويبـدو أنـه احتضـن كنـز المعبـد، فقـد أمكـن العثـور فيـه عـلى قطـع مختلفـة عاليـة القيمـة، مـن بينهـا دميـة مـن الـلازورد لإحدى الإلهـات التـي كانـت مذهّبـة جزئيـاً. (الشـكل 42).

5ـ معبد السوية الأولى

يمكـن الافـتراض أن الدواعـي لإزالة معبـد السـوية الثانيـة (2) وإشـادة حـرم جديـد بـدلاً منـه كانـت دنيويـة صرفـة، حيـث أنـه وحـين كان المعبـد (2) في الأصـل يقـوم عـلى منصـة، ومـع مـرور الزمـن ارتفعـت سـوية الأرض المحيطـة بشـكل كبـير، مـما أدى إلى زوال المنصـة، وهـذا مـا اقتـضى ضـم هـذه القطعـة مـن الأرض المحيطـة، وإنشـاء

63 Oesch، 1995، P. 58.

بنـاء جديـد عليهـا، وهـو مـا تطلبتـه هيبـة سـلطة الدولـة الحثيـة. وقـد وضـع هنـاك في البنـاء الجديـد (ب .1) في مـكان مـا، لـوح مـن النحـت النافـر مـع تمثـال شـخصي للملـك الحثـي الكبـير تودخاليا/توضاليـا (Tudhaliya) الرابـع وعقيلتـه، والتـي نقلـت بعـد أن هـدم البنـاء بشـكل عنيـف جـراء النـيران إلى الأعـلى، وبنيـت في مصعـد درج مبنـى البنـاء الجديـد. وقـد مُثِّـلَ الملـك توضاليـا الرابـع وزوجتـه بوضعيـة التعبـد، وكُتـبَ أمـام الملـك، وبـين الشـكلين، نصـان قصـيران بكتابـة هيروغليفيـة كبـيرة، وعـلى الجانـب يشـاهد شـخص مرافـق، يحمـل رمحـاً. أمـا مضمـون النـص فهـو: (توضاليـا، العظيـم... ابـن الملـك). ومـن النـص الثـاني أمكـن قـراءة: (ابـن الملـك)[64].

كان معبـد السـوية الأولى مربـع الشـكل، حيـث بلغـت أبعـاده 15×15م، وكان المدخـل في منتصـف الواجهـة، حيـث قامـت عـلى جانبيـه غرفتـان مربعتـا الشـكل تقريبـاً، ووجـد مقابـل المدخـل المحـراب، كـما وجـدت عـلى هـذا المحـور النصـب المقدسـة، في حـين امتـدت أمـام المعبـد سـاحة بلغـت أبعادهـا 12.60×13.50م[65].

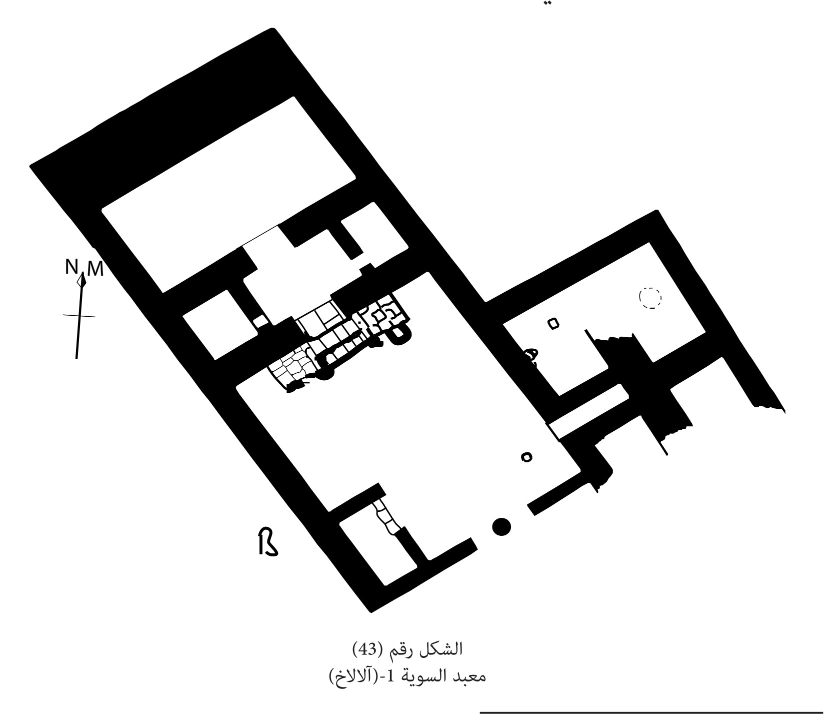
أضيـف ثانيـة إلى فنـاء المعبـد (ب .1) بنـاء ملحـق، وهـو المـكان الـذي قـام أحـد الكهنـة بدفـن تمثـال الملـك أدريمـي فيـه بعنايـة، بعدمـا تـم قطـع رأسـه بصـورة عنيفـة، كـما عـثر هنـاك عـلى عـرش التمثـال؛ وعـلى مذبـح، مـما يشـير إلى أن التمثـال كان منصوبـاً هنـاك قبـل أن يتعـرض المعبـد للاعتـداء. ولكـن سرعـان مـا أُعيـد بنـاء المعبـد بصيغـة أبسـط، فتألـف مـن بهـو (طولـه 3.50م) لـه مدخـل ضيـق، وهيـكل مركـزي بعمـق حـوالي 7.50 م، يـؤدي إليـه مدخـل بعـرض مضاعـف. وعـلى طـول الجـدار الخلفـي هنـاك ثـلاث كـوى (محاريـب) لُبِّسَـتْ الوسـطى بالخشـب، والجانبيتـان بمشـاهد منحوتـة، ومـن

64 Oesch، 1995، P. 58.

65 عبد الرحمن (عمار)، 2008، ص 44

الأعلى بواسطة سقف رقيق. ولم يعثر على أدوات يمكن أن تفصح عن وظائف هذه الكوى، سيما وأنه لايوجد نظيراً لها[66]. (الشكل 43).

أما المنحوتات التي تم تزيين المعبد بها، في مرحلته الأخيرة، فقد كانت على شكل أسود من الحجر البازلتي، وتعرضت جميعها للتحطيم. كما زُيِّنَ المعبد بأشياء أخرى أصابها عطب شديد، وأُعيد استخدامها، ولما كانت قطع من هذه الأسود تم الكشف عنها في أساسات معبد يعود لسوية أقدم، فمن البداهة أنها تعود بتاريخها على الأقل إلى عصر سوية البناء الثانية، إن لم يكن لعصر أسبق. ومن المرجح أن تكون بعض منحوتات الأسود كانت تشكل دعامات أبواب المعبد، كما أن المنحوتات النافرة تشبه تلك التي كانت تزيِّنُ قصر توضاليا. وهذه المنحوتات،



الشكل رقم (43)
معبد السوية 1-(آلالاخ)

66 Oesch، 1995، P. 58.

علاوة على أهميتها كعنصر إنشائي وتزييني في هذه الأبنية، فهي تشهد على تطور تاريخ الفن، وعلى ظاهرة التناغم الحثي - السوري الذي تميزت به منطقة سورية الشمالية[67].

المعبد والقصر

تظهر نصوص ألالاخ تبعية المعبد للقصر الحاكم، وتبين أن الدور الرئيس كان للقصر الذي تبعه المعبد معمارياً واقتصادياً، فَتُسَلَّم مخصصاته من القصر، في حين اقتصر دور المعبد على الشؤون الدينية فقط. أما دوره في إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية فهو غير ملحوظ.

لكن الانقسام الأساسي في مملكة ألالاخ فقد كان بين القصر الملكي، ويتبعه المعبد الذي يسيطر على كل شيء من الأراضي والاقتصاد، مقابل عامة السكان ومراكز أخرى مستقلة عن القصر. وهذا ما تؤكده الحفريات الأثرية في ألالاخ. حيث كشف "وولي" في السوية السابعة عن معبد إلى جانب القصر مباشرة يرتبط به عن طريق فناء، وفي السوية الرابعة كان المعبد يقع إلى الجنوب الشرقي من القصر، مما يدل على استمرار الارتباط بينهما بشكل وثيق. ويجد هذا الانطباع مصداقيته في النصوص التي تتضمن قوائم المخصصات التي تم توزيعها ويرد فيها ذكر الكثير من السلع المسلمة لمعبد عشتار، مثل الشعير والقمح، وذلك تحضيراً لاحتفال سيقام في أحد أيام شهر أوتيخي، وكأن معبد عشتار كان يتلقى مخصصاته من القصر كأي قطاع تابع له[68].

ثانياً: معابد إيمار

ألقت معابد إيمار الضوء الساطع على خصائص المعابد السورية في فترة البرونز الحديث، وعمّقت معرفتنا بأوجه التشابه والاختلاف بينها،

67 وولي، 1992، ص 132.

68 عبد الرحمن (عمار)، 2008، ص 174.



الشكل رقم (44)
مخطط لمعابد إيمار

كما أوضحت الخصوصية التي تتميز بها هذه المعابد، والتي بينت المقارنات التي أُجريتْ بينها وبين بعض معابد بلاد الرافدين، ومنها (خورسباد)، أن جذورها الأولى كانت في سورية.

يقول مارغرون رئيس بعثة التنقيب التي عملت في إيمار/مسكنة، "إن المدينة ليست سورية نموذجية، ففيها تأثير حثي قوي واضح في المخطط العمراني والعمارة المدنية، وفي النحت ويرافقه تأثير ديني رافدي، ولكن ذلك لا يخفي الأصالة السورية في عمارة المعابد وفي بعض مظاهر الفن"[69].

لقد أقيمت الأبنية الرسمية في إيمار في مكان بارز يهيمن على المدينة والوادي بآن واحد(الشكل 44)، وتمتد شوارع المدينة بين هذين الموقعين، كذلك توجد داخل هذه المدينة المعابد المبنية على شكل أسطحة متتالية، لتشكل بالتالي نوعاً من المدرج الكبير أمام الوادي. (الشكل 45).

كشفت الحفريات الأثرية في إيمار عن أربعة معابد، يعود تاريخها إلى عصر البرونز الحديث، ويبدو أنها بنيت على الأغلب في نهاية القرن الرابع عشر، واستخدمت في القرن الثالث عشر، واختفت بعد الكارثة التي جاءت على إيمار حوالي 1187 ق.م[70].

69 البني، 1982، ص 205.

70 Margueron، 1985، P، 12.



الشكل رقم (45)
بيوت إيمار – مشهد تخيلي

شيدت جميع المعابد بشكل متشابه على نمط معبدantis ذي الرواق الذي بدا الأكثر شيوعاً بين المعابد السورية، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة مغلقة من جهة، ومفتوحة من الجهة الأخرى بمدخل يسبقه رواق بعمودين. أما في الداخل فهناك مذبح يقع على طول ثلثي القاعة، ثم مقاعد على طول الجدار المقابل، وأحياناً على الجدار الجانبي، وتزين الواجهة مسامير من الطين المشوي.

على قمة هذا الموقع؛ بني معبدان متجاوران لبعل وعشتار، يرتبطان بفناء واحد، ويشكلان مجموعة من الأبنية الدينية المهمة على حافتي الطريق المؤدية إلى المدينة. أما المعبد الثالث فهو مشابه، لكنه شُيد في أحد أحياء المدينة، ويبدو أنه كان معبداً مهماً، ومقراً لنشاطات أحد الكهنة المهمين، إذ كان محمياً من قبل ولي العهد الحثي، وقد تم العثور فيه على جزء من المكتبة، وعدد من السجلات. إن دور هذا الكاهن جعل من هذا المعبد المكرس لجميع الآلهة مركزاً للحياة الفكرية. أما بالنسبة للمعبد الرابع والأخير، فرغم أهميته؛ لكنه لم يعرف لأي من الآلهة كان مكرساً[71].

1 ـ معبدا بعل وعشتار

شيد المعبدان المخصصان لبعل وعشتار جنوب شرقي الموقع، في القطاع E في وضع استراتيجي مرئي من جميع الجهات، وذلك عند طرفي شارع عريض، اتجاهه شرق غرب. المعبد الشمالي أكثر حفظاً من الجنوبي، ورغم الدمار الذي تعرض له البناء، إلا أنه أمكن معرفة المخطط الذي كان عليه، وهو ذو شكل مستطيل عرضه حوالي 10م، وطوله تقريباً 20م، يحيطه جدار بسماكة 2م. يتم الدخول إليه من الجهة الشرقية عبر باب وسط الجدار، ثم وبعد الدخول بعمق حوالي 530 سم، هناك جدار مواجه يتخلله باب يوصل إلى المصلى، وهو قاعة مستطيلة الشكل طولها أقل من 11م، وعرضها 560 سم. يوجد في هذه القاعة مقعد يمتد على جزء من الجدار الجنوبي[72]. وفي الجهة الغربية؛ هناك تجهيزات (مصاطب، ومقاعد، ومطالع أدراج). وعلى محور الباب؛ يقوم مذبح مبني من اللبن المغطى بطلاء سميك، وهو معقد البناء، له درجات، وأمامه

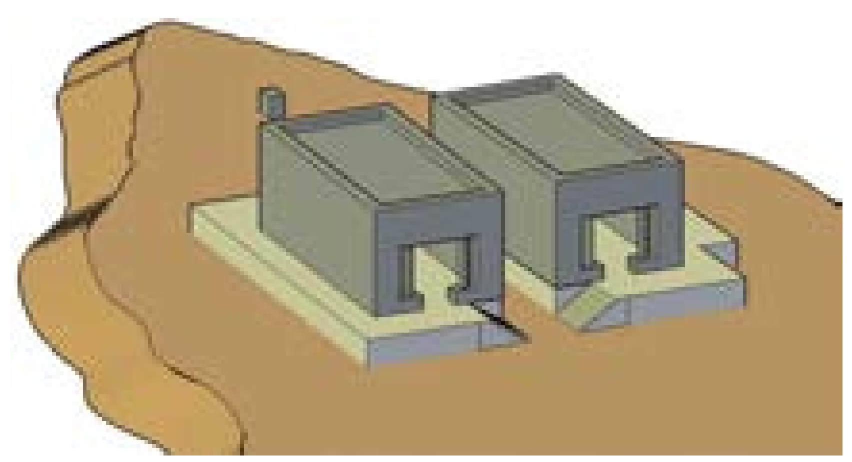
71 مارغرون، 1983، ص 270.

72 Margueron، 1985، P، 13.

مصطبـة منخفضـة. القواعـد الصغـيرة مربعـة الشـكل، كانـت عـلى صـف واحد مـن الجهتـين، وكأن وظيفـة ذلـك كانـت؛ الطـواف والـدوران مـن البـاب نحـو المذبـح عـلى مسـافة ثلثـي طولـه، وعـلى الجـدار الداخـلي وجـدت مقاعـد صغـيرة، وأهمهـا المقعـد الموجـود في الجنـوب. (الشـكل 46).

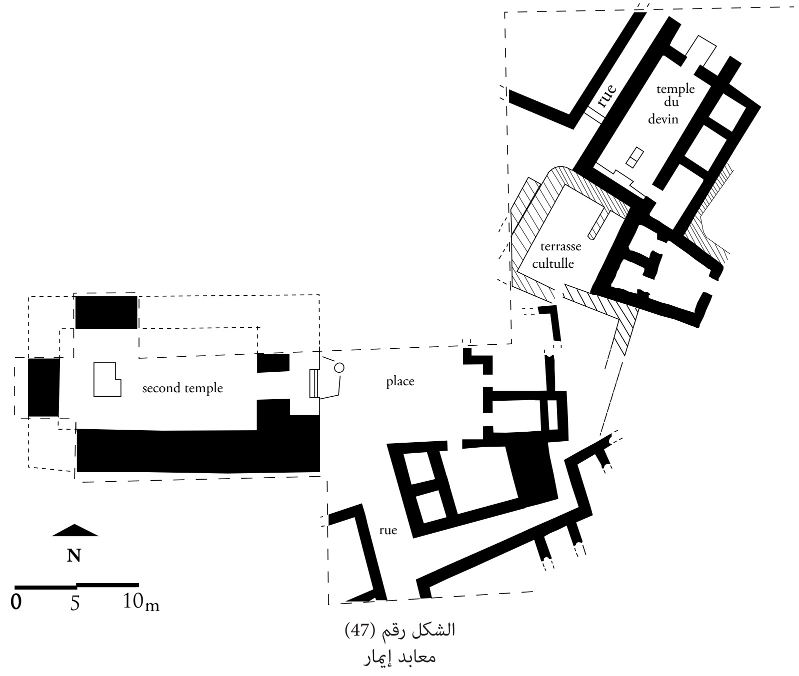
أمـا المعبـد الجنـوبي فقـد تهـدم بكاملـه، ولم يبـق منـه سـوى بعـض عنـاصر الأساسـات، لكـن قياسـات القاعـة الكـبرى ومخططهـا لا يختلـف عـن المعبـد الشـمالي، مـن حيـث المرافـق الداخليـة، والمذبـح المبنـي مـن اللـبن، والـذي طـلي هـذه المـرة بالأصفـر. (الشـكل 47).

تشـير الرقـم المسـمارية المكتشـفة مـن معبـدي بعـل وعشـتار إلى أن الإلهـين بعـل وعشـتار كانـا معبوديـن في تلـك الفـترة، وحـددّ المنقـب بـأن المعبـد الشـمالي كان مخصصـاً لعبـادة بعـل، في حـين خُصـص المعبـد الجنـوبي لعبـادة الإلهـة عشـتار[73]. وقـد وجـد بـين المعبديـن ممـر يقـود إلى رصيـف عـلى الامتـداد الغـربي للتلـة، وفسّرت البعثـة الفرنسـية هـذا الرصيـف عـلى



الشكل رقم (46)
معبد بعل وعشتار - إيمار

73 Margueron، 1985، P، 16.



الشكل رقم (47)
معابد إيمار

أنه مصطبة كانت مخصصة للعبادة. غُطِّي هذا الطريق بطبقة من الجص، وتم تجديده أكثر من مرة، مما أدى إلى ازدياد سماكتها حتى بلغت 20 سم. ويبدو أن هذا الطريق كانت تمر فيه المواكب بشكل متواصل من الغرب إلى الشرق[74].

من الواضح أن المعبدين قد تعرضا للاعتداء والنهب قبل أن تضرم النار فيهما، والتي جاءت على كل المحتويات بما فيها التزيينات. ومن بين اللقى المهمة المتبقية هناك بعض الرقم المسمارية التي وجدت على أرضية المعبدين وبين أنقاض القبور، وكذلك تمثال إله من البرونز، ودمية لثور، ورؤوس سهام، وخرز، وعاج، وكلها تدل على أهمية هذا المبنى المزدوج[75].

74 جاموس، 2004، ص 110.
75 مارغورون، 1975، ص 223.

2 ـــ المعبد الثالث (مجمع الأرباب)

عـثر عليـه في القطـاع (M)، وكان مكرسـاً لجميـع الأربـاب، وهـو بمثابـة مجمـع لأربـاب إيمـار. كان يقـوم عليـه كاهـن عـرّاف لـه علاقـة وثيقـة بالسـلطة الحثيـة، كـما تـم اسـتنتاجه مـن الوثائـق الفريـدة المكتشـفة، وهـي بالمئـات، التـي ربمـا شـكلت مكتبـة للكاهـن، وتضـم نصوصاً حـول العبـادات، ومعاجـم، ونبـوءات بالأكاديـة والسـومرية والحوريـة.

للمعبـد شـكل مماثـل لمخطـط المعبديـن في القطـاع (E)، اتجاهـه شـمال شرق - جنـوب غـرب ويتألـف مـن قاعـة مسـتطيلة طولها 610 سـم، وعرضهـا 5م، يتقدمهـا بـروزان، وفيهـا مذبـح مـدرج يتوضـع أمـام المصطبـة في صـدر الحجـرة. ويختلـف هـذا المعبـد عـن المعبديـن السـابقين بوجود ثـلاث حجرات مـن الناحيـة الشرقيـة، كـما يوجـد في جنوبـه بيـت للسـكن لـه مخطـط بيـوت إيمـار المعروفـة. وهـذان البنـاءان مسـتندان إلى جـدران اسـتنادية، تقـوم عـلى سـطيحة أكـبر تجـري عليهـا بعـض الطقـوس والأضاحـي كـما تذكـر النصـوص، وهـذا الترتيـب مماثـل لمـا وجـد في القطـاع (E)[76]. وقـد عـثر عـلى بعـض أدوات العبـادة المهمـة كالمذابـح والأحـواض، والأواني النذريـة وبعـض الدمـى الطينيـة[77]. وعـثر عـلى مجموعـة مـن نمـاذج منـازل عـلى شـكل أبـراج (ربمـا كانـت مذابـح طقسـية أو مناصـب) كانـت تلعـب دوراً في مجـال العبـادات[78]. إن تكريـس هـذا المعبـد لعبـادة جميـع الآلهـة، يشـكل ظاهـرة غريبـة بعـض الـشيء، إلا أن المجمـع الإلهـي الكبـير في سـورية والعـراق، يسـمحان بهـذا التسـامح والتعدديـة الإلهيـة. (الشـكل 48).

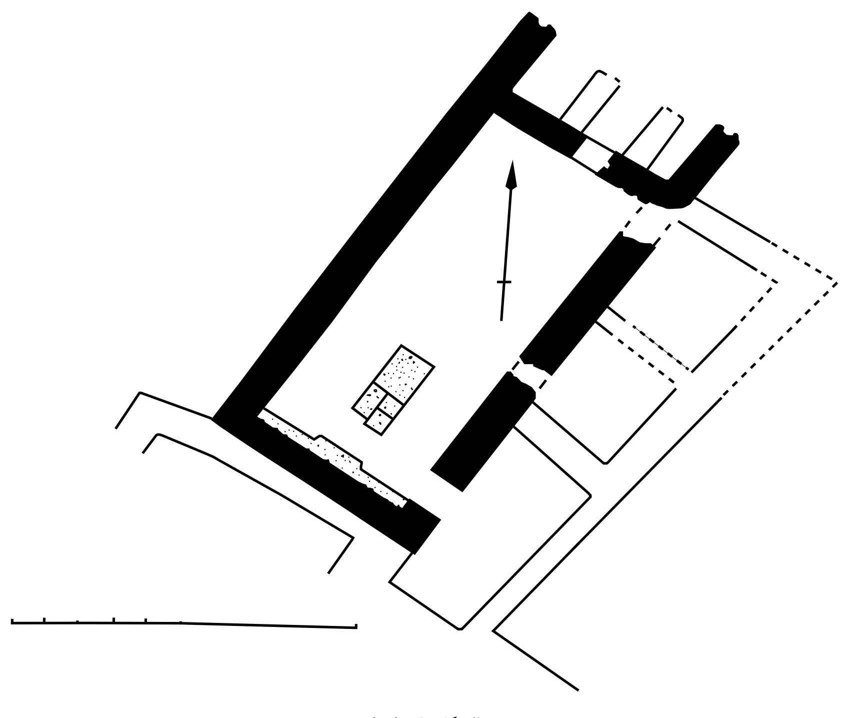
---

76 Margueron، 1985، P، 14.

وانظر أيضاً: مارغورون، 1975، ص203.

77 جاموس، 2004، ص 111.

78 مارغرون، 1983، ص 271.



الشكل رقم (48)
المعبد الثالث - إيمار

3 ـ المعبد الرابع

أما المعبد الرابع؛ فمن الصعب التأكد من مخططه، لكن مكتشفاته تدل على أهميته، ولكنها لم تؤكد لنا لأي من الآلهة قد خُصص المعبد[79]، رغم غناه بالأثاث اللازم لممارسة الطقوس الدينية.

بين معابد أوغاريت وإيمار

بالمقارنة بين معابد إيمار ومعابد أوغاريت التي وجد فيها أربعة معابد، منها اثنان توأمان لقربهما جداً من بعضهما، ولأن لهما الحجم ذاته تقريباً، وهما معبدا بعل ودجن، فإنه يلاحظ وجود بعض الاختلافات بينهما، فبالإضافة إلى أن الأبنية في إيمار ليست برجية، فإن

79 مارغرون، 1983، ص 270.

شكل المعابد متطاولة أكثر، ولكن يوجد مذبح للمعبد، وكذلك مقاعد وركائز (في المعبد الشمالي)، في حين ليس لدينا مذبحاً كبيراً للأضاحي أمام الرواق. أما التراس المخصص للطقوس، فقد كان من التجهيزات الأساسية في أوغاريت، وبمساحة واسعة في الهواء الطلق، في حين كان التراس في معابد إيمار يقع في صدر المعبد لا أمام الرواق. إن العثور على قاعدة مذبح في هذا التراس، الواقع في الصدر، يدفع للاعتقاد أنه كان يستخدم من أجل الأضاحي الدموية. كما كانت أرضية التراس مزروعة بالأقماع، وهو إجراء شعائري لم نره في أوغاريت باستثناء معبد الريتونات. أما المعبد الرابع في إيمار؛ فقد كان كتلةً معماريةً ممتدةً، وُجِدَ بداخله إناء للسكب أمام درج المدخل، كما تم تجهيزه بالمقاعد التي وضعت على طول جدار الحرم الداخلي[80].

ثالثاً: معبد ممباقة (إيكلتي)

خلال السنوات الأخيرة من التنقيبات التي جرت في تل ممباقة[81]، تم التركيز على المنطقة الواقعة قرب سور المدينة الشمالي، وأظهر المسح الجيوفيزيائي عام 1993م بناءً مستطيل الشكل، لم تعرف وظيفته في البداية. وفي عام 1999م تم البدء بالكشف عن البناء الذي يُظهر أهميته الموقع الاستراتيجي الذي بُني فيه بين البوابة الشمالية للمدينة، والممر المؤدي إلى قمة التل. (الشكل 49).

80 Michel، 1993، P. 203-204.

81 يقع تل منباقة/ممباقة على الضفة اليسرى لنهر الفرات في منطقة بحيرة الأسد، غرب الرقة 60 كم، نقبت فيه بعثة ألمانية منذ عام 1969 كشفت أن التل، البالغ مساحته 20 هكتاراً، يحتوي على مملكة إيكَلتي القديمة التي ازدهرت خلال عصر البرونز الحديث. سكن الموقع منذ 2500 ق.م وازدهر خلال عصري البرونز الوسيط والحديث حيث كان لإيكلتي دور كبير في الصراع بين الحثيين والآشوريين والمصريين، تم الكشف عن ثلاثة معابد متجاورة ضمن حيّ خاص، كرس واحد منها لعبادة الرب دجن، والثاني لرب الطقس بعلاك/بعل، وربما كان الثالث لزوجته عشتار، وعُثِرَ على عدد من الدمى الطينية التي تمثل الإلهة عشتار، ومجموعة من الرقم المسمارية ذات المواضيع الاقتصادية.



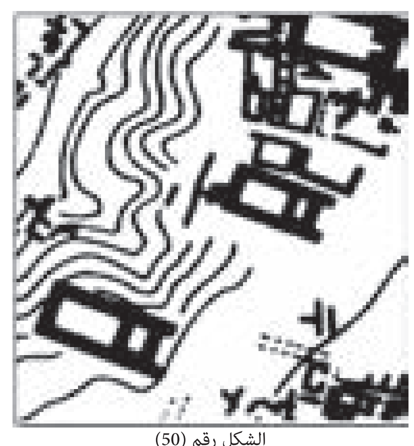
الشكل رقم (49)
تل ممباقة

أثبتت المعطيات الأثرية ومنها دراسة المادة الفخارية وبعض اللقى الصغيرة، ودمية طينية لإله، أن المبنى عبارة عن معبد يعود لعصر البرونز الحديث (حوالي 1400 ق.م)، وقد أُطلق عليه اسم البناء الحجري Steinbau 4\4 ، وهو ينتمي إلى نمط العمارة المسمى «أنتين"Antentempel باللاتينية antis (المعابد الطويلة ذات الرواق)، وهو مشابه للبناء الحجري Steinbau 1\1 والبناء الحجري Steinbau/ 2 المكتشفين سابقاً على قمة التل (الأكروبول)، وهما من نفس النمط المعماري. كما كان قد كشف في التل رقم A في قرية تل حلاوة القريبة من تل ممباقة عن هذا النمط المعماري من قبل الآثاري الألماني فينفريد أورتمانW. orthman وهو مشابه لنمط معابد إيمار التي اكتشفها مارغورون Margeuron. لكن، ما يميز هذا البناء الحجري عن الأبنية الأخرى من نفس النمط،

هـو أن معبـد ممباقـة لا يملـك الغرفـة المقابلـة للحـرم. لكـن، وبـدلاً عـن ذلـك، يبـدو أن سـكان مدينـة إيكَلتـي وجـدوا طريقـة أخـرى لإضافـة غـرف وجـدران لهـذا النمـط المعـماري المتميـز أساسـاً بالبسـاطة.

تـم الكشـف عـام 2008م عـن كتلـة معماريـة مؤلفـة مـن عـدة غـرف وأفنيـة محيطـة بهـذا البنـاء الواقـع في وسـطها. أبعـاد غرفـة الحـرم في هـذا المعبـد المسـتطيل الشـكل هـي (11.3×5.8 م). في نهايـة الحـرم مقابـل المدخـل توجـد منصـة مبنيـة مـن الحجـر. كـما عـثر فيـه عـلى أجـزاء معماريـة صغـيرة مبنيـة مـن اللـبن والحجـر، بُنـيَ بعضهـا فـوق المصطبـة، إضافـة لبعـض الكـوى والثقـوب المليئـة بالفحـم. كـما توجـد غرفـة صغـيرة، بـين الحـرم والجـدار الغـربي الخارجـي للمعبـد، يمكـن الوصـول إليهـا عـن طريـق الحـرم، ربمـا اسـتخدمت لحفـظ أدوات العبـادة. كـما يوجـد درجـان يؤديـان إلى خـارج المعبـد باتجـاه الشـمال، أحدهـما مـن الغرفـة (g)، والآخـر مـن الغرفة الرئيسـة للمعبـد، أي مـن الحـرم نفسـه.

مسـاحة المجمـع (المعبـد مـع محيطـه) حـوالي 520 مـتر مربـع، وهـي تبدو كأن لهـا وظيفـة واحـدة. هـذا المجـال حـدد بشـكل واضـح وهـو محـاط جزئيـاً بجـدار مـع مدخـل وحيـد لهـا جميعهـا. (الشـكل 50).


الشكل رقم (50)
مخطط معبد تل ممباقة

خـلال حفريـات عـام 1999م وجـدت كـوة (في الغرفتـين b وa) مليئـة بالجـرار وقواعدهـا. هـذه الكـوة كانـت مسـدودة باللـبن، وتمـت إحاطتهـا



الشكل رقم (51)
تنقيبات تل ممباقة

بمسمار برونزي، وزوج من القلائد المصنوعة من الصدف والزجاج، كانت وظيفة هذه القطع هي الحماية السحرية للكوة. لقد تم بناء الكوة ضمن جدار حجري ضخم يمتد من الشارع باتجاه الشمال ويختفي تحت المعبد. وهو ما يتطابق بشكل كبير مع الجهة الغربية للقسم الديني من البناء. في حين كانت الجهة الشمالية للجدار موازية لسور المدينة الشمالي. ربما كان هناك مدخل صغير بين جدار المدينة وجدار المعبد. في جنوب مجمع المعبد توجد منطقة مفتوحة وكبيرة. (الشكل 51).

في المنطقة المسماة F الواقعة بالقرب من الدرج المؤدي إلى المعبد، يوجد حجر على شكل عمود بُنيَ بعناية، ثُبِّتَ الحجر بشكل دقيق على الرصيف، وهو محاط بجرة مصنوعة من الحجر مع لوح، يمكن مقارنة هذا التجمع للقطع الثلاثة مع تلك التي اكتشفت في بعض البيوت التي تم الكشف عنها في الموقع في المكان المسمى حدائق إبراهيم. ربما تشكل

هـذه المقارنـة دليـلاً عـلى أن هـذا التجمـع للقطـع الثلاثـة ذو أهميـة سـحرية أو دينيـة. ويشـار إلى وجـود غـرف مختلفـة تحيـط بهـذا المعبـد (البنـاء الحجـري Steinbau 4\4).

وُجـدَ في المعبـد والغـرف المحيطـة بـه الكثـير مـن الأواني الفخاريـة، التـي استـعملت للطعـام والـشراب، حيـث كانـت تسـتخدم لخدمـة المعبـد. وقـد حملـت بعـض كـسر الجـرار الفخاريـة تماثيـل المـرأة العاريـة، ووجـدت جـرار فخاريـة وقواعدهـا عـلى غـرار تلـك التـي وجـدت في الكـوة، وعـثر أيضـاً عـلى مجموعـة مـن عظـام الغنـم والماعـز والبقـر، وبعـض أنـواع الأحجـار. كـما عـثر عـلى ألـواح طينيـة تحتـوي عـلى عقـود بيـع بـين المواطنـين والمعبـد، لا يوجـد لهـا مثيـل في إيكَلتـي نفسـها، ومـن المعتقـد أنهـا نُسـختْ في المعبـد، أو في مركـز دينـي قريـب منـه[82].

إن وجـود المعبـد مـع الأبنيـة التابعـة لـه داخـل المدينـة، إضافـة إلى واجهـة المعبـد ذات الإطلالـة المميـزة، يعـد أمـراً ملفتـاً للنظـر، وهـي تدعونـا لتخيـل الحيـاة اليوميـة ضمـن مدينـة إيكَلتـي في فـترة العـصر البرونـزي الحديـث. فعنـد دخـول النـاس المدينـة مـن البوابـة الشـمالية كان أول شيء يتـم رؤيتـه هـو المعبـد والأبنيـة المرتبطـة بـه، وربمـا كان النـاس يجلسـون عـلى طاولـة طويلـة مقابـل المعبـد. وكان هنـاك ميـزة معماريـة لهـا تأثـير مدهـش، فعنـد النظـر إلى مدخـل المعبـد، يلاحـظ وجـود بـاب صغـير في النصـف اليسـاري مـن هـذا الجـدار، وهـو يقـع عـلى نفـس محـور بوابـة المدينـة. توفـر هـذه المنطقـة المفتوحـة والطريـق الـذي يتـم اسـتخدامه دخـولاً سـهلاً للمعبـد، وعندمـا لم يكـن باسـتطاعة النـاس الدخـول إلى المعبـد، ربمـا كان المتعبـدون يتوجهـون بالعبـادة إلى الحجـر المنتصـب المذكـور سـابقاً.

82 Felix، & Dittmar، 2011، PP. 125-129.

رابعاً ـ معبد تل براك

خالـط الميتانيـون الأكاديـين والأموريـين وشـاركوهم في أمـور عديـدة؛ أهمهـا الديـن، ومـن المبـاني التـي تنسـب للثقافـة الحوريـة الميتانيـة معبـد تـل بـراك[83] في الجزيـرة السـورية العائـد لمنتصـف القـرن السـادس عـشر ق.م، إبـان عهـد الملـك باراتزنـا الـذي قـاد مملكتـه لقمـة المجـد والتوسـع، فامتـدت رقعتهـا مـن كركـوك في الـشرق إلى سـهل العمـق في الغـرب وكان تـل بـراك أحـد مراكزهـم.

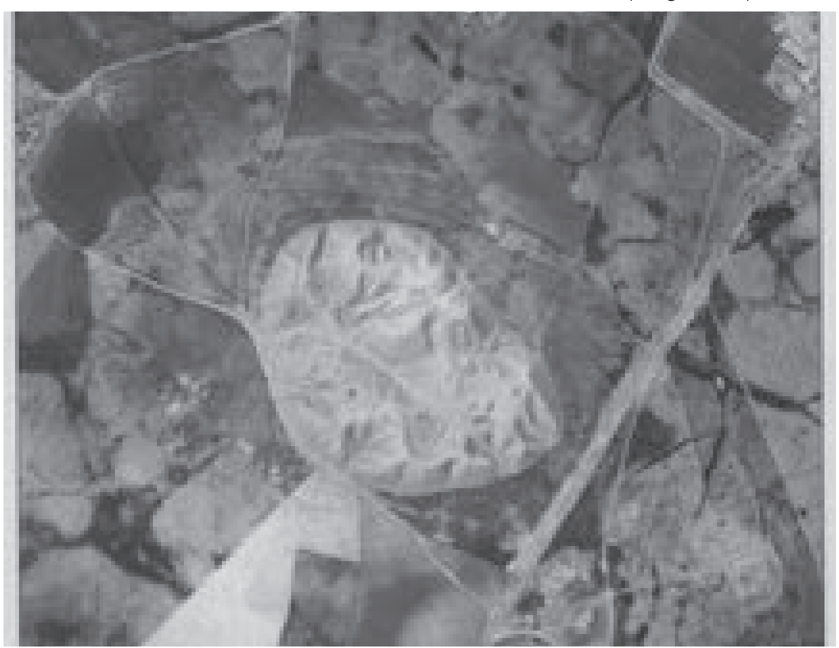
بُنـيَ قـصر ومعبـد في أعـلى قمـة مـن التـل، يفصـل بينهـما زقـاق بعـرض 2.5 م. يتألـف القـصر مـن فنـاء مرصـوف بالآجـر، حولـه عـدد مـن الغـرف الصغـيرة، وهنـاك درجـان يشـيران لوجـود طابـق ثـان. وبجانـب القـصر يوجـد معبـد لـه مخطـط غرفـة واسـعة مربعـة الشـكل، هـي الحـرم (السـيلا)، تتميـز باسـتخدام أنصـاف أعمـدة (عضـادات) مـن اللـبن[84].

المعبـد مسـتطيل الشـكل 16×18 م، يقـع مدخلـه بعـرض 1.5م في الجـدار الجنـوبي، وعـلى جانبيـه برجـان أصـمان. زينـت واجهتـاه الجنوبيـة والشرقيـة بأنصـاف أعمـدة (عضـادات). يتلـو المدخـل قاعـة كبـيرة مسـتطيلة الشـكل، هـي المصـلى، أبعـاده 560×1120 سـم، وبصـدره قبالـة المدخـل محـراب غـير عميـق، صفحتـاه مدرجتـان، وعـلى جانبيـه أنصـاف أعمـدة بـارزة مـن الجـدار الشـمالي، ويصعـد إليـه بـدرج. نـرى في الزاويـة الشـمالية الغربيـة للمصـلى

83 يقـع تـل بـراك (ناغـار القديمـة) عـلى بعـد 40 كـم شرقـي الحسـكة، تزيـد مسـاحته عـن 100 هكتـار، سُـكن الموقـع منـذ الألـف السـادس ق.م، واسـتمر خـلال الخامـس والرابـع (فـترة حلـف، عبيـد، أوروك)، أمّـا في الألـف الثالـث فـكان مـن أهـم المواقـع في المنطقـة، وخاصـة خـلال عهـد الدولـة الأكاديـة (2300-2100ق.م) عندمـا جعلـه نـرام سـين عاصمـة لـه، فبنـى فيـه قـصراً طبـع اسـمه عـلى طـوب البنـاء. اكتشـفه الإنكليـزي ماكـس مالـوان بعـد موسـمي تنقيـب (1937-1938م)، ثـم وبعـد انقطـاع طويـل تابعـت بعثـة إنكليزيـة برئاسـة ديفيـد وجـون أوتـس التنقيـب في الموقـع بـدءاً مـن عـام 1976م، كشـفت عـن العديـد مـن المنشـآت مـن بينهـا معابـد وقصـور.

84 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 346.

مقعـداً يلاصـق ضلعـي القاعـة، وأمـام المحـراب أزواج مـن اللـبن المشـوي، مغموسـة بالأرضيـة، كانـت توضـع فوقهـا منضـدة النـذور، وربمـا المذبـح. أمـا الموقـد فقـد تـم وضعـه عـلى يمـين المدخـل مبـاشرة، بينـما جُعلـتْ حُجرتـا التخزيـن خلـف المصـلى بالجهـة الشـمالية، بينهـما مدخـل للقـصر المجـاور لـه[85]. (الشـكل52).



الشكل رقم (52)
تل براك

85 أبو عساف، 2011، ص 266.

86 يقـع تـل محمـد ديـاب في الجزيـرة السـورية، تنقـب فيـه بعثـة فرنسـية (المركـز الوطنـي للبحـث العلمـي، باريـس) منـذ عـام 1987م وحتـى الآن. أهـم فـترات اسـتيطان الموقـع؛ تعـود للألفـين الثالـث والثـاني ق.م، وخاصـة تلـك المعـاصرة لمواقـع ممالـك بـلاد الرافديـن العليـا ومملكـة مـاري، تنقـب فيـه بعثـة فرنسـية برئاسـة جـان مـار- - ديـوران. أمـا تـل خويـرة فيقـع بـين نهـري الخابـور والبليـخ رافـدي الفـرات شرقـي تـل أبيـض، نقبـت في الموقـع بعثـة ألمانيـة منـذ منتصـف القـرن المـاضي برئاسـة أنطـون مورتغـات، وتبـين بنتائجها أن السـكن في الموقـع يعـود للألـف الثالـث (عـصر السـلالات الباكـرة)، ثـم العـصر الأكادي (2300-2000 ق.م) وكذلـك عـصر البرونـز الوسـيط، والحديـث (2000-1200 ق.م).

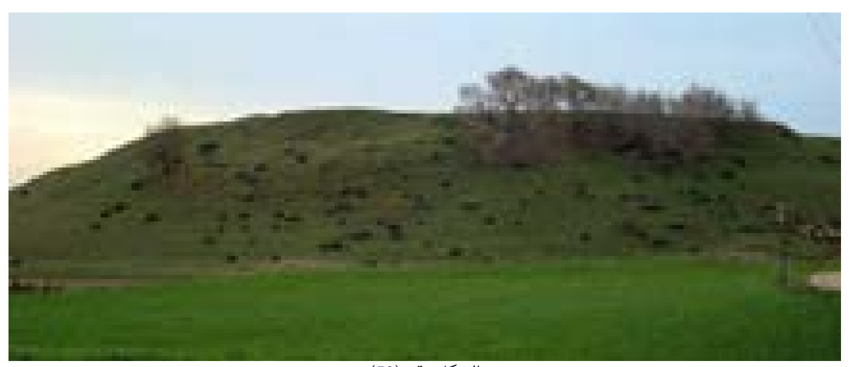
87 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 348.

الفصل الثالث: معابد المنطقة الساحلية

أولاً: معبد تل الكزل

قد يكون موقع تل الكزل[88] هو سيميرا/صمورو القديمة، وقد تم الكشف فيه عن ثلاثة معابد، حالتها غير جيدة للتوثيق، يعود اثنان منها لعصر البرونز الحديث، والثالث لعصر الحديد. أهمها المعبد الذي عثر عليه عام 1996م في القطاع IV (الشكل 53)

قرب البوابة الغربية من المدينة، وهو عبارة عن غرفة مستطيلة كبيرة، تتجه



الشكل رقم (53)
تل الكزل

88 يقع تل كزل الأثري 28 كم إلى الجنوب من مدينة طرطوس، في سهل عكار، على الشاطئ الأيمن لنهر الأبرش، ويُعدُّ من أكبر التلال الأثرية في الساحل السوري، طوله 350م، وعرضه 200م. تنقب في الموقع بعثة لبنانية ترأسها ليلى بدر. كانت المدينة عاصمة لمملكة صومورو القديمة، التي ذكرت في مراسلات تل العمارنه المصرية.

شرق غرب، عرضها 5م، وطولها حوالي 15م، ربما تمثل حرم المعبد، وتبدو هناك ملاحق واضحة لهذا الحرم من ثلاثة اتجاهات؛ الشمال والشرق والغرب. (الشكل 54).



الشكل رقم (54)
تنقيبات تل الكـزل

ويمكـن الاسـتنتاج، ومـن خـلال مقارنتـه بالمعابـد السـورية والفلسـطينية العائـدة لعـصر البرونـز الحديـث، أن مدخلـه يتوضـع في الجهـة الجنوبيـة، عـلى الأرضيـة الخارجيـة للمعبـد، وبجانـب الجـدار الشـمالي وُجـدَ الكثـير مـن اللقى التـي تضمـن أكثرهـا مـا يمكـن عـدُّهُ مـواد طقسـية كماليـة، ومنهـا تشـكيلة مـن الصناديـق الطينيـة، أكثرهـا ذات حجـم صغـير، وجـرار تخزيـن، ومـواد خزفيـة، ومنهـا صحـن لـه شـكل ثـلاثي الأقسـام، يمكـن مقارنتـه بآخـر وجـد في أوغاريـت، وهنـاك مقبـض سـيف كـروي الشـكل مزخـرف، ولـه ثلاثـة ألـوان، هـذا إضافـة لعـدد كبـير مـن الخـرز التـي صُنـع أغلبـه مـن مـادة الفريـت المذابـة ضمـن تنويعـة مـن الأشـكال، وعـدد آخـر صُنـع مـن الكهرمـان، أو مـن

المعجون الزجاجي متعدد الألوان، إضافة لعدد من الأختام الأسطوانية، كلها ساحلية الطراز، تعود لعصر البرونز الحديث، وهناك خرزة برونزية تمثل تمثالاً نصفياً لإلهة الخصوبة، بشعرها المميز، وهي مشابهة لخرزة ذهبية كانت قد وجدت في أوغاريت، كما وجدت مجموعة من التماثيل البرونزية مع عدد من المواد القبرصية، وكمية كبيرة من المواد الطقسية والأواني، أكثرها كانت أواني محلية الصنع، ولكن وجد بينها بعض الأواني المستوردة[89]. وهناك معبد آخر غني بمحتوياته. يبلغ طوله 590 سم، ولم يُعرفْ عرضه، له مدخل في الجهة الغربية، وعلى جانبه الشرقي يوجد مقعد من اللبن، ويحتوي على طاولتين لتلقي التقدمات، وقد توضعتا في الجهة الشمالية من القاعة[90].

ثانياً: معبد عمريت

عمريت[91] هي أحد المواقع البارزة خلال ما يسمى بالحقبة الفينيقية، ويحتوي على عدد من المنشآت الأثرية من بينها الملعب، أبعاده 230 م طولاً، و30 م عرضاً، وله سبع درجات. إضافة لمدافن ذات شكل مغزلي وقببي[92]. علاوة على معبد يُعدُّ من أفضل المعابد الفينيقية حفظاً

89 Badre، 2000، P. 39-40.

90 Badre، 2000، P. 67.

91 عمريت موقع أثري أبعاده 2×3 كم2، يقع جنوبي طرطوس، وهي مدينة قديمة أسماها اليونان ماراتوس، أقدم سكن في الموقع يعود للألف الثالث ق.م، تبعت لمملكة أرواد الفينيقية، وكانت المدينة الرئيسة فيها، كما ازدهرت خلال عصر الوجود الفارسي والسلوقي في سورية، ومعظم أطلالها الظاهرة تعود لهذه المرحلة، وقد مكث فيها الاسكندر أربعة أيام عندما كانت قواته تحتل دمشق. زارها أرنست رينان عام 1860م وتحدث عن المعبد، وفي عام 1926م أجرى فيها الفرنسي موريس دونان بعض الأسبار التي وثق من خلالها المعبد وبعض المباني، وتم الكشف عن مجموعة تماثيل نذرية. كما تابع دونان مع نسيب صليبي التنقيب في الموقع عام 1952م، واستمرا عدة مواسم، وكشفا خلالها الملعب الأولمبي. ثم تتالت مواسم التنقيب منذ عام 1978م. وبدءاً من عام 1988م ازدادت وتيرة العمل في الموقع، التي ما تزال مستمرة على أيدي بعثات وطنية مختلفة حتى اليوم.

92 Salepy، 1997، P. 112-113.

في الوطـن الأصـلي. وهـو معلـم فريـد مـن نوعـه، وقيمـة معماريـة عاليـة، تشـهد عـلى حقيقـة تاريخيـة مهمـة لسـورية؛ وللعـالم بأكملـه[93]. كُرِّس المعبد المفتـوح في الهـواء الطلـق لـرب الشـفاء، ملقـارت إلـه مدينـة صـور والإلـه إشـمون[94]. (الشـكل 55).

يتألـف هـذا البنـاء الرائـع المحفـور بالصخـر مـن ثلاثـة أروقـة قائمـة عـلى أعمـدة تُحيـطُ بحـوض كبـير مسـتطيل الشـكل، طولـه 46.7م مـن الشـمال إلى الجنـوب، وعرضـه 38.50 م مـن الـشرق إلى الغـرب، بعمـق بـين 3 م و3.5م[95].

كانـت الأروقـة مـن الشـمال والـشرق والغـرب مسـقوفة ومحمولـة عـلى عضـادات، كل منهـا مؤلـف مـن حجـر واحـد طولـه 3 أمتـار، وعرضـه مـتر، وعـدد تلـك العضـادات 13 عضـادة في الـرواق الجنـوبي، و15 عضـادة في كل مـن الرواقـين الشرقـي والغـربي. وفوقهـا (أرتيشرافـات) كثـيرة الـبروز نحـو الخـارج، لغايـة تزيينيـة بحتـة، أو نحـو الداخـل لحمـل سـقوف الأروقـة، وكانـت واجهتـا الرواقـين الغـربي والشرقـي مزينتـين بالشراريـف (الميرلونـات).

في الجهـة الشـمالية نجـد الطبقـة الصخريـة في مسـتوى السـهل المجـاور، وهنـاك يقـوم جـدار يتوسـطه المدخـل الـذي تتقدمـه عتبـة صخريـة تـبرز 3.5م داخـل الحـوض المقـدس، وتنحـدر تدريجيـاً نحـو المـاء. وكان هنـاك عـلى مـا يظـن غرفتـان في طـرفي الـرواق الجنـوبي ترتفعـان كبرجـين فـوق سـطح الـرواق، وهـما أيضـاً مزينتـان بالشراشـيف[96]. ربمـا كان مخطـط المعبـد في مركـزه ذي أصـول مصريـة[97]، لكنـه ينفـرد عـن كل معابـد الـشرق والغـرب ببحيرتـه المقدّسـة، التـي ليـس ثمـة مـا يشـابهها إلا في معبـد منبـج[98].

93 Dunand، 1985، P. 56.

94 البني، 1990، ص 112.

95 Dunand، 1985، P. 14.

96 دونان، 1962، ص 129 - 130.

97 Mazzoni، 2002، PP. 97.

98 البني، 1990، ص 112.



الشكل رقم (55)
مدافن مغزلية - عمريت

أرضيـة الحـوض المقـدّس مـن الصخـر الطبيعـي دون مـلاط، أو بـلاط، أو سـيراميك، وجوانبـه متآكلـة مـن تأثـير المـاء، وليس لـه درج للنــزول فيـه. وكان يتـم تفريغـه بالأصـل بواسـطة كهريـز في الزاويـة الشـمالية الغربيـة، وحـين حفـر الحـوض في الصخـر شـيدت جوانبـه بجـدارن حجريـة مائلـة لمنـع تأثرهـا بالمـاء، ينتصـب الهيـكل المربـع الشـكل، والمنحـوت مـن الكتلـة الصخريـة بارتفـاع 5.5م، وبنيـت أجـزاؤه العليـا مـن ثلاثـة مداميـك، الأسـفل مـن الكتلـة الصخريـة نفسـها، والعلـوي الـذي يشـكل سـقف المعبـد، وقـد بنـي مـن حجـر واحـد[99]، يتقـدم البنـاء في الضلـع الشـمالي للـرواق بنيـان منقـور في الصخـر، لكـن لم يبـق منـه الآن إلا الجـزء السـفلي، وهـذا البنيـان ليـس إلا المذبـح[100]، الـذي تـم تتويجـه بشرفـة، كـما اسـتخدمت تزيينـات المسـننات للإطـار المحيط بالسـطح، وفـق الطـراز المعـروف بمراكـز الامبراطوريـة الإخمينيـة في إيـران. (الشـكل 56).

احتـوت حفـرة الشـعائر الكبـيرة عـلى تمثـال ملقـارت (هيرقليـس)، الـذي يُصّـور كرجـل شـاب، يقـف بحـذر، وتبـدو رجلـه اليـسرى متقدمـة نوعـاً مـا، يلبـس جلـد أسـد يلـوّح بالهـراوة[101]،. وهـو لا يظهـر تأثـيراً إغريقيـاً في الفـن الفينيقـي، لكنـه يظهـر نزعـة مصريـة في هـذا الفـن. كـما نشـاهد ذلـك في نمـوذج التابـوت الحجـري المنحـوت عـلى شـكل بشري[102].(الشـكل57).

إن الصعـود إلى الهيـكل المركـزي لم يكـن ممكنـاً إلا بسـلُّم، وليـس هنـاك صحـة لمـا كان يتخيلـه بعضهـم مـن وجـود عموديـن تحـت سـقيفته البـارزة. وفي الحـوض نفسـه أمـام المعبـد توجـد كتلتـان صخريتـان، كان يعلـو كل منهـما عمـود، وهاتـان الآبدتـان نذريتـان، أو تتعلقـان ببعـض الطقـوس، وهـما

99 دونان، 1962، ص 130.

100 كلينغل 1985، ص 55.

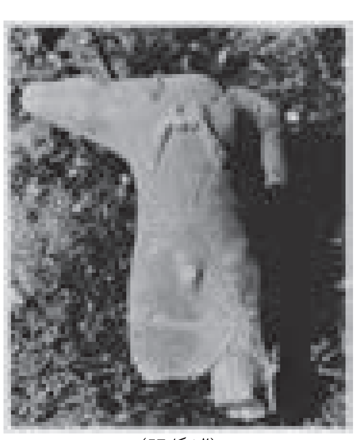
101 Dunand، 1985، P. 38.

102 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 391.



الشكل رقم (56)
معبد عمريت

معروفتان في بعض المعابد الفينيقية والسورية. وفي قاع الحوض آثار تدل على وجود حاجز، أما الأروقة فكانت تضم بعض الأنصاب والمذابح. والنبع المقدس، وهو عنصر رئيسي في الطقوس، كان يتدفق من كهف في جدار الرواق الشرقي تحتجز مياهه بحاجز، وتتفرع منه قناتان الأولى عميقة تجري في أرض الرواقين الشرقي والجنوبي؛ وتستخدم للتطهر، والأخرى بعرض قبضتين، تمر في جدران هذين الرواقين، وهي معدة للشرب على الأرجح. وفوق النبع ثغرات مستطيلة لعلها مهيئة لبعض الجذوع الخشبية التي تحمل سقيفة تظلل النبع[103].



(الشكل57)
ملقارت - عمريت

103 دونان، 1962، ص 130.

ويظهر أنه كان لهذا النبع دور في الطقوس الدينية التي كانت تقام في المعبد، فكان في الحوض على ما يُظن، سمك مقدس على الغالب، ويغترف طالبو الشفاء الماء المقدس من البحيرة بأباريق لها مصاف حتى لا يتسرب إليها السمك[104].

يعتقد المنقبون أن هناك صعوبة في إثبات تاريخ البناء، رغم أن هناك ميل بإعادته لبداية القرن السادس[105]، إذ عثر في قاع الحوض على أجزاء تماثيل مماثلة للتماثيل التي اكتشفت سابقاً في مخبأ للنذور غربي المعبد، وهي من القرنين الخامس والسادس ق.م، وهناك كسر فخار رودوسية من القرن السادس. وأقدم الآثار في قاع الحوض هي كسر الجرار (المرفوعة الآذان)، مع كسر أواني أتيكية من مطلع القرن الخامس[106].

ليس في عمارة المعبد الأساسية أي تأثيرات يونانية، فهي بالمجمل خاضعة لتأثيرات شرقية سورية ومصرية وإخمينية، ومخطط البناء بهيكله الذي يتوسط الباحة مطابق للمفهوم العمراني للمعبد المشرقي (السامي)، وهو نموذج قديم نجده في جبيل مثلاً منذ حوالي 3000 ق.م، لكنه يحتوي على بعض التفاصيل التي نجدها لدى الأموريين والمصريين والإخمينيين وعموم منطقة المشرق القديم[107].

لقد نال هذا المعبد مكانة مهمة عبر التاريخ، فإضافة لما يمثله من تمازج بين التأثيرات الشرقية والتقاليد المحلية، فهو متميز من ناحية أسلوبه المعماري المتطور. وسيصبح مثلاً يُحتذى، وخاصة من حيث الشراريف التي تزين المعبد المركزي، وقاعدته الصخرية، وكذلك الواجهة

104 لبني، 1990، ص 112.

105 Mierse، 2004، P. 566.

106 Mazzoni، 2002، P. 98.

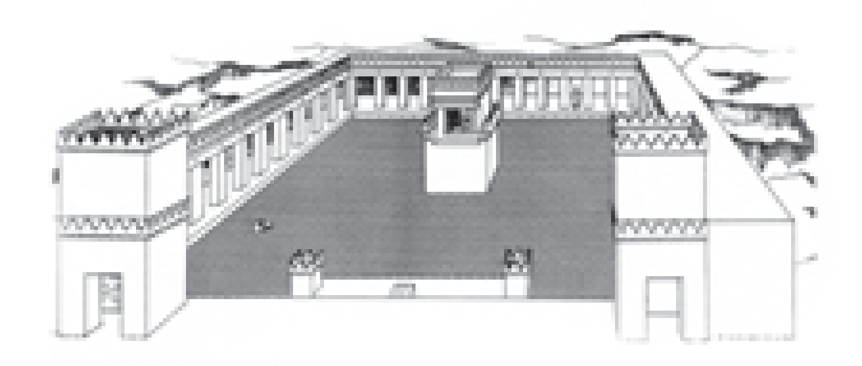
107 دونان، 1962، ص 130 – 131.

التـي تتصـل ببرجـين جانبيـين، والتـي أصبحـت تتبـع أسـلوباً عمرانيـاً سـينتشر في العـالم الرومـاني، وسـتدخل لاحقـاً في صميـم الهندسـة المعماريـة البيزنطيـة وأوربـة المسـيحية، كـما أن الباحـة التـي تحـف بهـا الأروقـة، والغـرف، سـتصبح النمـوذج المألـوف للمعابـد عنـد شـعوب المـشرق القديـم، ولاحقـاً سـيلقى هـذا الأسـلوب رواجـاً كبـيراً، خاصـة في العـصر الإسـلامي، حيـث سـيدخل في تصميـم المسـاجد، خاصـة خـلال القـرن الأول الهجـري[108].

وقـد يزيـد الاكتشـاف الجديـد الـذي قامـت بـه البعثـة الوطنيـة في الموقـع، في موسـم صيـف 2010م معرفتنـا بالمزيـد عـن طبيعـة التقاليـد، والممارسـات الدينيـة، لسـكان هـذا الموقـع الفينيقـي، فقـد عُـثر عـلى بنـاء يتألـف مـن واجهـة ذات مدخلـين، نحتـا عـلى سـطح صخـري كبـير، بارتفـاع يصـل لأكـثر مـن متريـن مـن الداخـل، مـع زخرفـة الواجهـة بعـدد مـن المحاريـب التـي تضـم مشـاهد تحمـل رمـوزاً جنائزيـة، كـما تضـم الواجهـة الشرقيـة زخـارف بمحرابـين ضخمـين، وثبتـت عليهـما زخرفـة رمزيـة «النقـش للنفـس والـروح» وهـي منفـذة بشـكل متقـن. ويبـدو أن وقـوع هـذا البنـاء في منطقـة مقابـر المغـازل، ووجـود رمـز النفـس، وطبيعـة الشـكل المعـماري، تدفـع للاعتقـاد أنـه نـوع مـن البنـاء الدينـي الـذي يُكتشـف لأول مـرة في المناطـق الفينيقيـة. ومـن المتوقـع أن يكـون للتنقيـب في هـذا البنـاء، ودراسـته المعماريـة والأثريـة الدقيقـة، الإسـهام المبـاشر لفهـم الكثـير مـن العـادات والتقاليـد الدينيـة للفينيقيـين[109]. (الشـكل 58).

108 دونان، 1962، ص 132.

109 المقدسي، 2010 .



الشكل رقم (58)
مخطط معبد عمريت – مشهد تخيلي-

ثالثاً: معبد التويني

يقع تل تويني[110] إلى الشمال الشرقي من مدينة جبلة، ويتموضع وسط سهل خصيب على بعد 500 م من البحر، وكان على علاقة مباشرة مع مدينة جبلة التي كانت قد أُسِّست في العصر الفينيقي، تبلغ مساحته حوالي 12 هكتاراً، وارتفاعه يقع بين 16 - 20م. (الشكل 59).

تم الكشف في السويّات التي تعود للألف الأول قبل الميلاد، وفي الحقل (G) عن مجمع ديني يعود للقرنين السادس والخامس ق.م، يتألف من بناء ضخم يتمحور حول منطقة مقدسة رئيسية، وعدد من الباحات الخارجية والداخلية، ويأخذ الحيز الأكثر قدسية شكل مستطيل يضم غرفتين متتاليتين، وظيفتهما الدينية محددة بصورة دقيقة[111]. ولاشك أن هناك حاجة لمعرفة الكثير من البيانات والمخططات، وإنجاز الكثير من

110 بدأت بعثة سورية - بلجيكية التنقيب في موقع تل تويني منذ عام 1999م، حيث كشفت العديد من السويات الأثرية العائدة لعصر البرونز القديم من 2500-2000 ق.م، والوسيط حتى 1600 ق.م والحديد بين 1200 - 333 ق.م كما تم الكشف عن عدد من الأحياء السكنية، والمنشآت، والمدافن، واللقى المهمة، ومنها دمية للربّة «عشتار» مصنوعة من الفريت.

111المقدسي، 2009، ص 12.

الدراسات اللازمة للقيام بعملية المقارنة المطلوبة لوضع اكتشافات هذا الموقع، وخاصة أبنيته الدينية ضمن سياقها التاريخي الدقيق. (الشكل 60).



الشكل رقم (59)
تل التويني



الشكل رقم (60)
تنقيبات تل التويني

رابعاً: معبد تل سوكاس

يقدم تل سوكاس[112] مزيجاً حضارياً لعدد من الثقافات القديمة لأنه كان نقطة تواصل ثقافي وتجاري بين عالم البحر المتوسط والمشرق القديم. عثر في الموقع على عدد من السويات الأثرية، من بينها سوية تعود لعصر البرونز الوسيط، وأخرى للبرونز الحديث، حيث كان الموقع معاصراً لأوغاريت، وهناك سوية أثرية ترجع لعصر الحديد، تبين من خلالها أن بعض سكان الموقع كانوا من اليونانيين. وفي هذه السوية التي تدعى (G) وتعود تحديداً للفترة الممتدة من القرن السابع حتى الخامس ق.م، يوجد بقايا معبد إغريقي مع مذبح ومحتويات مختلطة مع الكثير من الفخار الإيجي، وسقف قرميدي وهو الاختراع الإغريقي الذي تحقق في القرن السابع ق.م[113]. مخطط المعبد ذو تقليد سوري، وهناك القليل من المنحوتات عليها صور وزخارف إغريقية، وهي لمستوطنين إغريق[114]. وقد عثر في الموقع على بعض اللقى منها دمى تمثل الإلهة عشتار، وحجارة مصرية مقدّسة تحمل اسم تحوتمس الثالث. (الشكل 61).

خامساً ـ معبد بعل الجبلي (حصن سليمان)

يقوم المعبد المعروف باسم حصن سليمان في الجبال الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة دريكيش. كان هذا المعبد في الأصل معبداً

112 يقع تل سوكاس (7 كم) جنوبي مدينة «جبلة»، ويرتفع (24) م عن سطح البحر. سُكنَ الموقع منذ العصر الحجري الحديث (الألف الخامس)، وحتى نهاية القرن الرابع عشر للميلاد، أمّا أهم فترة ازدهار في الموقع؛ فقد كانت في الألف الأول والثاني قبل الميلاد (الحضارة الكنعانية والفينيقة والهلنستية)، حيث كان الموقع أحد المرافئ الرئيسة الواقعة في سهل «جبلة»، وشهد نشاطات تجارية واسعة مع دول حوض المتوسط، أجرى الباحث السويسري فورير عدة أسبار في الموقع عام 1934م، ثم نقبت فيه بعثة دانمركية بين (1958 - 1963م)، عثرت فيه على سور وبرج متهدم بفعل زلزال ضرب المنطقة.

113 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 392.

114 Mazzoni، 2002، P. 99.



الشكل رقم (61) – تل سوكاس

كنعانياً، من معابد القمم الجبلية في إقليم أرواد، وهو يبعد عن البحر نحو 30كم. وليس هناك حالياً ما يشير إلى الزمن الذي بدأ فيه الحج إليه، لكن من البديهي أنه بسبب موقعه؛ فقد كان مكرساً لعبادة الرب بعل الكنعاني المولج بالصواعق والمطر والخصب. وتجدر الإشارة إلى أنه تم العثور قرب تل الكزل على ضفة نهر الأبرش، على منحوتة نسبت إلى هذا المعبد الجبلي الشهير المعروف خلال العصر الروماني جيداً[115].

نعرف من النصوص أن المعبد كان قائماً زمن السلوقيين (312 - 63 ق.م)، وكان ينسب لزيوس، وهو الرب اليوناني المقابل لبعل ولبعلشمين

115 البني، 1990، ص 114.

(رب السموات). وكان يتبع آنذاك اتحاد المدن الأروادية السبعة ذات الحكم الذاتي، وله امتيازات وسوق تعقد مرتين في الشهر، واحتفالات دينية ومواسم، ويتمتع بحق إلجاء العائذين به. وقد وقفت عليه قرية بيت خيخي (بيت الخوخة) المجاورة. ومن هذه الفترة لا نرى إلا القليل، فالمعبد الحالي يعود إلى نهاية القرن الثاني أو الثالث الميلادي (زمن السلالة السيفيرية - البرقاوية السورية التي بدأت في 193 وانتهت في 239 م)، وقد شُيّدَ هيكلُه المركزي على منصة عالية، وزُوّدَ بدرج عريض يتألف من 39 درجة، من بينها سطيحتان تحملان المذابح، وضُوعفت جدران حجرته الأصلية بأنصاف أعمدة وفق الأسلوب المشابه بالمعبد، وذلك شكل روماني شاع في عالم البحر المتوسط، ليناسب الذوق الرائج وقت تجديد المعبد[116]. (الشكل 62).

سادساً: معبد قضبون

يقع على قمة أحد جبال محافظة طرطوس (قرب القدموس)، على ارتفاع حوالي 1200 م عن سطح البحر، يعود تاريخه لحوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وهو معبد صغير كُرِّسَ للإله بعل. مخططه مستطيل الشكل حوالي 12×9م، يتبع التقاليد السورية القديمة، ويُشابه معابد إيمار وأوغاريت وألالاخ وعين دارة وغيرها. (الشكل 63).

بُنيَ من الحجارة الكلسية القاسية، وما زالت منحوتة إله العاصفة تقف على جهة من مدخل المعبد الذي أُعيدَ بناؤه خلال العصر الروماني، والصورة تمثل الإله مع رمح وفأس وهو يتمشى على حيوانه (الأسد)[117]. والمعبد مشابه لمخطط المعبد السوري القديم الذي نشاهده في الكثير من المواقع. (الشكل 64).

116البني، 1990، ص 114.

117 Mazzoni، 2002، P. 96.



الشكل رقم (62)
حصن سليمان



الشكل رقم (63)
معبد قضبون



الشكل رقم (64)
مخطط معبد قضبون

الفصل الرابع: معابد العصر الآرامي

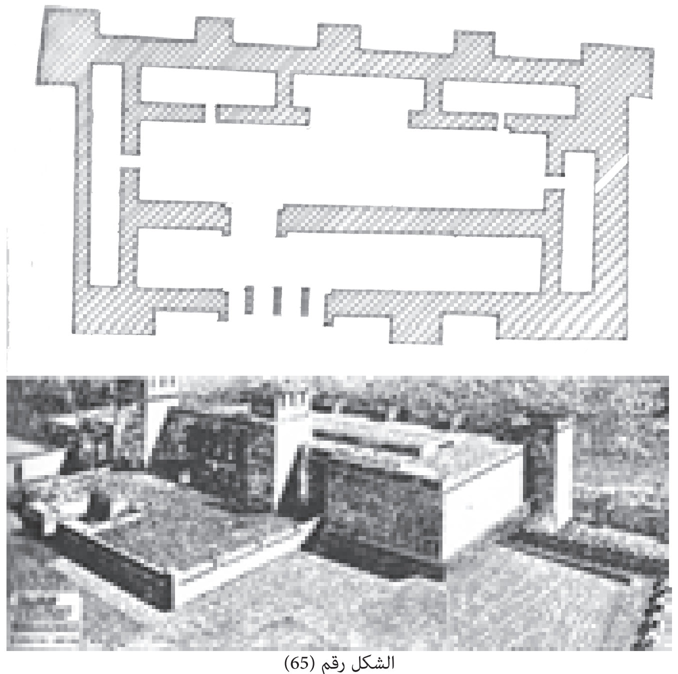
أطلقنا عنوان معابد العصر الآرامي لهذا الفصل؛ وليس معابد الآراميين، وذلك لوجود معابد تعود لهذا العصر، ولكنها ربما كانت غير منتمية لهم، ولثقافتهم، كما سنرى. أما شكل المعبد الآرامي فقد نشأ عن امتزاج تقليدين حضاريين عريقين في بلاد الشام: أولهما المعبد الكنعاني/الأموري، والثاني بيت هيلاني الآرامي. فالمعبد الكنعاني بناء مستطيل الشكل، له مدخل محرابي، لأن بابه يتراجع عن جدار الواجهة إلى الوراء لصالح درج، وشرفتان جانبيتان، ويلي الباب قاعة أمامية مستطيلة الشكل، ثم المصلى الذي يضم المحراب في الجدار الصدراني، وقد يكون فيه حوض الذبائح، والباب والمحراب على محور واحد. أما نموذج بيت هيلاني، أو البيت العالي، الذي أصبح من مميزات العمارة في كافة أنحاء بلاد الشام؛ وخاصة في الشمال، فهو من المبتكرات المعمارية التي انتشرت في العهد الآرامي، إذ أنه بناء مغلق مرتفع، لا يمكن توسيعه بإضافة حجرات إليه، لأنها ستشوه المخطط[118]، يبدأ بمدخل واسع ساكفه مرفوع على أعمدة، يؤدي إلى قاعة أمامية مستطيلة الشكل، تعقبها قاعة رئيسية مستطيلة الشكل، أيضاً فيها موقد، وتحيط بها الحجرات من جوانبها الثلاثة، وغالباً بيت الدرج عند أحد ضلعي القاعة الأمامية.

118 أبو عساف، 1988، ص 185.

بيت هيلاني: معبد أم قصر؟

تظهر الدول الآرامية تجانساً مميزاً في مجال العمارة، فنمط البناء الخاص بها والمعروف ببيت هيلاني، وُجد في تل حلف، وتل الفخيرية، وزنجرلي، وعدد آخر من المواقع الأثرية، لكنه غير موجود بشكل واضح في الدول الحثية الحديثة كما في كركميش وملاطية، ورغم أن كل هذه المباني تتنوع في التفاصيل، إلا أنه لها صفات أساسية متشابهة، وهي: وجود مدخل يتقدمه رواق مفرد، ثم قاعة أساسية كبيرة مستطيلة الشكل، وحجرات ملحقة عديدة لها تموضعات مختلفة. (الشكل 65).

لقد تم الكشف في ألالاخ على نموذج من مخطط هذا البناء، حيث عُزيَ البناء لمخطط حوري، كما كشف عن بناء آخر على نمط بيت



الشكل رقم (65)
مخطط بيت هيلاني

هيـلاني يعـود للقـرن 14 ق.م في إيمـار، وهـذا مـا دفـع بعـض الباحثـين لأن يرجـح الأصـل الحثـي لهـذا النمـط مـن البنـاء وليـس لأصـل حـوري كـما كان الـرأي سـائداً. ومـع هـذا فـإن هـذه الأبنيـة بـدأت بالظهـور بالشـكل الـذي نعرفـه في نهايـة القـرن التاسـع، وهـي الفـترة التـي نشـأت فيهـا الدويـلات الآراميـة، لكـن وظيفـة هـذه الأبنيـة لم تحـدد بعـد، فيـما إذا كانـت تسـتخدم كقـصر أم كمعبـد؟.

لقـد رأى بعـض الباحثـين أنهـا كانـت قصـوراً، مسـتندين خصوصـاً إلى نقـش كبـارة الـذي يصـف بيـت هيـلاني بشـكل واضـح كقـصر، ويعـزز هـذا الـرأي العثـور عـلى معبـد في تـل طعينـات قـرب بيـت هيـلاني، وفي زنجـرلي عـثر عـلى معبـد، ربمـا كان مكرسـاً للإلـه المحـلي راكـب - إيـل، بينـما كان المبنـى المجـاور لـه مـن نمـط بيـت هيـلاني يقـوم بوظيفـة القـصر، وقـد رأى بعـض الباحثـين في هـذا النمـوذج الثنـائي المتكـرر ترابطـاً مـع نمـوذج العـمارة المعـروف بالمعبـد المـزدوج[119]. ويشـار إلى أن شـاروكين الثـاني بنـى قـصراً متأثراً بهـذا النمـوذج مـن العـمارة الآراميـة فاسـتعار منـه عنـصر الـرواق، وأورد ذلـك في أحـد النصـوص، كـما ذكـر هـذا النمـط مـن العـمارة السـورية كل مـن الملكـين تيغـلات - بليـسر الثالـث وسـنحريب[120]. (الشـكل 66).

يفـترض مارغـرون Marguron أن التجمعـات المعماريـة يمكـن أن تتكـرر وفـق نفـس المخطـط، وقـد تكـون لهـا وظيفـة إتمـام بعـض الطقـوس الدينيـة ذات العلاقـة بالسـلطة السياسـية، واسـتخدمت كصـالات للعـرش ذات طابـع أكـثر عمقـاً، وقـد تسـاءل: هـل نحـن بعيـدون عـن الصـالات الرسـمية في القصـور الآشـورية، التـي يتشـابك فيهـا بشـكل وثيـق النشـاط الدينـي مـع الدنيـوي في نفـس الوقـت في شـخص الملـك؟.

119 Sader، 1987، P. 284.

120 BienKowski، 2000، P. 53.



الشكل رقم (66)
مخطط زنجرلي (شمأل)

على كلٍّ؛ بقي نموذج بيت هيلاني نموذجاً معمارياً لدول شمال سورية الآرامية، وهو لم يصل إلى حماة حيث نجد نمطاً آخر مختلفاً، ولم يعثر في سورية المركزية أو الجنوبية (ولا حتى في مناطق فلسطين والأردن ولبنان) على أي بناء من هذا النموذج. هل يعني ذلك وجود تقاليد ثقافية آرامية مختلفة[121]؟.

المعابد الريفية

من الملاحظ أن الموروث الأدبي والموجودات الأثرية على حد سواء كانت توجه الأبحاث الأركيولوجية الحديثة إلى التركيز على جانب واحد من

121 Sader، 1987، P. 284.

العبادات، وهو الممارسات الدينية الرسمية في المدن، والتجمعات السكنية الكبيرة، لذلك كان عامل الممارسة الدينية في البيوت، وعلى مستوى القرية، أو خارج المستوطنات السكنية يُهمل كلياً في أغلب الأحيان، ولكن كان هناك إلى جانب المعابد الرئيسة في المدن مقدّسات محلية، أي أماكن للعبادة وممارسة الطقوس، كانت موجودة في الغالب في العراء، وفي أماكن خارج المدن، كالجبال، والينابيع، والغابات الصغيرة المقدسة[122].

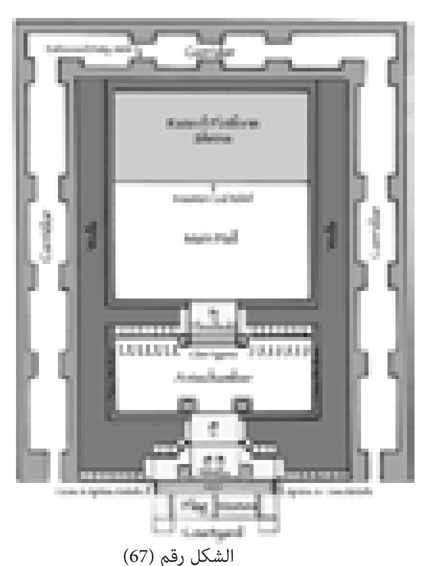
لقد أعيد الاعتبار للمعابد في الأرياف والجبال خلال الألف الأول ق.م من جديد، وحققت انتشاراً ملحوظاً، وبدأت تلعب دوراً رئيسياً في الممارسات الطقسية. وكانت عبارة عن مصليات مناطقية صغيرة لآلهة الظواهر الطبيعية، كالجبال والعواصف التي عبدها الناس العاديون، لقواها المؤثرة والشافية، أو لأنها ترتبط بأمكنة شهيرة بالينابيع الصحية ونباتاتهم. وغالباً ما بنيت هذه المعابد في أمكنة بعيدة، ليس من السهل الوصول إليها، ومن المعتقد أنها قامت بدور إيديولوجي أثناء سيادة المدن السورية الحثية، حيث تم رعايتها والاهتمام بها مثل معابد آلهتهم. وقد نجت من التدمير والانهيار من قبل الآشوريين، ومن بعدهم البابليين الجدد (الكلدانيين)، لا بل كانت ملاذاً آمناً من كل تهديد، وشهدت مراكز تواجدها ازدهاراً عاماً، ونمواً في الزيادة السكانية. هذا التقدم الذي تحقق خلال العصر البابلي الحديث والعصر الإخميني، توالى خلال العصر الهلنستي والروماني. لقد استمرت الممارسات الطقسية الدينية في هذه الأماكن، واستمر تعاقب الشكل المعماري لهذه المعابد لفترة طويلة من الزمن. وربما ترافق الدور المؤسساتي لهذه المعابد السورية مع ظهور نماذج إيديولوجية في الكيانات السياسية (الآرامية والحثية اللوفية) التي قامت خلال هذه الفترة في المناطق الغربية من سورية[123].

122 نير، 2009، ص 76.

123 Mazzoni، 2002، P. 99.

- أولاً: معبد عين دارة

ربما يكون أفضل نموذج للمعابد التي نشأت من التزاوج بين الأسلوب المعماري الكنعاني/الأموري والأسلوب الآرامي، هو معبد عين دارة[124]، ويمكن أن يكون أفضل معبد محفوظ بشكل جيد حيث يقع على الطرف الشمالي الغربي من المدينة العليا (الأكربول) شرق تل طعينات في مملكة بيت أجوشي[125]. (الشكل 67).



الشكل رقم (67)
مخطط معبد عين دارة

يُعدّ المعبد من الأوابد الفريدة في بلاد الشام التي جددت؛ أو التي أعيد بناؤها أكثر من مرة. ورغم تهدمه فلا يزال يزهو بمنحوتاته التي تدل على روعته، وإتقان بنائه. وقد بقيت منه المصطبة مع منحوتاتها البازلتية، ومقدمات الأسود الرابضة؛ التي تشكل جدران واجهته الرئيسة، وواجهة المصلى. إضافة إلى العتبات والأرضية وأجزاء من جدران المدخل، والقاعة الأمامية، وأجزاء من الرواق.

يرتفع المعبد فوق الأرض المجاورة، مما

124 تل عين دارة: يقع على ضفة نهرعفرين تقارب مساحته 35 هكتاراً يتألف الموقع من مدينة عليا (الاكروبول) ومدينة سفلى، للتل سور مرتفع وبوابات (لم يتم الكشف عنها حتى الآن). تبع الموقع لمملكة بيت أجوشي التي سيطرت على مناطق واسعة في شمال سورية وامتدت من الفرات شرقاً إلى سهل العمق غرباً. بدأت المديرية العامة للآثار والمتاحف التنقيب بالتل حالما اكتشف أحد الرعاة تمثالاً لأسدٍ بازلتي عام 1954، فجرى موسم تنقيب أول عام 1956، وآخر عام 1962 ثم عام 1964. وبدءاً من 1976 باشر علي أبو عساف التنقيب في الموقع وانتهى عام 1986 بعد أن كشف عن معبد السوية السادسة العائدة لعصر الحديد، والمعتقد أن احتراقه وتهدمه تم على يد الملك الآشوري تيغلات ـ بليسر الثالث أثناء حصاره لمدينة أرفاد بين 742 - 740 ق.م.

125 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 273.

يشـير إلى أنـه شُـيد فـوق مصطبـة متدرجـة الارتفـاع مـن الأمـام إلى الخلـف. وقـد كُسـيتْ الواجهـة الأماميـة للمصطبـة بلوحـات بازلتيـة مزخرفـة بأشـكال تشـبه الضفائـر[126].

بنـي المعبـد فـوق أنقـاض مسـاكن أقـدم، وهـي الآن طبقـات فـوق طبقات لا يعـرف عددهـا، وترتفـع حـوالي عشريـن مـتراً فـوق الأرض المجـاورة. يتجـه المعبـد نحـو الجنـوب الشرقـي، وهو مسـتطيل الشـكل، تبلـغ أبعـاده 32×38م، وتمتـد أمامـه سـاحة مبلطـة بالألـواح المنحوتـة الكلسـية البيضـاء والبازلتيـة السـوداء، وفيهـا حـوض مـاء كبـير مـن الحجـر الكلـسي وبجانبـه البـئر. يربـط درج ضخـم عريـض بـين سـاحة المعبـد ومدخلـه الـذي يتألـف مـن ممـر عـلى جانبيـه شرفتـان وعمـودان يحمـلان سـاكف المدخـل، ويحتـوي عـلى عتبتـين ضخمتـين نقشـت في وسـط الأولى صورتـا قدمـين بشريتـين ضخمتـين، أمـا في وسـط الثانيـة؛ فقـد حُفـرت صـورة القـدم اليـسرى لإنسـان عمـلاق، وحينـما نصـل عتبـة الحـرم فإننـا نشـاهد في وسـطها أيضـاً صـورة قـدم يمنـى لإنسـان أيضـاً. (الشـكل 68).

بلغـت أبعـاد القـدم حـوالي 36×97 سـم. وربمـا كان الغـرض مـن صـورة هـذه الأقـدام إرشـاد المتعبـد الـذي عليـه أن يقـف خاشـعاً عـلى العتبـة الأولى، حيـث القدمـان متجاورتـان، ثـم يخطـو بالقـدم اليـسرى نحـو القاعـة الأماميـة، ثـم يدخـل المصـلى باليمنـى. القاعـة الأماميـة مسـتطيلة الشـكل تتقـدم الحـرم وتنخفـض أرضيتهـا عـن عتبتـه مقـدار 70 سـم، أبعادهـا 1550×600 سـم، وللصعـود إليهـا شُـيِّد درج يتألـف مـن ثـلاث درجـات بازلتيـة منحوتـة. والحرم مربـع الشـكل تقريبـاً أبعـاده 1680×1670سـم، قسـم إلى نصفـين: خلفـي وهو المنصـة التـي وضعـت عليهـا التماثيـل وحـوت واجهتهـا عـلى محـراب زُيّنـتْ

126 أبو عساف، 1991، ص 39.



الشكل رقم (68)
معبد عين دارة

جوانبه بمنحوتات تمثل صور الآلهة، وأمامي وهو الذي كان على الأغلب للمصلين. أصاب المنصة الخراب بفعل النشاط العمراني الذي حدث بعد حريق المعبد. يحيط بالمعبد من جهاته الثلاثة رواق اصطفت على جانبيه دعامات مزخرفة بأشكال متعددة، وتزين مصطبته لوحات بازلتية عديدة ذات قيمة فنية عالية. نُصّبتْ هذه اللوحات بأشكال الأسود وأبي الهول فوق قاعدة من الحجارة البازلتية المنحوتة. وتشكل منحوتات معبد عين دارة جزءاً لا يتجزأ من بنيته، وهي التي تضفي عليه مزيداً من الروعة والجمال لأنها العنصر الأهم في جدرانه، وتعكس عظمة وغنى الدولة المسيطرة[127]. (الشكل69).

يؤرخ معبد عين دارة وفقاً لمنحوتاته بالفترة الممتدة بين 1300 - 1000 ق.م، ويعتقد أنه كان مكرساً لإله العاصفة وقرينته عشتار/شاوشكا، وتم

127 أبو عساف، 1991، ص 41.



الشكل رقم (69)
أسد معبد عين دارة

تصويره على منحوتة تؤرخ للقرن الثالث والثاني عشر قبل الميلاد. كما أن المعبد، المشابه لمعبد حلب، كان قد بني أو أعيد بناؤه خلال فترة السيادة الحثية على شمالي سورية، ويظهر ذلك واضحاً من خلال الألواح الفنية والأنصاب المنحوتة التي تحمل تقاليد الفن الحثي[128]. (الشكل 70).

بعد تدمير المعبد، اشترك سكان عين دارة الذين عاشوا في الموقع مع سكان بلاد الشام الشمالية في عبادة الربة عشتار، والرب الفارس أو الخيال، وعبروا عن تقديسهم لهم بهذا العدد الهائل من التماثيل والدمى الطينية التي وجدت في الطبقات من 6 - 4 [129].

128 Mazzoni، 2002، P. 91.

129 أبو عساف، 2000، ص 10.



الشكل رقم (70)
رأس تمثال ومنحوتة لعشتار من عين دارة

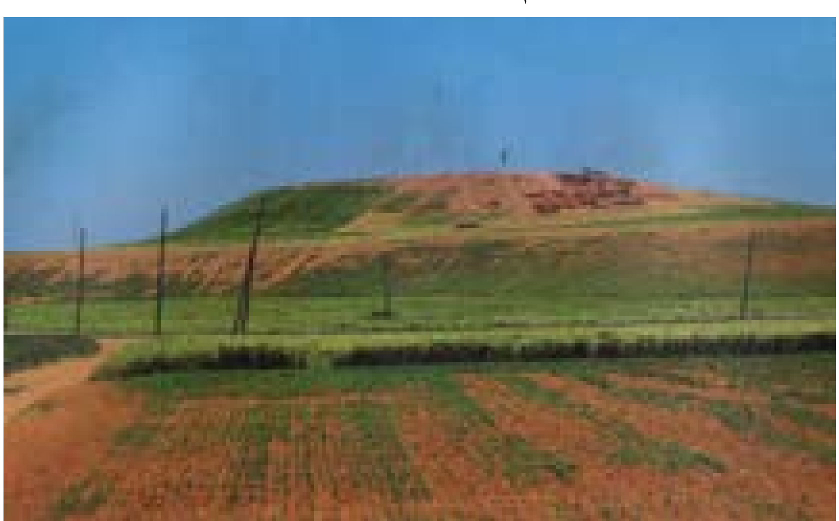
ثانياً: معابد تل آفس

إلى الجهة الغربية من أكروبول تل آفس[130]، أقيم خلال عصر الحديد

130 يقع تل آفس في سهل خصيب قرب سراقب (12كم) شرقي إدلب، وقرب الطريق الدولي حلب – دمشق، تبلغ أبعاده 750×500 م، وهو تل دائري يتألف من مدينة عليا (أكربول) ومنخفضة. تنقب فيه منذ عام 1972 بعثة من جامعة روما أدارها باولو ماتييه. ومنذ عام 1986م تقوم بعثة من جامعتي بيزا وروما وبولونيا في إيطالية برئاسة استيفاني ماتزوني بالتنقيب في الموقع أيضاً، وقد تبين أن التل يحتوي على 26 سوية أثرية، أقدمها تعود للعصر الحجري النحاسي (الألف الرابع 3500 – 3300 ق.م)، ثم توسعت المدينة خلال الألفين الثالث والثاني. أما خلال الألف الأول ق.م فتم التعرف على أن الموقع هو مدينة حزرك الآرامية الشهيرة التي يحيطها سور عريض، والتي ورد ذكرها في نقش اكتشف عام 1903م بنفس الموقع على يد القنصل الفرنسي بحلب هنري بانيون، وذلك عندما شاهد حجراً منحوتاً في جدران أحد الأبنية قرب الموقع (محفوظ الآن بمتحف اللوفر). اكتشفت البعثة قصراً يعود لعصر الحديد، والعديد من الأبنية واللقى المهمة، من بينها نصباً بازلتياً يحمل إشارة نجمة فوق هلال رمز إله الطقس السوري، وهناك دمية حيوانية لثور جالس، ورأسه باتجاه الخلف وهي مصنوعة من العاج ومرصعة بالذهب، كما تم العثور على عدد من الرقيمات الطينية المسمارية. وأظهرت التنقيبات أهمية المدينة خلال المرحلة الممتدة من القرن التاسع حتى الثامن ق.م.

الأول والثـاني والثالـث (1100 - 600 ق.م) عـدد مـن المعابـد المتعاقبـة، مـع ملحقـات شـعائرية لهـا. أول المعابـد هـو (AI) ويتوضـع تحتـه المعبـد (AII) الـذي يصعـب إعـادة تخيلـه بسـبب تعرضـه للتخريـب الشـديد، والقطـع عنـد بنـاء المعبـد الأعـلى. يتوضـع المعبـد الثالـث (AIII) تحـت الثـاني، وقـد تـم تأريخـه بالقـرن العـاشر والحـادي عـشر قبـل الميـلاد. وربمـا كان مكرسـاً لإلـه العاصفـة حيـث وجـد ختـم رسـمت عليـه صـورة هـذا الإلـه فـوق ثـور، كـما وجـد عـلى أرضيتـه إنـاء عليـه رأس ثـور. وكلا الاكتشـافان يؤكـدان أن المعبـد كان مكرسـاً لإلـه العاصفـة.

يُعـدُّ المعبـد (AI) مـن أهـم المبـانى التـي ظهـرت مؤخـراً، وهـو مبنـى ذو مخطـط ثـلاثي، لـه محـور طـولاني، اتجاهـه شـمال جنـوب. المعبـد مخـرب مـن الداخـل بشـكل كبـير نتيجـة تعرضـه لاعتـداء كبـير لاحـق، ولكـن يمكـن إعـادة تصـور الوضـع الـذي كان عليـه مـن خـلال الأساسـات العميقـة المتبقيـة المبنيـة مـن الحجـارة الكبـيرة الحجـم. (الشـكل 71).



الشكل رقم (71)
تل آفس

حجم المعبد ملفت للنظر، إذ يبلغ امتداده حوالي 32م من الشمال نحو الجنوب. وهو يتألف من قاعة مركزية ذات أرضية صلبة، وغرف ملاصقة للقاعة المركزية من الجهة الغربية، حيث ما تزال أرضياتها الأصلية واضحة أيضاً. في الواجهة الجنوبية توجد عتبة عرضها 8.5 م، حجارتها مستطيلة الشكل، وهي تميز المدخل الرئيس للبناء. في الواجهة الجنوبية؛ هناك برجان جانبيان، أحدهما في الزاوية الجنوبية الغربية، والثاني في الجنوبية الشرقية.

أبعاد البناء ووجوده في منطقة الأكروبول تقودنا إلى التفكير بأننا أمام المعبد الرئيس في المدينة الآرامية والذي ربما كان مكرساً لإله العاصفة[131].

تتموضع أمام المعبد ساحة أبعادها 30×15م، كشف قربها من الشرق عن حجرتين متلاصقتين، وقربهما حفرة أو بئر، كانت الحجرتان والحفرة مملوءتان تماماً بالبقايا المحروقة، والأواني الفخارية، وبشكل خاص الكؤوس، والأطباق، والأباريق. وتم العثور على لوح صغير صنع من العاج، وهو مغطى بطبقةٍ من الذهب، يحمل رسم ثورٍ صغير، وقد كان اللوح بالأصل زخرفةً لغطاء علبة مجوهرات. كما عثر على بعض الدمى الفخارية الصغيرة، والدبابيس البرونزية، والوزنات، وكمية كبيرة من بذور الزيتون، وبذور العنب والعظام[132]. (الشكل72).

في القطاع A2 وإلى الجنوب من القصر الكبير G العائد للعصر الآشوري تم مؤخراً الكشف عن مبنى بحالة جيدة، بالقرب منه قاعدة نصب تذكاري أو تمثال. وظيفة المبنى ذات طابع ديني أكيد.

كما تم الكشف عن بناء ثالث بين القصر الآشوري وهذا المبنى الديني، ويبدو أن معالمه طُمست أثناء حفر أساس القصر، وكشف ضمن

131 Soldi، 2009، P. 106.

132 Mazzoni، 2002، P. 3.



الشكل رقم (72)
دمية لثور من العاج

هـذا البنـاء عـن حجـر أبعـاده 94×55×25 سـم، وهـو مغطـى بالرمـاد. سـمح سـبرٌ نُفِّـذ تحـت الحجـر بالتعـرف عـلى آثـار لممارسـات شـعائرية، ضمـت عظـام حيوانـات وطيـور وخاصـة منهـا «اليمامـة». إلى الأسـفل مـن هـذا البنـاء عُـثر عـلى بقايـا منشـأة تعـود لسـوية أقـدم، كانـت مليئـة بعظـام الحيوانـات والطيـور. بالقـرب منهـا قطـعٌ تعـود لـكأسٍ مـن نفـس النمـوذج المتـداول في المعبـد (AIII) إن وجـود هـذه الأشـياء مـع الأطبـاق المخصصـة لتقديـم القرابـين في أماكـن مختلفـة مـن المبنـى وجـواره، يزيـد مـن فرضيـة احتـمال أن المبنـى كان مخصصـاً لاحتفـالات ذات طابـع دينـي خـاص[133]. ولاشـك أن هـذه الأبنيـة تحتـاج للمزيـد مـن التنقيبـات لجـلاء أمرهـا. (الشـكل 73).

إن الاسـتمرارية عـبر عـدة قـرون في المنطقـة المقدسـة في أكروبـول تـل آفـس دفـع إدوارد ليبنسـكي، وسـتيفاني ماتسـوني، للافـتراض أن المدينـة هـي «آفـس» التـي ورد ذكرهـا في نقـش زكـير، والمعروفـة مـن قبـل طبقـاً للسـويات

133 Mazzoni، 2002، P. 4.



الشكل رقم (73)
معبد من نموذج بيت هيلاني – تل آفس

الأثرية المتعاقبة التي ترجع لعصر الكالكوليت بداية الألف الرابع ق.م، وكانت قد سكنت طيلة العصور اللاحقة، حيث ذكرتها نصوص إبلا وألالاخ وأوغاريت باسم «أبسو Apsu"، "أبسونا Apsuna"، و"أبزونا Apzuna". كما أصبحت مركزاً مهماً في الألف الأول ق.م عرفت باسم آفس عاصمة مملكة لعش الآرامية التي حكمها زكير، قبل أن تتحول لموقع تحت السيطرة الآشورية، وكانت مقراً للحاكم الآشوري، واستمرت بمعابدها خلال هذا العصر الذي عرفت فيه باسم حتاريكا (حزرك)، وظهر فيها تمازج كبير بين الثقافتين الآرامية والآشورية الحديثة[134].

134 Soldi، 2009، P. 97، 108.

- ثالثاً: معبد قلعة حلب

مـن أهـم الاكتشـافات التـي تمـت مؤخـراً، هـو معبـد قلعـة حلـب الـذي يعتقـد أنـه كـرس لإلـه العاصفـة في حلـب، وقـد زيـن بمنحوتـات حجريـة بـارزة للآلهـة مـع مخلوقـات أسـطورية[135].

ثمـة وثائـق مـن أواسـط الألـف الثالـث ق.م يذكـر فيهـا اسـم المكان «خلـم لـب» الـذي كان عـلى الأرجـح يـدل آنـذاك عـلى المرتفـع الـذي يوجـد بـه مقـر دينـي. كـما تذكـر أن السـلالة الملكيـة في إبـلا كانـت تقـدم القرابـين، وتقـوم بأعـمال الترميـم، ويجـدر الذكـر أنـه غالبـاً مـا يصعـب التمييـز في معلومـات نصـوص إبـلا فيـما إذا كان المقـر الدينـي المقصـود هـو الموجـود في حلـب، أم الموجـود في إبـلا نفسـها، إذ أن إلـه الطقـس عُبـدَ في إبـلا أيضـاً. لقـد كان معبـد إلـه الطقـس في حلـب هـو الأكـثر شـعبية في سـورية في ذلـك الوقـت طبقـاً لمصـادر إبـلا التـي ذكـرت إلـه حلـب «حـدا» مـع قرينتـه «حبـارو Ha'abaru» (والتـي ربمـا جـاء اسـمها مـن حلـب، وقـد أصبحـت فيـما بعـد خيبـات الحثيـة). وفي الألـف الثـاني ظهـر الإلـه «أدو Addu» مـع الإلهـة عشتار/شاوشـكا، (وأدو هـو الـذي أعطـى مملكـة مـاري ليخـدون ليـم، ثـم لشـمشي أدو وبعـده لزمـري ليـم)، وهوالإلـه الـذي رعـى قَسَـمَ عهـد ملـك ألالاخ ياريـم ليـم[136].

تمتـع إلـه الطقـس بأهميـة خارجيـة ذات نطـاق واسـع، ومـع امتـداد مملكـة يمخـد ازدادت أهميتـه أكـثر، وبصيغـة الاسـم أدو. وخـلال عـصر المملكـة الحوريـة - الميتانيـة تمـت مطابقتـه مـع الإلـه تيشـوب، وعُبـدَ بهـذا الاسـم فيـما بعـد مـع قرينتـه خيبـات في العاصمـة الحثيـة ختوشـا. وتذكـر جـداول القرابـين المكتشـفة هنـاك، أن دائـرة الآلهـة المرتبطـة بتيشـوب حلـب كانـت تشـمل أكـثر مـن سـتين إلهـاً آخـر. احتفـظ إلـه الطقـس في حلـب

135 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 374.

136 Mazzoni، 2002، P. 89.

بمكانته الكبرى في بواكير الألف الأول ق.م أيضاً. ودُعيَ في المحيط الحثي باسم تارخونزا، وخضع لحمايته مخزن للحبوب في مدينة ماصواري/تل برسِب (تل أحمر).

وكان - وفق وثيقة آشورية - يعد من آلهة الطقس الكبرى السبعة في المشرق القديم، ويذكر ضمن معاهدة من القرن الثامن ق.م كشاهد إلهي يُرتجى منه حماية حق اللجوء، الأمر الذي كان يرتبط بمعبده من قبل. منذ بواكير الألف الثاني ق.م[137] يبدو أن زيارة بيوت الآلهة الكبيرة كانت مسألة تقليدية قام بها كل من أراد القيام بحملة أو غزوة على المدن السورية طلباً للمساعدة في التغلب على أهل البلاد الأصليين وحكامهم، وقد عرفنا هذا التقليد منذ الألف الثالث ق.م عند قيام ملوك أكاد بزيارة معبد دجن في توتول، وتقديم الأضاحي في معبده قبل متابعة الحملة. وقد درج الملوك الآشوريون على اتباع هذا النهج، حيث قام عدد منهم بزيارة بعض بيوت الآلهة في المناطق السورية أثناء حملاتهم، وذكروا منها على الأخص: معبد إله الطقس في حلب، ومعبد إله القمر في حران. وهذا شلمنصر يذكر في حولياته تقديمه الأضاحي للإله أدد/حدد في معبد حلب، متوخياً من وراء ذلك كسب رضى الإله الأكبر على ما سيقوم به من أفعال (كثيراً ما كانت شنيعة)، ومطالباً إياه بمنحه الغفران والمباركة على التدمير والنهب والقتل والحرق:

"دنوت من حلب (خلمان). كانوا خائفين من نشوب معركة معي، فخضعوا لي. تلقيت جزيتهم من الفضة والذهب وقدّمتُ الأضاحي أمام أدد/حدد إله حلب (خلمان)، اقتربت من مدن أرخولينو الحموي، مدنه، استوليت على مدن أدينو، بارجا، وأرحانا مدنه الملكية. جلبت أسراه أملاكه ومقتنيات قصوره وأحرقت القصور»[138].

137 كولماير، 2006، ص 31.

138 Grayson، 1996، P. 23.

وفي مرة ثانية يصف سير حملته كالآتي:

"عبرت الفرات وقت الفيضان وتلقيت جزية من ملوك أرض خاتي، تحركت من أرض خاتي ودنوت من مدينة حلب (خلمان) وقدمت الأضاحي أمام إله حلب أدد/حدد، تحركت من حلب (خلمان) ودنوت من مدينة قرقر، حدد عيزر (أدد إدر) الدمشقي وأرخولينو الحموي سوية مع اثني عشر ملكاً من ملوك الساحل وثقوا من قوتهم المتحدة هاجموني مشعلين الحرب والمعركة»[139].

وفي حملة أخرى؛ وبعد أن يتحقق له النصر في إقليم باتين، ويخمد الثورة التي قام بها سكان مدينة كينالوا (ربما تل طعينات في سهل العمق) بقتل ملكهم الموالي لآشور، يقوم شلمنصر الثالث بالانتقام من السكان، ويأمر بصناعة تمثال ضخم له لوضعه في معبد المدينة:

"أرسلت القائد الميداني دايان آشور، على رأس الجيش إلى مدينة كينالوا المدينة الملكية التي ثار سكانها وقتلوا ملكهم لوبارنا وعينوا مكانه «سوري»(اسم علم) ذي الأصل غير الملكي. عبر جيشي الفرات في الفيضان وخيم عند كينالوا، غمرهم الخوف من ضياء آشور، سيدي، سوري الشخص الذي لا ينتسب لعائلة مالكة غادر هذه الحياة. سكان أرض باتينو خافوا من مواجهة وميض سلاحي القوي، وتم الإمساك بأولاد سوري، مع الجنود المذنبين، وتم تسليمهم. وعلق الجنود على الخوازيق. «ساسي» رجل أرض «كوروسا»، خضع له، وعينوه سلطاناً عليهم. تلقى منهم فضة وذهباً وقصدير وبرونز وحديد، وعاج فيلة، من دون حدود. صنعوا تمثالاً ضخماً لي ووضعوه في كينالوا (كونالوا)، مدينته الملكية، في معبد آلهته»[140].

---

139 Grayson، 1996، P. 36.

140 Grayson، 1996، P. 69.

المعلومات المتوفرة عن مساحة المعبد محدودة جداً مما تم كشفه حتى الآن، ولكنه من الواضح أنه ينتمي لطراز القاعة أو الغرفة الواسعة التي لها محاريب للعبادة في الشمال، وكذلك بالقرب من المدخل الجنوبي[141].

طول المعبد من الجانب الداخلي (1450سم)، ولم يبق من الجزء الجنوبي للجدار الغربي سوى حجارة الأساس، كما أمكن التأكد من أن أرضية المعبد تمتد على مسافة 25 م جنوبي الواجهة الداخلية الشمالية.

يضم المعبد قاعة شعائر طويلة، في صدرها محراب، وأمامها قاعة أمامية مكشوفة نحو الخارج، ومحمولة بجدران بارزة إلى الأمام، وهو من نمط المعابد التي شاعت في شمالي سورية منذ بواكير العصر البرونزي، على الأقل منذ أواخر النصف الأول من الألف الثالث ق.م، ويمكن مقارنته بالمعبد P2 المكتشف في القسم السفلي من مدينة إبلا، والذي يعود أيضاً إلى العصر السوري القديم[142].

ومع الكشف عن المحراب الطقسي؛ توافرت نقطة استناد يعتمد عليها في تحديد الجانب الرفيع من المعبد، لأنه كان يقع بالتأكيد بشكل متقاطع مع جدران المحراب، ويمكن -بناء على ذلك- تقدير عرضه الظاهر بنحو (2665 سم). ولا شك أن تغطية هذا الجانب الكبير كانت صعبة، وتحتاج إلى نفقات إنشاء باهظة، ولا يمكن تنفيذها إلا بخشب الأرز اللبناني، لأن هذا النوع من الشجر قد يصل ارتفاعه إلى أربعين متراً، وقد أمكن تمييزه مع قطع من خشب السنديان بين البقايا الأثرية. وبذلك تكون أبعاد المعبد أكبر من كل المعابد المعروفة حتى الآن، وهو يفوق المعبد p2 المكتشف في إبلا، الذي يبلغ عرضه 12م، وأبعاده الخارجية 33 - 20م،

141 ورشة معبد إله العاصفة، 2005، ص 6.

142 كوهلماير، 2006، ص 32.

ويضم أعمدة قائمة لدعم عوارض السقف من الداخل ولكن لم يعثر في معبد القلعة على أعمدة تقوية مماثلة بعد.

يتألف الجانب الداخلي من جدار المعبد من سلسلة أنصاب حجرية عالية من الحجر الجيري، بحيث بلغ ارتفاعها 115 - 120 سم، ويتفق أسلوب تنفيذ الأنصاب وحجارة الأساسات غير المنتظمة التي تعتمد عليها مع أعمال بناء مماثلة تعود إلى العصر السوري القديم؛ أي مطلع الألف الثاني ق.م، ومنها إبلا (تل مرديخ) في بوابة المدينة الجنوبية الشرقية، وبوابة القصر الغربي، وبوابة القصر الشمالي، مثلاً[143]. وكذلك في ألالاخ (تل عطشانة) ضمن قصر ياريم ليم، وأيضاً في موقع تيلمن هويوك (جنوب تركيا). ويصعب حالياً تقديم تاريخ محدد لمبنى الأنصاب، ولا بد قبل ذلك من انتهاء الكشف عن الطبقات المقابلة للمبنى من الخارج. ولكن تجدر الإشارة إلى أنه عُثر بالقرب منها على عدد محدود من الأواني الفخارية العائدة إلى أواخر العصر البرونزي الوسيط، أي حوالي 1600 - 1700 ق.م، كُشفَ في الزاوية الشمالية من المعبد عن قاعدتين مدورتين قطر كل منها 1.2 م، تقدمتا الجدار الشمالي، لم تعرف وظيفتهما تماماً، ربما وضعت عليهما نذور أو أدوات شعائرية، أو وضع فوقهما رابط مع جدار المحراب، أو أنهما كانتا جزءاً إنشائياً مقدساً مبنياً من الخشب، ولا يعرف شواهد مماثلة لها في معابد شمالي سورية[144].

تم تجديد بناء المعبد بشكل مواز لمستوى الأرضية العليا، ووضعت سلسلة أنصاب حجرية أخرى على أساسات موازية للجدار الشمالي القديم. فشكّلت سلسلة الأنصاب الحدَّ الداخلي الجديد للجدار الشمالي، وكانت داعمة له. وإلى الجنوب من الأنصاب؛ وضعت أنصاب جديدة

143 كولماير، 2006، ص 33.

144 كولماير، 2006، ص 34.

عليها مشاهد تزيينية. وفي أعلى اللوح السابع منها، وُضِعتْ قاعدة على شكل مقعد نحِتَتْ على جوانبها مشاهد أخرى. يلاحظ أنه تتشابه الأنصاب الحجرية الجديدة مع مثيلاتها القديمة من حيث الحجم، ومادة الصنع، ولكن تطبيقها كان بشكل متعاكس عن الأولى من حيث سماكة الحجارة، ونوعيتها الجيدة. ويختلف أسلوب نحتها، فقد كانت الجديدة ذات سطح أملس، بينما كان سطح القديمة خشناً، والسبب يعود لكون المنحوتات القديمة كانت قد شُكلتْ بأدوات برونزية، بينما نُحتت الحديثة منها بأدوات من الحديد. (الشكل 74).



الشكل رقم (74)
منحوتات معبدد حدد - حلب

يبدو أن المعبد قد تعرض للحريق خلال عملية تجديده، حيث هُجر بعدها. وقد تم الكشف بالقرب من اللوحات الفنية المنحوتة، عن كتل وشظايا بازلتية باقية من مواد النحات، كما يبدو أن النحات لم ينته من إنجاز كل تفصيلات أعماله. وقد غطّت أنقاض الحريق والخشب والكتل الطينية وقطع الآجر المنهارة من السقف أرضية المكان، وأجزاءً

مـن قاعـدة حجريـة منحوتـة نحتـاً نافـراً.

تـم الكشـف عـن عـدد مـن القطـع الفخاريـة بالقـرب مـن المنحوتـات وهـي تعـود إلى بواكـير الألـف الأول ق.م، كـما بينـت التحليـلات أن تاريـخ التعديـلات في المبنـى تعـود عـلى الأرجـح للفـترة 1120 - 940 ق.م[145].

لذلـك، لا يمكـن تأريـخ مرحلـة التجديـد دون الاعتـماد عـلى المنحوتـات الفنيـة. والمعطيـات المتوفـرة حتـى الآن تشـير إلى أنهـا تعـود للقـرن العـاشر ق.م، وقـد تضمنـت المنحوتـات الفنيـة أشـكالاً مختلفـة ومفصلـة، ويتضـح مـن تدقيـق الجزئيـات، وأسـلوب التشـكيل الفنـي لأعضـاء الجسـم أو العيـون بشـكل خـاص، أن عـدداً مـن الفنانـين اشـتركوا في العمـل، وصُـوِّرت الآلهـة والأشـكال الخرافيـة المركبـة بألبسـة وأغطيـة رأس مختلفـة، كـما اختلفـت أشـكال الأسـلحة والأدوات التـي تحملهـا في أيديهـا، ولذلـك كان مـن الممكـن تمييزهـا عـن بعضهـا بشـكل واضـح ومؤكـد، ولكـن يبقـى هنـاك مظاهـر يصعـب فهمهـا. ولعـل أوضـح مـا يمكـن اسـتنتاجه هـو الإطـار الدينـي الـذي توجـد فيـه وتنتمـي إليـه، وهـذا المـزج بـين طبيعتهـا وطبيعـة مكانهـا، إلى جانـب المسـتوى الفنـي المتميـز، والـذي يكسـبها سـحراً خاصـاً.

لقـد تـم الكشـف حتـى الآن عـن (1090 سـم) مـن الجـدار الـذي تسـتند إليـه المنحوتـات الفنيـة، وهـو يمتـد نحـو الغـرب أكـثر. حيـث يبلـغ ارتفـاع الكتـل البازلتيـة 95 سـم وأكـبر عـرض فيهـا نحـو متريـن[146]. (الشـكل 75).

تظهـر الاكتشـافات أن هـذا المعبـد كان مكرسـاً لإلـه الطقـس، وربمـا لآلهـة مزدوجـة، فقـد وُجِـدتْ عـلى إحـدى اللوحـات المنحوتـة في الجـدار الخلفـي مـن الحـرم، صـورة هـذا الإلـه في المركـز وبرفقتـه عشـتار، بينـما تبـدو صـورة إلـه آخـر عـلى نفـس الإفريـز، ويظهـر منتـصراً عـلى عـدوه[147].

145 كولماير، 2006، ص 35.

146 كولماير، 2006، ص 36.

147 Mazzoni، 2002، P. 90.



الشكل رقم (75)
معبد حدد - حلب

تتضمن المشاهد المنحوتة صوراً لآلهة وأشكالاً ميثولوجية، وطبيعية، وحيوانية، ونباتية، وزخارف هندسية، يوجد مثيل لها في عدد من المواقع، منها: كركميش ودموز تبه (تركيا). ولعل من أجمل النقوش، مشهد إله العاصفة (حدد)، وهو يمسك هراوته في يده، راكباً عربة يجرها ثور، وهناك أسود تتصارع، ورجال وثيران[148].

إن تأمل هذه الأشكال والصور المنحوتة في المجموعة الأساسية من اللوحات يظهر بوضوح التأثر بالمحيط الحضاري الأناضولي. وهذا يعني أن هذا الجزء من المجمع الديني وأشكاله المصورة يتوافق مع التقاليد الحثية. وهذه اللوحات الفنية توفر بلا شك المجال لفهم أفضل لطبيعة التثاقف الحضاري بين اللوفيين والآراميين الذي شاع في مناطق شمالي سورية في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، رغم كل التأثيرات الخارجية.

وتُعدُّ مجموعة المنحوتات الحلبية إضافة حقيقية إيجابية إلى ذلك العدد الكبير المتزايد من هذا النمط من الأعمال الفنية التشكيلية.

148 ورشة معبد إله العاصفة، 2005، ص 6.

ولعل أكثر النماذج تشابهاً معها؛ المجموعتان القديمتان من المنحوتات المكتشفة في موقع زنجرلي (شمأل)، والمنحوتات الأقدم المكتشفة في موقع كركميش. بينما تبدو منحوتات تل حلف أبعد عنها، وكذلك المجموعة القديمة من منحوتات ملطية التي يمكن تأريخها اعتماداً على النقوش المرافقة المدونة عليها بالقرن الثاني عشر أو الحادي عشر ق.م. وتوجد بين منحوتات ملطية مجموعة أحدث تاريخياً - ولكنها تخلو من نقوش تعين على تأريخها بدقة - تبدو غير بعيدة زمنياً عن منحوتات حلب. ويسري ذلك على مجموعة منحوتات شمأل أيضاً.

أما منحوتات كركميش القديمة التي تظهر تشابهاً مع منحوتات حلب فتعود على الأرجح إلى ما بعد القرن العاشر ق.م، وذلك اعتماداً على نقوش كتابية مرافقة وعلى الوضع التاريخي السياسي العام، ولكنها في كل الأحوال سابقة لتاريخ حكم الملك الآشوري آشور ناصربال الثاني (883 - 859 ق.م).

ثمة مشكلة في تحديد تأريخ اللوحات الفنية المنحوتة المكتشفة في معبد إله الطقس في حلب، فانطلاقاً من المقارنة بالأعمال الحثية المماثلة، يفترض تأريخها بالقرن العاشر ق.م، بينما تدفع الأعمال الآشورية المشابهة إلى تأريخها إلى ما بعد حكم آشور ناصربال الثاني، الملك الذي اهتم إلى حد كبير بتزيين قصره والمباني الدينية في مدينة نمرود بأشكال كثيرة لأشخاص لهم رؤوس الطيور، وذلك لأنه نادراً ما نجد شواهد في الأعمال التصويرية الآشورية السابقة لعصره على الدلاء والأواني ذات المقابض، وعلى استخدام قطع (أكواز) الصنوبر، وسيلة للتطهير، وهي موضوعة في أيدي أشخاص.

وتظهر منحوتات حلب، في بعض التفصيلات المصورة، صلات مع أعمال فن النحت العائدة إلى عهد الملك آشور ناصربال الثاني، منها على سبيل

المثال: الأسلوب التشكيلي الثخين البارز في تصوير فرو القفا لدى العجلين في اللوحة الأولى، وكذلك في صور الأذن، والقرن المتقدم إلى الأمام، والعين، والفم المتهدل المعوج، وفي تفصيلات تصوير الساقين في المنحوتات الأخرى، وكذلك شكل المفاصل، وأسلوب عزل عضلة الفخذ السفلية. (الشكل 76).

والتساؤل المطروح: إلى أية درجة استلهم الملك آشور ناصربال لدى بناء مدينته نمرود مظاهر من الفن التشكيلي اللوفي - الآرامي، الذي كان يعتمد بدوره على تقاليد فنية متنوعة من مناطق شمالي سورية، وبلاد الأناضول، وشمالي بلاد الرافدين وجنوبيها؟

وكذلك متى وكيف بدأ بعد ذلك من جديد تأثير الفن الآشوري الحديث على الفن التشكيلي اللوفي - الآرامي؟ وللباحثين آراء متضاربة في المسألة الأخيرة[149].



الشكل رقم (76)
منحوتات حدد – حلب -

149 كولماير، 2006، ص 36.

- رابعاً: معبد كركميش

يشتمل موقع كركميش[150]، تبعاً لما تم تنقيبه، على أبنية وتحصينات وقصور ومعابد وبيوت وبوابات وُجدت في الأكربول (المدينة العليا)، والمدينة المنخفضة والخارجية. يتوضع المعبد الذي كان مكرساً لإله العاصفة والطقس في كركميش، على الأكروبول خلف بناء له مخطط بيت هيلاني، وهو على محور طولاني يتقدمه مدخل.

المعبد محفوظ بشكل جيد وهو على نموذج (antis)، وهو يتناسق في موضعه مع بناء بيت هيلاني، وله بوابة، ودرج عظيم يقود لأبنية الأكربول. والبناء مطوق بواجهة طويلة، استخدمت في بناء الجدار حجارة كلسية بيضاء وبازلتية سوداء وضعت بالتناوب، وعليها إفريز من المنحوتات الفنية عرفت بجدار هيلارد[151]. تظهر المنحوتات احتفالات الحاكم بانتصاره على أعدائه من خلال عرض عسكري وحكومي، وهناك عرض

150 كركميش: مدينة تجارية قديمة تقع شمالي سورية قرب بلدة جرابلس الحالية على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند دخوله من تركيا قرب الحدود. وجدت المدينة منذ حوالي 3000 ق.م ، وظلت تسكن حتى العصر الروماني، أول ذكر لها جاء من يعود للقرن الثامن عشر عندما كانت تحت نفوذ الثقافة الرافدية، وخلال عصر البرونز المتأخر(1600-1200ق.م) تبعت لمملكة ميتاني ثم للمصريين(بالقرن الخامس عشر ولوقت قصير)، ثم وحتى حوالي 1200ق.م تبعت للملكة الحثية وأصبحت العاصمة الثانية لهذه المملكة ومقراً لنائب الملك الحثي. كما أصبحت فيما بعد وخاصة خلال القرن التاسع ق.م أحد أهم المواقع السورية المستقلة التي تميزت بوجود حضارة مزدوجة آرامية وحثية لوفية بدت من خلال النقوش والأعمال الفنية والمنحوتات المكتشفة على واجهات الأبنية في الموقع، وظلت هكذا حتى سيطر عليها الملك الأشوري شاروكين الثاني حوالي 717ق.م. وشهدت عام 605ق.م المعارك التي هزم فيها الملك الكلداني نبوخذ نصر الفرعون المصري نيخاو والملك الأشوري أشور أوباليط مما أدى للقضاء على الامبراطورية الأشورية. نقبّ في الموقع ج. هندرسون بين 1878-1881 ثم هوغارث 1911، حيث كشف عن بعض التحصينات والأساسات والأبنية والمعابد والمنحوتات وبعض النقوش المسمارية والهيروغليفية. وبعده نقبّ في الموقع ليونارد وولي L.C.Woolley بين بداية القرن العشرين حتى وقوع الحرب الأولى 1914. بعد ذلك وخلال فترة التسعينات نقبّ في الموقع فريق من جامعة اينبرغ. كما أجرى ايدغار بلتينبرغ وطوني ويلكنسون من جامعة دورهام بين 2006و 2008 بعض المسوحات الأثرية في الموقع ومحيطه.

151 Hawkins، 1997، P. 425 & look: Bienkowski، 2000، P. 65.

لمشـهد صعـود الآلهـة عـلى السـلم العظيـم في إشـارة لفضـل الآلهـة[152]. لقـد أثبتـت الدراسـات أن نمـط المنحوتـات في الموقـع كان فيـه الكثـير مـن التأثـير والتداخـل بـين عنـاصر الثقافـة الآراميـة الباكـرة والثقافـة الحثيـة اللوفيـة، بمـا في ذلـك الكتابـة الهيروغليفيـة التصويريـة والآراميـة[153]. (الشـكل 77).

لقـد كانـت هـذه الأبنيـة مشروعـاً معماريـاً رئيسـياً بالنسـبة لملـوك كركميـش تـم بناؤهـا قريبـاً مـن الوحـدات السـكنية داخـل الأكروبـول، في حـين يـشرف معبـد كوبابـا عـلى المدينـة مـن أعـلى نقطـة في الموقـع، في حـين كانـت المعابـد والقصـور مترابطـة ومتلاصقـة بشـكل فيزيـائي، وكـذا بيـوت النـاس والآلهـة الراعيـة للمدينـة، وكان مـن بينهـا إلـه العاصفـة كوبابـا، الـذي كان الراعـي للسـلالة الحاكمـة وللمدينـة[154].

لقـد وجـدت المنحوتـات التذكاريـة بكثافـة في كركميـش، فزُيِّنـت البوابـات، والقصـور، والمعابـد، بشـكل بـاذخ عـبر عـدة قـرون. وهـذا يفـترض أن كركميش كانـت مركـزاً رئيسـياً لإنتـاج المنحوتـات التذكاريـة، والأعـمال الفنيـة الراقيـة. وقـد زُوِّدت المراكـز السـورية الأخـرى خـلال عـصر الحديـد بهـذه المنتجـات المنحوتـة، أو بالأفـكار والأسـلوب. وكانـت صناعـة هـذه المنتجـات التذكاريـة النحتيـة تتـم في مواقـع المقالـع، وعـرف منهـا مقالـع «يسـيميكYesemek ”، و“سـيكيزلار Sikizlar“ (الواقعـة شـمال شرق حلـب)، وفي هـذا الموقـع الأخـير؛ كان يتـم اختيـار الحجـارة طبقـاً للشـكل والحجـم المطلوبـين، ثـم يجـري تشـذيبها بشـكل تمهيـدي، قبـل نقلهـا للجهـة المقصـودة لنحتهـا هنـاك[155]. (الشـكل78).

152 Mazzoni، 2002، P. 94.

153 BienKowski، 2000، P. 65.

154 Mazzoni، 2002، P. 94.

155 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 375.



الشكل رقم (77)
منحوتات من كركميش – جرابلس -



الشكل رقم (78)
منحوتات من كركميش – جرابلس -

- **خامساً: معبد تل طعينات**

يقع تل طعينات[156] في سهل العمق 25 كم شرقي مدينة أنطاكية، ولا يبعد سوى 800 م عن تل عطشانة الذي كان عاصمة لمملكة آلالاخ الشهيرة، الواقعة في شمال غرب سورية. (الشكل 79).

أما أهم الفترات التي ازدهر فيها الموقع، فكانت خلال عصر الحديد، وخاصة الفترة الآرامية (القرن التاسع والثامن ق.م)، ولهذه المرحلة يعود مركز احتفالات المدينة، وهو معبد صغير يتصل مع بنائين على نمط بيت هيلاني، تم بناؤهما حول الساحة المبلطة، ويتألف هذا المعبد من



الشكل رقم (79)
تنقيبات تل الطعينات

156 تل طعينات: نقبت في الموقع بعثة أمريكية من معهد الشرق في شيكاغو خلال ثلاثينيات القرن الماضي، وتبين لها أن بداية السكن في التل يعود لعصر البرونز القديم (3000 - 2000 ق.م)، وازدهرت المدينة خلال عصر الحديد (1200 - 550 ق.م)، واكتشفت العديد من المنشآت، أهمها قصر مبني على نموذج بيت هيلاني، ومعبد مجاور له مخطط الأنتيس/الأنتين. كما عثر في الموقع على العديد من المنحوتات والنقوش الحثية اللوفية والآرامية والآشورية، وقد دلَّ أحدها على أن الموقع هو مدينة كونولوا عاصمة مملكة باتين Patina، أو أومقي Umqi (عمق)، التي ورد ذكرها أكثر من مرة في حوليات الملوك الآشوريين.

قاعة طويلة، لها محراب في الواجهة الخلفية مع طاولة أضاحي ومذبح، ويتقدم البناء رواق يقوم على عمودين عثر على قاعدتهما الحجرية المزخرفة على شكل أسدين يزأران[157]. (الشكل80).

لقد ارتبط الشكل التقليدي للمعبد السوري (antis) بمجاورته للقصور، ويمكن ملاحظة العلاقة الوثيقة بين الحكام والآلهة الراعية من خلال المعابد التي بُنيت في أماكن مجاورة لسكن وقصور الحكام، وكان منها معبد تل طعينات، البناء (II) الذي يتوضع خلف البناء (I) المبني على نموذج بيت هيلاني[158]. (الشكل81).

- **سادساً: معبد تل حلف (جوزن)**

يتوضع الحي الملكي في تل حلف[159]على الأكربول (المدينة العليا) وقد أُحيطَ بسور مستطيل الشكل، له ثلاثة أضلاع مبنية بالحجارة واللبن، بينما يُشكل نهر جرجب ضلعه الرابع من الشمال. والواقع أن هذا الحي كان حصناً داخل مدينة محصنة. ومن أشهر مبانيه: المعبد القصر الذي يعود إلى القرن العاشر ق.م، والذي بناه كباره في الجهة الغربية من الحي الملكي. بني القصر حسب النموذج المعروف باسم بيت هيلاني، ويُعدُّ من أقدم الأوابد المعمارية من هذا النوع، يتألف من قاعة أمامية كبيرة

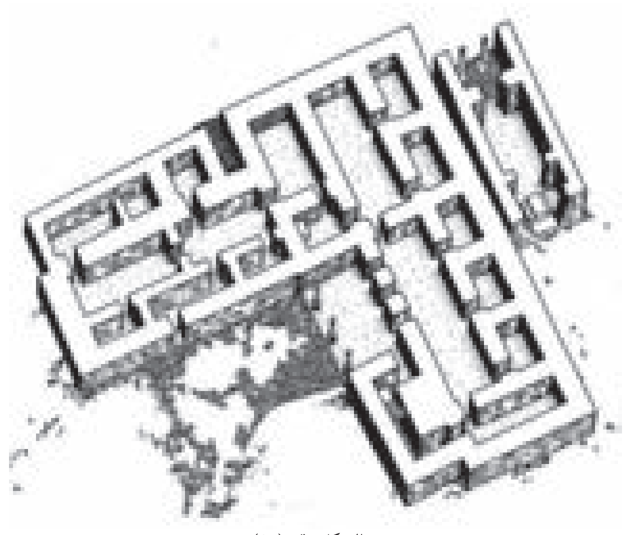
157 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 370.

158 Mazzoni، 2002، P. 92، & Akkermans & Shwartez، 2003، P. 374.

159 تل حلف: يقع في منطقة القامشلي (شمال شرقي سورية) قرب رأس العين مساحته حوالي 90 هكتاراً، مساحة المدينة العليا 12 هـ أجرى فيه الألماني ماكس فون أوبنهايم M.Von.Oppenheim بعض الأسبار عام 1899، بعد أن أبلغه بعض المواطنين بوجود تماثيل في منطقة تل حلف، ثم تابع حفرياته بين الأعوام 1911 و1913 و1927 و1929م. وقد دلت التنقيبات الأثرية أن الاستيطان ابتدأ في الموقع منذ الألف السادس قبل الميلاد، ثم أصبح مستوطنة مزدهرة في الألف الخامس قبل الميلاد، وفي مطلع الألف الأول قبل الميلاد يعرف الموقع بـ (جوزن) عاصمة مملكة بيت بحياني الآرامية القوية التي ذكرت أولاً من خلال نصوص الملك الآشوري أدد - نراري الثاني (894 ق.م)، وأخيراً في نصوص الملك أدد - نراري الثالث (808 ق.م) قبل أن تتحول لمقر للحاكم الآشوري. كما سكن الموقع خلال العصر الفارسي والهلنستي والروماني والإسلامي. تجددت اعمال التنقيب في الموقع عام 2006م على يد بعثة سورية ألمانية مشتركة يرأسها لوتز مارتين Lutz Martin وعبد المسيح بغدو.



الشكل رقم (80)
معبد تل الطعينات



الشكل رقم (81)
مخطط قصر ومعبد تل الطعينات

أبعادها (36.75 - 5.22 م)، تليها قاعة رئيسية بنفس الطول لكنها أعرض (805 سم)، وتُحيطُ بها الحجرات من جوانبها الثلاثة[160]. (الشكل82).

يحيط بالمدخل الرئيس للمعبد برجان بارزان نحو الخارج، ويبلغ عرض المدخل 9م تقريباً، وارتفاعه 6م، تم تقسيمه لأربعة ممرات بواسطة ثلاثة أعمدة، يتألف كل منها من: قاعدة على شكل حيوان ضخم يبلغ طوله 3م، وهو منحوت من الحجر البازلتي، والحيوانات الثلاثة هي ثور في الوسط وأسد على اليسار ولبوة في اليمين. أما الأعمدة فهي ثلاثة تماثيل، ارتفاع كل منها 2.60 سم، وهي تنتصب فوق ظهور الحيوانات، وهي أيضاً من الحجر البازلتي، تمثل أرباباً لها تيجان مخروطية عالية تحمل السقف الخشبي[161]. (الشكل83).

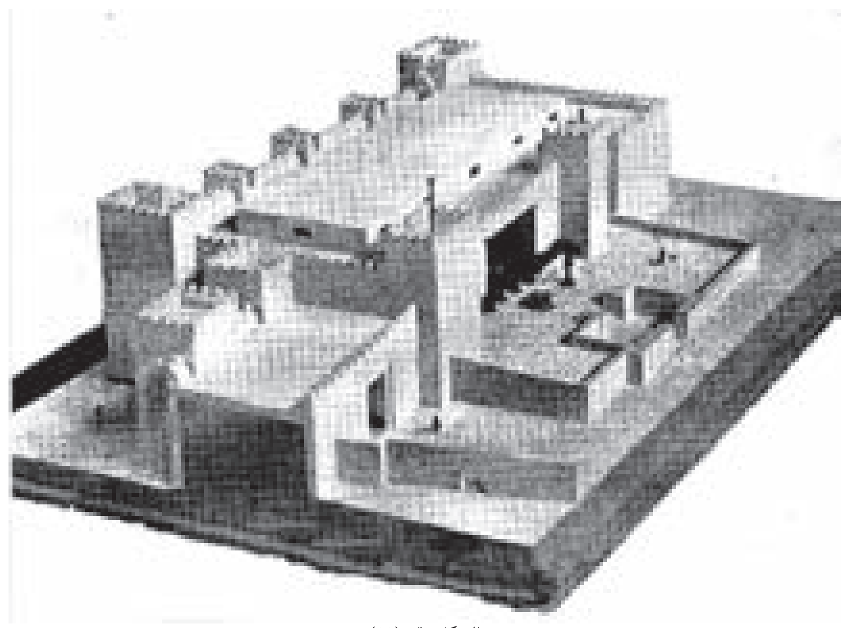
كُسيت الواجهة بنعلة تتألف من ست لوحات بازلتية، ثلاثة من كل جانب، نُقشَ على اللوحات الواقعة إلى يسار المدخل مشهد حيوانات وشمس مشعة، كما كُسيت قاعدة الجدار الجنوبي وبعض أجزاء الجدران الشرقية والغربية بلوحات حجرية مزخرفة بنقوش متنوعة، مصفوفة بالتناوب لوحة بازلتية تليها لوحة من الحجر الكلسي المصبوغ باللون الأحمر، ومن بينها لوحات تعود لعصر أقدم، أُعيدَ استخدامها في هذا المكان.

لا بد للناظر نحو واجهة المعبد الضخمة من أن يعتريه الخوف من تماثيل الأرباب، وبنفس الوقت لا بد أن يتعجب من ضخامتها ويشعر بعظمتها، ومما يقوي هذا الشعور تمثال طير جارح يقف منتصباً فوق تاج حجري، على شكل زهرة ثمانية الأوراق، يبلغ ارتفاع الطير حوالي

160 أبو عساف، 1988، ص 452.

161 نحتت الأعمدة على شكل آلهة تقف على حيوانات تشكل قواعد لها، أحدها يقف على ثور، وآخر على أسد، وإلهة على لبوة، وتحيط بالبوابة منحوتتان لأبي الهول. انظر:

Abdel Masih Baghdoo، and Lutz Martain. New excavations at Tall Halaf، (Chronique Archeologique en Syrie، III، 2007)، PP. 103-111).

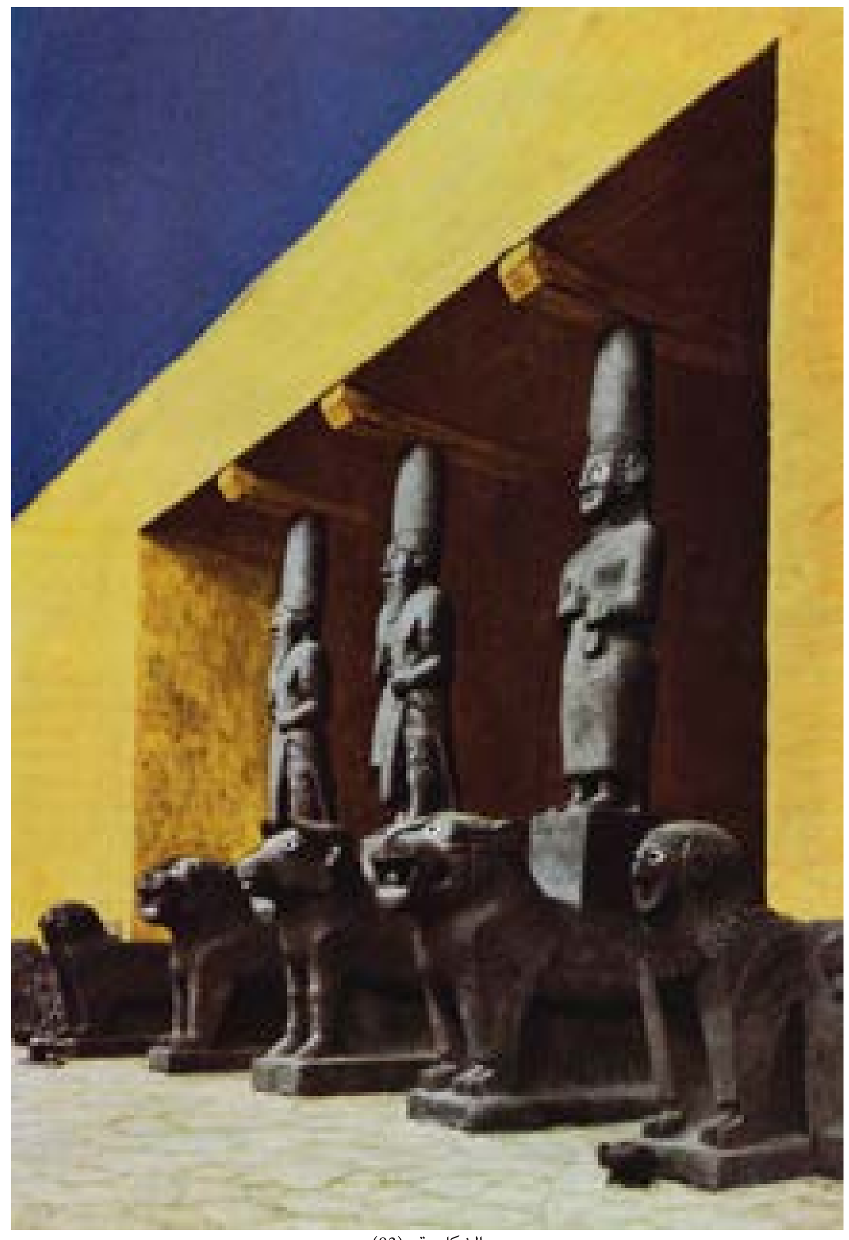


الشكل رقم (82)
نموذج لبيت هيلاني

1.84 م، وهو أكبر طير من الحجر عثر عليه حتى الآن في بلدان آسية الغربية، ورغم أنه لا يوجد تمثال طير بهذا الحجم، فإن ضخامته لا تؤثر على منظره الجميل ودقة نحته. (الشكل 84).

بعد عبور المدخل واجتياز القاعة الأمامية، هناك مدخل القاعة الكبرى، الذي يقع على امتداد المدخل الرئيس، ويبلغ عرضه 4 م، زُيِّنَ من كل جانب بتمثال تنين ضخم يبلغ طوله 2.4 م، وتعلوه بلاطة حجرية ترتفع نحو السقف.

كان هذا هو المعبد القصر، الذي يعود إلى نهاية القرن العاشر قبل الميلاد، أما إلى الشمال الشرقي منه؛ فيوجد القصر الملكي الذي يبعد عشرات الأمتار عنه، بينما التصق به من الجهة الشرقية بناء ملحق، لا يفصله عن المعبد القصر سوى بوابة معروفة ببوابة العقارب التي



الشكل رقم (83)
واجهة قصر المعبد – تل حلف -


الشكل رقم (84)
طير من تل حلف

ربطت بين الباب الخارجي للحي الملكي المسور، وبين المعبد القصر، وقد سُميت بهذا الاسم لأن صفحتيها مزينتان بمنحوتتين ضخمتين، تمثل كل منهما كائناً ضخماً له رأس إنسان، وصدر طير، وجسم عقرب[162].

- **سابعاً: معبد سيكاني (تل الفخيرية)**

أثبتت التنقيبات في تل فخيرية الواقع إلى جنوب بلدة رأس العين (85 كم)، شمال غرب الحسكة[163]، أنه كان يضم مدينة تتبع لمملكة جوزن التي ربما كانت هي مدينة سيكاني القديمة، عثر فيها وبطريق الصدفة في شباط 1979م (جنوب الأكروبول)، على تمثال من الحجر البازلتي ارتفاعه 2م (محفوظ بمتحف دمشق)، يمثل الحاكم الآشوري المحلي حد يسعي (أواخر القرن التاسع ومطلع الثامن ق.م) (الشكل85).

وقد نقش عليه نص مزدوج اللغة: آشوري (مؤلف من 38 سطراً)، وآرامي (مؤلف من 23 سطراً). ويوضح النص أن التمثال نصب أمام

162 أبو عساف، 1988، ص 457.

163 تبلغ مساحة تل الفخيرية 90 هكتاراً، ويتألف من مدينة عليا (أكروبول؛ 12هكتار) ومدينة منخفضة. نقبت فيه بعثة أمريكية برئاسة كالفن ماك أيوين 1940م، ثم بعثة ألمانية 1955 - 1956م. كما بدأت بعثة سورية ألمانية مشتركة التنقيب في الموقع بدءاً من 2001م، وقد اعتقد الباحثون الأوائل أن التل يحتوي في طياته على العاصمة الميتانية واشوكاني، ولم يتم العثور على ما يؤكد ذلك، وكل ما عثر عليه بعض الأبنية التي تعود للقرنين (8 -7 ق.م)، ومنها بيت لأحد التجار، ومجموعة من الرقم التي تعود للعصر الآشوري الوسيط (النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م)، وآثار أخرى تعود للعصور الهلنستية والرومانية والبيزنطية والإسلامية.



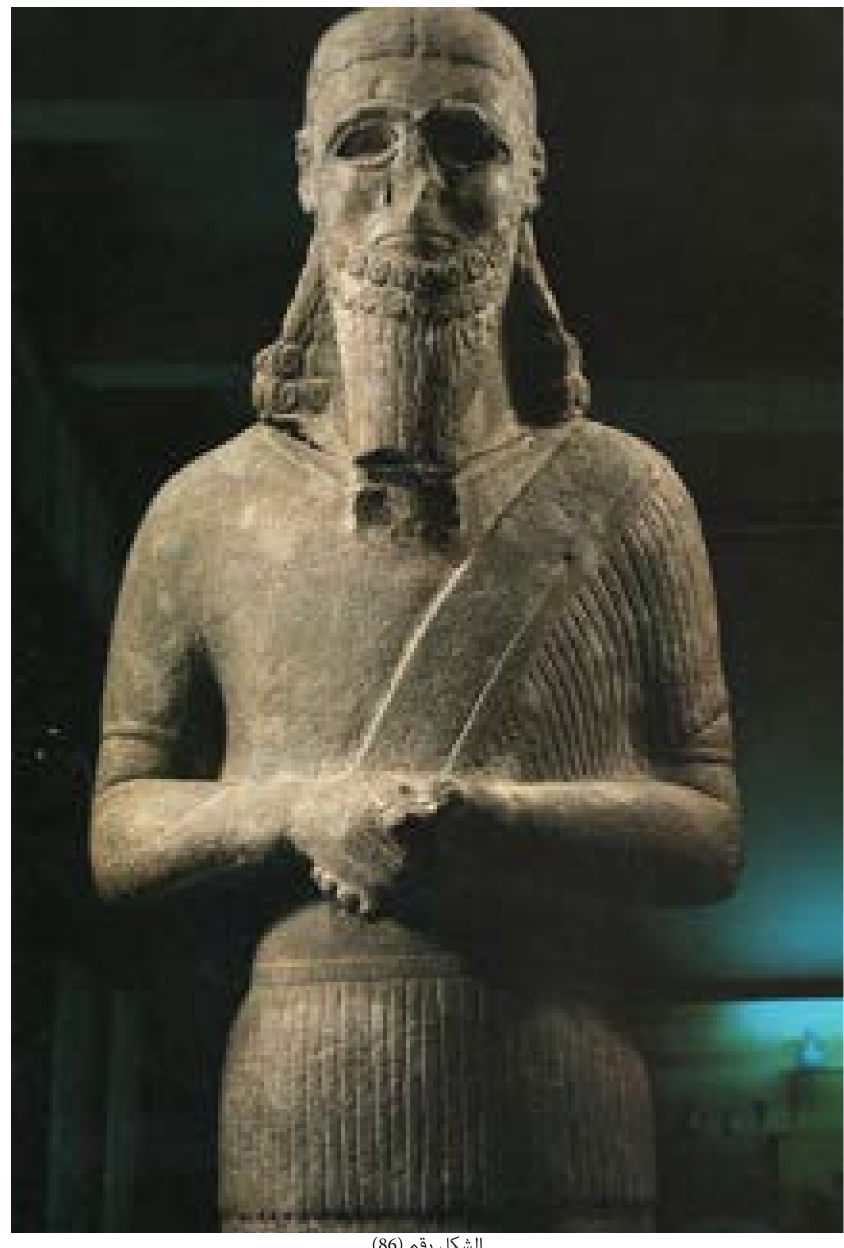
الشكل رقم (85)
تل الفخيرية

معبد إله الطقس من جوزن في مدينة سيكاني[164]، وقد نصبه حديسعي ابن شمشي نوري نذراً للإله حدد في معبده بمدينة سيكاني. لا شك أن تكثيف التنقيب في الموقع ستقود للكشف عن المعبد وعن أحد المركز العمرانية المهمة في المنطقة. (الشكل 86).

- ثامناً: معبد أرسلان طاش (خدو\خداتو)

يوجد موقع أثري قرب الحدود التركية شرقي نهر الفرات، وسط سهل سروج الخصب، بيضوي الشكل، أبعاده 700×550م، سُمي بالتركية أرسلان طاش لكثرة عدد تماثيل الأسود البازلتية الضخمة التي وجدت على سطحه والمطمورة جزئياً فقط.

164 روس، 2005، ص 3.



الشكل رقم (86)
تمثال هديسعي – تل الفخيرية -

أسـفرت حفريـات عـام 1928م عـن نتائـج مهمـة ومثـيرة، تتعلـق بتاريـخ المدينـة؛ وببعـض أبنيتهـا، ومـع أن القسـم الأكـبر مـا زال مطمـوراً في أرض الموقع، إلا أننـا نعـرف الآن قـصراً وبيتـاً كبـيراً، وبنـاء دينيـاً، وسـوراً للمدينـة، يعـود للقرنـين 8/9 ق.م، بالإضافـة إلى معبـد مـن الفـترة الهلنسـتية. (الشـكل 87).

لعـل أهـم اكتشـافات هـذا الموقـع هـو المبنـى الـذي وصـف بأنـه مبنـى العاجيـات، ويتألـف مـن باحتـين، عـلى جوانبهـما أكـثر مـن ثمـاني عـشرة حجرة، عـثر في بعضهـا عـلى مجموعـات مـن قطـع الأثـاث العاجيـة، تـم تأريخهـا مـع المبنـى بالقـرن التاسـع، أي مـن العـصر الآرامـي الـذي سـبق العـصر الآشـوري الحديـث[165]. (الشـكل 88).

يُعتقـدُ أن هـذه المدينـة قـد ضُمّـتْ للدولـة الآشـورية منـذ عهـد شـلمنصر الثالـث، قبـل أن تصبـح مقـراً لحاكـم الولايـة. أمـا المعبـد فلـم يُكشـف إلا عــن جــزء منــه، إذ كان مدخلــه المــزوّد بــرواق محميــاً بتمثالــين لثوريــن كبيريـن، عليهـما كتابـة منقوشـة، تفيـد أن بـاني المعبـد هـو الملـك تيغـلات - بليسرالثالـث، وصاحبتـه الإلهـة عشـتار. ومـن بـين محتويـات المعبـد سـتة مـن تماثيـل الآلهـة، وصنـدوق للتقدمـات[166].

نشـير إلى أن هنـاك موقـع يسـمى الجـرن الكبـير بـوادي الفـرات، نقبـت فيـه بعثـة دانماركيـة، وقـد شـكَّل نقطـة مراقبـة خـلال عـصر الحديـد، واحتوى عـلى قلعـة بيضويـة محاطـة بعـدد مـن الغـرف التـي بُنيَـتْ بالسـوية الثالثـة وتعاقبـت في السـوية الثانيـة، وترينـا نموذجـاً واضحـاً لبيـت هيـلاني[167]، الـذي مـا زال الشـك موجـوداً حـول وظيفتـه الدينيـة إضافـة للمدنيـة.

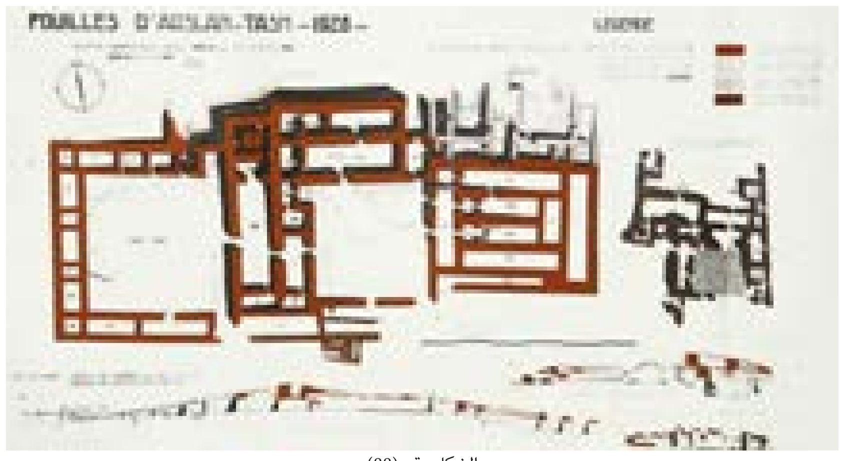
165 أبو عساف، 2003، ص31 ـ 32.

166 شترومينغر، 1985، ص 170.

167 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 376.



الشكل رقم (87)
مخطط تل أرسلان طاش (تل خداتو)



الشكل رقم (88)
المبنى العاجي – أرسلان طاش

- تاسعاً: معبد حدد دمشق

كانت مملكة دمشق أقوى الممالك الآرامية، وقد حاول ملوكها توحيد الآراميين، فلم يوفّقوا لأسباب مختلفة، خارجية مثل عداء الآشوريين للآراميين، وداخلية تكمن في أن الممالك الآرامية قد نشأت على أساس نظام قبلي بدائي، لم يستطع أحد تبديله.

لم تجر الحفريات المطلوبة في العاصمة الآرامية دمشق، والتي ذكرها عدد من الملوك الآشوريين في حولياتهم، لذلك تبقى الحضارة التي ترجع لهذه الحقبة ولكل العصور القديمة غائبة عنّا تماماً، وقد جاء ذكر إله دمشق حدد في أكثر من نقش آرامي دون الإشارة للمعبد الذي من المتوقع أنه يتوضع في مركز المدينة القديمة تحت المسجد الأموي، وقد جرت خلال ستينيات القرن الماضي بعض أعمال التنقيب الأثري في محيط الجامع، حيث أسفرت عن العثور على بعض الكسر الفخارية العائدة للعصر الآرامي. ولكن للأسف؛ لم يتم توثيقها، أو معرفة المصير الذي آلت إليه[168]. وما يعزز هذا الرأي العثور على لوحة من حجر البازلت تراوحت أبعادها بين 70 - 80سم، حفر عليها صورة أبو الهول (معروضة الآن في متحف دمشق)، وهي تشبه المنحوتات السورية الفلسطينية في القرن التاسع ق.م، وتعد الشاهد الوحيد على فن النحت في هذه المملكة. وقد تم العثور على هذه اللوحة عن طريق الصدفة نهاية عام 1940م خلال بعض أعمال الترميم التي كانت تجري في الزاوية الشمالية الغربية للسور القديم الذي يحيط بفناء المعبد الروماني[169]. (الشكل89).

168 حصلت على هذه المعلومة من أحد المشاركين في هذه التنقيبات، وهو الدكتور الباحث عبد القادر الريحاوي (المدير الأسبق لمديرية المباني في المديرية العامة للآثار والمتاحف).

169 بيتارد، 2006، ص 10، وانظر أيضاً: أبو عساف، 1988.

- عاشراً: معابد دور كاتليمو وجوارها



الشكل رقم (89)
منحوتة دمشق (ابو الهول)

عنـد نهايــة القــرن العــاشر، بــدأ الملـوك الآشـوريون سلسـلة مـن الحمـلات الناجحـة ضـد الممالـك الغربيـة، وحققـوا بذلــك تأســيس الامبراطوريــة الآشــورية الحديثـة (900 - 609 ق.م)[170]. وقـد قـام الآشــوريون خـلال هــذا العــصر باتخـاذ بعــض الحــواضر مراكــز إقليميــة لهــم لإدارة المناطــق التــي كانــوا يســيطرون عليهــا، أو لتنظيــم الحمــلات للســيطرة عـلى مناطـق جديـدة. ومـن أكـثر هـذه المواقـع شـهرة هـو دور كاتليمـو (الشـيخ حمـد)[171] في منطقـة الخابـور الأدنى، الـذي كان يتبـع للآشـوريين منـذ عـصر مملكتهـم الوسـيطة، واسـتمر كذلـك خـلال العـصر الآشـوري الحديـث، حيـث تعـزز وضعـه أكـثر وأصبـح خـلال القـرن الثامـن ق.م مدينـة محصنـة مسـورة مسـاحتها تزيـد عـن 55 هكتـاراً[172]. (الشـكل90).

---

170 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 374.

171 يقـع تـل الشـيخ حمـد البالـغ مسـاحته 110 هكتـار، عـلى الضفـة الشرقيـة لنهـر الخابـور عـلى بعـد 68 كيلـو مـترا شـمال شرق مدينـة ديـر الـزور ويرتفـع 40 مـتراً عـن سـطح الأرض المجـاورة. وهـو مدينـة مجـدالا أو مجـدل القديمـة(أي الـبرج) وأطلقـت عليهـا النصـوص الأشـورية اسـم دور ـ أدوك ـ ليـم -Dur aduk -lim. بـدأ التنقيـب في الموقـع الالمـاني هارتمـوت كونـه منـذ أواخـر سـبعينيات القـرن المـاضي ومـا يـزال العمـل مسـتمراً حتـى الآن، وقـد تبـين أن سـكن الموقـع بـدأ منـذ الالـف الرابـع ق.م، واسـتمر خـلال فـترة الامبراطوريـة الآشـورية الوسـيطة والحديثـة بـين 1300-600 ق. م حيـث دُعـيَ بالتسـمية الأشـورية دوركاتليمـو وكان مقـراً للحاميـة العسـكرية الرئيسـية عـلى الجبهـة الغربيـة. أحيـط الموقـع بسـور بلـغ طولـه 4 كـم، وهـو يضـم الحـي الرسـمي المرتفع(الأكروبـول)، والأحيـاء الشـعبية المنخفضـة، ومنهـا مـا هـو موجـود خـارج السـور. عـثر في الموقـع عـلى الكثـير مـن المبـاني أهمهـا القـصر الأحمـر نسـبة للـون جدرانـه، وأرشـيفاً تضمـن مئـات النصـوص المسـمارية، والآراميـة.

172 Akkermans & Shwartez، 2003، P. 374.



الشكل رقم (90)
دورر كاتليمو – معبد الشيخ حمد

تُبـيّنْ النصـوص الآشـورية وجـود عـدد مـن المعابـد في مدينــة دور كاتليمــو وجوارهــا، والتــي لم يتيــسر لأعـمال التنقيـب الوصـول لهـا حتـى الآن. رغـم أنـه تـم العثـور مؤخـراً عـلى بنـاء مخططـه مـن نمـوذج بيـت هيـلاني، إلا أن الباحـث هارتمـوت كونـه يعتقـد أن المبنـى المـؤرخ للقـرن السـابع ق.م والمؤلـف مـن ثلاثـة أقسـام أقـرب إلى القـصر منـه للمعبـد. وقـد عـثر فيـه عـلى مـرآة برونزيـة مصـورة بقـرص شـمس مجنـح فـوق شـجرة الحيـاة، ودميـة برونزيـة للعفريـت بـازوزو في الصالـة الرئيسـة، ومـن المحتمـل أنهـا كانـت معلقـة في الأصـل عـلى الجـدار، مـن أجـل طـرد الـشرور والأمـراض مـن الحجـرة[173]. (الشـكل91).

الشكل رقم (91)
بازوزو – تل الشيخ حمد

- أحد عشر: معبد سالمانو

أحـد أهـم المعابـد المعروفـة مـن خـلال نصـوص دور كاتليمو (الشـيخ حمد) الآشـورية الحديثـة. وقـد أوردت هـذه النصـوص أسـماء تسـعة مـن الموظفـين والكهنـة (شـانغو)[174] بحيـث كانـوا رفيعـي المسـتوى، وكانـت مهمتهـم خدمـة وإدارة المعبـد، وهـؤلاء الموظفـون هـم: بانيـا وكانـت خدمتـه حـوالي عـام 828 ق.م، والثـاني هـو آشـور - شـومو - أوكـين وخـدم حـوالي عـام 667 ق.م، والثالـث

173 Kunhe، 2009a، Dur – Katlimmu – Der Assyrische Zentralort Am Khabour.

174 عـرف المديـر الرئيـس في بعـض المعابـد الآشـورية باسـم المديـر المسـؤول عـن البيـت، بينـما كان يدعـى في معابـد أخـرى شـانغو؛ وهـو الموظـف الكهنـوتي الأول، وعـادة مـا كان لـه نائـب. لأن شـانغو معبـد عظيـم كان رجـلاً ذا أهميـة كـبرى، وغالبـاً مـا كان لـه اتصـال مبـاشر مـع الملـك شـخصياً، أو في المناسـبات الاحتفاليـة، أو عـن طريـق المراسـلة حـول حـوادث تجـري في المدينـة، وكان مـن الممكـن أن يكـون ذا ثـروة هائلـة، وأن يمتلـك الضيـاع الكبـيرة إضافـة للأجـور التـي يتقاضاهـا كحصـة مـن مدخـول المعبـد. وكانـت مهمـة النائـب الأولى إضافـة لتسـيير الطقـوس الدينيـة، هـي العنايـة بالشـؤون الماليـة للمعبـد، فهو مسـؤول عـن اسـتلام التقدمات، وإدارة شـؤون المعبـد الماليـة، وحمايـة أملاكـه التـي كثـيراً مـا تعرضـت للاختـلاس مـن قبـل بعـض الموظفـين. وهنـاك طبقـة ثانيـة مـن الموظفـين الرسـميين في المعبـد الآشـوري هـم الكالـو (كاهـن الابتهـالات). وكان الكالـو يقـوم بـكل الأنشـطة التـي لا يؤديهـا الشـانغو ونائبـه، لكـن وظيفتـه الرئيسـة هـي الإنشـاد، علـماً أن الكالـو المثقـف عمـل بصفـة كاتـب إضافـة لعملـه، ومـن الممكـن أن يعمـل شـانغو في معبـد أقـل أهميـة، وكالـو في معبـد مهـم. وليـس مـن المطلـوب أن يكـون الكالـو مـن طبقـة اجتماعيـة راقيـة، فقـد تـم عتـق أحدهـم مـن العبوديـة إكرامـاً للإلـه بعـل. نظـر: سـاغز، عظمـة بابـل، 2008، ص 312، 314.

نرغال - شارو - أصور، ابن سالمانو - أخو - أدينا وكانت خدمته حوالي 650 ق.م، والرابع (تعرض اسمه للتلف) وخدم حوالي 639 ق.م، والخامس أدد كابتي - إلاني وخدم حوالي 634 ق.م، والسادس إنورتا - أخو - أصور حوالي 632 ق.م، والسابع سالمانو - شانغو - أصور حوالي 602 ق.م، والثامن أنورتو - إسي - عا (تعرض التاريخ للتلف)، والتاسع كيتورو - نا عيد (تعرض التاريخ للتلف). وكانت العادة (حسب النصوص) أن يعمل في المعبد كاهن واحد فقط، ويمارس هذه الوظيفة مدى حياته، وكان يلحق بالقائمين على خدمة المعبد موظف يشرف على الأضاحي، وهناك المغني والمغني الأكبر والطبيب[175].

هناك معلومات قيمة حول معبد سلمانو، وقد وردتنا من نقشين كتابيين وجدا على كسرة من شاهدة ملكية آشورية وقعت بين أيدي تجار الآثار منذ فترة ليست بالبعيدة، وقد كانت هذه الكسرة مكمّلة للكسرة التي كان قد عثر عليها هـ. رسام H. Rassam سنة 1879م في نفس الموقع، وهي تصور ملكاً يلتفت نحو اليمين، مع رموز إلهية و نقش كتابي لآدد - نِراري الثالث (811 - 793 ق.م) يتحدث عن حملة قام بها ضد "بلاد خاتي" وأرفاد. ثم ينتقل للحديث عن أعمال ترميم وإعادة بناء في معبد سلمانو، الذي بُني من قبل والده شلمنصر، (دي - ما - نو - ماش أ - بي). ويبدو أن حالة التصدّع التي أصابت البناء هي التي دفعته لإعادة تجديده بصورة جذرية. ويذكراستخدامه في بناء الأسقف لجذوع أشجار الأرز التي جلبها من جبال لبنان، وينتهي النص بتوجيه رجاء للحاكم المقبل للمحافظة على سلامة المعبد، وإبقاء النقش الكتابي في مكانه. وبما أن شلمنصر ليس اسم الأب العضوي لأدد - نِراري الثالث، فقد استخدم هنا كلمة «أبو» بمعنى «الأب الأول، السلف»، وقصد به شلمنصر الأول، الذي يمكن أن ينسب إليه بناء معبد سلمانو[176].

175 Radner، 2004، PP. 1-16.

176 Radner، 2004، PP. 15.

- اثنا عشر: معبد بورو

تـورد نصـوص تـل الشـيخ حمـد ذكـراً لإلـه يدعـى بـورو ويعنـي اسـمه (الثـور العجـل)، الـذي كان لـه معبـد بالقـرب مـن دور كاتليمـو. ومـا زالـت المصـادر عـن هـذا المعبـود قليلـة، ومـن بينهـا ظهـوره في تركيـب عـدد مـن أسـماء الأعـلام، والتـي يتَّضـحُ مـن خلالهـا أنـه عُبـدَ في المنطقـة الواقعـة بـين حـران وخنـدان (عـلى الفـرات الأوسـط)، فيـما كان مركـز عبادتـه ليـس مدينـة دور كاتليمـو بـل موقعـاً مجـاوراً ربمـا كان في إمـارة لاقـي، أو في خنـدان[177].

- ثلاثة عشر: معبد تل الشيخ حسن

عـثر في السـوية الثالثـة مـن موقـع تـل الشـيخ حسـن[178] عـلى البنـاء A الـذي يمثـل قـصراً ينتمـي للعـصر الحديـدي، عرضـه مـن الشـمال للجنـوب 21م، ومـن الـشرق للغـرب 531سـم، أساسـاته من الحجـارة الكلسـية، وجدرانه مبنيـة مـن اللـبن المشـوي بعـرض 120سـم. وكان ملفتـاً للانتبـاه الغرفـة (V) التـي رُصفـتَ أرضيتهـا بأجـزاء مـن القرميـد المشـوي، بحيـث وُضعـتْ لتكـون أساسـاً لأرضيـة طينيـة تعلوهـا.

ومهـما يكـن، فـإن القـصر يمثـل بنـاءً مهـماً مـن أواخـر عـصر الحديـد، وهـو يشـبه أبنيـة زنجـرلي المعروفـة باسـم هيـلاني (1) وهيـلاني (2)، كـما أن أحجـام الغـرف، وأسـلوب بنائهـا، متشـابهة إلى حـد بعيـد. ولهـذا فمـن المعتقـد أن تاريـخ القـصر يعـود للفـترة الواقعـة بـين القرنـين الثامـن والسـادس ق.م[179]. وهـذا النمـوذج مـن البنـاء (بيـت هيـلاني) يبقـى مـن المواضيـع التـي لم تحسـم بعـد فيـما إذا كانـت معبـداً أم قـصراً أم الإثنـين معـاً، في ظـل العثـور

177 Radner، 2004، PP. 15.

178 يقـع تـل الشـيخ حسـن في الرقـة عـلى ضفـاف نهـر الفـرات، نقبـت فيـه بعثـة ألمانيـة خـلال فـترة الثمانينيـات، فكشـفت عـن عـدد مـن المنشـآت المهمـة، مـن بينهـا بيـوت سكنية ومعابـد. وننـوه لوجـود تـل يحمـل نفـس الاسـم، ويقـع في وادي البليـخ، لكـن أقـدم اسـتيطان فيـه يعـود للفـترة الهلنسـتية.

179 بوزه، 1989، ص 226.

على لقى لها علاقة بالممارسات الدينية. ومن بينها في بناء تل الشيخ حسن هناك طاولة أضاحي صغيرة مصنوعة من البازلت عليها زخارف (رأس ثور) تشبه لقى أخرى معروفة في تل حلف، وتعود للفترة الممتدة من القرن التاسع وحتى السابع ق.م. كما عُثر في نفس المكان على ختم مسطح، مصنوع بدون اتقان، من الحجر الكلسي الطري، نُقش على قاعدته المسطحة خمسة رموز إلهية على شكل أثلام. يتضح من موضوع النقش أن الختم يعود للعصر البابلي الحديث[180].

- **أربعة عشر: معبد تل بويض**

يقع على بعد 18 كم جنوب شرق الحسكة على الضفة اليمنى لنهر الخابور، وهو تل صغير تقارب مساحته الدونم والنصف، نقبت فيه بعثة وطنية بإدارة أنطوان سليمان عام 1997م. (الشكل92).

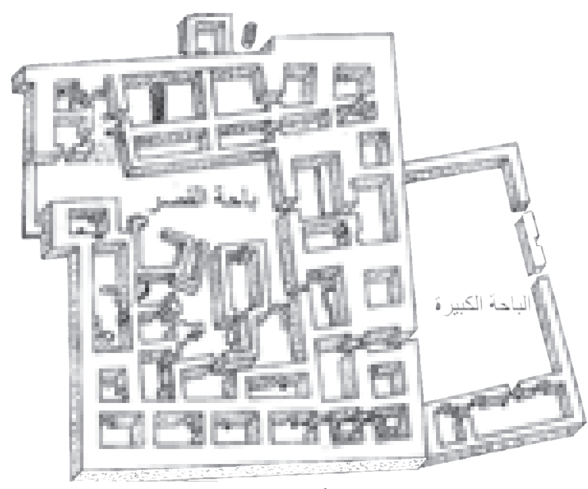
عُثر فيه على سويتين أثريتين، ترجع إحداهما للعصر الحجري الحديث (النيوليت). واكتشفَ في التل قصر يعود للعصر الآشوري الحديث (1000 - 700 ق.م)[181]، في جناحه الملكي معبد صغير أُقيم في الباحة المركزية، وهو عبارة عن غرفة يقع محرابها في الضلع الشرقي، وُجدَ في داخلها حوض من الفخار، وتمثال مصنوع من الطين لإمرأة عارية، يداها متشابكتان كرمز للعطاء، مما يرجّح أن هذا المعبد كان مخصصاً لعبادة الربة عشتار[182].

كما اكتشفَ معبد آخر إلى الجنوب من القصر، له باحة كبيرة، وغرفتان متجاورتان، زُيِّنتْ واجهتيهما الداخلية من الجهة الشرقية بثلاثة محاريب. ويتم الدخول للمعبد من الجهة الجنوبية عبر بوابتين تؤديان

180 بوزه، 1989، ص 231.

181 ينقسم القصر لثلاثة أجنحة: ملكي، وإداري، وخدمات عامة. ويتألف من (45) غرفة مربعة ومستطيلة الشكل، تتجه من الشمال للجنوب، لها أبواب فيما بينها، ويحمل القصر الكثير من صفات العمارة الآشورية الوسيطة.

182 بغدو، 2009، ص 262.



الشكل رقم (92)
معبدان من تل بويض

إلى باحـة، ومـن ثـم يتـم الانتقـال إلى غرفـة أماميـة، ومنهـا إلى المصـلى، وقـدس الأقـداس[183].

- **خمسة عشر: معبد هيرابوليس (منبج)**

لم يعـرف هـذا المعبـد مـن خـلال المكتشـفات الأثريـة، ولكنـه عُـرف مـن خـلال الوصـف الـذي قدَّمَـهُ لوقيانـوس السميسـاطي في نبذتـه (في الآلهـة السـورية)، بعـد أن زاره ووصفـه وسـمّاه (معبـد هـيرا بوليـس). واعتقـد أن كل مـا كان يجـري فيـه تقريبـاً هـو مـن أصـول أقـدم مـن عـصره، بمـا في ذلـك البنـاء نفسـه، أي أنـه ربمـا يعـود للفـترة التـي هـي موضـوع بحثنـا، أو قبـل ذلـك. وفي هـذا العـرض ربمـا نسـتطيع التعـرف عـلى بعـض الطقـوس التـي كانـت تجـري فيـه، إضافـة لشـكل المعبـد وموجوداتـه[184]:

ـ هيرابوليس: (المدينة المقدسة)

توجـد في سـورية، ليـس بعيـداً مـن الفـرات؛ مدينـة يسـمونها المقدسـة (هيرابوليـس، أو المدينـة المقدسـة)، إنهـا في الواقـع مخصصـة لـ (هـيرا)

183 بغدو، 2009، ص 264.
184 بن ذريل، 1964، ص 55 ـ 76.

الآشـورية، ولكنـي (كلام لوقيانـوس) أعتقـد أن هـذا الاسـم لا يرجـع تاريخـه إلى تأسـيس المدينـة، وأن المدينـة كان لهـا اسـم آخـر، وأنهـا اكتسـبت هـذه التسـمية، في الوقـت الـذي ازدهـر فيـه الديـن في المدينـة... سـأتحدث عـن الشـعائر التـي نلاحظهـا في ديانتهـا، والجمعيـات التـي تنعقـد فيهـا، والأضاحـي التـي تُقـدّم. وسـأتحدث أيضـاً عـن كل مـا يـروى عـن مؤسـسي ديانتهـا، وكيـف أُنشـأ معبدُهـا، وأنـا نفـسي الـذي يكتـب هـذا الكتـاب، إني آشـوري، وقـد رأيـت بـأم عينـي جـزءاً مـما أرويـه، في حـين أن الباقـي، أي مـا هـو سـابق عـلى عـصري، أنـا أنقلـه كـما أخـبرني بـه الكهنـة. (الشـكل93).

المعبد والأعمدة

الأرض التـي بُنـيَ عليهـا المعبـد هضبـة، وهـو قائـم عـلى وجـه التقريـب في وسـط المدينـة، ومحـاط بسـورين، أحدهـما قديـم، والآخـر لا يرقـى إلى أبعـد مـن عصرنـا، وبوابـات propylees المعبـد مائلـة نحـو الشـمال، وتمتـد عـلى سـاحة تقـرب مـن مئـة «براسـة». في هـذه الرقعـة تقـوم الأعمـدة التـي رفعهـا (ديونيسـوس)، وارتفـاع العمـود الواحـد منهـا ثلاثـون «براسـة»، ومرتـان في العـام يصعـد رجـل إلى قمـة أحدهـا، ويمكـث هنـاك مـدة أسـبوع. هـذا هـو سـبب هـذا الاسـتعمال، إن الشـعب مقتنـع أنـه مـن هـذا الموضـع المرتفـع، يمكـن للإنسـان أن يتحـاور مـع الآلهـة، ويرجوهـا أن تعقـد بركاتهـا لـكل سـورية، وأن الآلهـة تسـمع عـن قـرب صلواتـه أكـثر، وآخـرون يظنـون أنهـم يفعلـون ذلـك كذكـرى لديكاليـون، ولذلـك الزمـن الشـقي الـذي كان النـاس يصعـدون فيـه إلى المرتفعـات والأشـجار الباسـقة خشـية الطوفـان، بالنسـبة إلي، أجـد هـذا التفسـير غـير مقـارب للواقـع، وأعتقـد أنهـم يفعلـون ذلـك عـلى شرف ديونيسـوس، وهـذا مـا ابنـي عليـه فرضيتـي، إن مـن يقيمـون الأعمـدة يضعـون عليهـا تماثيـل خشـبية! لمـاذا؟ لسـت أدري.. ولكنـي أعتقـد أن هـذا الرجـل يصعـد عـلى العمـود ليمثـل ذلـك التمثـال الخشـبي.



الشكل رقم (93)
قلعة نجم – قرب منبج – على الفرات

صعود العمود

وصعـود العمـود يتـم عـلى الصـورة التاليـة، يُمـرر الصاعـد حولـه، وحـول العمـود حبلـة صغـيرة، ثـم يرقـى إلى الأعـلى عـلى قطـع خشـبية مثبتـة عـلى العمـود، تكفـي فقـط لموضـع رأس الأصابـع، وكلـما صعـد رفـع الحبلـة مـن كلا الطرفـين، كـما ترفـع الأعنـة. وعندمـا يصـل الصاعـد إلى آخـر مرحلـة في صعـوده يرمـي بحبلـة أخـرى، هـي طويلـة هـذه المـرة، ويرفـع إليه مـن الأرض بواسـطتها مـا يريـد: خشـب، ثيـاب، أدوات، يؤلـف منهـا مقعـداً شـبيهاً بالعـش، وهنـاك يجلـس، ويمكـث كـما قلـت سـبعة أيـام، وكثـير مـن النـاس ممـن يؤمـون المعبـد يجلبـون إليـه الذهـب، والفضـة، وأشـياء أخـرى مـن المعـادن، يضعونهـا أمامـه عـلى الأرض، ويذهبـون، بعـد أن يذكـروا أسـماءهم، ويـصرخ عابـد آخـر، يكـون في أسـفل العمـود بأسـمائهم لـه، وعندمـا يسـمعها العابـد فـوق، يقـوم بصـلاة لـكل واحـد منهـم، ويـضرب وهـو قائـم يصـلي عـلى أداة معدنيـة، تحـدث بفعل

ضرباته صوتاً عالياً، ومقرقعاً. إنه لا ينام أبداً، وإذا أسلم نفسه للنوم، فإن عقرباً تصعد لتوقظه بلدغة مؤلمة، وذلك عقاب النوم فوق. وإن ما يقال عن العقرب ينم عن أصل ديني مقدس، ولكن هل هذا صحيح؟ لست أدري!. على كل حال، إني أعتقد أن الخوف من السقوط يساهم أيضاً في أن يظل العابد صاحياً، وقد تكلمت كثيراً عن الذين يصعدون الأعمدة. أما المعبد فإنه ينظر إلى الشمس المشرقة.

وصف المعبد

من حيث الشكل، والطراز، إنه يشبه المعابد التي بنيت في (أيونيا)، إن القاعدة التي يرتكز إليها ترتفع عن الأرض مقدار «براستين». ويصعد إلى المعبد بواسطة درج ضيق. وعندما نكون اجتزنا الدرج، يهب الدهليز منظراً مدهشاً، إن الأبواب التي تزينه كلها من ذهب، وفي الداخل يتلألأ المعبد بألف زينة ذهبية، والسقف كله من ذهب، ورائحة شراب الآلهة العنبري تتصاعد من البناء مثل التي تعطر، كما يقال في بلاد العرب، وعندما يدخل المرء إلى المعبد يحس بالنسمة العذبة التي تخرج منه، هذه الرائحة لا تتركنا عندما نبتعد عنه، بل تظل طويلاً في الثياب، ويظل المرء يتذكرها دائماً.

التماثيل الذهبية

داخل المعبد ليس خاوياً، لقد بنيت فيه غرفة يوصل إليها بواسطة درج صغير وليس للغرفة أبواب، وواجهتها مفتوحة تماماً، ويمكن لجميع الناس أن يدخلوا المعبد، إلا أن الكهنة وحدهم هم الذين يحق لهم دخول الغرفة، وأيضاً ليسوا جميعاً بل الذين هم أكثر صلة بالآلهة، والذين توكل إليهم الأعمال الدينية. ويوجد في الغرفة تمثالان أحدهما لهيرا، والآخر ربما لزيوس، إلا أن السوريين يسمونه باسم آخر، وكلا التمثالين من الذهب، وكلاهما جالس، هيرا تجرها الأسود في حين يجر زيوس طاقم

ثيران. وحقاً كل شيء في هذا التمثال يذكر بزيوس، رأسه، ثيابه، عرشه، والمرجو أن لا يؤخذ لغيره. إلا أن تمثال هيرا عندما يتأمله الإنسان يقدم اختلافات كبيرة في الملامح، في المجموع هو حقاً هيرا، إلا أن فيه ملامح من أثينا وأفروديت وسيلينة ورحيا وأرتيميس ونيميزيس والتماثيل ذات الأردية المتموجة وهي تمسك بإحدى يديها صولجاناً وبالأخرى مغزلاً وحول رأسها أشعة وهالة وتتزنر بزنار، هو زينة مخصصة لأفروديت السماوية، يُضاف إلى ذلك أنها مكسوة بالذهب والحجارة الكريمة وبعض هذه الحجارة بيضاء وبعضها الآخر بلون الماء، والكثير منها بلون الخمر أو لون النار، وكثير منها هي كوارتز سردينيا وياقوت وزمرد، وقد جلبها إليها المصريون والهنود والأحباش والميديون والأرمن والبابليون، ولكن بين الأشياء الأكثر إعجاباً ذلك الحجر الذي على رأسها ويسمى قنديل، وهو اسم يأتي من الأثر الذي يحدثه الحجر، فهو يلقي في الليل بإشعاع قوي بحيث يضاء المعبد، الذي تهيمن عليه هيرا كله: إنما أُضيء بالقناديل وبريق الحجر في النهار الضعيف، ولكنه يحتفظ مع ذلك بلونه الناري. ويهب التمثال أيضاً خصيصة مدهشة أخرى، هي أنه إذا تأملته من وجهه فهو ينظر إليك وإذا غيرت مكانك ظلت عيناه تتبعانك، وإذا نظر إليه رجل آخر من زاوية أخرى فعل معه مثل ذلك.

وهناك بين التمثالين تمثال آخر هو أيضاً من الذهب لكنه لا يشبهها، لا شكل خاص له، وملامحه هي ملامح الآلهة الأخرى، ويسميه الآشوريون الصنم دون أن يطلقوا عليه اسماً خاصاً ولا يذكرون شيئاً عن أصله ولا عمّا يمثل، وينسبه بعضهم إلى ديونيسوس وآخرون إلى ديكاليون وآخرون

إلى سـميراميس[185]، لأنـه يحمـل عـلى رأسـه حمامـة مـن ذهـب، ولذلـك يزعمـون أيضـاً أنـه يمثـل سـميراميس، وهـو ينـزل إلى البحـر مرتـين في العـام، ليجلـب المـاء الـذي كنـت تحدثـت عنـه.

في المعبـد؛ وإلى اليسـار ونحـن داخلـون، نشـاهد أول مـا نشـاهد عـرش الشـمس، إلا أن صـورة هـذا الإلـه ليسـت فيـه، لأن الشـمس والقمـر هـما وحدهـما الإلهـان الوحيـدان اللـذان لا يمثـلان بواسـطة الصـور. لمـاذا يلجـؤون إلى هـذا الاسـتثمار؟ هاكـم السـبب الـذي قدمـوه لي: يقولـون إنـه مسـموح، مـن أجـل الآلهـة الأخـرى أن تقـام التماثيـل، لأن أشـكالها غـير مرئيـة مـن عيـون النـاس، ولكـن الشـمس والقمـر يظهـران في مـلأ النـور، وجميـع النـاس تراهـما، وإذاً لمـاذا التمثيـل بواسـطة النحـت لكواكـب تتقـد في السـماء؟.

نجـد بعـد هـذا العـرش تمثـالاً لأبولـون، ولكنـه لا يشـبه التماثيـل التـي تُرفعُ بالعـادة لـه، فـإن جميـع الشـعوب بالفعـل تمثـل (أبولـون) عـلى شـكل شـاب في زهـرة العمـر، والسـوريون وحدهـم أعطـوا تمثالـه وجهـاً بذقـن، وهـم

185 سـمّورامات (الاسـم العـالي) ملكـة سـورية آراميـة (أصلهـا مـن دمشـق أو مـن عسـقلان)، أوصلتهـا الصدفـة لأكـثر العـروش رهبـة في الـشرق القديـم، وهـو حكـم آشـور وبابـل. عرفتهـا المصـادر اليونانيـة باسـم سـميرأميس (الحمامـة)، لأن الحمامـة هـي التـي أرضعتهـا وأطعمتهـا عندمـا كانـت طفلـة، ويـروى عنهـا أنهـا كانـت زوجـة ذكيـة رائعـة الجـمال لضابـط آشـوري «أونيـس»، التحقـت بزوجهـا في مخيمـه الـذي أقامـه لحصـار المدينـة الأخمينيـة بكتريـا Bactria (وزيـر أبـاد شـمال أفغانسـتان حاليـاً)، واسـتطاعت أن تضـع خطـة ناجحـة اسـتولى مـن خلالهـا الجيـش الآشـوري عـلى المدينـة المحصنـة. أراد الملـك نينـوس (شـمشي - أدد الخامـس) الطاعـن في السـن أن يتعـرف عـلى مسـبّبة النـصر، فغمرهـا بالهدايـا قبـل أن يبهـره جمالهـا، فطلبهـا مـن زوجهـا الـذي رفـض التنـازل عنهـا لحبـه الشـديد لهـا، رغـم أن الملـك عـرض عليـه ابنتـه سـوزان بـدلاً عنهـا، فأخـذ الملـك يهـدد ضابطـه بفـقء عينيـه مـما اضطـره للانتحـار شـنقاً، وتـزوج الملـك مـن سـميراميس -- وبعـد وفـاة الملـك شـمشي - أدد تسـلمت السـلطة في البـلاد نيابـة عـن ابنهـا الصغـير نينيـاس (أدد - نِـراري الثالـث) لمـدة خمـس سـنوات (811 - 806 ق.م) حكمـت خلالهـا باقتـدار عجيـب، فكانـت «الأجمـل والأقـسى والأقـوى والأحيـل بـين ملـكات الـشرق». ذاعـت شـهرة سـميراميس في العـالم القديـم، وصيغـت عنهـا أسـاطير لا علاقـة لهـا بالواقـع، مثـل قيـادة الحـروب، وبنـاء المـدن، ومنهـا بابـل. وحـاول كل شـعب أن ينسـبها لنفسـه، مثـل اليونـان والبابليـين والأورارتيـين والأيراينيـين والأرمـن. للمزيـد انظـر: جيوفـاني بيتيناتـو، سـميراميس، ترجمـة عيـد مرعـي، دمشـق، 2008.

يمتدحون كثيراً طريقتهم تلك، ويلومون الإغريق، وجميع الذين يعتقدون أنهم يرضون أبولون بإعطائه ملامح الفتى المراهق، إنه في نظرهم عدم مقدرة، وشعوذة أن تمثل الآلهة بملامح ناقصة، لأن الشباب في رأيهم شيء ناقص، ومفارقة أخرى تلاحظ في التمثال، وهي ثيابه التي يتزين بها، والتي لا يرى لها مثيل في الخارج.

ويشار في موضوع المعابد، إلى أن ظاهرة زخرفة الأبنية الرسمية، ومنها الدينية؛ وإعادة إشادتها في العواصم المحلية توقفت فجأة بعد السيطرة الآشورية، وضياع استقلال الممالك المحلية. لكن بعض المواقع والبلدات ذات الأهمية الاقتصادية والعسكرية للآشوريين، ومنها حماة؛ فقد أُعيد تخطيطها وبنائها من جديد تحت السيادة الآشورية الجديدة. في حين جرى إعادة بناء القليل من المعابد، ومنها معبد إله العاصفة في حلب، الذي استمر يجذب المتعبدين. وبالتالي فمن المفترض أن تدهور حالة المعابد ترجع للوضع الاقتصادي، والبنيوي (المتدهور)، وليس فقط بسبب عامل السيادة الآشورية، التي قد تكون سبباً ليس إلا[186].

186 Mazzoni، 2002، P. 94.

الباب الثالث:

الطقوس الدينيــة

الطقوس الدينيــة

عرفـت المناطـق السـورية العديـد مـن أنـواع الاحتفـالات والأعيـاد التـي ارتـدى أغلبهـا الطابـع الدينـي، بمـا في ذلـك أعيـاد رأس السـنة وفصولهـا، واكتـمال القمـر، ومهرجانـات تنصيـب الكهنـة، وتتويـج الملـوك، وولائـم الذكـر وغيرهـا. ورغـم كـثرة هـذه الأعيـاد، وتنوعهـا، إلا أن المعلومـات المتوافـرة عنهـا مـا زالـت متناثـرة وغـير كاملـة. وقـد ظلـت هـذه الاحتفـالات قائمـة بأشـكال مختلفـة ومتجـددة عـلى مـدى آلاف السـنين منـذ بدايـة العصـور التاريخيـة، وربمـا مـا قبـل التاريخيـة، وحتـى العصـور الكلاسـيكية، لا بـل مـا زلنـا نـرى بعضهـا بشـكل محـوّر حتـى في أيامنـا هـذه. ودائمـاً مـا كانـت هـذه الأعيـاد تترافـق مـع تقديـم القرابـين والهدايـا للآلهـة في معابدهـا. وتشـهد القوائـم عـلى كميـات كبـيرة مـن الأضاحـي والمـواد التـي قُدِّمـت لعـدد كبـير مـن الآلهـة في أوغاريـت. أمـا أنـواع الأضاحـي فقـد شـملت عـلاوة عـلى الحيوانـات مـواد أخـرى، مثـل الزيـوت النباتيـة، وخاصـة الزيتـون منهـا، وكذلـك النبيـذ والفاكهـة والحبـوب، والأدوات المختلفـة، والألبسـة والأحجـار الكريمـة والمجوهـرات لإلباسـها للآلهـة، وغيرهـا. وتعـدّى ذلـك (حسـب بعـض الباحثـين) إلى التضحيـة بـالأولاد، مرضـاة للآلهـة واتقـاء لغضبهـا.

وقـد ترافقـت المهرجانـات والطقـوس الدينيـة مـع إقامـة صلـوات التـضرُّع والمباركـة للآلهـة، وترتيـل الأناشـيد الدينيـة، التـي كان يؤديهـا المنشـدون في

المعابـد مـن الجنسـين. ولكـن بعـض الصلـوات كانـت تقـام بشـكل محـلي، وعـلى نطـاق شـبه فـردي، وخاصـة مـا كان منهـا متعلقـاً بالتعاويـذ، وقضايـا المعالجـة، وطلـب الشـفاء للنـاس.

لم يقتـصر دور الكهنـة عـلى الاضطـلاع بطقـوس العبـادة، بـل كان لهـم دور آخـر مـواز لامـس حاجـات النـاس، حيـث كان يتـم اللجـوء إليهـم، للتخلـص مـن الـشرور المرضيـة والنفسـية والاجتماعيـة والكونيـة التـي تهددهـم. ولهـذا فالوصـول لمرتبـة الكهنـوت يحتـاج إلى تخصُّـصٍ وتحصيـلٍ للكثـير مـن المعـارف والعلـوم، التـي لم تكـن بمتنـاول الجميـع، ومـن أرادهـا كان لا بـدَّ لـه مـن البحـث عنهـا في ثنايـا بعـض الكتـب والكراريـس التـي دونـت طـرق التعاطـي مـع الكثـير مـن الحـالات، بمـا فيهـا الأمـراض، والأحـلام، والتنبـؤ، وقـراءة أعضـاء الحيـوان، وظواهـر الطبيعـة، مثـل الكسـوف والخسـوف.. الـخ. والكاهـن المتميـز هـو، كـما الطبيـب الناجـح، ذاك الـذي حصـل عـلى أكـبر قـدر مـن المعـارف، وأفلـح في تطبيقهـا، وعالـج مـا نتـج عنهـا مـن شرور وأخطـار مختلفـة.

الفصل الأول: الاحتفالات

أولاً: الاحتفالات في أوغاريت

كانـت الـضرورة لضبـط الأحـداث الاجتماعيـة والطبيعيـة والاقتصاديـة التـي تؤثـر عـلى حيـاة النـاس ومعيشـتهم أهـم الأسـباب التـي دفعـت سـكان مشرقنـا القديـم لتنظيـم التقاويـم الزمنيـة، التـي كانـت أحـد أهـم الإنجـازات العلميـة في تاريـخ البشريـة، كونهـا شـكلت بدايـة الذاكـرة التاريخيـة للإنسـان. وكانـت حركـة القمـر الشـهرية عنـد الأقدمـين، هـي المـؤشر الأهـم لقيـاس الزمـن، فـكان مـرور الأيـام يُحسـب بالليـالي، ومـرور الشـهور يُحسـب بظهـور القمـر، وانقضـاء العـام يُحسـب بانقضـاء اثنـي عـشر قمـراً متتاليـاً. ولم تكـن حركـة القمـر هـذه مجـرد سـاعة كونيـة ترصـد الوقـت، بـل كانـت بالفعـل تصنـع حركـة الزمـن، فـالأم القمريـة الكـبرى، هـي التـي ابتـدأت زمـن الكـون المنظّـم، بعـد أن خرجـت مـن الهيـولى الأولى، وهـي سـيدته القيِّمـة عـلى استمراره وتدفقـه. ورغـم غلبـة الآلهـة الشمسـية عـلى سـيدة القمـر القديمـة، فإنهـم لم يسـتطيعوا السـيطرة عـلى الزمـن، ولم يضعـوا تقويمهـم وسـنتهم الشمسـيّة إلا في وقـت متأخـر جـداً مـن تاريـخ الحضـارة، حيـث بقـي التقويـم القمـري الأداة الوحيـدة التـي اسـتخدمها الإنسـان لحسـاب الوقـت، وترقُّـب حركـة الفصـول.

مثَّـل البابليـون شـهور السـنة القمريـة بأبـراج السـماء الإثنـي عـشر التـي

أسـموها منـازل القمـر، وكعـادة شـعوب حضـارات المـشرق القديـم التـي بقيـت عـلى تقويمهـا القمـري إلى أن تـم اكتشـاف التقويـم الشـمسي[1]، وقـد رأى البابليـون أن الشـهر القمـري أنسـب أنـواع التقاويـم[2]، إذ بالإمـكان تقسـيمه إلى أربـع فـترات زمنيـة واضحـة وفـق أوجـه القمـر الأربعـة، وذلـك مـن أول ظهـوره؛ حتـى اختفائـه في صبـاح اليـوم الثامـن والعشريـن[3].

حـدّد الأوغاريتيـون في حركـة الزمـن الأشـهر والسـنوات، وضبطـوا امتدادهـا، ومـع ذلـك؛ فـإن تاريخهـم للحـوادث كان بعيـداً عـن الواقـع تمامـاً، والمقصـود هنـا هـو الصيغـة شـبه التأريخيـة التـي اسـتخدموها، (ابتـداءً مـن هـذا اليـوم)، فمهـما كان منشـؤها، فإنهـا تـدل عـلى تسـجيل اليـوم إيـاه، دون تدويـن أيـة علامـات تاريخيـة واضحـة ومحـددة، غـير أن وجـود الظاهـرة بحـد ذاتـه، يعـد أمـراً جوهريـاً، لأنهـا موجـودة في اللحظـة المعنيـة، ولم تُسـتبدلْ بأخـرى، أمـا زمـن بدئهـا فليـس لـه أهميـة. وفي هـذه النقطـة بالـذات يتلاقـى تأريـخ اليوميـات الأوغاريتيـة مـع الزمـن الكـوني، أمـا فيـما يخـص مـا قبـل الزمـن الكـوني كلـه، فهـي الأزليـة، وهـي التـي تتصـف بالسـكون، ويتصـف سـكونها هـذا في تكـرار الـدورة الزمنيـة، فالليـل يـأتي بعـد النهـار، ويـأتي بعـده الليـل، وبعـد الشـهر يحـل شـهر آخـر إلى أن ينتهـي العـام، ونهايتـه لا تعنـي شـيئاً آخـر سـوى بدايـة الـدورة مـن جديـد، ليتكـرر الـشيء نفسـه في كل مـرة.

1 السواح، 1996، ص 92.

2 تقسـم السـنة (Shattu) عنـد سـكان بـلاد الرافديـين إلى فصلـين: حـار، وبـارد، يبـدأ الأول (الصيـف) مـع بدايـة السـنة بشـهر نيسـان، والثـاني (الشـتاء) يبـدأ في تشريـن الأول، بحيـث تتألـف السـنة مـن 12 شـهراً (Warhu) قمريـاً، ويتألـف الشـهر مـن 29-30 يومـاً (Umu). أمـا في مـصر فقـد ارتبـط التقويـم بالـدورة الشمسـية، فقسـموا السـنة إلى 12 شـهراً، كل منهـا ثلاثـون يومـاً، فيكـون إجـمالي أيـام السـنة 360 يومـاً، ولمواجهـة هـذا النقـص البالـغ خمسـة أيـام، فقـد لجـأ المصريـون لإضافتهـا عقـب شـهور السـنة، وأطلقـوا عليهـا اسـم أيـام النـسيء، ونسـجوا حـول هـذه الأيـام الكثـير مـن الأسـاطير، وكانـت أيامـاً غـير محببـة، تجنبـوا العمـل فيهـا خوفـاً مـن وقـوع ضرر أو سـوء، وكانـت هـذه الأيـام أشـد أوقـات السـنة قحطـاً وجفافـاً قبـل قـدوم الفيضـان الـذي يمثـل بدايـة العـام المـصري. انظـر: نـور الديـن (الجـزء الثـاني)، 2009، ص288.

3 الأسود، 2007، ص 33.

وهـذا يعنـي أن كل مـا في الكـون يجـب أن يتكـرر أيضـاً، وفـق تتابـع نشـأ مـرة واحـدة وإلى الأبـد، هـذه الحـوادث لا تقـع وفـق تتابـع فصـلي منتظـم، ومراحـل قمريـة، وبـذار ونمـو الحبـوب فحسـب، وإنمـا تقـع عـلى شـكل حـوادث تتكـرر بصـورة ثابتـة في عـالم الآلهـة، وتظهـر للنـاس عـلى شـكل أسـاطير وحكايـا عـن الآلهـة والأبطـال، أو عـلى شـكل أحـداث دراماتيكيـة يشـاركون فيهـا[4].

وهكـذا، فالوحـدات الزمنيـة الأساسـية في منطقـة المـشرق القديـم، عمومـاً، كـما يـلي: المسـافة بـين مسـاءين: يـوم، ثـم المسـافة بـين ظهـور قمريـن: شـهر، ثـم المسـافة بـين بدايتـي فصلـين، خريفـين أو ربيعـين: سـنة. وتـدل كـثرة الوثائـق عـلى أن أوغاريـت عرفـت هـذا النظـام. زد عـلى ذلـك أن الوقـت العـادي كان ينقسـم إلى دورات سباعية: سـبعة أيـام وسـبع سـنوات[5]. وكانـت أشـهر السـنة الأوغاريتيـة المعروفـة هـي عـلى الشـكل التـالي:

(nql) إيلول، وتشرين الأول (الاعتدال الكامل).

(pgrm. magmaru) تشرين الأول، والثاني.

(pgrm، pagruma\ dbh، dabhu) تشرين الثاني، وكانون الأول.

(ib'lt،'ib'altu) كانون الأول، والثاني، الانقلاب الشتائي.

(hyr; hiyyâru) كانون الثاني، وشباط.

(hlt; hallatu) شباط، وآذار

(gn) آذار، ونيسان، الاعتدال الربيعي.

(itb) نيسان، وأيار.

(..؟) أيار، وحزيران.

(..؟) حزيران، وتموز(الاعتدال الصيفي).

---

4 شيفمان، 1988b، ص 55.

5 شيفمان، 1988b، ص 41، 42.

(ittbnm) تموز، وآب

(ris yn) آب، وأيلول[6].

لا ريب أن وضع التقويم يتطلب مراقبة دورة الطبيعة مراقبة دقيقة وخاصة مراقبة النجوم، وفي هذا الصدد فقد كانت أخت بطل ملحمة أقهات، المسماة «بغاتو/فوغة» ابنة «دانيل[7]» توصف في الملحمة بأنها عارفة حركة النجوم[8].

كانت الأعياد تشكل انقطاعاً للحياة اليومية، وتُعدُّ أياماً متميزة يتوقف فيها العمل، وتتخللها الطقوس والعبادات، ويجري فيها نسج الحكايا عن الزمن، وعُدَّت بعض الأوقات مقدسة يتعيّن فيها على الناس ممارسة بعض الطقوس والعبادات. وكانت تقدم القرابين لإله معين في الأيام المقدّسة، إضافة إلى أيام الأعياد الشهرية المنتظمة، ومنها: اليوم الأول من الشهر القمري، عندما يولد القمر الجديد، واليوم السابع، والخامس عشر، ثم أصبح فيما بعد اليوم الخامس والعشرين، وكذلك يوم اكتمال القمر، ويوم اختفائه، وغيرها. كما تمّ ترتيب أعياد تقديس الأجداد بالمراحل التي يمر بها القمر (من حال الهلال إلى البدر)، وكان هناك أعياد أخرى مخصصة للزراعة وغيرها، وكان يجري الاحتفال بها شهرياً، أو سنوياً، أو كل عدة سنوات[9]. كما كانت مواسم الحصاد، وجزُّ صوف الغنم ترتبط بإقامة الاحتفالات والمواكب، أما العيد الرئيس فهو عيد رأس السنة الجديدة[10]، الذي كان من أهم الأعياد التي يتم

6 Pardee، 2002، P. 26.

7 يتكون اسمه من مقطعين: داني بمعنى قاضي. وإيل؛ أي الله، وبالتالي يكون معنى اسمه» الله القاضي»، وكان يرمز للقاضي العادل الذي يُنصفُ اليتيم ويأخذ للأرملة حقها.

8 شيفمان، 1988b، ص 41،42.

9 ريم، 2009، ص 82.

10 بارندر، 1993، ص 26.

الاحتفال بها بداية كل عام في فصل الخريف بمناسبة عودة إله الطقس من العالم الأسفل، وما يرتبط بذلك من عودة الحياة إلى الأرض، وعالم النبات[11]. ودائماً ما كان الاحتفال بمهرجان الخريف (بداية العام الزراعي)، يترافق مع قراءة القصص والملاحم الأسطورية. ولكن لا توجد الكثير من المعلومات والمعطيات الأثرية حول طبيعة هذا المهرجان وتفاصيله[12].

الأزمنة والأمكنة

كانت روزنامة الطقوس تعتمد التقويم القمري بلا شك، كما أن كل الأحداث الدنيوية كانت قد ارتبطت بالشهر القمري، أو بأجزاء منه. وقد ذُكِرَ في نصوص شعائر الأضاحي واحد وعشرون يوماً من الشهر (ما لم يرد في النصوص من أيام الشهر هي: اليوم الثاني، الرابع، الخامس، الثاني عشر، الثالث والعشرون، الرابع والعشرون، السابع والعشرون، التاسع والعشرون والثلاثون).

كان الشهر مقسماً وفق أرباع القمر، وهناك إشارات إلى أن كل أسبوع من الشهر القمري كانت له سلسلة من الشعائر، وكانت الأضاحي تُقدَّم عند بداية كل قمر، وأكثر الشعائر الأسبوعية أهمية، كانت تلك التي تقدم عند اكتمال القمر. وهناك بعض الإشارات التي تفيد بوجود احتفالات شعائرية مخصصة للاعتدالات المناخية، والانقلابات الفصلية. في حين أنه لا يوجد دليل أو أثر في نصوص الشعائر الأوغاريتية على احتفالات مرتبطة بالسنة الشمسية ومظاهرها.

ومن الممارسات المهمة في هذا السياق شعيرة «دخول» الآلهة إلى القصر الملكي، وكذلك شعائر تعرف بـ «التأمل» التي ربما يتم فيها تأمل

11 نير، 2009، ص 76.

12 BienKowski، 2000، P. 114.

الملك للآلهة. ولا بد من الإشارة إلى أن الأضاحي كانت تُقدَّم ضمن ترتيب زمني، ولكن لا يوجد في النصوص ذكر واضح لأي تاريخ[13].

كانت المعابد والقصور وبعض ساحات المدينة وشوارعها، هي المكان الذي تجري فيه مختلف أنواع الاحتفالات. وكان كهنة وكاهنات المعابد يقيمون الصلوات، ويُؤدُّون الشعائر الدينية، وكان هناك السحرة والمنجِّمون، ثم مُفَسِّرو الأحلام، والمغنُّون الذين يؤدّون التراتيل المرافقة للطقوس، وينشدون الأغاني من أجل سلامة الإله والمعبد. وكانت الشعائر الدينية؛ وهي غالباً تراتيل متكررة وعلى وتيرة واحدة، تؤدى في المعبد؛ أو في باحته، أو في مكان ما خارج النطاق المقدس. وكان سدنة المعبد يضمُّون أيضاً الأشخاص الذين يتولون تحضير الأضاحي الذين يجب أن يتطهروا، ثم يؤدوا عملهم، وهم يلهجون بالصلوات والأدعية[14].

أما فرصة رؤية الصورة الحقيقية للآلهة؛ فقد تُتَاحُ للراغبين خلال بعض الأعياد، وضمن مراسم ومواكب احتفالية مخصصة، بحيث كانت مترافقة أحياناً مع الموسيقى والغناء والرقص[15].

لقد كان أداء الطقوس الأخرى واجباً إلزامياً، ومن الضروري القيام به، وتختلف المسافة الزمنية للاحتفال من طقس لآخر، فمنها ما يدوم ليوم واحد، ومنها ليومين، وقد تمتد لشهر أو لشهرين. وتُغطِّي بعض النصوص فترات قصيرة ومتقطعة، لكن الإطار الزمني غير واضح فيها تماماً. وقد عُرفت هذه النصوص بصياغاتها الموجزة، وبذكرها لمناسبات مختلفة، بحيث تضمَّنت القرابين، وأنواعها، والآلهة المكرسة لها. وتُظهر أن أي ممارسة للشعائر لا بد وأن تترافق مع تقديم القرابين، سواء كانت أضاحي مذبوحة،

13 Pardee، 2002، P. 227.

14 ريم، 2009، ص 83.

15 نير، 2009، ص 76.

أو أنواع أخرى من القرابين[16]. أما عدد الاحتفالات فلم يكن واضحاً، رغم التوقع أنها كانت تزيد عن العشرة، مقارنة مع مناطق مجاورة. إذ يرصد أحد النصوص وجود ثلاثة عشر احتفالاً في إحدى مناطق الأناضول، وكانت تجري بشكل دوري، ويرد في نص آخر ذكر اليوم التاسع والعشرين من الاحتفال المسمى «أنتاخشوم ANTAHŠUM» الذي كان مكرساً للإله "إيا EA"[17]، والذي يظهر فيه كاهن «إله العاصفة في حلب» الذي كان يؤدي الصلوات، كأبرز شخصية فيه[18].

1 ـ احتفالات قصيرة الأجل:

تُعدُّ احتفالات التأمل من أقصر الاحتفالات التي تم رصدها في النصوص، وكانت تستمر ليوم واحد. فيما تصف نصوص أخرى الشعائر التي كانت تجري خلال يوم بعينه أثناء النهار، أو في النهار والليل، وترد بعض التفاصيل، ومنها تقديم الملك لعدد من القرابين؛ ومنها أضحية السلام، وقد ترافقت مع إحضار سلحفاة، وعدد من الحمامات، تلا ذلك عملية التطُّهر، وتقديم الوليمة، ثم الإراقة. النص (RS24.260):

"في ذلك الوقت، قدم الملك القرابين، إلى (أوشوخارا خولميزي)، داخل معبد إيل بيتي: *كبش لخولميزي، وسلحفاة وحمام لقلخ QLH، طهر الأيادي للمشاركين في التضحية لإيل بيتي. المرأة/النساء ربما يأكلون (من وليمة الأضحية). كبش لإيل - بيتي كتقدمة سلام، الكل ربما يأكل منه. ثانية ضمن المعبد: الإراقة (السكب)، كبش لأوشخارا خولميزي. وسلحفاة - حمامة لـقلخ* QLH *يوم واحد*»[19].

16 Pardee، 2002، P. 26.

17 هو الاسم الأكادي لإنكي سيد الأرض وإله الحكمة والخير والعذوبة مانح الخصب ومفجر الينابيع.

18 Hoffner، 1992، P. 102.

19 تتميز الإراقة عن المشروبات المقدمة للآلهة في أوقات وجبات الطعام، وقد عرفت الإراقة منذ زمن السومريين الأوائل حيث كان يصب الماء أو البيرة أو الخمر أو الزيت أو دم الأضحية الحيوانية للآلهة، وكانت الإراقة تتم في وعاء أو على الأرض أو على الأضحية.

وهنـاك احتفـالات تسـتمر لفـترة أطـول قليـلاً؛ وتمتـد ليومـين عـلى الأقـل، ومنهـا مناسـك الدخـول التـي نجدهـا في النـص (RS1.005)، وهـي ممارسـات أموريـة قديمـة، ظهـرت بشـكل متكـرر في نصـوص مـاري، ثـم في إيمـار.

في مـاري يبـدو واضحـاً أن الدخـول يشـير لمـرور الإلـه مـن ملجـأ «غرفـة» في المدينـة، أو حتـى مـن بلـدة أخـرى إلى مدينـة مـاري. وقـد كانـت النقطـة التـي ينتهـي عندهـا الاحتفـال في أوغاريـت هـي القـصر، فيـما لم يـورد النـص مـكان الانطـلاق، كـما لم توضـح فيـما إذا كانـت هـذه الشـعائر تترافـق مـع نقـل تماثيـل الآلهـة مـن ملجـأ لآخـر ضمـن المدينـة. أمـا الآلهـة التـي جـرى تسـميتها فهـي: عتاراتـو - حـوري، عتاراتـو - صـادي، جاتارومـا، ورصابومـا.

وفي النــص (RIH 77\4+) نجــد إشــارة لخــروج رشب/رشــف - جــوني، المعبـود الوحيـد المسـمى مـن بـين هـذه الآلهـة، وهـي الحالـة الثانيـة التـي تشـير لإمكانيـة الإقامـة خـارج أسـوار المدينـة. ومـن غـير المعـروف مـكان ملجـأ الإلـه رشـف، وهـي الآلهـة التـي عُبـدتْ في عـدد مـن المناطـق ومنهـا الأناضـول، (رشـب - بيبيتـا Bibitta). وقـد تواكبـت شـعائر االدخـول مـع تقديـم القرابـين للآلهـة التـي تتشـارك الحفـل، كـما يتـم ذكـر الملـك وهـو يشـارك في الموكـب الملـكي[20].

2 ـ احتفالات متوسطة الأجل (شهرية):

كان بعضهـا يجـري عـلى مـدى شـهر واحـد، أو يقتـصر عـلى عـدة أيـام منـه، ومـن أهـم هـذه الاحتفـالات: اكتـمال القمـر، وتقديـس الأمـوات، إضافـة لاحتفـالات الشـهر الأول مـن السـنة. وهـي تقاليـد قديمـة عرفتهـا الكثـير مـن مواقـع الـشرق القديـم، ومنهـا مـاري التـي كان الكاهـن فيهـا يقـوم باليـوم الخامـس بتمريـغ حـرم المعبـد بـرأس الأضحيـة بعـد قطعـه، وكذلـك تمريـغ البـاب والجـدران بجسـد الأضحيـة. وكانـوا يتوخـون مـن وراء هـذا الطقـس

20 Pardee، 2002، P. 70.

أن تمتص الأضحية كل الخبائث وتنقلها إليها، ثم تُقذف رأساً وجسداً إلى النهر الذي يذهب بها، وبما تحمله من خبائث[21].

يمر القمر في ثلاثة أطوار منذ ظهوره في أول الشهر وحتى اختفائه بشكل تام في آخر مراحله، الطور الأول: هو فترة التزايد، والتحول التدريجي من خيط رفيع إلى قرص مكتمل. والطور الثاني: هو فترة القمر البدر، الذي يتوسط كبد السماء بكامل استدارته وتألقه. والطور الثالث: هو الفترة التي يقضيها في التناقص والميلان عن كبد السماء، حتى التلاشي والغوص في أعماق الظلام.

واعتقد الأقدمون أن بَرَكَةَ القمر، وخصائصه الإيجابية إنما تكمن في طوره المتزايد؛ طور اكتمال النور، لذلك كانوا يباشرون تحضير حقولهم للموسم الزراعي، ويقومون بفلاحتها، وبذرها، خلال أيام القمر المتزايد، وكذلك حال كل عمل أرادوا له النجاح. أما إذا ابتدأ القمر بالتناقص، فهذا نذير سوء محتمل، فتتوقف الأعمال الزراعية، وكل عمل يأملون له الفلاح. وتفسير ذلك؛ هو أن الأم القمرية مسؤولة عن القوى السالبة في الكون بقدر مسؤوليتها عن القوى الموجبة، ومسؤولة عن الخير كمسؤوليتها عن الشر، ومسؤولة عن الحياة مثل مسؤوليتها عن الموت، وهي في طورها المتناقص؛ تأخذ ما أعطته في طورها المتزايد، وعندما تختفي تماماً في الأعماق ترسل عفاريت العالم الأسفل لقبض أرواح من وهبتهم الحياة[22]، إنه قانون يرسي التوازن الطبيعي في الكون.

تتضمن نصوص أوغاريت العديد من الإشارات لسلسلة من الطقوس التي نُظِّمتْ على مساحة زمنية متتالية، خلال جزء من شهر واحد، أو على مدى كل أيام الشهر. وقد تعذر في كثير من الأحيان، معرفة اسم الشهر أو اليوم المحدد الذي يتم منه بدء الطقس، وذلك بسبب فقدان

21 خليف، 2005، ص 255.

22 السواح، 1996، ص 85.

النـص لبدايتـه. ومـن بـين ثلاثـة مـن هـذه النصـوص؛ كان النـص (RS 24.253) هـو الأوضـح بينهـا، لكنـه لا يغطـي أكـثر مـن جـزء مـن أيـام الشـهر (أربعـة أيـام - وخمسـة أيـام - وسـبعة عـشر يومـاً). في حـين تضمـن النـص (.RS 1 009) سلسـلة طويلـة مـن الممارسـات التـي تغطـي احتفـالاً رئيسـياً في شـهر واحـد. أمـا احتفـال اكتـمال القمـر، فنجـده في النـص رقـم (RS 24.284)[23]، وكذلـك في النـص رقـم (RS 1. 009) الـذي يتضمـن معلومـات أساسـية ومهمـة عـن الأضاحـي والتقدمـات والآلهـة المكرسـة لهـا، والممارسـات التـي تجـري خـلال عـدة أيـام مـن الشـهر، ونـرى فيـه أعـداداً كبـيرة ومنوعـة مـن الأضاحـي التـي تُقـدَّمُ لعـدد كبـير مـن الآلهـة يـرد ذكرهـا، وهـذا مـا يدفـع للقـول: إن هـذا الاحتفـال ربمـا كان مـن أهـم الاحتفـالات التـي كانـت تجـري في أوغاريـت. ويبـدو واضحـاً مـن خـلال النـص الإشراف المبـاشر للملـك عـلى هـذا الاحتفـال، وقيامـه ببعـض الممارسـات، ومنهـا مـا كان يجـري في اليـوم الرابـع عـشر منـه، عنـد اكتـمال القمـر، إذ عليـه أن يكـون قـد اغتسـل وتطهـر قبـل أن يذبـح ثوريـن مـن أجـل ياريـخ:

"رقبـة كأضحيـة، وكبـدان، واثنـان مـن الكبـاش، وثـور مـن *أجـل عنـاة*، وكبـش مـن *أجـل... وكبـش لبعـو، وكبـش لبعـو وكبـش لدجـن،... وبقـرة لعتـارو عطتبـال، ونعجـة لــ سـابونو... ثـور، وبقـرة لعنـاة. في اليـوم الثالـث مـن الشـهر... وكبـش لإيـل، وكبـش ليمـو، وبقـرة لبعـو - كانـابي، وبقـرة...، ونعجـة لسـابونو تقدمـة محروقـة، وكتقدمـة سـلام:... ثـور لبعـو وعتيراتـو، طائـران لإناصـو - إيليـما،... وبقـرة للمعبـد. عندمـا تغيـب الشـمس يكـون الملـك قـد وفى كل الفرائـض الواجـب إقامتهـا. في اليـوم الرابـع عـشر الملـك سـوف يغتسـل جيـداً. في اليـوم الـذي يصبـح فيـه القمـر مكتمـلاً، يكـون قـد ذبـح ثـوران لياريـخ. وليمـة لبعـل سـابون، ونعجتـان وحمامتـان وكليتـي*

23 Pardee، 2002، P. 27.

كبش لرمش، وكبد وكبش لشالم، وكبد ثور، وكبش لبعو سابون، ونعجة لسابون: تقدم محروقة. وتقدمة سلام: في معبد بعل أوغاريت، بعض/ اثنان من.. ورقبة، بقرة لإيل إيبي، كبش لبعو، وكبش وثور لعناة وسابونو... تقدم محروقة... في اليوم الرابع عشر من الشهر سوف يغسل الملك نفسه جيداً. في يوم اكتمال القمر يذبح ثوران لياريخ. وتقام وليمة لبعل سابون. نعجتان وحمامتان، وكليتان وكبش لرمش، وكبد وكبش لسابونو. كبد ثور وكبش لبعل سابونو، ونعجة لسابونو تقدم محروقة. وتقدمات السلام: بشكل مشابه. وفي معبد بعل أوغاريت بعض/اثنان.. ورقبة. وبقرة لإيل أبي، وكبش لإيل وكبش لبعل، ولعناة صابو ثور وكبش، ولبيدراي كبش يقدم محروقاً، وكتقدمة سلام كبش لإيل عيبي، وكبش لبعل أوغاريت، وكبش لبعل حلب، وكبش لياريخ، ولعناة صابو ثور وكبش، وكبش لبيدراي وكبش لدادميش، وفي البداية: كبش لإيل إيبي وثور وكبش لبعل، وكبش لدجن، وكبش لجلالة الآلهة - البعول. وكبش لعناة، وكبش لرشف كتقدمة سلام. وتقدمة: كبش لإيل، وكبشان لعناة خلص، وثوران ثم ثور وكبش لجاترومو، تقدم محروقة. وكتقدمة سلام: أشياء مشابهة، لبعل سابون، وسط شجرة الطرفاء ثلاثين مرة. كبش لقورت، لقائمة بعلاتو - باخاتيما. في اليوم التالي: بقرة لبعل سابون واحد/ بعض... وكبد نعجة لسابون. تقدمة لبعل أوغاريت، وبقرة لإيل إيبي، وكبش لبعل أوغاريت، ولعناة سابون تقدمة»[24].

ونجد شعائر تقديم الأضاحي الحيوانية المذبوحة خلال الشهر الأول من السنة، في النص (RS 24. 298)، ومن الواضح الكمية الكبيرة والمتنوعة من الأضاحي التي كانت تقدم في هذا الاحتفال المهم جداً، والذي ربما كان له علاقة ببداية السنة، ويلاحظ مشاركة هذه الأعداد الكبيرة من الآلهة فيه.

24 Pardee، 2002، P. 31- 33.

ومـن الاحتفـالات التـي تجـري في شـهر رايشـيانو (أول شـهر في السـنة)، مـا كان لـه علاقـة ببدايـة السـنة الجديـدة، والـذي جـرت فيـه الطقـوس التاليـة: في بدايـة الشـهر تُقـدَّمُ سـلةً مـن العنـب قربانـاً لإيـل، وفي الفـترة نفسـها تُقـدَّمُ ذبيحـة مؤلفـة مـن جديـين لعشـتارتا، في حـين تُقـدَّم القرابـين الخاصـة في اليـوم الخامـس والسـادس والسـابع مـن الشـهر. لقـد تميـزت القرابـين في بعـض الأيام، ومنهـا اليـوم السـابع الـذي افترضـوا أن مقاتـلي شـبش (الكواكـب والنجـوم وجيـش يـم)، وكذلـك جنـود الملـك، كانـوا يشـاركون في إقامـة الطقـس. وبنـاء عليـه ثمـة اعتقـاد أن الممارسـات الطقسـية التـي كانـت تجـري فيـه تفـوق المراسـم التـي كانـت تقـام في منتصـف الشـهر. في اليـوم الثالـث عـشر كان الملـك يقـوم بطقـس الاغتسـال، وفي اليـوم الرابـع عـشر كان يلبـس الأرجـوان، ويجلـس عـلى العـرش ويُعلـن اليـوم، ويُقصـدُ بذلـك يـوم اسـتواء الإلـه بعـل عـلى عـرش العـالم. ويـرد ذكـر صنـف الذبيحـة التـي يجـب أن تقـدم لـكل إلـه، أمـا أهميـة اليومـين الثالـث عـشر والرابـع فترجـع إلى أنهـما يقفـان عنـد منتصـف الشـهر القمـري[25].

ويبـدو أن النـص (CRS 24.284) لا يخـرج عـن هـذا المضمـون فنجـد فيـه تشـابهاً في التقدمـات، وفي أسـماء الآلهـة مـع النصـوص السـابقة:

"في يـوم.. ثـوران لياريـخ. ولبعـل سـابون نعجتان وحمامة أضحيـة، وكليتان أضحيـة، وكبـدان لـ...، وكبـش لرمـش وكبـش لشـالم، وثـور وكبش لبعل سـابون تقـدم مشـوية. وطـير لسـابون، وكتقدمـة سـلام: ثـور وكبـش لبعـل سـابون. وطـير لسـابون. وثـور في معبـد *بعـل أوغاريـت، وبقـرة لإيـل*... وكبـش لبعـل.. وثـور وكبـش لعنـاة سـابون، وكبـش مشـوي لبيـدار (بيـدراي). وتقدمـة سـلام: *كبـش لإيـل، وكبـش لبعـل أوغاريـت، وكبـش لبعـل حلـب، وكبـش ليرخـو، وثـور وكبـش لعنـاة سـابون، وكبـش لبـدار، وكبـش لدادميـش*»[26].

25 شيفمان، 1988b، ص 90.

26 Pardee، 2002، P. 33.

ويندرج النص (RS.24.248) تحت نفس العنوان على الغالب وهو الاحتفال باكتمال القمر. فيبدأ النص بكلمة إرصت (Iršt) بمعنى الطلب، ويرد ذكر الأيام «في اليوم العاشر» بجانب كلمات قُرِئت على أنها تشير لليوم الثامن، وربما اليوم التاسع. كما أن وجود فعل «استهلك» يشير إلى مواد غذائية معينة، أما ذكر الأزياء فربما يكون مؤشراً على شعائر احتفالية كانت تجري، ويتم فيها إلباس الآلهة أنواعاً معينة من الألبسة. أما كلمة سكن فهي تشير لشعيرة وضع تمثال أحد الآلهة بشكل مؤقت في الحجرة الصغيرة (قدس الأقداس):

"طلب... من الآلهة، ماذا يمكن أن يستهلك (يؤكل)... ثلاثون... عشرة/ عشرون... وأزياء... في اليوم الثامن... و.. قِدْر من نوع (spL)... اثنان... وأربعة... وفي (اليوم) التاسع... أحدهم يجب أن يمنح كبشاً للتضحية... معبد دايتانو ومعبد بـ... ومعبد صر. في اليوم العاشر أنت سوف تنقل الأزياء إلى "الخمن HMN" الملجأ. أنت ثانية سوف تؤثث مرتين، عندئذ سوف تجلبهم قريباً وتضعهم مرتين (بشكل ملائم). مقاعد/سكن الآلهة، ثامن..»[27].

وتمتد الشعائر الموصوفة في النص (RS 24.253) من اليوم الأول في الشهر وحتى اليوم السابع عشر، وهي تتعلق بمشاركة العائلة المالكة في أيام الاحتفال، وربما شارك الملك مباشرة في أكثرها أو فيها كلها، (التوجه للحَمّام في اليوم الثالث عشر يدل على مشاركة ملكية في احتفال اكتمال القمر)[28]، ومن المعتقد أن لهذا النص علاقة بطقس تقديس الأسلاف والراحلين من العائلة المالكة.

من الأنظمة الخاصة بتقديم الذبائح تلك التي ترتبط أيضاً بالدورة

27 Pardee، 2002، P. 36.
28 Pardee، 2002، P. 36.

الشـهرية القمريـة، في شـهر حيـارو، في يـوم بدايـة الشـهر الجديـد، كان يجـب أن تقـدم أضحيـة لسـيدة البيـت (ثـوراً أو نعجـة)، وفي اليـوم الرابـع عـشر منـه أضحيـة لسـيدة النقـل، (حتـى الآن لم يحـدد الـدور المنـاط بهـذا الملاك)، وفي اليـوم الثامـن عـشر مـن شـهر حيـارو كان يجـري الاغتسـال الطقـسي للملـك، وفي هـذا الشـهر نفسـه، (لم يتـم تحديـد التاريـخ بالضبـط) كان يجـري حـرق وتطهـير حرشـة راشـابو[29].

3 ـــ احتفالات طويلة الأجل (شهرين)

هنـاك احتفـالات طويلـة الأمـد كانـت تجـري عـلى مـدى شـهرين، فـيرد في النـص (RS:24.249) اسـم الشـهر، ويوم القمـر الجديـد (Hiyyaru_Iba'latu')، وهـو يوضـح القرابـين المقدمـة والمترافقـة مـع أداء بعـض الصلـوات والتراتيـل، وفي مشـهد تـال يحمـل النـص سلسـلة مـن الشـعائر التـي تمتـد عـلى مـدى شـهرين، تتلوهـما فـترة الاعتـدال الشـتائي.[30]

لاشـك أن محـور هـذه الاحتفـالات، كان يتعلـق بـدوران الطبيعـة والفصول، كـما أنـه يرتبـط بالمواسـم الزراعيـة، والحصـاد، والقطـاف، وهنـاك الكثـير مـن الاكتشـافات الأثريـة التـي تؤكـد وجـود مثـل هـذه الاحتفـالات، منهـا اكتشـاف أنبـوب مـن الطـين، كان قـد تـم زرعـه في الأرض بشـكل عمـودي، حيـث كان يتـم سـكب الزيـت أو الخمـر فيـه، لينفـذ السـائل إلى التربـة عـبر ثقـوب أُحدثـت في الأنبـوب عـلى مسـتويات مختلفـة، وعنـد النهايـة السـفلى للأنبـوب حفـرت أمكنـة كانـت تحـوي الهدايـا الطقسـية. ومـن المعتقـد أن يكـون لهـذا الطقـس علاقـة بالعبـادات الزراعيـة، ولا يُسـتبعدُ أن يكـون المـؤشر لبـدء موسـم العمـل في الحقـول[31].

29 شيفمان، 1988b، ص 89.

30 Pardee، 2002، P. 41.

31 شيفمان، 1988b، ص 91.

4 ــ احتفالات وشعائر اجتماعية ذات بعد وطني

وجدت مجموعة من النصوص أو أجزاء النصوص في مكتبة الكاهن في المنطقة العليا (الأكروبول)، وفي القصر الملكي، وأمكنة أخرى، تتعلق بممارسات تشير لوجود احتفالات وطنية كان يشارك فيها مجموع السكان، ويُعطي النصان (RS 1.002) و(RS 17 ،100A+B) مع أربع كسر صغيرة، معلومات مهمة متنوعة عن هذا الموضوع. ويدل وجود هذه النصوص في أكثر من مكان، ووجود أكثر من صياغة لنفس الطقس على أنها لم تنتج في مدرسة واحدة.

وقد احتوى أحد النصوص عدة مقاطع تعليمية لتفاصيل ممارسة هذا الطقس الفريد، وكانت مرجعاً يدرسه الذكور والإناث من السكان، وقد حُدِّدَ في أسفل كل مقطع اسم فئة سكانية، ويلاحظ ورود كلمة (المغفرة) ضمنها، ومن المحتمل أن تجيب المقاطع على عدة مسائل.

في المقطع الثالث، نجد كلمة (مشر mšr)، وتعني «الاستقامة، النزاهة».. ويبدو من طبيعة الطقس أنه كان لها علاقة بـ «طلب الغفران»، الذي ومن أجل الوصول إليه يتم التقرب من الآلهة بتقديم قربان، (يجب أن يكون خروف) لـ (t ˇY)[32]. وبسبب أهمية الطقس؛ ولكونه يجمع عدداً من الفئات الاجتماعية المتنوعة ضمن مملكة أوغاريت، ولأن (دبح) تشير إلى وليمة تقام على أضحية، فإن المقاطع الأولى من الشعائر، تبين أن الهدف منها هو تعزيز التواصل الاجتماعي، والوحدة الوطنية، والتسامح بين سكان المملكة بمختلف انتماءاتهم، بما فيها تلك التي لم تأت النصوص على تسميتها. كما كانت تهدف إلى تعزيز الصلة مع الآلهة التي يعبدونها، وعلى رأسها إيل وعائلته، كل ذلك تكفيراً عن الأخطاء،

32 هناك خلاف حول معنى الكلمة؛ بين من يعتقد أنها اسم مدينة تتبع لأوغاريت، وبين من يرى أنها تعني التدشين.

وبحثاً عن الاستقامة، وطلباً للغفران، في العلاقة بين الناس والآلهة. ومن المعلوم أن الكثير من الجاليات كانت تسكن أوغاريت، وتحظى باحترام وبحقوق مساوية لتلك التي يتمتع بها السكان المحليون. ومن أهم الجاليات هناك: الحورية، والحثية، والإيجية، والمصرية، والقبرصية... الخ. وتجدر الإشارة إلى أن النص يبين استخدام الحمار كأحد القرابين التي كان يضحى بها، (وهذا ما يذكّر بطقوس أمورية قديمة، جرت في ماري في بعض الأحيان)، وبعد فترات انقطاع يبدو أن هذا الطقس قد أُعيدَ من جديد، رغم عدم وجود مؤشرات نصية، تثبت تواتراً منتظماً في أدائه[33]:

"... والرفاه.. الرفاه لأوغاريت...،... (Y يكون وفقاُ لبيان (عبارة)....،... (BRˇ) يكون وفقاً لعبارة..".

"أضحية الـ (t،)، قدمت، إلى دائرة أبناء إيل".

"والرفاه، الرفاه لأوغاريت، قاطين (Qaþien)، تم الأضحية، ربما يضع مجموعة من أبناء إيل، توكامونا ـ وا ـ شوناما: هنا يكون الكبش».

"الرفاه للأجانب (القاطنين ضمن) أسوار أوغاريت، والرفاه...، الرفاه لـ... حتى لو أثمت: وفقاً لبيان (قاطين)، أو وفقاً لبيان ددماي (DDMY)، أو وفقاً لبيان الحوريين، أو وفقاً لبيان الحثيين، أوحتى لو كان وفقاً للعلاشيين (‘Alashian)[34]، أو *سواء كان وفقاً لبيان جبر* (GBR)، أو كان وفقاً لبيان المضطهدين، أو وفقاً لبيان *فقرائك، وكذلك سواء كان وفقاً لبيان قرزبل* (QRZBL)، حتى لو أثمت، سواء يكون في غضبك، أو سواء

33 Pardee، 2002، P. 78-79.

34 جاء أول ذكر لأرض ألاشية Alashia في نصوص ماري التي ترجع للقرن الثامن عشر كمصدر لتجارة وإنتاج النحاس، كما ورد ذكرها في نصوص جاءت من بابل، وألالاخ، وخاتي، ومصر، ورسائل العمارنة، وتشير الكلمة في العهد القديم إلى شعب في منطقة بحر إيجة، زود مدينة صور بالمنسوجات الملونة، وتورد النصوص الحثية معركة بحرية جرت بين الحثيين واللأشيين. ويرى كثير من الباحثين إلى أن ألاشية كان الاسم الذي أطلق منذ الألف الثاني ق.م على جزء من قبرص، وكانت عاصمتها إنكومي Enkomi وربما أشارت تسمية ألاشية للعاصمة نفسها.

يكـون في صـبرك النافـذ، سـواء يكـون في بعـض الرجـس الـذي قـد تقترفـه، سـواء في إثمـك، كقلـق الأضاحـي..، الأضحيـة تمـت (ضحـي بهـا)، أضحيـة (ʼt) *قُدمـت، وقـام الجـزار بعملـه، ربمـا تكـون قـد حملـت إلى والـد أبنـاء إيـل، ربمـا حملـت إلى دائـرة أبنـاء إيـل، لمجموعـة أبنـاء إيـل، إلى توكامونـا - وا - شـوناما (Tukamuna-wa- šunama): هنـا يوجـد كبـش».*

"أجلـب الحـمار مـن أجـل "الاسـتقامة" اسـتقامة ابـن أوغاريـت سـواء كان مـن الأجانـب (القاطنـين) داخـل أسـوار أوغاريـت، الرفـاه ليـمان (YM'AN) الرفـاه لرمـت (RMT')، الرفـاه لــ...، الرفـاه لنيقـمادو (Niqmaddu)، سـواء يكــن جمالــك قــد تبــدل، ســواء يكــن وفقــاً لبيــان قاطــين،.. وفقــاً لبيــان (قاطـين)، أو وفقـاً لبيـان ددمـاي (DDMY)، أو وفقـاً لبيـان الحوريـين، أو وفقـاً لبيـان الحثيـين، أو حتـى لـو كان وفقـاً للعلاشـيين (Alashian')، أو سـواء كان وفقـاً لبيـان جـبر (GBR)، أو كان وفقـاً لبيـان مضطهديـك، أو وفقـاً لبيـان فقرائـك، وكذلـك سـواء كان وفقـاً لبيـان قرزبـل (QRZBL)، حتـى لـو أثمـت، *سـواء كان جمالـك قـد ذهـب، سـواء يكـون في غضبـك، سـواء يكـون في صـبرك، سـواء يكـون في بعـض الرجـس الـذي تقترفـه، سـواء ذهـب جمالـك، كقلـق الأضاحـي، او كقلـق أضحيـة* (ʼt)، الأضحيـة (ʼt) قُدمـت، أدى الجـزار عملـه، ربمـا تكـون قـد حملـت إلى والـد أبنـاء *إيـل، ربمـا حملـت إلى دائـرة أبنـاء إيـل، إلى مجموعـة أبنـاء إيـل، إلى توكامونـا - وا - شـوناما: هنـا يكـون الحـمار.*

عـودة *إلى تـلاوة (الاسـتقامة) اسـتقامة ابنـة أوغاريـت: الرفـاه للأجانـب (القاطنـين) داخـل أسـوار أوغاريـت، الرفـاه للمرأة/للزوجـة، سـواء كان جمالـك قـد تبـدل، سـواء كان وفقـاً لبيـان قاطـين، سـواء يكـن وفقـاً لبيـان...، الحـمار يكـون هنـا»*[35].

35 Pardee، 2002، P. 83.

5 ـ احتفالات وشعائر لآلهة الأرض

عنـوان هـذا الطقـس الدينـي كان معروفـاً قبـل ظهـور النـص 58)-RS19.015) المكتشـف عـام 1955م، وتـم نـشر عـام 1965م، وذلـك مـن خـلال نصـوص غـير مباشرة. والنـص يتعلـق بواحـدة مـن الأضاحـي الملكيـة التـي من الواضـح أنهـا كانـت منـذورة لإيـل، وتحمـل اسـم «إيـل بلـدن ilbldn“، وهـي تتكـون بشـكل أسـاسي مـن تقدمـة محروقـة، تتلوهـا تقدمـة سـلام. ويتميـز هـذا الطقـس بتقدمـة تسـمى (نسـكت قـل nskt ql) والتـي تعنـي تقديـم ”قوقعـة مـن معـدن ثمـين“، وهـي عـادة غـير مألوفـة مـن قبـل. أمـا ترتيـب الآلهـة المبجلـة في تقدمـة السـلام، فهـي غـير واضحـة تمامـاً، مـع العلـم أن آلهـة غـير معروفـة مثـل (أمـشرت ámšrt)، ظهـرت معهـا (السـطر الخامـس عـشر): ”أضحيـة شـعائرية لآلهـة الأرض، قوقعـة مـن معـدن ثمـين *لإيـل ايبـي*، ثـور وكبـش *كتقدمـة محروقـة*، وكتقدمـة *سـلام: ثـوران وكبشـان لإيلايبـي، كبـش لإيـل وكبـش لبعـل وكبـش لدجـن، وكبـش لياريـخ، وكبـش ليـم، وكبـش لجلالـة الآلهـة بعـل، وكبـش لعنـاة خإبلايـا، وكبـش لعمـشرت، وبقـرة لدائـرة إيـل ولجمهـرة بعـل، وبقـرة لسـابون، واحـد وعـشرون مـرة، مهـما تـرك يكـون مـن أجـل الراكضـين مـع العربـات*»[36].

6 ـ احتفالات وشعائر التأمل

تقديرنـا أنهـا نهـج تأمـلي فلسـفي يقـوم عـلى التركيـز الذهنـي الشـديد للتغلـب عـلى الألم، وربمـا؛ وبدرجـة مـن الدرجـات، التوحـد والذوبـان مـع الجوهـر، حبـاً وهيامـاً وتقربـاً، ونيـلاً للـرضى والمغفـرة منـه، وبثـاً للقـوة الروحيـة والنفسـية في المتعبـد. وبهـذا المعنـى قـد يكـون شـكلاً مـن أشـكال الصوفيـة الأولى، أو قـد يكـون نمطـاً مـن التأمـل الباطنـي. وإذا كان كذلـك؛ فـلا شـك أن متبعـي هـذه الطريقـة، أرادوا الانـصراف عـن العـالم المـادي والتخلـص

36 Pardee، 2002، P. 85.

من عبوديته وبلوغ الطهارة[37] والسعادة المطلقة. وإذا ما كان كذلك فلا ريب أن العارفين من الناس، هم من كانوا يؤدون هذا الطقس بين مجموع السكان، وربما كان الملك أحدهم.

اقترن موضوع التأمل بتقديم القرابين والأضاحي ضمن طقس ربما امتد ليومين وفق النص (IRH 77\2B+). ويبدو أنه كان يتكامل مع قدّاس أشمل وأكثر تعقيداً، بحيث كان يؤدى في عدة طرق تتم على مراحل متتالية؛ الواحدة بعد الأخرى، النص (IRH 77\10B+). أما مكان إقامته، فهو أحد الخلوات، أو أحد الأمكنة التي كانت مخصّصة لذلك.

وقد ترافق هذا الطقس مع تقديم القرابين والتقدمات، ولكنه لم يكن حكراً على أُناس محددين؛ بل شارك به كل الناس، بما في ذلك الملوك والعائلة المالكة الذين كان لهم ممارسات طقسية تأملية خاصة بهم، النص (RHI 77\10B+وRS 19.013):

"في ذاك الوقت، الملك يجب *أن ينظر لرشف - خاجاب: رأس ورقبة، شيقل من الفضة وشيقل من الذهب، نفس الشيء، إضافة لسهم وثور وكبش لرشب... وطيرين لعناسو - عليما، و... شيقل... شالم... وكبش لعليات وكبش لرشب وكبش لشالم والملك سوف يتحرك بعيداً ليؤدي الأضحية*"[38].

يصف النص (RHT 77\2B+) كيفية بدء القداس فيذكر، في فقرتين منه، مجموعة كبيرة من الشعائر التي تجري في اليوم الأول بعد تقديم عدد من الأضاحي، وفي اليوم الثاني يتم ذكر طقس التأمل، والآلهة الأساسية الممجدة، التي تُكرس لها الأضاحي والقرابين، وهي هنا اثنان:

37 بعد الغسل والتطهير، كان لا بد للشخص من أن يتطهر من خلال تقديم القرابين وإقامة الشعائر، وكان التطهير يجب أن يسبق تقديم القرابين، حيث يتم تطهر الشخص الذي يقوم بالتقدمة، إضافة لتطهير المكان والأدوات التي تلمسها القرابين، وكانت شعيرة سكب ماء التطهير من أهم الطقوس التي تسبق شعائر تقديم القرابين في المعابد. انظر: نور الدين (الجزء الثاني)، 2009، ص96.

38 Pardee، 2002، PP. 73-74.

إيـل إيبـي، وإيـل. مـع عـدم وجـود أي إشـارة فيـما إذا كان هنـاك إلهـاً محـدداً هـو موضـوع التأمـل[39].

7 ــ احتفالات الزواج المقدس

في عـصر مبكـر مـن تاريـخ الرافديـن، جسَّـدَ السـومريون، ومـن بعدهـم البابليـون، قـوى الخصـب، التـي تُسـبب التكاثـر والإنمـاء بآلهـة للخصـب، التـي هـي إنانـا (عشـتار)، وبإلـه للنبـات والماشـية الـذي هـو دمـوزي (تمـوز)[40]. واعتقـدوا بـأن زواج هـذا الإلـه الشـاب مـن هـذه الإلهـة الجميلـة التـي اعتبروهـا أيضـاً إلهـة الحـب، كان المصـدر لـكل مظاهـر الخصـب في الحيـاة. وأقامـوا الاحتفـالات والطقـوس الدينيـة التـي تحـاكي أفعـال الآلهـة، ومنهـا الـزواج المقـدس الـذي كانـوا يقيمونـه سـنوياً في موسـم الربيـع. ويتضمـن ترتيـل الأناشـيد والقصائـد مـما يؤلفـه الشـعراء السـومريون عـلى لسـان العـروس المقدسـة إنانـا التـي تقـوم بتمثيـل دورهـا إحـدى كاهنـات المعبـد، وعـلى لسـان العريـس الإلـه دمـوزي الـذي يقـوم بـأداء دوره الملـك (أو أحـد الكهنـة). وكان الـزواج المقـدس يتضمـن مراسـم وطقوسـاً عديـدة تنتهـي بدخـول الملـك بالكاهنـة، محـاكاة لـزواج إلـه الخصـب مـن إلهـة الخصـب[41].

تلـك كانـت أزمنـة البـدء، حـين كان الآلهـة يقومـون بأنفسـهم بعمليـة الإخصـاب، وحـين كانـت إنانـا تدعـو عشـيقها دمـوزي لحـرث فرجهـا، وحـين كان الإلـه أنـكي[42] يمـلأ بمنيِّـه مجـرى الفـرات، ويُخضـع دجلـة حـين يسـكب

39 Pardee، 2002، P. 74.

40 يعنـي اسـم دمـوزي باللغـة السـومرية «الابـن الشرعـي»، يـرى بعـض الباحثـين أن دوره كإلـه للخصـب في بـلاد الرافديـن لم يعـد مقبـولاً وهـو دور صغـير وغـير مؤثـر، فهـو إلـه راعـي يمـارس عملـه في صيانـة الحظائـر والإشراف عليهـا، ورعـي الأغنـام. في حـين كانـت مسـؤولية الخصـب للإلـه انـكي (أيـا) الـذي وزعهـا عـلى آلهـة أقـل شـأناً منـه وكلـف أصغـر إلهـين في المجموعـة بمتابعـة تنفيـذ الشـؤون اليوميـة للحظائـر والحقـول، وليـس بضـمان إنتاجهـا وتكثيفـه وكان دمـوزي واحـد مـن هذيـن الإلهـين. انظـر: حنـون، 2005، ص114.

41 علي، 1978، ص 17.

42 إله المعرفة ومهارة الصنع وهو إيا الأكادي.

فيه هدية العرس (منيّ أنكي)، وحين كان أوتو[43] يعد بنفسه غطاء الكتان لفراش العرس الذي سوف يتم عليه لقاء أخته إنانا مع إله السماء دموزي[44].

يعتقد الكثير من الباحثين أن طقوس الزواج المقدس كانت شائعة في جميع أنحاء المشرق القديم، والهدف من الاحتفال به هو تأمين راحة المدينة في السنة القادمة، وتتويج الملك من جديد[45]. ويروي هيرودوت[46] أن كل الشعوب القديمة ما عدا الإغريق والمصريين، كانت تمارس الجنس المقدس في المعابد، ويضيف أن الفينيقيين هم أول من أوجد في قبرص معابد أفروديت، وكان على كل فتاة أن تخدم في المعبد كبغي مقدسة تعطي جسدها للغرباء فترة من الزمن قبل أن تتزوج، حيث كان الجنس يمارس بكل أبَّهة الطقس الديني وجديَّته، بعيداً عن أي مظهر من مظاهر الدعارة الرخيصة، أو إرضاء الميل الشخصي. ويضيف أن سرينياس الفينيقي ملك قبرص الأسطوري هو الذي أوجد هذه الطقوس، وكانت بناته من بغايا المعبد[47]، ودرجت قبرص على هذه العادة، فاشتهرت بمعبد أفروديت في باخوس. ويصف هيرودوت معبد الإله بعل مردوخ في بابل قائلاً: «في هذا المعبد سرير كبير، مزين زينة فخمة، وإلى جانبه مائدة ذهبية. وليس ثمة صورة أو تمثال لأي إله هنا. كما لا يبيت أي

43 إله الشمس السومري وأخو إنانا.

44 الشواف، 1996، 103.

45 ساغز، عظمة آشور، 2008، ص309.

46 هيرودوت؛ مؤرخ ورحالة يوناني، عاش بين 484-420 ق.م، ولد في مدينة هاليكارناسوس في آسيا الصغرى، أطلق عليه لقب أبو التاريخ، نفي لأسباب سياسية إلى ساموس، ثم أثينا، وأخيراً للمستعمرة الأثينية ثوري Thurii الواقعة جنوب إيطاليا حيث توفي فيها. كتب بين 430 و425ق.م تسعة كتب تاريخية أرخت للحرب بين الإغريق والفرس. له عدة كتب يصف فيها الكثير من بقاع العالم ومنها بابل وآشور ومصر وآسيا الصغرى ومنطقة المشرق. يستخدم في وصفه التاريخ والأنتروبولوجيا والجغرافيا، واستخدم في كتابته الأسلوب الدرامي، مدخلاً عليه الكثير من العناصر التراجيدية.

47 السواح، 1996، ص 192، 193.

انسان ليلة هنا، ما عدا امرأة واحدة. يقول الكلدانيون كهنة هذا الإله: إن الإله يختارها لنفسه من بين النساء المحليات. ويؤكد الكهنة أن الإله يأتي إلى المعبد أحياناً، ويقضي ليلة على السرير»[48].

وفي بابل كان على كل امرأة أن تستسلم في معبد عشتار لأول غريب يطلبها، وتأخذ منه أجراً رمزياً غير محدد تسلمه إلى الهيكل هبة منها لإلهة الحب، وتأكيداً على انعدام الأهداف الفردية لفعلها الجنسي، ولم تكن المرأة بقادرة على العودة إلى بيتها قبل أن يمرَّ بها ذلك الغريب. لذا كان فناء المعبد مليئاً على الدوام بنسوة في الانتظار، ولربما قضى بعضهن سنوات قبل أن يقع عليهن اختيار أحد[49].

ومدينة أوغاريت هي المركز الكنعاني الوحيد الذي قدم نصوصاً ميثولوجية أكدت لنا اهتمام الأوغاريتيين الواضح بالخصب والإخصاب. لقد عرف المجتمع الأوغاريتي إنشاد الأساطير، وقراءتها، إضافة لتمثيل وقراءة بعض الأفعال المقدسة، ومنها زواج إيل المقدس وزوجتيه عشيرات والعذراء، وكان يجري عرض بعض الأحداث المعيّنة أثناء تمثيل الأسطورة أو تأدية المأساة، وكل حدث منها كان يرمز لظواهر طبيعية متجدّدة، كان يتحقق من خلال تكرارها استقرار الكون[50].

لم يكن الإله الأوغاريتي بعل (ممتطي الغيوم) مسؤولاً فقط عن الأمطار التي تخصب الأرض، بل كان أيضاً يهتم بإخصاب قطيع البقرات والعجلات، إذ نراه في أحد النصوص الأوغاريتية يضاجع قرينته الملقبة بـ«العجلة» ومما يرد في النص:

„ *تهيّج (بعل) فأخذها من فرجها*

48 ميغوليفسكي، 2005، ص24.

49 السواح، 1996، ص 192، 193.

50 شيفمان، 1988b، ص 90.

تهيجت هي، فأخذته من قضيبه
وسيطرت على بعل الشهوة
نحو قطيع البتولة عناة»
ونقرأ في النص نفسه أن:
„بعل سوف يتقدم و [قضيبه] ممتلئ
سوف يتقدم حدّو (حدد) وأصبعه ممتلئ».

ويبتهج بعل عندما تعلمه عناة بأن عجلاً سيولد له، وهنا على ما يظهر يحتل بعل مكانة الإله إيل رأس آلهة أوغاريت، فيما يتعلق بدور الإخصاب[51].

هناك أحد الطقوس الذي صيغَ بشكل رمزي على شكل حوارية مسرحية، بين عروس وعريس وكاهن، كما لو أنها أغنية من الأغاني، ورغم أن هوية المتكلمين غير محددة، فمن المعتقد أن النص يتحدّثُ عن الزواج المقدس المعروف جيداً في بلاد الرافدين، النص (KTU 1.100،70- 76):

„العريس: خلفها يوجد الصرح، إنها تعويذتي
الكاهن: الصرح الذي أغلقته هي يوجد خلفها، هي أسقطت البرونز (أفلتته)
العريس: افتح البيت، في تعويذتي
الكاهن: القصر ذاك الذي ربما أدخله
العروس: أعط الأفعى كهدية في العرس،
أعط السحلية كهديتي في العرس،
نعم، *الأفعى هدية من أجل حبي*
العريس: أنا أعطي الأفعى هديتك في العرس،
الأفعى الصغيرة هدية لحبك»[52].

51 الشواف، 1996، ص 151.

52 Moor، 1990، PP. 233-245.

ثمة اعتقاد راسخ لدى الباحثين الغربيين بأن الأفعى ترمز إلى العضو الذكري، ويقرنون ذلك بالنصوص السومرية التي تتحدث عن الجنس المقدس في بلاد الرافدين، وإذا ما ثبتت صحة ذلك، فهو يدل على وجود تأثير رافدي واضح على العقيدة الأوغاريتية. وقد ورد في نص سومري تعبير مشابه: «رفع قضيبه، جلب هدية العرس».. لكن ما يُنتجهُ الحب، وما ينتهي إليه من فعل المضاجعة، يستتبعهُ الموت بشكل مؤكد[53].

لقد أحبَّ دموزي إنانا الخصب، فأنتجت له وللبلاد الماشية والحبوب والخضار.. ونراه يتغنى بكل محبة بجمال حبيبته، وبجسدها، بتعابير رقيقة. لكن إنانا في إجابتها لدموزي تستشعر الموت الذي ينتظره، وتعد نفسها مسؤولة عن ذلك، فهل الموت الذي عرفه دموزي هو ثمن قبوله بعلاقته مع إنانا، لحمْل الخصب إلى البلاد وتحقيق تكاثر الماشية والبشر؟ فكان بذلك أول «فادي» بالمعنى المسيحي للفداء الذي اكتسب بعد أكثر من ألفي عام الروحانية والرمز الذي يحمله؟[54].

لا ريب أن المجتمع الذي نشأت فيه الروايات الشعرية الأوغاريتية طلب من المرأة أن تكون حكيمة ومخلصة لحياتها الزوجية، غير أن الكاهنات أُعفينَ من هذا الالتزام الأخير كونهن على اتصال بعالم الآلهة، فقد سمحت الإلهة عناة لنفسها أن تعرض حبها على بطل الملحمة الشعرية (كما في ملحمة أقهات). لقد وقف المجتمع موقفاً سلبياً من اختلاط الدم في حين عرفه عالم الآلهة بشكل دائم. فقد كانت زوجتا إيل، عشيرات والعذراء، هما في الوقت نفسه أختاه، كما كان في نفس الوقت متزوجاً من بناته الثلاثة[55].

يتحدث أحد نصوص أوغاريت عن ولادة إلهي الخير والعطاء سحر

53 Moor، 1990، P. 242.

54 الشواف، 1996، ص 139.

55 شيفمان، 1988a، ص 51.

وشالم ضمن فعل طقسي هو الزواج المقدس، الذي تتخلله صلوات يؤديها الكهنة ومنولوجات تؤديها شخصيات المشهد، ووصف للحركات التي تؤدى أمام المشاهدين. وبعد تأدية فروض العبادة لآلهة الخير والعطاء يتقدمون بآخر رجاء يطلبون فيه التوفيق والخير للملك والملكة، وباقي المشاركين في الطقس، ثم يظهر إله الموت «موت وشار» حاملاً بيده رمز العقم والترمل (أي يسود العالم الجدب). ويردّد المشاركون في الطقس خلف الكاهن هذه اللعنة، ويستدعون جبروت الآلهة، وجبروت عشيرات والعذراء، زوجتي إيل. أما الغلمان فيطبخون الجدي بالحليب سبع مرات، والخروف سبع مرات بالسمن (الوجبة المخصصة لعشيرات)، لقد كانوا يعتقدون أن هذه الوجبة تساعد على الحمل والولادة في الزواج المقدس. ويفهم بعدها من المقطع المتبقي، أن الكلام يجري فيه عن الصيد الذي تمارسه العذراء، ثم يدخل المشاركون في الطقس بيت الآلهة، ثم تنتقل الأحداث إلى شاطئ المحيط، فيأخذ إيل شعلتين من النار (التي أعد عليها الطعام)، ويدخلهما بيته، ثم ينزل عصاه، ويأخذ دبوساً، ويرمي طيراً، ثم يضعه على النار. وتشير تصرفات إيل إلى عدم اهتمامه بالعالم وبزوجتيه، وفي الوقت الذي دخلت إليه عشيرات والعذراء[56].

إن إيل الملقب بالثور يفقد مع تقدم السن من قدرته الجنسية، وهذا ما يظهره نص ميلاد الإلهين سحر وشالم، الذي يشتمل على تعليمات بصدد استعمال العود (العصا) وتكرار أحد المقاطع سبع مرات، وهو يرتبط بالإخصاب ويُعَدُّ طقساً للاحتفال بزواج إلهي نشاهد فيه إيل ينجح بعد محاولة فاشلة في إخصاب امرأتين (إلهتين) كانتا تسحبان الماء وتصبانه في خزان مرتفع، وذلك بقصد استحثاث الخصب بواسطة مادته الأساسية أي ماء الينابيع. وبعد ذلك ينجح إيل في تحقيق انتصاب

56 شيفمان، 1988b، ص 64.

قضيبه، ويمارس الحب مع عشيرات والعذراء، فتلدان سحر وشالم، فيأمر إيل بتقديم القربان لشبش والنجوم... يقول النص:

„ يميل (إيل) ويقبل شفتيهما
ها هما شفتاهما عذبتان
عذبتان كالرمان
وبعد القبلة، الحمل
وبعد الاحتضان المتقد
أتى أجل ولادتهما،
فولدتا سحر وشالم»[57].

ويوصف شحر/سحر وشالم بأنهما إلاها الخير والعطاء اللذان شقا عباب البحر، ورضعا من صدر السيدة؛ أي من صدر عشيرات، فالإثنان لا يشبعان. ثم يرسلهما إيل إلى الصحراء ليصطادا ويقدما قرباناً، وبعد انقضاء سبع سنوات، يعودان إلى العالم فيطعمهما أمين المحصول الخبز، ويسقيهما الخمر[58].

وهناك نص أوغاريتي ثالث يرتبط بالخصب والولادة، وهو نشيد زواج إله القمر ياريخ مع إلهة القمر نيكّال الذي كان على الأرجح يُرددُ أثناء الولادة بغية تسهيلها أو خلال احتفال بعرس يُعدّ لولادة قريبة[59]، وقد يعكس هذا الطقس ولادة شهر قمري جديد كل شهر. والنص الذي يحمل عنوان (أم باخالات) يُعيد تمثيل طقس الزواج المقدس، ويروي توحّد الإلهين. فيطلب ياريخ يد نيكّال من أبيها حارحابي Harhabi ويَعِدُهُ أن يدفع له مهراً كبيراً، لكن حارحابي يرفض في البداية، ويقترح عليه أن يتزوج إحدى بنات بعل، و يُصِرُّ ياريخ على طلبه حتى يرضخ حارحابي،

57 الشواف، 1996، ص 151.
58 شيفمان، 1988b، ص 65، 66.
59 الشواف، 1996، ص 151.

ويـلي ذلـك وصـف المهـر المدفـوع، ثـم يُخْتَتَـمُ النـصُ بنشـيد إلى الإلهـات الجميـلات اللـواتي سـاعدنها عـلى الـولادة. ينتسـب النـص إلى مجموعـة أسـاطير إلهـة الشـمس شـبش التـي تسـمى باخـالات، والتـي تتوجـه إلى شـبش توجهها إلى أمهـا باسـم ابنـة النبـع، ابنـة الحجـر، ابنـة السـموات والمحيـط، والمقصـود هنـا زوج شـبش الإلهـي[60].

ولا بـد مـن الإشـارة لظهـور أفـكار جديـدة لـدى بعـض الباحثـين فيـما يتعلـق بموضـوع الـزواج المقـدس، تقـوم عـلى التشـكيك بوجـود هـذا الطقـس في منطقـة مشرقنـا القديـم. وفي هـذا الإطـار يـاتي تعليـق الأسـتاذ الباحـث نائـل حنـون الـذي يـرى أنـه ليـس هنـاك مـن دليـل واضـح عـلى وصـف هـيرودوت لعبـادة الإلهـة عشـتار ومعابدهـا. والنصـوص المسـمارية، حتـى الآن لم تُـشِرْ إلى وجـود هـذه الممارسـة، بـل إن ديانـة المنطقـة كانـت تنحـو منحـىً مختلفـاً، حيـث كانـت القوانـين والشرائـع القديمـة تحـدّد ضوابـط صارمـة عـلى مثـل تلـك الممارسـات. واسـتخدام بعـض الإشـارات مـن هـذه النصـوص لا يُعـدُّ دليـلاً عـلى موضـوع الـزواج المقـدس. فالقصائـد السـومرية التـي تتضمـن غـزلاً بالملـوك؛ اعتـبرت دليـلاً عـلى دورهـم في الـزواج المقـدس، لكـن تلـك القصائـد تخلـو مـن أي وصـف أو إشـارة لشـعائر دينيـة محـددة.

ثـم إنـه لا توجـد نصـوص أخـرى تسـند الدلالـة المفترضـة لتلـك القصائـد الغزليـة، ومنهـا مـا ورد أعـلاه، وهـي الدلالـة التـي يمكـن أن تجعـل منهـا وسـيلة لإثبـات وجـود طقـس دينـي مثـل الـزواج المقـدس فيـما لـو وجـدت. وعمومـاً تلـك القصائـد الغزليـة لا علاقـة لهـا بالشـعائر الدينيـة، وقـد اقتـصرت عـلى بضعـة ملـوك في نـوع مـن الأدب الغـزلي الـذي قـد يعبرعـن علاقـات خاصـة بـين أولئـك الملـوك، ونسـاء مـن البـلاط أو المعبـد. كـما أن اسـتخدام بضعـة أسـطر مـن ملحمـة جلجامـش كدليـل عـلى وجـود الـزواج المقـدس،

60 شيفمان، 1988b، ص 65، 66.

ليس كافياً؛ فهي تشير إلى تهيئ جلجامش للاتصال مساءً بالإلهة إشخارا حينما اعترض طريقه انكيدو. أما رواية هيرودوت عن البغاء المقدس، فأصلها يعود للديانة الإغريقية القديمة، وليس إلى بلاد بابل التي نَسَبَ لها ما خبره هو في بلاده[61].

إن التسليم بكل ما كتبه الباحثون الغربيون، ومنهم صموئيل كريمر، عن طقوس الجنس المقدس عند السومريين وسكان بلاد الرافدين، أمر غير جائز من الناحية الموضوعية، لعدم خضوع الموضوع للنقاش بالشكل المطلوب، كما أن البراهين المقدمة لا تشكل دليلاً كافياً على وجود هذه الممارسة. ولا شك أن الموضوع يحتاج لكثير من الدراسات والأبحاث المعمقة المنطلقة من دراسة النصوص القديمة (السومرية والأكادية) وإعادة قراءتها وترجمتها من جديد، وتوضيح البيئة والأجواء التي كانت تجري فيها هذه الطقوس. أما الأدلة المتوفرة من مناطق الساحل الشامي فهي تقتصر على بضعة نصوص أوغاريتية، أقل ما يمكننا القول فيها: إنها غير واضحة في إشارتها لوجود ممارسات زواج مقدس، وبالتالي فهي غير مقنعة بالشكل المطلوب. وكل ما وصلنا لا يعدو أن يكون نوعاً من الأدبيات الدينية الخيالية التي تمحورت حول الخصوبة والسعادة، التي صاغها خيال خصب، طالما تميز به شعراء المشرق بكل العصور، بطريقة رمزية وبأسلوب شعري شفاف رقيق، فيه الكثير من التراتيل والمراثي والمنازعات والحب الآسر للرفاه والترف، للحقل الخصيب والرحم المنجبة.

لقد برع شعراء هذه المنطقة عبر العصور في التغني بالجمال وكل ما يمثله من قيم فنية، فعبّروا عما كان يجول في خواطرهم بجرأة منقطعة النظير أحياناً، كما فعل الشاعر الجاهلي امرؤ القيس في معلقته

61 حنون، 2005، ص 182، 183.

الشهيرة[62]، وبشكل غزلي رقيق وشفاف، كما نراه عند الشاعر الأموي جرير، الذي أبدع في وصف معشوقة لم يعرفها قط، ولا ذاق طعم حبها يوماً، لأنها لم يكن لها وجود إلا في خياله[63].

ثانياً: الاحتفالات في ألالاخ

لا يعرف شيء عن الاحتفالات التي كانت تقام في ألالاخ، ولكن من المعتقد أنها شهدت العديد من الاحتفالات المشابهة لتلك التي كانت تجري في المدن السورية والأناضولية المجاورة، ولا يمكن أن تخرج عن السياق الثقافي الاجتماعي والديني للمنطقة، وذلك بحكم موقعها الجغرافي وتركيبتها الديموغرافية والإثنية المتنوعة. ونحن نعلم أن منطقة قريبة في الأناضول شهدت قيام ثلاثة عشر احتفالاً خلال عام واحد فقط. علاوة على عشرات الاحتفالات التي كانت تقام أيضاً في شقيقاتها المدن

---

62 هو امرؤ القيس ابن حجر بن الحارث الكندي 496 - 544 م، شاعر جاهلي، من أشهر شعراء العرب. ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب، فقال: رحم الله أبي! ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر؛ وغداً أمر. ونهض من غده، فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد. وفي معلقته بعض الأبيات التي تصف نوعاً من العلاقة العاطفية ومنها:

ويوم عقرت للعذارى مطيتي ... فيا عجباً من كورها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلتُ الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات أنك مُرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها: سيري وأرخي زمامه ... ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتي شقهالم يُحوَّل

63 هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم. عاش بين 648 - 728 م/ - 28 110هـ /، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره يساجل شعراء زمنه، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وهو من أغزل الشعراء في تاريخ العرب، رغم أنه كان معرضاً عن الحب وهو القائل، ما عشقت قط، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها. ومن أبياته الغزلية الشهيرة في هذا الإطار:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتللننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا
طار الفؤاد مع الخود التي طرقت ... في النوم طيّبةَ الأعطاف مِبدانا
مثلوجة الريق بعد النوم واضعةً ... عن ذي مثانٍ تمُجُّ المسك و البانا
يا حبذا جبل الريان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا

السـورية، التـي كان لمملكـة آلالاخ معرفـة بهـا، الأمـر الـذي -لا شـك- أنـه قـد تـرك أثـراً عـلى الحيـاة الاجتماعيـة والدينيـة فيهـا، وعـلى قيـام أنشـطة احتفاليـة موازيـة فيهـا.

مـن أشـهر الاحتفـالات التـي شـهدتها آلالاخ، الاحتفـال الـذي أقامـه الملـك ادريمـي بمناسـبة بلوغـه السـنة الثلاثـين مـن الحكـم، ومـن ثـمّ توليتـه لابنـه، والـذي سـطره عـلى تمثالـه الحجـري. وربمـا كان هـذا الاحتفـال محـاكاة لمـا كان يقـوم بـه الفراعنـة بمناسـبة اليوبيـل الثلاثينـي لجلوسـهم عـلى العـرش. ونحـن نعلـم أن أمنحتـب الثالـث أقـام ثلاثـة احتفـالات أشـير لهـا بعيد/احتفـال (سـد)[64] وقـد جـاءت عـلى التـوالي في سـنوات حكمـه (الثلاثـين، الرابعـة والثلاثـين، السـابعة والثلاثـين). حيـث آمـن المصريـون القدمـاء بـأن إحيـاءه يعيـد للملـك شـبابه، وحيويتـه. وقـد وُجِـدتْ شـعائره مصـورة عـلى الجـدران، والنصـب الأثريـة[65]. (الشـكل 94).

ثالثاً ـ الاحتفالات في إيمار

لم تكـن الديانـة السـورية القديمـة معروفـة بشـكل جيـد، خـلا مـا زودتنـا بـه أوغاريـت، حتـى اكتشـاف إبـلا وإيمـار؛ الموقعـان اللـذان قدمـا كميـة كبـيرة مـن الوثائـق الدينيـة، وهـي قصـص فريـدة تؤطـر العلاقـات بـين عـالم الآلهـة

64 ربمـا جـاءت كلمـة «سـد» مـن المعبـود سـت، وربمـا ترتبـط بذيـل حيـوان اسـمه سـت، وهـو مـن فصيلـة الـكلاب، وربمـا تشـير لقطعـة مـن الملابـس. وقـد ظهـر هـذا العيـد في مـصر منـذ عصـور مـا قبـل التاريـخ عندمـا كانـت القبيلـة تقتـل حاكمهـا الـذي صـار ضعيفـاً نظـراً لكـبر سـنه، ثـم تطـور الأمـر بالعصـور التاريخيـة بمحاولـة إظهـار الملـوك لقوتهـم بممارسـة طقـوس معينـة في هـذا العيـد. وكان الاحتفـال يتـم بمـرور 30 عامـاً عـلى تتويـج الملـك، إلا أن العديـد منهـم احتفلـوا بـه وبطريقـة مكـررة في فـترات زمنيـة متقاربـة، أو كلـما دعـت الحاجـة، فاحتفـل بـه رعمسـيس الثالـث 14مـرة. ومـن الطقـوس التـي كانـت تجـري في هـذا العيـد: وضـع تمثـال الملـك في المقصـورة، ثـم إقامـة عمـود الـ «چـد» وترمـز لإعـادة تجـدد الحيـاة مـن خـلال إعـادة الـولادة، ثـم الهرولـة، حيـث يجـري الملـك بسرعـة خلـف ثـور قـرب البـلاط الملـكي عـبر الحقـول، ثـم موكبـة المحفَّـة، وتقديـم الصولجـان «واس»، وترمـز لتتويـج الملـك وتسـلمه للسـلطة، ثـم طقـس رمـي السـهام، ويتـم فيهـا إعـلان تـولي الملـك بإطـلاق أربعـة سـهام في الجهـات الأربعـة. انظـر: عبـد الحليـم نـور الديـن، (ج2)، 2009، ص192.

65 إسماعيل، 2010، ص 74.

وعلاقتهم مع البشر، ومجموعة من الممارسات والطقوس الدينية.

لقد قدمت إيمار أفكاراً موازية ومكملة لأوغاريت، ورغم عدم وجود أساطير في نصوص إيمار، إلا أن نصوصها الشعائرية، فاقت بأهميتها نصوص أوغاريت، لأنها قدمت الكثير من المعلومات الجديدة. وهي تذخر



الشكل رقم (94)
تمثال إدريمي

بإيراد كلمات متنوعة غير معروفة خاصة بالاحتفالات، تؤكد وجود لهجة سورية داخلية متميزة. وتظهر النصوص التي تمثل جذور التقاليد السورية الأصيلة، أن الاحتفالات الرئيسة كانت طويلة ومعقدة، وكل واحد منها كان يمثل موضوعاً دينياً مختلفاً، ويقدم كنزاً من المعلومات حول مجمع الآلهة، والأمكنة المقدسة، والأعمال الثانوية المحددة ذات الصلة بكل مسألة[66].

66 Flieming، 1992، P. 60-61.

يمكننا تصنيف الممارسات الشعائرية في إيمار ضمن عنوان رئيسي هو الأعياد أو الاحتفالات (بالسومرية «إيزين ezen")، حيث حددت نصوصها المناسبات التي تؤدى فيها الشعائر التي تتضمن الكثير من التفاصيل المهمة. ويمكن أن تُدرجَ الطقوس التي لها علاقة بالتقويم، تحت عنوان الاحتفالات، باعتبارها من المناسبات التي تجري فيها أشكال مختلفة من الأنشطة.

وترافق هذه الاحتفالات والطقوس أشكال مختلفة من التقدمات والأضاحي النباتية والحيوانية التي تُقدَّم كقرابين في العديد من المناسبات الدينية والزمنية، حيث كان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود، يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحة، وكانت السوائل تستخدم عن طريق إراقتها، وتقدم قوائم الطقوس بيان الأضاحي التي تختلف تبعاً للغرض المراد.

وقد كشفت النصوص أسماء الآلهة المعبودة، ونعوتها، ووظائفها، وصفاتها، ومكانتها، وأعطتنا معلومات عن دور الكهنة في المجتمع ومراتبهم، وعلاقاتهم مع الأسرة الحاكمة، ومع عامة الشعب، كما وضحت لنا الشعائر الدينية المتبعة خلال الاحتفالات والأعياد[67].

لكن الاحتفالات هي أهم ما يميِّز الطقوس في إيمار، وتُصوِّرُ النصوص الممارسات الدينية المحلية في المدينة. ورغم أن هناك تنوعاً في الطقوس حسب المعبد والإله الذي تؤدى له، إلا أن هناك الكثير من أوجه الشبه بينها.

تعرض هذه الطقوس لتنوع كبير ضمن مشهد التواصل الثقافي الكبير في سورية القديمة، ولعل هذا هو السبب الذي يعطي الديانة السورية القديمة كل هذه الأهمية، فهي تعكس فكر وفلسفة وطريقة عيش سكان هذه المنطقة. فقد كان من أهم الاحتفالات التقليدية في إيمار ذاك الذي يجري لبعل وعشتار كآلهة في معبدهما المزدوج، وكذلك احتفال دجن

67 جاموس، 2004، ص 78.

وبعـل الـذي يظهـر فيـه بعـل بالمرتبـة الثانيـة بعـد دجـن ضمـن مجمـع الآلهـة[68].

1 ـ التنصيب

تواجـد في إيمـار احتفـالان للتنصيـب؛ كانـا يتشـاركان في الكثير مـن المظاهر، وهـذا مـا جعـل كتـاب إيمـار يعتبرونهـما احتفـالاً مزدوجـاً، كلاهـما يسـتغرق عـشرة أيـام ويطلـق عليهـما اسـم «ملوكـو malluku».

ـ الاحتفـال الأول: لتنصيـب الكاهنـة الأعـلى «نـين. دينجـير nin dingir» لمعبـد بعـل إلـه العاصفـة، ويتضمـن: الاختيـار، الفصـل "يـوم الحلاقـة"، وأيـام التنصيـب، والتقدمـات، والولائـم، التـي تبـدأ بالتتويـج، وتنتهـي بحركـة مـن الكاهنـة في معبدهـا الـذي تقيـم فيـه[69].

توضـح النصـوص كيفيـة الاحتفـال لاختيـار إحـدى الفتيـات كاهنـة للإلـه بعـل، وتقبـل الـزواج بـه، حيـث تبـدأ المراسـم والاحتفـالات أثنـاء انتقـال الفتاة مـن بيـت أبيهـا إلى معبـد بعـل، ومـن ثـمَّ العـودة، حيـث يقـام عـرس كبـير، تقـام فيـه الأضحيـة والنـذور، وتُنشـدُ الأغـاني، وتُوضـع الزينـة عـلى الفتـاة، ويُدهـنُ الـرأس، ويُقـصُ الشـعر، وغـير ذلـك[70].

تبـدو في شـعائر هـذا العيـد بعـض المظاهـر التـي تمثـل فكـرة القربـان والتضحيـة بالنفـس في سـبيل الآلهـة، أمـا بعـض الممارسـات الأخـرى، مثـل دهـن الـرأس بالزيـت، وقـص الشـعر، فمـن الراجـح أنهـا عنـاصر رمزيـة، لا وجـود للـزوج فيهـا، لأنهـا تخلـو مـن تشـخيص العريـس الـذي أغفلـت مشـاركته في الشـعائر[71].

68 Flieming، 1992، P. 58.

69 Flieming، 1992، P. 58-59

70 جاموس، 2004، ص 81.

71 إسماعيل، 2007، ص 27.

ـ الاحتفال الآخر: لتنصيب «ماش أرتو maš' artu him» كاهنة عشتار إلهة الحرب، ويغطي ثمانية أيام، يوم تمهيدي إضافة لسبعة أيام للقيام بالتنصيب. وبعد انتهاء مرحلة التعامل مع الآلهة، تجري إجراءات تنصيب «ماش أرتو» خلال الليل، وتتم الصلوات الرئيسة في الاحتفال من قبل «رجال الحرب»، وذلك لأن تنصيب الـ «ماش أرتو»؛ يبدو أنه ينتمي لطقس «عشتارت المحاربة» من حيث الأصل، وليس لعشتارت كشريكة لبعل[72].

إجراءات التقدمة في الاحتفالين متشابهة؛ بما فيها من ذبح الحيوانات التي يعقبها ترتيب حصص اللحوم والخبز، وسكب الخمر، ثم تقديم الطعام بواسطة الكهنة. يعتمد كل طقس على ساكني المعبدين الذين تقيم بهما كل من الكاهنة الجديدة «بيت نين. دينجير» و«بيت ماش أرتو». ويظهر بعل وعشتار في الطقس كآلهة لمعبد مزدوج. وبالرغم من التشابه الكبير بين كل من الطقسين، فقد ظهرت بينهما فروقات جوهرية.

2 ـ احتفالات العرش «كيسو kissu»

اختلف الباحثون في تحديد اسم (كيسو)، والراجح أن صيغته محرفة عن كلمة (كُسُّو)، بضم الكاف لا كسرها وتعني الكرسي أو العرش[73].

احتفالات الكسو؛ مجموعة طقوس لها شعائر ومستلزمات محددة بدقة، تشترك فيها آلهة متنوعة، تقام خارج إيمار في بلدة تدعى «شاتابي Šatappi»، وربما تنتمي في حقيقة الأمر لتقاليد منطقة الفرات الأوسط المحلية. وتتألف من خمسة طقوس، هي الأكثر غموضاً في الاحتفالات، جاء ذكرها ضمن عدة نسخ، وفي تراكيب متنوعة، ورغم ورود الكثير من

72 Flieming، 1992، P. 58-59.

73 إسماعيل، 2007، ص 23.

المناسك فيها، إلا أن مغزاها الحقيقي غير معروف تماماً[74]. والواضح فيها هو مشاركة أغلب أعضاء مجمع الآلهة في الاحتفال، بما في ذلك: دجن، ايريش كي، جال، إيا، إشخارا، ونين كور، في حين لم يرد ذكر نينورتا، وبعل، وعشتارت[75]. أما شخصيات الاحتفال الرئيسة، فهي: الملك، العرّاف، كبير الكتبة، وكانوا يأتون من مدينة إيمار[76].

تباينت الشعائر أحياناً؛ وتشابهت أحياناً أخرى، فقد كان يحتفل بالإله دجن في عيد العرش المخصص للآلهة دجن وأيريش كي جال، ويصف أحد النصوص الشعائر التي تجري بهذا الاحتفال:

"في اليوم الأول يضعون أربع مناضد بين الآلهة، منضدة الإله دجن، منضدة اشخارا ونينورتا، منضدتي إلال وأمازا"، ثم توضع خلاصة العطر على المناضد، ويكرمون آلهة المدينة بكميات من أنواع الخبز والجعة، وكذلك الكاهن وكبير الكتبة. ثم يدعون الإله نين كور ليرقد في معبده، ويقدمون بقرة وخروفاً قرباناً له، ثم تُطلقُ النائحةُ صراخها، ويضعون وجه البقرة والخروف تجاه الإله نين كور.

في اليوم الثاني يقدمون اللحوم وخبز المؤونة قرباناً، ويوزعون خبز النذور في معبد دجن مرة لكل واحد، ولآلهة مدينة شاتابي أيضاً، ثم يضحون بخروفين على المبخرة الموجودة داخل المعبد قرباناً، ويولُّونَ وجهها نحو موضع الآلهة.

يأكل الرجال منظمو مراسم التقديس ويشربون في المعبد لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث يقدمون خروفين قرباناً، وتقوم كاهنة إله العاصفة وآلهة مدينة شومي وكاهنة مدينة شاتابي ببعض الإجراءات، ثم يتم

74 Flieming، 1992، P. 54.

75 Flieming، 1992، P. 59.

76 إسماعيل، 2007، ص 23.

إدخـال أربـع قطـع مـن خبـز النـذور لوضعـه أمـام الآلهـة، ثـلاث منهـا مـن الخبـز المجفـف، وواحـدة مـن المجفـف المعجـون بالفواكـه.

في اليـوم الرابـع يدعـون الإلـه نـين كـور ينهـض، وبعـد أن يدخلـوا الخبـز والجعـة إلى معبـد الإلـه أودخـا يدخـل المنشـدون، ويتقدمهـم الإلـه شـوالا والإلـه نرجـال. كـما يدخـل الرجـال منظمـو شـعائر التقديـس، فيأخـذ كل واحـد منهـم مـن خبـز النـذور ثـلاث مـرات، ويقـوم ملـك البـلاد والكاهـن وكبـير الكهنـة بالمباركـة بالخبـز وبجـرة مـن الجعـة، ويعطـون ثلاثـين (مثقـالاً) مـن الفضـة للآلهـة إيريـش كي جـال.

وفي يـوم عيـد العـرش الخـاص بالآلهـة إيريـش كي جـال تتـم المباركـة بتقديـم الخبـز وجـرار الجعـة وذبـح بقـرة وثلاثـة خـراف، ثـم وخـلال يومـين؛ تقـدم أضحيـة تتألـف مـن رؤوس خـراف، ورأس بقـرة، وأربعـة أرغفـة مـن خبـز النـذور، وأربـع قطـع مـن الخبـز المجفـف، تكـون واحـدة منهـا معجونـة بالفواكـه.

يسـير المنشـدون نحـو الأضاحـي، ثـم يتقدمـون بهـا للآلهـة ايريـش كي جـال، وبعدهـا يوضـع أمامهـا سـبعين رغيفـاً مـن الخبـز، وسـبعين قطعـة مـن اللحـم، وأربـع جـرار مليئـة بالجعـة. بعدهـا يتقاسـم المرتلـون الذيـن قامـوا بإحيـاء المباركـة كل مـا في الجـرار، ثـم يأكلـون ويشربـون ويطوفـون بالمعبـد، ويجلـس الرجـال الطاهـرون عـلى منضدتـين[77].

3 ـ احتفال الذكر « زوكرو zukru»

ترتبـط كلمـة «zukru» في اللغـة الأكاديـة بالمراعـي وتـدل عـلى ذكـور الحيوانـات[78]، وهنـاك مـن ربطهـا بتكاثـر المـواشي والعبيـد، واعتـبروا أن إلـه هـذا العيـد هـو دجـن الـذي يُنعـت بسـيد المـواشي والأبقـار. فيـما رأى آخـرون

77 جاموس، 2004، ص 77.

78 Gelb. I، 1961، P. 153.

أنـه لا علاقـة لهـا بالمـواشي والحيوانـات المذكـرة، بـل قـد يكـون لهـا صلـة بالتعبـير عـن التقـوى والـورع والخضـوع والدعـاء والابتهـال. ويبـدو أنـه كان عيـداً شـعبياً يشـارك بـه أهـل الباديـة أكـثر مـن أهـل المدينـة، والراجـح أنـه ذو جـذور قديمـة ترقـى إلى العصـور السـابقة للقـرن الثالـث عـشر ق.م. وربمـا كان للكلمـة ارتبـاط أيضـاً بكلمـة ذكـر والتذكـر[79].

عـثر في مدينـة إيمـار عـلى رقيـم فخـاري، تميـز بطـول نصـه، ويقـع في مئتـين وأربعـة عـشر سـطراً، ضـم مجموعـة مـن الشـعائر الدينيـة التـي كانـت تمـارس خـلال هـذا العيـد الـذي كان يشـكل احتفـالاً هـو الأكـبر مـن نوعـه في إيمـار، كونـه يتميـز بتنـوع الطقـوس، وتقديـم الأضاحـي والنـذور، وكـثرة عـدد الآلهـة المشـاركة، وفي مقدمتهـم الإلهـان الرئيسـان دجـن كبـير آلهـة المجمـع الدينـي في إيمـار ونينورتـا إلهـة المدينـة، إضافـة إلى بعـل إلـه المطـر وحبيبتـه عشـتار.

كان الاحتفـال يتـم أثنـاء ظهـور القمـر بـدراً في اليومـين الرابـع عـشر والخامـس عـشر مـن الشـهر الأخـير مـن السـنة، (شـهر زرت: أي الزراعـة والبـذار)، ويسـتمر خـلال الشـهر الأول مـن السـنة الجديـدة، وينتهـي بعـد أسـبوع مـن الشـهر الثـاني، أي أنـه كان يـدوم سـبعة أسـابيع، وتجـري شـعائره خـارج أسـوار المدينـة عنـد البوابـة الرئيسـة[80]، ويشـارك فيـه جميـع السـكان، وتتحـول المعابـد إلى محطـات وأمكنـة لتقديـم الأضاحـي. ويسـتنتج مـن خـلال الشـعائر التـي كانـت تمـارس في ذلـك الاحتفـال مـن خـلال تقديـم الأضاحـي والنـذور والأكل والـشراب وبحضـور الآلهـة، بـأن هنـاك دلالات رمزيـة وفكريـة لهـذا الاحتفـال، فمـن جهـة نـرى غيـاب مشـاركة الملـك والأسرة الحاكمـة في هـذا الاحتفـال، ومـن جهـة أخـرى يمثـل دورة فصـول السـنة، وتقديـم الـولاء والخضـوع للآلهـة[81].

79 إسماعيل، 2007، ص 20، 23.

80 إسماعيل، 2007، ص 21.

81 جاموس، 2004، ص 74.

وتوجد قائمة طويلة متسلسلة توضح كيفية تقديم القرابين لكل آلهة إيمار، ولكن الآلهة التي تلعب دوراً نشيطاً عددها قليل، من أهمها دجن إله المدينة الذي رُسمت صوره على المنحوتات الحجرية، وظهر وهو يركب عربات النقل في المواقع المقدسة خارج أسوار المدينة. ويُعدُّ إله إيمار الأساسي حسب سلسلة من نصوص التقدمات ومن الأسماء الشخصية[82].

إذن وبعد الجلوس على المناضد وانتهاء القرابين والأكل والشرب، يبدأ الجميع بمسح كل الأنصاب الحجرية بدهن الأضاحي ودمائها، بعدها ترجع الآلهة إلى أماكنها ليلاً. ثم وفي اليوم العشرين (من الشهر الأول) توزع النذور على جميع آلهة المدينة والقرى والمدن المجاورة لها، وتمر عربة دجن بين أنصاب المدينة، وتسير الآلهة خلفها، وعندما تتوقف الآلهة؛ يكشف عن وجه الإله دجن، وتقدم النذور له ويحتفل بقدومه، وبعد الأكل والشرب والارتواء من الخمرة، يغطون وجه دجن، وتمر عربته بين المذبحين المقدسين عند البوابة، وتركب معه الإلهة نينورتا وتسير عربتهما وهما مغطيا الوجهين عائدين للمدينة، وتتكرر نفس هذه الشعائر نفسها في الشهر الثاني. ويذكر النص أن مجموع الأضاحي التي تنذر خلال الاحتفال بلغ 700 خروفاً، و50 بقرة، و12 عجلاً.

يبدو أن هذا الاحتفال أو العيد؛ كان يمثل دورة السنة، وتجديد الولاء والخضوع للسلطة ممثلة بالآلهة في حبكة مسرحية تمثيلية، فالزمان المختار له (آخر السنة الماضية ومطلع القادمة) يشير بوضوح إلى دورة السنة، كما أن المكان (أكيتو) موقع متطرف خارج أسوار المدن، حيث كانت تقام احتفالات رأس السنة في بلاد الرافدين، كما في بلاد نيبور وأور وأوروك

82 Flieming، 1992، P. 59.

وأدب وآشـور. ولا يخفـى أن الأدوار المنسـوبة إلى الآلهـة الرئيسـة والثانويـة ذات طابـع رمـزي، والأرجـح أن الملـك والملكـة والشـخصيات القياديـة المدنيـة منهـا والدينيـة، هـي التـي كانـت تمثـل أدوار دجـن ونينورتـا ومجموعـة الآلهـة الأخـرى[83].

4 ـ احتفالات الدورة الزمنية

ربمـا كان السـومريون والأكاديـون هـم أول مـن اعتمـد أول مقيـاس للزمـن، وهـو الشـهر القمـري، وقـد نظمـوا بدايتـه بظهـور الهـلال في السـماء، وكان ظهـوره يسـتمر حتـى يعـود للظهـوره ثانيـة، وكان ظهـور القمـر الجديـد والبـدر؛ واختفـاء الهـلال موضعـاً لاحتفـالات دينيـة، وفي الحالتـين الأوليـين؛ كانـت تقـدم التضحيـات في القـصر، أمـا يـوم اختفـاء القمـر فـكان يُعـدُّ يـوم حزن وكآبـة[84].

وفي أوغاريـت ورد الكثـير مـما يتعلـق بهـذه الطقـوس ضمـن نصـين كاملين، وبعـض الكـسر، وهـي تصـف ممارسـات كانـت تجـري ضمـن أشـهر متنوعـة مـن السـنة، ومـن ضمنهـا طقـس شـهر آب «آبـو»[85]، ولكنهـا لا تغطـي بشـكل كامـل ومتسلسـل كافـة الاحتفـالات التـي تجـري خـلال أيـام وأشـهر السـنة. ويـبرز مـن بينهـا الاحتفـال الـذي تجـري فيـه طقـوس الشـهر الأول، وبدايـة السـنة الجديـدة، وتنبـع أهميتـه مـن أنـه يركـز عـلى شـهر وأيـام واضحـين ومحدديـن. ومـن المفيـد أن نشـير إلى أن احتفـالات ذوكـرو تنـدرج تحـت هـذا العنوان...ويبـدو أنـه كان لهـذا الاحتفـال جـذور عميقـة في منطقـة إيمـار[86].

يصـف النـص (VI.3، 446،107- 117) احتفـالاً بإلـه العاصفـة والطقـس

83 إسماعيل، 2007، ص 22.

84 بورت، 1997، ص 236.

85 Flieming، 1992، P. 295-301.

86 Flieming، 1992، P. 59.

الـذي يشـار لـه بـ (إيـم IM) في اليـوم التاسـع مـن شـهر «خالمـا Halma» والـذي سـبقته بعـض التحضـيرات قبـل يـوم مـن بدئـه. وهـو يسـتعرض الطقـس المتعلـق بالـ "العـراف" (لو ماش شـو جيـد جيـد .lu MÁŠ. ŠU.GÍD GÍD) خـلال سـتة أشـهر منظـورة، ويُقـدمَ موضـوع إلـه العاصفـة بشـكل نمطـي عـبر مجموعـة ممارسـات تجـري في الموكـب خـارج المعبـد. هنـا يتـم تعريـف مختلـف الآلهـة بـ «إيـم شـا كي نـا إي i̯IM ša ki –na»[87]، وتوصـف القرابـين: في اليـوم الثامـن يتـم التضحيـة بخـروف في معبـد إلـه العاصفـة، وفي اليـوم التاسـع يصعـد إلـه العاصفـة الكنعـاني، ثـم يُضحَّـى بثـور وسـتة خـراف لمعبـده، وسـط ذلـك... معبـد دجـن سـيد... الـ «كاوانـور wa nu̯ka"... أخذ... إلى... الرجـال الذيـن يعطـون الهديـة المقدسـة... الجلـود، الأمعـاء، الدهـون... تعـود للعـراف... أمـا الـكلى فهـي لملـك البـلاد[88].

يتضمـن الطقـس الرئيـس التضحيـة بخـروف قبـل يـوم مـن بدئـه، يحـدد «معبـد إلـه العاصفـة» مكانـاً لجميـع الأحـداث، وهـو المعبـد الرئيـس الـذي يتـم فيـه حفـل تنصيـب الكاهنـة نـين دينجـير. وهنـاك تحضـيرات مشـابهة كانـت تجـري لاحتفـالات نـين كـور NIN، KUR حيـث نـرى الإلهـة نفسـها في الموكـب. وموكـب «إيـم شـا كي نـا إي» يُضحِّـي بثـور وسـتة خـراف. يقـوم الرجـال بتقديـم الهديـة المقدسـة، بينـما يقوم الـ «كاوانـو kawanu» بالخدمة، في حـين يقـوم العـراف باسـتلام الجلـود والأمعـاء والدهـون.

يلاحـظ تمييـز إلـه الطقـس في إيمـار ضمـن احتفـال اليـوم التاسـع من شـهر خالمـا، بذكـره مقترنـاً بمنطقـة كنعـان. ومـن المفـترض أن هـذا الأمـر غريـب بالنسـبة لموقـع فـراتي، حيـث مـن المفـترض أن تكـون هـذه المنطقـة تقـع غربـاً، وإضفـاء مجـال جديـد أوسـع للمصطلـح الجغـرافي «كنعـان» مسـألة مهمـة

87 Flieming، 1994، P. 127.

88 Flieming، 1994، P. 128.

جداً في النص، لأن عبادة إله الطقس كانت قد دخلت إيمار من الغرب، حيث كان له نفوذ عظيم (شمالي سورية والمناطق الساحلية). وهذا ليس امراً مفاجئاً، فبُعْدُ إيمار من المنطقة التي تدعى بلاد كنعان، لا يجعل الترابط مفاجئاً لنا، فقد قام ادريمي من قبل بالسفر إلى أقربائه في إيمار شرقاً، وذلك قبل أن يذهب جنوباً إلى أرض السوتيين، وغرباً إلى كنعان، وبلدة «أمييا Ammiya“، حيث بقي حتى عودته[89].

رابعاً ـ الاحتفالات الآرامية

لا يستنتج من النصوص الآرامية، العائدة للألف الأول قبل الميلاد، أي معلومات عن الاحتفالات والأعياد التي كانت تجري، ولا عن مواعيدها. لكن يمكننا أن نستنتج من نقش قره تبه، ما يشير لاحتفالات كانت تترافق بتقديم بعض الأضاحي لعدد من الآلهة التي جرى تسميتها في النص. وأشهر الاحتفالات على ما يبدو كانت ثلاثة:

ـ احتفالات سنوية ربما كانت مع نهاية العام وبداية العام الجديد، وتسمى باحتفال الأيام، وربما كانت تجري خلال الانقلاب الفصلي الشتوي، الذي يأذن ببدء العمل والتحضير لمواسم الزراعة، وكان يُذبحُ في هذه المناسبة ثورٌ قرباناً للآلهة.

ـ احتفال بموسم الحرث أو الفلاحة وأضحيته شاة.

ـ وهناك موسم الحصاد الذي كانت أضحيته شاة أيضاً. كل ذلك حتى يعطي الإله «بعل قرن الخصب»، ولتُعطي جميع آلهة المدينة لأزتود طول الأيام والسنين والولاية السعيدة والقوة الكبيرة تجاه كل الملوك، وليبارك «بعل قرن الخصب» حياة أزتودو ليعيش بسلام ويمده بقوة كبيرة أمام كل الملوك: “أنا هو أزتود بر كبعل، عبد بعل الذي رفعني أورك ملك الدنيين، جعلني بعل للدنيين أباً وأماً. أحييّتُ الدنيين وسَّعتُ

89 Flieming، 1994، P. 129-130.

أرضَ عمق أدنه من منبثق الشمس وحتى مغربها، وكان بأيامي كل سعد للدنيين وخير ونعيم.... وبنيت المدينة هذه، وجعلت لها اسم أ زت ودي، أقمت فيها بعل ك ر ن ت ر ي ش وجرى ذبح لكل المعابد: ذبح: الأيام، ثور، في موسم الحرث شاة، وفي موسم الحصاد، شاة فبارك بعل ك ر ن ت ر ي ش أ زت ودي (بركة) حياة وسلام وعز القدرة على كل ملك، إذا أعطى بعل ك ر ن ت ر ي ش وكل آلهة المدينة لأزتودي طول أيام وربوة سنوات وقمة نعم وعزّ قدرة على كل ملك. وشمس العالم وكل ذرية بني الآلهة (المملكة ذاتها) والملك ذاته و....، والذبح الذي قدمت لآلهة كل المعابد هذه. هذا ذبح الأيام، ثور، وفي موسم الحرث، شاة، وفي موسم الحصاد، *شاة...... الذي كان بأيامي خير ونعيم لشعب الدنيين. أقمت في الأقاصي هذه كل الآلهة هذه بعل ك ر ن ر ي ش وبعل شميم*. وبكثرة *يلد* وبكثرة *يقوى* وبكثرة *يخدم أزت* ود»[90].

يمكن أن نستقي أكثر من ملاحظة مهمة من خلال هذا النص (الذي يصنف أحياناً على أنه نص فينيقي)، وهي أن الآراميين كانوا مقتصدين جداً في احتفالاتهم قياساً باحتفالات كانت تجري في ممالك سورية سابقة، مثل: أوغاريت وإيمار، التي شهدت نوعاً من الترف والبذخ في القرابين الدينية المختلفة التي يجري تقديمها في عدد كبير من المناسبات الاحتفالية. والملاحظة الثانية المهمة؛ هي أن أعياد الآراميين كانت ذات طابع عملي أكثر، حيث توجهت نحو الإنتاج وبذر الأرض والحصاد. وإذا ما قارنّا ذلك مع الأمثال والحكم التي كان يطلقها الحكيم الآرامي أحيقار في أدبياته عن أهمية الزراعة والعمل، وحثه لابنه، ومن خلاله لكل أفراد المجتمع، على العمل والعطاء في الزراعة وفي كل شيء، (بني احصد أي حصاد، اعمل

90 البستاني، 1985، ص 120 ـ 124.

أي عمـل، عندئـذ سـوف تـأكل وتشـبع وتعطـي لأولادك)[91]، تجعلنـا نُـدركَ عملانيـة المجتمـع الآرامـي وجدّيتـه، ونتفهـم لمـاذا بقيـت عنـاصر حضارتهـم طويـلاً، ووصلـت إلى أبعـد الأطـراف، رغـم الضعـف السـياسي الـذي لازمهـم طيلـة تاريخهـم تقريبـاً. لكـن اقتصـار الآراميـين عـلى احتفـالات بعينهـا ذات طابـع انتاجـي، قـد لا يعنـي تخـلي هـؤلاء عـن آلهتهـم، واقتفائهـم أثـر الحيـاة الدنيـا، بـل يعنـي أن العمـل لديهـم هـو العبـادة، ومـن يعمـل ويتقـن عملـه جيـداً، وينتـج كثـيراً ينـل مرضـاة الآلهـة. ومـن المفيـد أن نذكـر أن الآراميـين إذا صحّـت الروايـات التـي تُصنّفهـم عـلى أنهـم كانـوا مجموعـات بدويـة متنقلـة، فقـد اسـتطاعوا أن يندمجـوا بسرعـة في المناطـق التـي اسـتقّروا فيهـا واقتبسـوا مـن مجتمعاتهـا الكثـير مـن العنـاصر الحضاريـة الماديـة والروحيـة، التـي عملـوا عـلى مزجهـا، مـع مـا جـاؤوا بـه مـن قيـم وأفـكار وعـادات وتقاليـد، لينسـجوا ثقافـة متعـددة المشـارب والأطيـاف، اسـتمرت أصداؤهـا تـتردد قرونـاً بعـد أفـول نفوذهـم السـياسي. إن هـذا الأمـر لَـمَا كان ليَتُـمَّ لـولا الجهـد والجـدّ الـذي بذلـوه، والـذي تقـف وراءه تعاليـم وأدبيـات تربويـة تحـض الصغـار قبـل الكبـار عـلى العمـل مهـما كان، وتـزدري كل مـن لاعمـل لـه.

91 Lipinski، 2000، P. 516.

الفصل الثاني: الأضاحي

يعرف القربان بأنه وسيط بين المضحي وإلهه، وهذا يحصر العلاقة القائمة بين المُضحّي والمُضحّى من أجله، والأُضحية بالذات، والمناسبة التي تذكر فيها الأضحية وفق طقس معين.

حتى يصل الإنسان إلى رضى الإله، كان لابد له من تقديم أضحية، وكانت تقدم للتكفير عن السيئات، وطلب الغفران، والشفاء للمرضى. واعتقدوا أن الشرَّ الناجم عن الغضب الإلهي ينزل في الأضحية المقدمة ليخرج مبتعداً عن مقدمها. أما أهم الأضاحي والقرابين، فقد كانت الثيران، والعجول، والكباش، والحملان، والماعز، والظباء الصغيرة، والطيور، والحبوب، والزيت، واللبن، والنبيذ.

لقد كان المضحي يشعر بأنه تطهر من الذنوب والمعاصي التي اقترفها عبر دم الأضحية ولحمها. أما إراقة الدم؛ فشديد الأهمية، لأنه يُوصل صاحب الأضحية للمُقدس، وعندها يتضاعف الثواب. إن الغاية من تقديم القرابين الغذائية يتطابق، إلى حد ما، مع الاعتقادات الصوفية.

لقد كانت الأضاحي والذبائح تُقدَّمُ في العبادات الاعتيادية، ولطلب المغفرة والعفو عن الذنوب، ولشكر الآلهة. أما الأضاحي التي لم تكن مناسبة وصالحة لتقدم كقرابين للآلهة، فقد كانت تُسْهمُ بشكل كبير في تأمين الحاجات الغذائية لأولئك الكهنة والعاملين في المعابد[92].

92 مازيل، 1998، ص 36.

اعتقـد البابليـون بوجـود علاقـة بـين الإلـه الـذي يُقـرِّب إليـه الحيـوان المضحـى والحيـوان نفسـه، إذ عندمـا يضحـى بالحيـوان ويقـدم إلى الإلـه، فإنـه يكـون جـزءاً مـن الإلـه، كـما يكـون جـزءاً مـن أجسـام النـاس الذيـن يأكلونـه، فتكـون روح الإلـه أو نَفَسُـهُ هـي روح الذبيحـة أو نَفَسُـها. أو أن روح الحيـوان تتمثـل بـروح الإلـه، وعـلى ذلـك فمـن الممكـن للبـشر أن يتطلعـوا إلى روح الإلـه، ومـن ثـم معرفـة إرادتـه بدراسـة روح الذبيحـة. واعتقـدوا أن روح الذبيحـة توجـد في كبدهـا، ومـن ثـم كان يمكـن أن تشـاهد في الكبـد نوايـا الإلـه الـذي تقبـل الحيـوان المضحـى كتقدمـة، وكان مـن الـضروري أن يكـون الحيـوان خاليـاً مـن العيـوب[93].

تمثـل الأضاحـي جـزءاً أساسـياً مـن طقـوس العبـادة، وكانـت أضاحـي الحيوانـات تقـدم عـلى أنهـا مطهـرة، وتذبـح عـلى المذبـح - وهـو طاولـة حجريـة، أو في فنـاء المعابـد، أو عنـد المدخـل، ولكـن أضـاحٍ أخـرى كان يتـم تقديمهـا عـلى سـطح (تـراس) الـبرج[94]. وكانـت أفضـل قطـع الأضحيـة القلـب والكبـد، وتقـدم الأضاحـي بصـورة دوريـة في المناسـبات والأعيـاد خاصـة. وعـلى كل فـرد أن يقـدم أضحيـة إرضـاء للآلهـة، وتقـدم الأضاحـي قبـل بـدء الحـرب لشـد الإلـه إلى جانـب المحاربـين[95].

كان يجـب عـلى جميـع التقدمـات مـن هدايـا ونـذور أن تكـون طاهـرة. وقـد تشـكلت الأضاحـي في أغلـب الأحيـان، مـن لحـم البقـر أو الغنـم المحـضر بأكـثر مـن طريقـة، وفي أحيـان نـادرة، تشـكلت مـن لحـم الطيـور أو الحيوانات البريـة. ومـن التقدمـات البـارزة كان هنـاك الحبـوب والمـواد الغذائيـة الأخـرى مثـل العسـل والسمسـم والفواكـه، فضـلاً عـن السـوائل المختلفـة كالنبيـذ

93 سليم، 1992، ص 234.

94 Pardee، 2002، P. 228.

95 عبد الله، ومرعي، 2008، ص 155.

والبيرة والحليب والماء التي كان تراق أمام تماثيل الآلهة. وتوضح قوائم الأضاحي والتقدمات الكثير من المعلومات عن الآلهة التي أهديت لها، وكمية التقدمات لكل منها. لقد كانت الأضاحي تقدم بصورة يومية، وبشكل إضافي خلال الأعياد. وتتحدث النصوص عن طاولات ومذابح متنقلة، لأن الشعائر الدينية كانت تؤدى في أماكن مختلفة وخارج المعابد[96].

إلا أن أهم تقدمة يقدمها المتعبدون للإله هي الطعام والشراب والزيت.. حيث كان الآلهة يتمتعون بوجبات طعام منتظمة اثنتين أو في بعض الأماكن أربع وجبات يومياً وكانت الوجبات الدسمة والخفيفة توضع أمام الآلهة صباحاً ومساءً، وذلك على موائد أمام تماثيل الآلهة[97].

ترافقت مراسم تقديم الأضاحي مع التبخير الذي من شأنه إحضار الآلهة، وكانت مواد التبخير تتألف من عيدان طيبة الرائحة كالعرعر، ومن أنواع مختلفة من الطحين يجري رشُّهُ[98]

وعندما يستطيع شخص عادي أن يُحْضِرَ الأضاحي والهدايا إلى المعبد، فقد كان الملك هو الذي يُعَدُّ مضحياً أيضاً، بصفته أعلى هيئة في الوحدة السياسية، لذلك كانت بعض الهدايا تؤخذ من أملاكه ومن أملاك المعبد. وكان من الممكن أن يُكتبَ اسم المتبرع على الهدايا الثمينة، وكان

96 ريم، 2009، ص 82.

97 ساغز، عظمة بابل، 2008، ص370.

98 كان حرق البخور من المظاهر الشائعة في طقوس المعابد، وكذلك إشعال الأخشاب ذات الرائحة الزكية، التي كانت إما طقساً من طقوس الطهارة، أو خدمة للإله، نظراً لأن الآلهة كانت تبتهج من الروائح الزكية، وكانت رائحة البخور هي رائحة المعبودات، وكان طقس البخور يدخل في كافة الممارسات والشعائر التي تجري داخل المعبد وفي المقابر، وتوجب على الملك أو الكاهن أن يتطهر بالبخور قبل القيام بأي من الطقوس أو شعائر التقدمة. ويذكر هيرودت أن حوالي (2 طن ونصف) من البخور كانت تحرق سنوياً في معبد بعل في بابل، وكان يتم حرق البخور بواسطة إناء خاص مصنوع من الفخار. انظر: ساغز، عظمة بابل، 2008، ص 373، وانظر: نور الدين، (الجزء الثاني) 2009، ص106.

كهنة المعبد يؤدون، بصفتهم وسطاء بين الآلهة والبشر، جميع الطقوس والشعائر الدينية.

نعرف من إيمار أن الأضاحي والهدايا كانت كبيرة جداً، كما هو الحال في عيد كبير يقام مرة واحدة كل سبع سنوات. في هذا العيد قدم الملك أضحيات لعدد كبير من الآلهة، وعلى رأسهم إله المدينة دجن. وكما ذكرنا آنفاً؛ فقد بلغ عدد الأضاحي الحيوانية خلال احتفال استمر سبعة أيام: 700 خروفاً، و50 بقرة، و25 عجلاً، إلى جانب الحبوب وكثيرٍ من الهدايا للآلهة، وتماثيلها، كالزيت اللازم للدهن (نصف لتر من أفضل الزيوت، وخمس شقلات، نحو 41.5 غرام، من زيت الأرز من أجل حمام إله الطقس أدد/حدد في قرية أبان)، كما كان هناك هدايا سخية أخرى تهدف لإثراء المعبد وتجهيزاته، وبثُّ الراحة والرضا في الآلهة[99].

أولاً ـ الأضاحي والقرابين في أوغاريت

كانت أضاحي الذبح أكثر الأعمال جوهرية ضمن الشعائر الأوغاريتية، وتوجد العديد من النصوص التي تُحدثنا عن قرابين ذات طبيعة غير دموية، ومنها الهدايا والنذور التي تقدم للآلهة التي تصبح من ممتلكاتها الدائمة. كما لم تكن الأضحية مطلوبة بكاملها دائماً، لإتمام الطقوس، حيث تُحدد بعض النصوص الأحداث والحالات التي يمكن أن تُقدّمَ فيها الأضحية، جزئية أو غير كاملة، وأوضح مثال على ذلك أصناف من طقوس «الدخول»، و«طقوس التأمل» والمواكب الطقسية.

وتم وصف بعض الممارسات باعتبارها أعمالاً مساعدة أو ملحقة بشعائر التضحية، على سبيل المثال: ترتيل بعض الصلوات، والأغاني، وبعض الأعمال العامة، التي لم تكن تترافق مع تقديم الأضاحي ولم

99 ريم، 2009، ص 83.

تكـن جـزءاً منهـا. وأفضـل مثـال عنهـا ممارسـات مجمـع المـرزح «مارزيخـو marzihu»، فهـي شـعائر قـد تمـارس في الطبيعـة، ولا تقتـصر مزاولتهـا عـلى احتفـالات دينيـة محـددة، كـما أن قرابـين الإراقـة في المرزح/مارزيخـو، وهـي غـير مؤكـدة بشـكل واضـح، لا تحـوِّل هـذا الاجتـماع لعمـل شـعائري بمعنـاه الضيـق، فقـد لا يكـون منعقـداً لأكـثر مـن الابتهـال والتـضرع للآلهـة. باختصـار فقـد كان هنـاك عـلى مـا يبـدو شيءٌ يشـبه المـسرح الشـعائري، ومـن غـير المعـروف فيـما إذا كان لـه أكـثر مـن نمـوذج[100].

في قائمـة أوغاريتيـة للأضاحـي والتقدمـات الدينيـة تـم تكريسـها إرضـاءً لــ 178 معبـوداً، تتضمـن مـا مجموعـه (2509) قربانـاً مـن مختلـف الأنـواع، نـال الحصـة الأكـبر منهـا وهـي 87% عـدد قليـل فقـط مـن كبـار الآلهـة، أي مـا مجموعـه 2192. فيـما توزعـت النسـبة الباقيـة منهـا عـلى مـا تبقـى مـن آلهـة أقـل أهميـة. وقـد شـكّلت الأضاحـي الحيوانيـة مـا نسـبته 54% مـن مجمـوع الأضاحـي، وتـم تقديمهـا كحيوانـات كاملـة مذبوحـة، أو كأجـزاء مـن الحيوانات مثـل: الكليـة، الكبـد، الـرأس، بيـوض الحيـوان وأحاليلـه والخطـوم (مقدمـة الـرأس مـع الفكـين والأنـف)، وتنتمـي كلهـا لحيوانـات لبونـة كالماعـز والغنـم. ومـن المؤكـد أنـه كان مـن بـين التقدمـات نسـبة جيـدة مـن الطيـور النـص (RS 1.019)، ولكـن مـا هـو غـير مؤكـد، مـا إذا كانـت تقـدم لوحدهـا أم أنهـا ترافقـت مـع تقدمـات أخـرى[101]. كـما كان هنـاك مـا نسـبته 1% مـن الحمـير. أمـا الأصنـاف الأخـرى مـن القرابـين فقـد شـكَّلت الألبسـة والمنسـوجات مـا نسـبته 19%، والمنتجـات النباتيـة 6%، والمنتجـات المعدنيـة 2%، وهنـاك أقـل مـن 1% مـن مـواد أخـرى متنوعـة، إضافـة للكثـير مـن المـواد التـي لم تكـن واضحـة في النـص.

100 Pardee، 2002، P. 227،232.

101 Pardee، 2002، P.117، 223،225.

رغم انخفاض نسبة المعادن الثمينة؛ فهذا لا يقلل من أهميتها، خاصة إذا ما قارنا قيمتها بقيمة القرابين الأخرى. فقد قُدِّرَت نسبة المعادن بحوالي 4% من قيمة الحيوانات (أي ما يقارب 200 شيقل من الفضة من مجموع يزيد عن 5000 شيقل). ومع هذا تبقى كميات الذهب والفضة التي قدَّمَها الأوغاريتيون لآلهتهم عادية، إذا ما صدقت النصوص[102].

شكّلتْ المواد الغذائية النسبة الأكبر بين القرابين حسب ما تفيدنا به ملحمة أقهات، وقد أدّى تزايد عدد الأضاحي المقدمة لتراكم احتياطي كبير من المواد الغذائية في المعبد والتي تم على الأرجح توزيعها على الفقراء.. فلكل فرد من أفراد المجتمع الحق في الحصول على نصيب من الاحتياطات الموجودة في معبد بعل[103]، وعندما كانت تقام مثل هذه الولائم في المعابد وعلى نفقتها، كان يحق لكل فرد يتمتع بحقوق المواطنة كاملة أن يشارك فيها. لكن النص يشير إلى أن الأفراد الضعفاء اجتماعياً، بما فيهم الشيوخ الذين لا يساندهم أبناء أقوياء، كان يمكن حرمانهم من المشاركة وسلبهم نصيبهم منها[104].

وُجِدَ نقشان على منحوتة حجرية موضوعهما احتفال بذكرى مناسبتين معروفتين ضمن سياق الشعائر الأمورية القديمة، وقد ورد فيهما عبارة بجرو pagru وهي تعني جسم الأضحية، (كانت قد وجدت في نصوص ماري بصيغة «pagra um» وتعني بالأكادية: أضحية، وجثة لحيوان أو انسان، في حين تعني في البابلية الحديثة ثياب وحلي)[105]. ويظهر دجن ماري هو الإله الأكثر ارتباطاً بهذه الأضاحي. وكان لهذا المصطلح (بجرو) نفس المعنى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولا يوجد شك أن نفس الطقوس ظلت مستمرة.

102 Pardee، 2002، P. 223،225.

103 شيفمان، 1988b، ص 29.

104 شيفمان، 1988b، ص 90.

105 Biggs، 2005، P. 11،12.

ويـرد ذكـر أحـد الطقـوس التـي أُقيمـتْ مـن أجـل أعضـاء راحلـين مـن العائلـة المالكـة، شـارك بـه كل أفـراد العائلـة الملكيـة. وتـرد عبـارة دبـح DBH التـي ترتبـط بذبـح الأضاحـي، وتظهـر وجـود طقـس وتقدمـات لهـا علاقـة بشـعائر المـوت، وربمـا ارتبـط فعـل «دبـح DBH» في نصـوص التضحيـة الشـعائرية بتلـك النصـوص التـي تصـف أعـمال تضحيـة فرديـة، أكـثر مـن تلـك المشـتركة أو الجماعيـة[106].

وتحتـوي نصـوص أوغاريـت عـلى تعليـمات تتعلـق بالذبائـح التـي يجـب تقديمهـا، ومنهـا: الأغنـام أو الثـيران وغيرهـا، لكـن حتـى الآن لم يعـرف لمـاذا كان يجـري اختيـار أنـواع معينـة مـن الذبائـح دون غيرهـا[107]، حسـب كل مناسـبة[108].

لا يوجـد دليـل دقيـق عـلى كيفيـة التعامـل مـع جسـم الأضحيـة، أو مـا يعـرف بـ»بجـرو "pagru، في أوغاريـت، سـوى أنـه كان يتـم تقطيـع جسـم الحيـوان المذبـوح، ويـوزع لحمـه للآلهـة وللمشـاركين في الاحتفـال، أمـا التخلـص مـن بقايـا الأضحيـة فيتـم بطريقـة غـير معروفـة. وتصـف النصـوص دجـن كسـيد التقدمـة، ويُوصـفُ الثـورُ المقـدم للوليمـة (الأضحيـة) عـلى أنـه آتٍ للتـو مـن الحراثـة. وفي نـص آخـر يوصـف عـلى أنـه آت مـن بـين القطيـع (ماشـية تخصيـب àlpm mrum)، وتذكـر النصـوص أضحيـة جنائزيـة قدمهـا أوزينـو إلى دجـن سـيده، وهـي عبـارة عـن ثـور (النـص RS 6.28)، استُخدمَ كبجـرو في وليمـة أحـد الطقـوس، ومـن المعتقـد أن يكـون أوزينـو هـو الحاكـم (سـاكينو sakinu) بالأكاديـة[109].

106 Pardee، 2002، P. 230.

107 كان اختيـار الأضحيـة يتـم وفـق معايـير صارمـة، منهـا: عمرهـا، لونهـا أو عذريتهـا، وفيـما إذا كانـت تتغـذى بالحشـائش أم بالذرة...الـخ. انظـر: سـاغز، عظمـة بابـل، 2008.

108 شيفمان،1988b، ص 89.

109 Pardee، 2002، P. 123، 124.

ذكرت النصوص تقدمات جنائزية لتاريبلي Tarriyelli (النص RS 6.21) حيث أقامت تاريبلي نصباً لدجن «النصب المقدس»، ترافق مع تقديم أضحية جنائزية، وثور من أجل الطعام، ومن المعتقد أن تاريبلي هي الملكة الأم التي جاء ذكرها في النص (32 ،RS 34.124). لقد كان المكان الذي تُقدَّمُ فيه الأضاحي، حسب مقاطع في أسطورة قيرت، هو برج المعبد الذي يصعد إليه البطل ليقدم الأضحية[110].

إن استخدام بعض المعطيات النصية يُمكِّنُنا من توضيح البيئة المعمارية التي كانت تجري فيها هذه الطقوس، ويبدو جلياً أن المعبدين البرجيين الكبيرين في أكروبول أوغاريت، هما فقط المؤهلان لمسرح الأحداث التي تضمنتها النصوص، وخاصة ما جاء في النص (KTU. 41،1). ويستطيع المعبدان استيعاب كل متطلبات الطقوس الموصوفة ومن ضمنها تقديم الأضاحي، رغم أنه لم يكن من اليسير تنفيذ طقوس الأضاحي فيها، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالحيوانات الضخمة (كالجواميس والثيران والأبقار)[111]. فمن الصعب المجيء بعشرات الأبقار إلى معبد بعل، لكن من المعتقد أنها كانت تعبر ممراً ضيقاً من الجانب الشمالي الشرقي للبناء، ثم تلتقي أمام الرواق قبالة مذبح الأضاحي، رغم ضيق المساحة[112].

إن ارتفاع المعبد البرجي (بعل) يظهر بجلاء احتمال ممارسة العبادة في قمته، إن ما كشفته أعمال التنقيب إضافة للدرج الداخلي المشيد في الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم، يدفع للتفكير بوجود ترّاسٍ شعائري على قمة المعبد، وتتوقع مارغريت يون أن ارتفاع المعبد البرجي تراوح بين 18 ـ 20 متر. ويتم الصعود إلى التراس الواقع في الزاوية الجنوبية -

110 Tarragon، 1993، PP. 203-211.

111 Yon، 1994، P. 407.

112 Tarragon، 1993، PP. 203-211.

الشرقية عبر درج يصعد عكس عقارب الساعة. ولا يمكن أن يكون مطلع الدرج المؤدي لسقف التراس مبني بشكل بسيط لأنه لن يمنع نفوذ الماء شتاءً، ولهذا فمن المعتقد وجود بناء صغير على التراس كان يغطي فتحة الدرج. (الشكل 95).

لقد كان التراس/السطح هو المكان الذي تجري فيه نهاية أحد الطقوس، النص (KTU. 41،1)، وهو طقس ملكي، يقدم الملك فيه الأضاحي «لبرغالي» (ربما كان إلهاً حورياً) على التراس. لكن المساحة المحيطة بمعبد بعل والمقدرة بـ 500 م2 يمكن أن تكون المكان الذي كان يستقبل عشرات الأضاحي، التي يجري رميها على الأرض، ونحرها، وتقطيعها، وتنظيفها، وتقسيم الحصص فيها، (للرب وللكهنة ولأشخاص آخرين ورمي غير الملائم منها... الخ)[113]. (الشكل96).

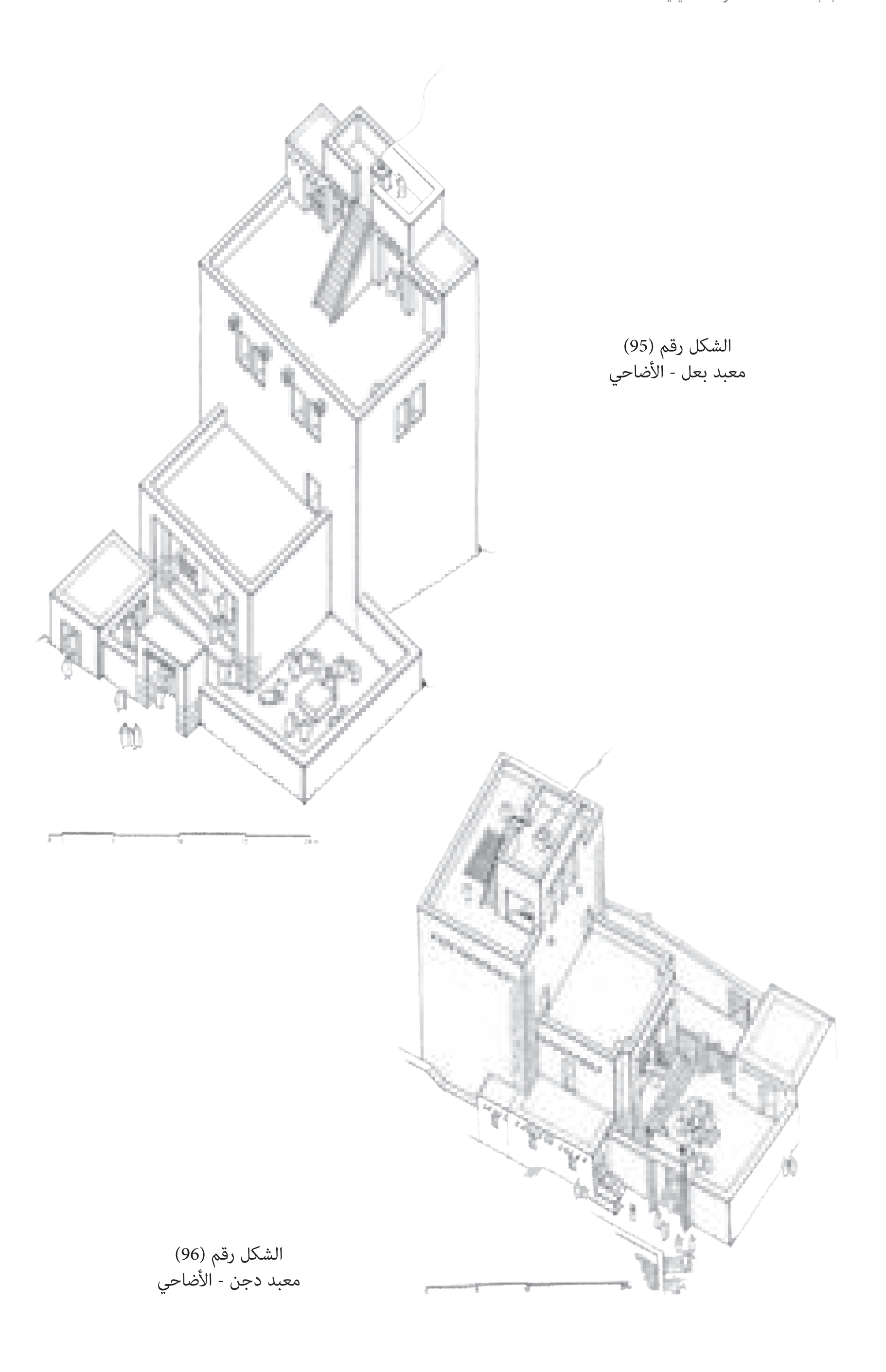
ويُشار هنا إلى أنه نادراً ما تلقَّت آلهة العالم السفلي القرابين في طقوس أوغاريت، رغم بعض الحالات لـ «رشف/رشبو» وهو «نيرجال» الرافدي، وكذلك لـ «إليم، أرص» إلهة الأرض، المعروفة بإلهة الموتى، التي تلقت أضحية في إحدى المرات[114].

هناك أكثر من عشرين تعبيراً مختلفاً يظهر في النصوص ويرتبط بتأدية الشعائر، وتصف الممارسات التي كانت تجري، ومنها ما يُعرفُ بـ «شانوباتو šanupatu» التي تُعبِّرُ عن عرض التقدمة. و"تاعو ta'u"، التي صعب تحديد الوظيفة التي تشير لها، رغم أن هناك من يعتقد أنها تشير لأضاح استثنائية.

أمَّا تعبير «دبح DBH»، فهو اشتقاق يدل على قتل (ذبح) الأضاحي، قبل أن يرتبط فقط بصنف معين من الأضاحي. أما "شالاموما šalamûma"

113 Yon، 1994، P. 204.

114 Moor، 1990، P. 243.



الشكل رقم (95)
معبد بعل - الأضاحي

الشكل رقم (96)
معبد دجن - الأضاحي

و"شوربو šurpu"، فكانتا أكثر العبارات تكراراً، وقد وردتا في ما يقارب ثلاثة أرباع القرابين، ولم يُعرف على ماذا تشيران.

وتظهر محتويات النصوص أن «تقدمة السلام» تقتضي كمية أكثر بخمس مرات تقريباً من الحيوانات التي تتم بطريقة الحرق، (حيث كان الهدف من تقديمها حرقاً؛ أن تصعد للآلهة على شكل دخان)، مع الإشارة إلى أن كلا النموذجين قد قُدِّما لنفس العدد من الآلهة. ولوحظ أن الأضاحي من الحيوانات المؤنثة، كانت تقدم بشكل أقل من الحيوانات المذكرة، وكان تقديمها آنذاك شائعاً بطريقة الحرق، أكثر من طريقة تقدمات السلام، مما قد يشير بالمحصلة إلى أن الحيوانات المؤنثة كانت أكثر قيمة من الذكرية، وذلك لأهميتها في التكاثر، ولهذا كانت في الغالب أقل تقديماً.

في حين جاء ذكر القرابين السائلة، مثل الزيت والخمر، بشكل معتدل، وقد ذكر الزيت بشكل واضح في تقدمات الإراقة، النص (RS 24.266،25)[115].

كما عُثر على الكثير من الأواني الفخارية في المعابد، ومنها الريتونات. والريتونات عبارة عن أوان فخارية، قمعية الشكل، كانت وظيفتها أن تملأ بالنذور النباتية والسائلة، مثل الزيت وغيره[116]. (الشكل97).

كان للحوريين نشاط حافل في الحياة الدينية الأوغاريتية، وهذا ما يتجلى في بنائهم لمعبد يخصُّهم في المدينة،

الشكل رقم (97)
ريتون على شكل راس خنزير - أوغاريت -

115 Pardee، 2002، P. 226.
116 Yon، 1994، P. 407.

وكذلك بوجود عدد من النصوص التي تتحدث عن الشعائر والممارسات التي قام بها هؤلاء، والمليئة بأسمائهم وكذا أسماء آلهتهم. فنرى كلمة (أطخم áthm) في النص (RS 24.254)، التي تعني أضحية باللغة الحورية. كما ترد أسماء الآلهة المستلمة لهذه التقدمات، وأغلب هذه الأسماء ينتمي إلى اللغة الحورية، رغم حضور إيل بينها: «أضحية من أجل الإله تالاني Talanni"، لأجل "إيني أتاني Ene' Attanni "، (الإله الأب)، و"لإيل Ilu"، ولـ "تيتوب Tettub"، لـ "كودوج Kudug"..."الخ. كما نصادف طقساً تُقدَّمُ فيه الأضاحي لمدة ثلاثة أيام متتالية، يعقبه طقس خطوبة أحد الآلهة، النص (RS 24.255)[117]، وربما يكون لهذا الطقس علاقة بالزواج المقدس. كما عرف المجتمع الأوغاريتي عدداً آخر من الطقوس الخاصة التي كانت تؤثر في قوى الكون، ومنها في المقام الأول إنشاد الأساطير، أو قراءتها، والأفعال المقدسة، مثل زواج إيل المقدس وزوجتيه عشيرات والعذراء، وقد مثل هذا وذاك أحداثاً معينة، فأثناء تمثيل الأسطورة أو تأدية المأساة كان كل حدث من الأحداث المعنية يتجدد، وبهذا يكون قد تحقق تكرار الظواهر الطبيعية واستقرار الكون[118].

ونشير لوجود اعتقاد لدى بعض الباحثين بأن الأوغاريتيين قدموا ذبائح بشرية، والابن البكر بالذات، ويُدلّلون على ذلك في دفن الأطفال في أوعية خاصة تحت الجدران: ذبائح (قرابين) بناء، ويصورها بعضهم بطولة، وليست ظاهرة بربرية خالصة لا تتصف بالرحمة أو الشفقة، لأن تقديمها بطولة قام بها الشخص من أجل الخير العام، مانحاً كل قواه ومضحيّاً بأعزّ ما يملك[119]. لكن الدفن تحت جدران الأبنية، لا يعد مؤشراً كافياً على وجود هذا الطقس البغيض على الإطلاق، لأن عادة

117 Pardee، 2002، P. 91.

118 شيفمان، 1988b، ص 90.

119 شيفمان، 1988b، ص 87.

الدفن تحت الجدران أوتحت الأرضيات، أقدم بكثير من أوغاريت، لا بل أن هذا النوع من الدفن قد يكون أقوى الأدلة على عدم وجود طقوس التضحية بالأولاد، وقد يكون دليلاً على تعلّقهم بأولادهم وأسلافهم وتبجيلهم لهم، عن طريق تقريبهم من سكنهم ومكان إقامتهم تعبيراً للوفاء لذكراهم ومحاولة لاستحضار أرواحهم والتقرب منها والقيام بما يجب تجاهها كي لا يطويها النسيان.

1 ـ الخمور على الموائد الإلهية

يُعدُّ قربان النبيذ من أهم أصناف القرابين التي تقدم للأرباب، وكذلك في مناظر التقدمة في المعابد الجنائزية والمقابر، وكان يتم تقدمته بأشكال مختلفة من الأواني[120]. وفي أوغاريت كثيرة هي الوثائق التي تشير إلى النبيذ، ومكان تواجده، وتخزينه، وأنواعه، وعملية إنفاقه، وتوزيعه، وأسماء الأشخاص ذوي العلاقة، ومنهم العمال أيضاً. كما توجد جداول تبين ما تقدمه المعاصر من نبيذ وأسماء المعاصر، وكميات الأنواع الجيدة من النبيذ، وكميات الرديئة منه[121].

وهناك نص غني بمعلوماته لأنه يزودنا بخلفية إدارية لظاهرة استهلاك الخمور، وهو يتعامل حصرياً مع موضوع التزود بمؤن الخمر في سلسلة من البلدات التابعة لمملكة أوغاريت، ويذكر أكثر من نوع للخمر. ولأن ذكر الخمر، كقربان للآلهة، أمر نادر نسبياً في النصوص الشعائرية، فربما كان الهدف من هذا الخمر هو إقامة الوليمة، ومصاحبة شعائر الأضاحي. ويزودنا النص (RS 19.015) بقائمة عن أسماء الآلهة، والأماكن، والأشخاص، والكثير من الأضاحي، والمناسبات التي تُقدم خلالها، ضمن مناسك شعائرية ملكية ترافقت مع الـ «دبح DBH»:

120 نور الدين، (الجزء الثاني)2009، ص125.

121 شيفمان، 1988a، ص 202، 203.

"الخمر الذي سيستهلك تحت مراقبة... خلال شعائر الأضاحي الملكية. أضاحي سابونو، أضاحي (تزغ tzg)، *الأضاحي لإيل إيبي، الأضاحي لإلهة الأرض، الأضاحي لبيداري في القصر الملكي.... الأضاحي للوقت الذي تدخل فيه (عناة - شدي) القصر الملكي. الأضاحي للوقت الذي يدخل فيه* (رشبوما Rašapuma) القصر الملكي. الأضاحي من (خلو دج HL'U DG)، *الأضاحي للأقمار الجديدة، الأضاحي لبعل، الأضاحي لتجلي (بعلاتو - بختيما* Bahatima ـBa'latu)، الأضاحي في حفرة *أضاحي (رشب صباعي* Rašab Saba'i). لابنوما: عشرة (كد kd) (قيمة معيارية تدل على حاوية أو وعاء من الخمر) مكاييل من الخمر. خلبو جانجاناتي: ثلاثة مكاييل من الخمر، بصيرو: عشرة مكاييل من الخمر، نايعو: أربعة مكاييل من الخمر، شوقالو: ثلاثة مكاييل من الخمر. شمنايا: مكيالان من الخمر. شمينيايا مكيال واحد من الخمر. هيزبو تسعة مكاييل من الخمر. بيعرو: عشرة مكاييل من خمر (مصب msb)، (... رقم) من خمر (خسب hsp) (مصب وخسب عبارتان غير محددتا المعنى لكنهما قد تشيران إلى نوع من الخمر الخفيف والثقيل، أو ربما مشتقان من نوع الكرمة)... المجموع من خمر مصب سبعين مكيالاً، إضافة لمكيالين من خمر خسب"[122].

لقد ساهمت الآلهة باستهلاك هذه الكميات الكبيرة من الخمر، حيث صودف إيل وهو في حالة من الثمالة يرثى لها[123]، وكان على ابنه الوفي حمله إلى البيت (وهذا أيضاً من واجبات الابن الواردة في ملحمة أقهات)[124]. وقد كان للشراب والنبيذ بوجه خاص أهمية كبيرة في مصر

122 Pardee، 2002، P. 215.

123 شيفمان، 1988a، ص 50.

124 كوبر، 2007، ص 66.

القديمـة، إذ اعتـاد المصريـون احتسـاء النبيـذ، وغـيره مـن المشروبـات المسـكرة (كالجعـة)، وذلـك لمكانتـه في الولائـم والأعيـاد الكبـيرة، إذ أن حالـة السـكر والثمالـة اعتـبرت مـن المتـع التـي تدخـل الـسرور، وتسـاعد عـلى الاتصـال بـين البـشر والأربـاب. كـما أنهـا تزيـل الحواجـز بـين الأحيـاء والأمـوات، فيتـلاشى الحـد الفاصـل بينهـما. واسـتخدمت أصنـاف الـشراب والنبيـذ في طقـوس العبـادة الخاصـة بتهدئـة وإرضـاء المعبـودات وتلطيـف حـدة الغضـب عندهـا، وإدخـال البهجـة والـسرور إلى قلبهـا. وقـد وصفـت الربـة حتحـور بأنهـا سـيدة الثمالـة وارتبطـت بعـض الربـات بالسـكر والثمالـة مثـل: مـوت وسـخمت وتفنـوت وباسـتت وتنمـي والمعبـودة منكـت ربـة الجعـة[125]. واعتـبر النبيـذ الـشراب الأسـاسي للملـك بعـد صعـوده إلى السـماء، ووصـف بأنه غـذاء وشراب إلهـي، وشراب للمـوتى في العـالم الآخـر، إذ يمنـح المتـوفى القـدرة عـلى البعـث والخلـود[126].

2 ـ أضاحي الزيت

يعـد الزيـت مـن المـواد التـي تذكرهـا الكثـير مـن الوثائـق الأوغاريتيـة، ونحـن نعـرف أنـه اسـتخدم قبـل ذلـك في الكثـير مـن المواقـع القديمـة، ومنهـا مـاري. حيـث كانـت هنـاك حاجـة ماسـة للزيـت (خاصـة زيـت الزيتـون)، الـذي جـرى اسـتخدامه لمسـح ودهـن أصنـام الآلهـة بالزيـت[127]، في احتفـال

125 نعـرف أن مـوت في أوغاريـت يمثـل إلهـاً مذكـراً، لكـن مـوت في مـصر إلهـة مؤنثـة. يعنـي اسـمها «الأم»، وقـد اتخـذت شـكل أنثـى النسر؛ أو امـرأة عـلى رأسـها التـاج المـزدوج. والإلهـة سـخمت؛ ويعنـي اسـمها العظيمـة سـيدة الأرضـين، وكانـت زوجـة الإلـه بتـاح، وهـي إلهـة البطـش في مـصر القديمـة، تظهـر عـلى شـكل لبـوة الأسـد، يعلـو رأسـها قـرص الشـمس وثعبـان الكوبـرا، في حـين كانـت تفنـوت مـع أخيهـا وزوجهـا شـو أولى المخلوقـات التـي خلقهـا أتـوم مـن ذاتـه وحيـداً، وهـما يمثـلان عينـا حـوروس، واتخـذت مـع شـو شـكل الأسـد. أمـا باسـتت فيعنـي اسـمها ربـة السـماء؛ سـيدة كل الأراضي، وإلهـة المـرح. وكان رأس القطـة رمـزاً لهـا، وتنمـو أو تينيمـي هـو أحـد أسـماء البـيرة.

126 نور الدين، (الجزء الثاني) 2009، ص 130.

127 يعـد قربـان الزيـوت المقدسـة مـن أهـم قرابـين التزيـين، وهـي تسـاعد عـلى تجديـد حيويـة الجسـد والطهـارة، انظـر: نـور الديـن، (الجـزء الثـاني) 2009، ص 117.

شعائري لعشتار في ماري أنشد خلاله المغنون الشعائريون أغاني سومرية، وقُدِّمت خلال الحفل أُضحية لأرواح الموتى[128]. كما كان الدهن بالزيت أمراً ضرورياً في العبادة والتطهر، وفي تتويج الملوك. وهذا ما تثبته عدة نصوص ومنها نص رسالة من العمارنة أرسلها «أدو نِراري» ملك نُخشي إلى أمنحوتب الرابع ملك مصر، ويؤكد له فيها أن جده «منخ بيِا» (تحوتمس الثالث) كان قد عين جده تاكو ملكاً على بلاد نوخشي، وأنه رفض التحالف مع الملك الحثي، وما يزال وفياً لمصر. ثم يدعوه للقدوم مع قواته، لإعادة السيادة المصرية في شمالي سورية النص (EA. 51):

"انظر عندما جعل (منخ بيا) ملك بلاد مصر، جدك، تاكو جدي ملكاً في بلاد نوخشيNuhašše[129]، *وضع الزيت على رأسه وقال ما يأتي: (هذا هو) الذي جعله ملك بلاد مصر ملكاً، ووضع له (الزيت على رأسه).. الخ*[130]". (الشكل 98).

سُطِّرَتْ على أحد النصوص ملاحظة إدارية تبدو وكأنها ضريبة مفروضة، تفيد بوجوب دفع كمية من الزيت في سبيل الطقس الذي سيُقام لبعل - خلبي (حلب)، وقد توجب على خمسة أشخاص تأدية هذه الكمية من الزيت، النص (RS 24.292):

"(عرك 'RK)، زيت ضرائب لبعل حلب الذي دفع زيتاً، كما كان ينبغي من قبل: موناخيمو، أوبايانو، بدونو، بدونو ابن (تخ TH) عموبانو، عموبانو ابن..."[131].

128 فولكيرت 1985، ص 345.

129 وخشي، مملكة نشأت منذ أواسط القرن الخامس عشر ق.م في منطقة السهول بين حلب وحماة، لازالت عاصمتها مجهولة، وقد وقعت في منطقة الصراع المصري الحثي، وربما كانت هي نفسها مملكة لعش الآرامية التي جاء ذكرها في أكثر من نص آرامي.

130 إسماعيل، 2010، ص 238.

131 Pardee، 2002، P. 217.



الشكل رقم (98)
جرار للزيت - أوغاريت -

3 ـ أضاحي ريفية

يشير أكثر من نص لأضاحٍ جرى تقديمها خارج مدينة أوغاريت، ففي النص (RS 13.006)، نرى أن الأضاحي كانت مكرسة للإله رشب، ويرد فيه اسم «صيتقانو Sitqanu»، ويُعبِّرُ عن الأضحية بكلمة «دبح DBH»، ويُظهرُ الحيوانات المضحى بها، وهي الغنم والماعز. وجاءت الماعز بصيغة «جدي gdy» وهو صغير الماعز الذكر، وورود هذه الكلمة غريب ونادراً ما تذكر في النصوص الأوغاريتية:

"جيتو - NTT *كبشه، وحسانو أعطى هذا. الذي هو خادم عولمي* ‘Ulmi. خاسانو أعلن التذمر. صيتقانو أخذ الجدي الصغير إلى -Gittu Banu-Nabaki *ونبات المر* myrrh في جيتو - NTT. حسانو أعطى هذه إلى N-RG. ماذا أخذ صيتقانو إلى بيت قبص qbs *وإلى (جيتو إيليستامي* Gitu ’Ilistami) هو صيتقانو، ضحى لرشب"[132].

132 Pardee، 2002، P. 119-120.

وهنـاك شـعيرة تضحيـة تذكـر الإلهـة «تاوتـكا tautka»، وهـي الموازيـة الحوريـة "لعشـتارت"، وتظهـر وهـي تسـتلم جـزءاً مهـماً مـن التقدمـات، النــص (RS 24.261):

"*أضحيـة عتاراتـو (عشـتارت) تجمـع في الجـرن، أضحيـة لتاوتـكا* ta'uaka، *في الـ (عجنـد* AGHD') *في الـ (تدنـد* TDND)، في الـ (عنمـي NMI')، في الـ (عنهيـز INHZZ')، مـن أجل (كـوزوغ Kuzug)، من أجل إلـه (حمن HMN)، لـ (نيناتـا Ninatta)، لـ (نوباديـغ Nubadig) في المعبـد، أضحيـة للآلهـة (تـالاني Talanni)، مـن أجـل (عينـا عتانـا Enna' Attanna') (أبـو الآلهـة)، *لإيـل، لـتيتوب، لتاوتكا، لـ (كومـاربي* Kumarbi)، لـ (Kuzug)، لـ (عيا Eya')، لـ (عاتـابي Attabi')، مـن أجـل إلـه HMN لـ (*نوباديـج* Nubadig)، لـ (عنـاة Anatu') لـ (تيميغـي Timegi)، لـ (*بيـدادافي* ......، Pidadaphi) M... لأجـل تاوتـكا، في الـ (ن ن غ NNG)، وفي الـ (م ل غ MLG)،... في الـ (...BR..T)، في الـ (..WR)، مـن أجـل (نيناتـا Ninatta)، مـن أجـل (*كوليتـا* Kulitta)، مــن أجــل Nubadig"[133].

يعـرض النـص، كـما هـو واضـح، لسلسـلة طويلـة مـن الأضاحـي التـي يتـم تقديمهـا، وتظهـر مـع الإلهـة الحوريـة «تاوتـك» مجموعـة مـن الآلهـة الأخـرى. كـما نجـد الكثـير مـن أسـماء الأمكنـة. ومـن البدهـي أن تكـون أسـماءً لقـرى وحـواضر تابعـة لأوغاريـت التـي كانـت مسـاحتها تقـارب مسـاحة محافظـة اللاذقيـة الحاليـة، ويصـل امتدادهـا إلى سـهل الغـاب. ومـن غـير المؤكـد فيـما إذا كانـت التقدمـات المكرسـة للإلهـة «تاوتـكا» كانـت تقـام في نفـس هـذه الأمكنـة التـي نُسِـبَتْ لهـا، أم أن آلهـة محليـة محـددة هـي التـي كانـت تتلقـى القرابـين.

133 Pardee، 2002، P. 93، 95، 96.

4 ـ نذور ريفية

يتكـرر ذكـر الشـخصية البـارزة «صيتقانـو»، النـص (RS 13.006)، ويـرد فيهـا ذكـراً لقريـة «عيـلي سـتامي ‘Ilistami»، لكـن هـذه المـرة؛ نجـد صيتقانـو يعمـل وحيـداً دون مشـاركة حسـانو، ويظهـر نشـاطه واضحـاً ليمتـد لمسـاعدة عائلـة (أوبينـي يانـا)، عندمـا يهاجـم الغربـاء القطعـان. لكـن صيتقانـو هنـا ليـس لـه الـدور الكبـير والمهـم؛ كالكاهـن الريفـي الـذي يقـوم بواحـدة مـن الشـعائر التـي تذبـح فيهـا الحيوانـات بعيـداً عـن الطقـوس المعقـدة. جميـع هـذه الأضاحـي كرسـت للإلـه المحـلي، كـما نلاحـظ أن الأضاحـي كانـت تقـدم لأبسـط المناسـبات، كالحلاقـة، أو تعـرض القطيـع للخطـر. ولا شـك أن هـذه الأضاحـي كانـت نوعـاً مـن النـذور التـي قدمهـا أصحابها طلبـاً لمسـاعدة الآلهة ومباركتهـا، النـص (RS 15.072). ويُشـارُ لإسـتخدام كلمـة "طبـخ TBH" لفعل ذبـح الحيوانـات دون اسـتخدام فعـل "دبـح".. ويمكـن القـول: إن كلمـة «طبخ TBH» قـد تكـون دلالـة عـلى عـدم وجـود عمـل تعبـدي معقـد ومتكامـل، في بيـت: "*أوبينـي يانـا الواقـع في قريـة (جيتـو - عيليشـتامي)، كان.. كبشـه، الـذي أعطـاه صيتقانـو. صيتقانـو ذبـح نعجـة. عندمـا هوجمـت الماعـز قـام بذبـح حمـل. وأثنـاء وقـت الحلاقـة، ذبـح حمـلاً*»[134].

مـن الهدايـا النذريـة المعروفـة، التـي لم تقتـصر عـلى الأريـاف فقـط، الألبسـة والمجوهـرات التـي تُلبـس لتماثيـل الآلهـة، وهنـاك الأواني المختلفـة كذلـك، وقـد وجـد العديـد منهـا في أوغاريـت، مثـل إنـاء فخـاري لـه شـكل أسـد، وعليـه بعـض الزخـارف عـلى شـكل خطـوط أفقيـة، وقـد قُـدِّمَ للإلـه «رشـب - غـوني Guni_Rašap»، ولا شـك بأنـه كان متميـزاً وثمينـاً. وقـد وضـع الفاخـوري اسـمه عليـه كصانـع للإنـاء، وفي مـكان آخـر كتـب اسـم صاحـب النـذر ويدعـى «نورانـو»، مقـدم الإنـاء الطقـسي «بينـو أغابتـاري Agaptarri,

134 Pardee، 2002، P. 210، 211.

Penu» النص(RS 318.25)[135]. (الشكل 99).

ويبدو أن المسلات والمذابح الحجرية كانت تشكل جزءاً مهماً من مكونات المعبد، وتعد من الأثاث الشعائري المتحرك في المعبد، والتي وضع بعض منها في غرفة الحرم عند قدس الأقداس، أو في الهواء الطلق والساحات، حيث كانت مخصصة لوضع الهبات والقرابين النذرية عليها[136]، كما وضعت مراسي السفن بهدف التبرك، وطلب الحماية من الآلهة لهذه الفلك وربابنتها. (الشكل100).

قائمة تبين عدد التقدمات لآلهة أوغاريت

التسلسل	اسم الإله		عددها
1	إيب	Ìb	377
2	إيا	Ìy	266
3	إيل	ìl	163
4	إيلم (كبكم)	Ìlm(kbkbm)	142
5	إيل تع در بعل	ì't l db r'l	126
6	إيليب	ìlìb	92
7	إيلخ	ìlh	71
8	إيلخم	Ìlhm	60
9	إيلت مجدل	Ìlt mgdl	50
10	عمشرت	àmšrt	46
11	إين عنت	Ì nàtn	45
12	إين تلن	ìn ṭln	41
13	إينش إليم	ÌnS Ìlm	41
14	أرصي	àrsy	40
15	عترت	àtrt	36

135 Pardee، 2002، P. 126.

136 Tarragon، 1993، PP. 203-211.



الشكل رقم (99)
إناء نذري من الفخار على شكل أسد - أوغاريت –



الشكل رقم (100)
مرسى سفينة - أوغاريت -

16	بعل	Bʿl	35
17	بعل ـ م	m-lʿB	34
18	بعل أغارت	lʿB ŭgrt	32
19	بعل سابون/صفن	lʿB şpn	28
20	بعلم	Bʿlm	27
21	بعلت بـ (خ) تم	Bʿlh)b t)m	26
22	غترم	Gtrm	25
23	خير	Hyr	24
34	دجن	Dgn	24
25	در إيل و بخر بعل	Dr ÌW l phb rʾl	23
26	يم	Ym	22
27	يرخ	Yrh	22
28	كزغ/كدغ	Kzg/ kdg	19
29	كمرب/كمرو	Kmrb/kmrW	18
30	كطر	Ktr	18
31	شلم	šlm	15
32	شبش	Špš	15
33	نبدج	Nbdg	14
34	نكل	nkl	14
35	عنت	‘nt	12
36	عنت خبلي	‘nt hbly	12
37	عنت سابون	‘nt spn	12
38	عترت	‘ttrt	11
39	عترت حر	‘ṭṭrt hr	11
40	عترت شد	‘ṭṭrt sd	11
41	بدري	Pdry	11
42	برجل صقرن	Prgl sqrn	11
43	سابون	Spn	10

44	رشب	Ršp	10
45	رشب خجرب	Ršp hgb	10
46	رشب...	Ršp...	10
47	تكم وا شنم	TkmW n snm	10
48	غلمت	glmt	10
49	تتب	tṭb	10

ثانياً: الأضاحي والقرابين عند الفينيقيين

دأب الفينيقيـون عـلى تقديـم القرابـين زمنـاً طويـلاً، كبقيـة سـكان مشرقنـا القديـم، وكان المضحـي يتبـع تقليـداً معينـاً، إذ يتقـدم مـع الحيـوان المضحـى بـه واضعـاً يديـه فـوق رأسـه كتعبـير عـن طلـب البركـة.

ثمـة معلومـات أيضـاً عـن الممارسـات القربانيـة، فالأشـياء التـي كانـت تقـدم كقرابـين، إضافـة للبـشر في بعـض الأحيـان، هـي أشـياء كثـيرة، طعـام وشراب، طيـور وحيوانـات ومـواد ثمينـة. هـذا مـا ينقلـه "فيلـون" عـن الفينيقيـين والمصريـين القدمـاء: «قدسـوا الأشـياء التـي تنبـتُ مـن الأرض وعدّوهـا آلهـة، وعبـدوا تلـك الأشـياء بالطـرق التـي حافظـوا عليهـا هـم وكل أسـلافهم وأحفادهـم، وقدمـوا أضاحـي مـن الخمـر والبخـور، وأقامـوا طقوسـاً مـن البـكاء والنحيـب والعويـل، للأعشـاب عندمـا تبـدأ بالنمـو مـن الأرض، ولـولادة الحيوانـات، وللأصـل الأول، للأشـياء الحيـة مـن الأرض، ولأصولهـا مـن بعضهـا، ولموتهـا عندمـا ترحـل عـن الحيـاة، وتعـزى مبـادئ العبـادة هـذه؛ إلى ضعفهـم الخـاص وخوفهـم الروحـي»[137].

لقـد كانـت التعرفـة القربانيـة موجـودة في المـدن الفينيقيـة، ويُخبرنـا نـص جـاء مـن مرسـيليا عـن معبـد بعـل سـابون في قرطـاج، وقواعـد التعرفـة القربانيـة. ويبـدأ النـص عـلى النحـو التـالي: «معبـد بعـل سـابون، الرسـوم

137 مرعي، 1993، ص 40.

التـي ثبتها مراقبـو النفقـة لـكل ثـور سـواء كان أضحيـة ذبيحـة أو (أضحيـة) خطيئـة، أو (أضحيـة) سـلام، أم كانـت (أضحيـة) محروقـة، للكهنـة عـشر قطـع مـن الفضـة لـكل منهـا، وعـلاوة زنـة ثلاثمئـة مـن لحـم الذبيحـة الخطيئـة»... ثـم يواصـل النـص ليمـر عـلى الحيوانـات الصغـيرة والطيـور، وصـولاً إلى الزيـت والدهــن والحليــب، كــما توضــح الأنصــاب الحجريــة أيضــاً هــذه القرابــين، حيــث تبــدي رســومها حيوانــات عديــدة، وأدوات قربانيــة مختلفــة[138].

حقيقة الأضاحي البشرية عند الفينيقيين

هنـاك طقـس غـير مألـوف خـلال عـصر الحديـد، وهـو التضحيـة البشريـة. لكنهـا كانـت متقطعـة، واختفـت في منتصـف الألـف الأول ق.م[139]، وعـلى مـا يبـدو أصبحـت مـن السـمات الأساسـية لديانـة الفينيقيـين التـي أثـارت جـدلاً واسـعاً، خاصـة فيـما يتعلـق بحـرق البـشر والأطفـال تقديسـاً للآلهـة.

فيـما رأى بعضهـم أن الوقائـع التاريخيـة والاجتماعيـة المسـتقاة مـن أمكنـة أخـرى مـن العـالم القديـم، توحـي بـأن التضحيـة بالأطفـال، لم تكـن طقسـاً دينيـاً وحسـب، بـل كانـت طريقـة مـا لتنظيـم تزايـد السـكان حسـب رأيهـم[140].

لكــن، ورغــم أن النقــوش الكتابيــة الأصليــة حــول التضحيــة بالأطفــال ليسـت واضحـة في مواقـع شرق المتوسـط، إلا أن مرويـات المرحلـة الكلاسـيكية واللقــى الأثريــة تشــير إلى أضاحــي الأطفــال في المعمــرات البونيــة، وبمــا أن المعمـرات البونيـة كانـت شـديدة المحافظـة في المجـال الدينـي عـلى تقاليدهـا الأصليـة، لـذا يمكـن الاسـتنتاج؛ بـأن ممارسـاتها الدينيـة عكسـت مثيلتهـا في مواقـع السـاحل السـوري الأم، بـصرف النظـر عـن نـدرة الوثائـق الفينيقيـة الأصليـة[141].

138 دونالد، 2007، ص 123.

139 Aubet، 1999، P. 126.

140 فرزات، 1992، ص 52.

141 Hutter، 1995، PP. 128-136.

إن كل الشـواهد عـلى هـذه الممارسـة جـاءت مـن قرطاجـة ومعمراتهـا في الحـوض الغـربي للمتوسـط، فقـد عـثر في قرطاجـة على عشريـن ألفاً مـن الجـرار الجنائزيـة، فيهـا بقايـا هيـاكل عظميـة إنسـانية وحيوانيـة أُحرِقـت عـلى مـدى 600 عـام، وهنـاك بعـض الجـرار الجنائزيـة التـي تحتـوي عـلى بقايـا عظـام حيوانيـة، وجـرار أخـرى تحتـوي عـلى رفـاة أطفـال، ومجموعـة ثالثـة مـن الجـرار، تضـم بقايـا حيوانـات وأطفـال معـاً، وكانـت كلهـا محروقـة. وفي المقابـر العاديـة؛ رفـات أولاد مدفونـين، وبقايـا آخريـن محروقـين.

تُبـيّن بعـض الدراسـات أن هـذه الأضاحـي كانـت اسـتثنائية، وقـد بالـغ بعـض الكتـاب في الحديـث عنهـا؛ وفي إطـلاق التعميـمات، فالمقـبرة المكرسـة لتانيـت اللطيفـة ولبعـل حمـون، هـي لأطفـال تُوفُّـوا لأسـباب طبيعيـة. وأمـا الطقـس المتعلـق بالمـرور في النـار والـذي رافـق تلـك الممارسـات، فهـو يرمـز للدخـول في مرحلـة الـولاء الدينـي أكـثر منـه تضحيـة. وقـد دلـت المراجعـة التـي جـرت لإعـادة تقديـر عـدد الأطفـال الذيـن أُحرقـوا في المقابـر العاديـة في قرطاجـة ومنهـا مقـبرة (وفـت)، أن النسـبة كانـت ضعيفـة وعاديـة. لكـن تـم رفـض هـذه النظريـة لعـدة أسـباب، مـن بينهـا؛ أن أجسـاد الأطفـال سُـجِّيت بوضـع مختلـف عـن وضـع أجسـاد البالغـين.

نجـد ضمـن سـياق الأسـاطير؛ الكثـير مـن المواضيـع التـي تتضمـن مـا يشـير لتقديـم أضاحـي بشريـة أو أطفـال، ويذكـر فيلـون نقـلاً عـن سـانخونياتون الكثـير مـن الأمثلـة عـن عـادة الفينيقيـين بالتضحيـة بأطفالهـم (الأكـثر محبـة لهـم) أثنـاء الحـروب والكـوارث الطبيعيـة، كالقحـط والأوبئـة، وذلـك لمجابهـة الإبـادة الكليـة، وعـادة للإلـه كرونـوس[142].

كان أولئـك الأطفـال يذبحـون حسـب طقـوس سريـة، وهنـاك حكايـة عـن كرونـوس الـذي دعـاه الفينيقيـون إيـل، والذي أُلِّـهَ بعـد موتـه كنجـم كرونـوس،

142 مرعي، 1993، ص 40.

كان لـه ابـن واحـد فقـط مـن عـروس (حوريـة) محليـة اسـمها أنوبريـت، لذلـك دعـوه إيـود. وكـما درج الفينيقيـون عـلى إعطـاء ابنهـم الوحيـد هـذا الاسـم. وعندمـا حلـت بالبـلاد أخطـار حـرب جسـيمة، ألبـس كرونـوس ابنـه لباسـاً ملكيـاً، وجهّـزَ مذبحـاً، وقدّمـه قربانـاً[143].

إلى جانـب هـذه الروايـة نجـد مـن يعمّـم هـذه الممارسـة عـلى كل فينيقيـا، يـروي كورتيـوس روفـوس أن سـكان صـور أرادوا إعـادة تقديـم أضاحـي الأطفـال ثانيـة إلى هيرقليـس ملقـارت وذلـك أثنـاء فـترة حصـار المدينـة مـن قبـل الإسـكندر الأكـبر، لكنهـم مُنِعـوا مـن ذلـك[144]. وفي المعمَّـرة الفينيقيـة الشـمالية قرطاجـة، المرتبطـة بعلاقـة وثيقـة مـع المدينـة الأم صـور، أُثبـتَ أدبيـاً وأثريـاً اسـتمرار تقديمهـا أضاحـي الأطفـال إلى هيرقليـس حتـى فـترة الاحتـلال الرومـاني.

وإلى جانـب نصـوص المرحلـة الكلاسـيكية، هنـاك مصـادر تحليليـة تدعـي وجـود محـاولات لتقديـم أضاحـي الأطفـال، وتثبـت وجـود مثـل هـذه المحـاولات في النصـوص البونيـة والفينيقيـة التـي يمكـن أن تربـط مـع المسـتندات المذكـورة آنفـاً.

ويذكـر نقشـان جـاءا مـن فنـاء معبـد تانيـت في قرطـاج، وجـود التضحيـة بالأطفـال، ومـن القصـص المعروفـة بهـذا الشـأن، مايرويـه ديـودور عـن تمثـال برونـزي وضعـت بـين يديـه الأضاحـي (الأطفـال) كي يلقيهـا في النـار في حـين راح الأقربـاء يربتـون عـلى الأطفـال لمنعهـم مـن البـكاء.

ويبـدو أن قرابـين الأطفـال قـد غـدت نـادرة مـع مـرور الوقـت، حيـث اسـتبدلت بهـا الطيـور والحيوانـات الصغـيرة التـي غـدت التضحيـة بهـا أكـثر شـيوعاً، فتذكـر النقـوش الكتابيـة البونيـة ممارسـات الأضاحـي المسـماة قربـان

143 مرعي، 1993، ص 41.

144 Hutter، 1995، PP. 128-136.

«ملك» وما يشابهها، والتي قُدمت غالباً في الليل لآلهة ما تحت الأرض. يُستشف من الشواهد؛ أن دلالة هذه الأضاحي تعني تقديم خروف كأضحية بديلة عن طفل (إنسان)[145].

قد يكون موضوع التضحية بالأطفال حقيقة في قرطاجة، حسب البراهين الأثرية المقدمة، وحسب الانتقادات التي وجهت لهذه العادة في الكتب التاريخية وأسفار العهد القديم[146]. ولكن لا يمكن البرهنة على أن هذه العادة كانت تمارس بصورة نظامية في فينيقيا الأم، وهو ما لم تثبته التنقيبات الأثرية في المدن الفينيقية، ويبقى الموضوع من ضمن القضايا المعلق الجواب عليها، بانتظار المزيد من أعمال التنقيب.

ويبقى هناك حاجة لدراسة وافية ومحايدة لمحتويات جرار معبد تانيت. وكل ما يمكن قوله الآن هو: أن عظام الطيور والحيوانات الصغيرة، تتواجد في الجرار في ظل هيمنة طاغية لعظام الأطفال من البشر.

أما التضحية بالبالغين في الأراضي الفينيقية فهي نادرة، مع أن التاريخ يروي عن بعضها كالتضحية بـ 300 سجين في منطقة دعيت (حمير) عام 409 ق.م تكفيراً عن مقتل هاملكار في معركة وقعت هنالك عام 480 ق.م (ما لم يكن هذا مجرد انتقام متأخر)، وكذلك التضحية السنوية بقربان بشري واحد من أجل ملقارت في قرطاج[147].

في الحقيقة ادعى بعض الباحثين وجود هذا الطقس من قبل، في بعض المواقع مثل ألالاخ وتل حلف وغيرها، ولكن البراهين المُقدَمة لم تكن كافية، فوجود هيكل طفل في أساس جدار لايعني وجود هذه العادة، ووجود بعض المدافن، ومنها ما هو ضمن جرار فخارية تحتوي على بعض العظام المحروقة لا يكفي لتأكيد وجود هذه الممارسة خلال

145 Hutter، 1995، PP. 128-136.

146 فرزات، 1992، ص 52.

147 دونالد، 2007، ص 122.

الألـف الثـاني ق.م. كـما أن الوثائـق الأثريـة في المـدن الفينيقيـة الأم لا تـصرِّح خـلال الألـف الأول ق.م بوجـود هـذه الممارسـة، رغـم زعـم بعـض الباحثـين بوجودهـا في مسـتعمرات الشـمال الإفريقـي، ومنطقـة غـرب المتوسـط. وتبقـى مسـألة التضحيـة بالبـشر، مثلهـا مثـل مسـألة الـزواج المقـدس، بحاجـة إلى أدلـة أوضـح وأكـثر إقناعـاً.

الفصل الثالث: الصلـوات

الصـلاة هـي إخـراج الجسـد مـن حالتـه المرئيـة إلى حالتـه التخيليـة طائفـاً، أو مُطَوَّفـاً بـه. وهـي إجـراء تغيـير وترتيـب للجسـد، حيـث تُـري الآخريـن مـا تقـوم بـه في خدمـة الـروح، ولأن الرهـان عـلى الصـلاة يكـون كبـيراً، فإنـه يتـم رسـم مـا يترتـب عـلى الصـلاة هـذه، مـن أنهـا تكـثر مـا هـو مذكـور، مـن إكثـار أو زيـادة في الحبـوب مـن خـلال الارتبـاط بـكل الكائنـات (النبـات)، والماشـية، والحيـاة التـي كانـت فيـما سـبق تتركـز عـلى الجانـب المـادي الجسـدي، ومـا يخـص المجتمـع[148].

تترافـق الصلـوات مـع التراتيـل الدينيـة التـي كان لهـا أهميـة كبـيرة، فهـي تمـارس فتنـة السـماع وفتنـة الجـذب للقـراءة، والدخـول في طاعـة الصـوت النائـب، لصـوت عـذب هـو صـوت الإلـه كـما في صـوت المرتـل، لأن اللغـة المقـروءة هـي التـي تعلـم بذلـك، وخصوصـاً حـين يتعلـق الأمـر بمـا وضعـت لأجلهـم الترنيـمات والترتيـلات هـذه، وهـم الأرواح الطاهـرة أو المرشـدة أو النقيـة، حيـث تسـكن كل الكائنـات دون اسـتثناء، وتمـارس تأثيرهـا فيهـا، بحسـب موقـع كل منهـا، أو المهنـة التـي تكـون لهـا في الحيـاة، والإنسـان في الصـدارة[149].

148 عبد الرحمن (خليل)، 2007، ص 695.

149 عبد الرحمن (خليل)، 2007، ص 692.

لقد كانت الصلوات والتراتيل مظهراً مهماً في الطقوس الرافدية القديمة التي كانت تؤدى في المعابد. وفي الآداب السومرية كان موضوعها مدح الآلهة، والتضرع، والابتهال لها. وهناك تراتيل ملكية يؤديها المصلون من أجل صحة الملك المؤله، وطول عمره. كما كان هناك تراتيل (مشفوعة بالصلوات) موجهة لمدح المعابد باعتبارها مراكز مقدسة لممارسة العبادة والتطهر، علاوة على أنها أمكنة جميلة، والهدف الدائم لهذه الصلوات؛ هو تهدئة القلب والطمانينة[150]. كما عرف الناس الصيام والتقيّد بتعليمات محددة بشأن الطعام وغير ذلك[151].

الصلوات في أوغاريت

تنوعت العقائد والصلوات والأعياد الدينية والقرابين، فمنها ما كان خاصاً بالعرافة، ومنها ما كان لدفع الأذى الروحي (ذي المصدر البشري)، وشفاء المرضى، ومنها ما يتعلق بالسحر، ومنها ما كان لموضوع حفظ الملك والمملكة. وقد تعددت الصلوات التي كان يقوم بها الكهنة ورجال الدين، أو تلك التي يقوم بها الإنسان بنفسه دون تدخل رجال الدين.

قليلة هي نصوص الصلوات في أوغاريت، أحدها يتعلق بوصف صلاة مختصرة كانت تؤدى في أحد الطقوس القصيرة. هذا إضافة لما تصفه قصة قيرت من صلوات وتراتيل[152]. وهناك نصوص تصف صلوات كانت تؤدى بشكل جماعي يشارك بها ملوك أوغاريت، وهي من أجل الملك وأجل المملكة. وهناك نموذج لصلاة جماعية أقيمت أثناء وقوع المدينة تحت حصار الأعداء. كما تضمنت ملحمة قيرت وأقهات صلاة فردية التماساً لحاجة[153]. وجميع هذه الصلوات كانت تترافق بأداء بعض الحركات،

150 Jad، & Arm، 2000، P. 151.

151 نير، 2009، ص 76.

152 Jad، & Arm، 2000، P. 151.

153 شيفمان، 1988b، ص 86.

ومنها رفع الأيدي إلى السماء، أو الركوع أمام تماثيل الآلهة، مترافقاً مع ابتهال المصلي وتضرعه[154]. ومن المثير أن الصلوات كانت تسبق بحالة من التطهر والوضوء والغسل بالماء والأصبغة الحمراء (ملحمة قيرت): « ستغتسل وتتحنى (تصطبغ بالأحمر)، اغسل يديك حتى المرفق، وأصابعك حتى الكتف، ثم ادخل إلى ظل خيمتك، وخذ حَمَلاً بيدك..»[155].

أثناء الطقوس؛ كانت الصلوات تؤدى لإله بعينه أو لعدد كبير من الآلهة استجداءً للحماية والخلاص والرفاه والخير والسعادة، كما جرى في صلاة مكرسة لبعل، وهي صلاة لم تقترن بتقديم الأضاحي قبل إقامتها، لكن يفهم من مضمونها بأنها تعِدُ الإله بعل بإيفاء النذور والولائم والتقدمات المختلفة التي رسمت له، النص (RS24.266)[156]. وتتألف هذه الصلاة من قسمين: الالتماس من الإله الموجهة له النذور أولاً، ثم تعداد الالتزامات التي يأخذها المصلون على عاتقهم لتنفيذها. ولا يُعرفُ حتى الآن الظروف المحددة التي أحاطت بهذه الصلوات، ولكن يمكن القول: إنه التماس المعونة، والرحمة، والانتقام من أعداء محتملون[157].

"عندما يهاجم خصم قوي محارب بوابتك، أسوارك، سوف ترفع عينيك لبعل وتقول: يا بعل، إن تدفع ذاك القوي عن بوابتنا، حامل السلاح من أسوارنا، ثور بعل سوف نقدس، قسماً، يابعل، نحن سوف ننجز، الولادة الأولى. يا بعل، نحن سوف نقدس، تقدمة ختب، يا بعل نحن سوف ننجز، *وليمة يا بعل نحن سوف نقدم، إلى الحرم، يا بعل*

154 Jad، & Arm، 2000، P. 151.

155 فريحة، 1966، ص 486.

156 Pardee، 2002، P. 149،150.

157 شيفمان، 1988b، ص 87.

نحـن سـوف نعتـلي، الطريـق، يـا بعـل، سنسـلكه، هـو سـوف يدفـع الخصـم القـوي عـن بوابتـك، حامـل السـلاح عـن أسـوارك».

لم تتضمـن هـذه الصلـوات أي شيء يشـير إلى شـعور المصلـين ومزاجهـم، لكنهـا كانـت عـلى أي حـال التماسـاً مـن الإلـه، وإذا تحققـت رغبـات المُصـلّي فإنهـم كانـوا يقولـون إن الإلـه سـمع واسـتجاب لصلاتـه وباركـه[158].

صلاة من أجل الملوك

كان الملـوك مـن وجهـة النظـر الدينيـة في المـشرق القديـم هـم صلـة الوصـل مـا بـين الآلهـة والشـعب الذيـن خلقتهـم الآلهـة ليقومـوا بعبادتهـم وخدمتهـم، فقـد كان يمثـل الشـعب أمـام الآلهـة. وبالتـالي كانـوا هـم الأنبـوب الـذي مـن خلالـه نظَّـمَ الآلهـة شـؤون الدولـة والشـعب. ولمّـا كانـت مصلحـة الأمـة تعتمـد عـلى مصلحـة الملـك، فـإن أي خطـر كان يهـدد الملـك كان ذا أهميـة بالغـة، وعندمـا كانـت التنبـؤات والإشـارات تعلـن مثـل هـذه الأخطـار المحدقـة، فإنـه كان مـن الواجـب اتخـاذ إجـراءات خاصـة، وفي بعـض الظـروف كانـوا يختـارون رجـلاً بديـلاً عـن الملـك[159]، وكان يعـدم بـدلًا عـن الملـك[160].

158 شيفمان، 1988b، ص 87.

159 أقـدم حادثـة معروفـة مـن هـذا النـوع كانـت مـن الفـترة البابليـة القديمـة (حـوالي 1860ق.م) في مملكـة إيسـين، ففـي أحـد الأعيـاد البابليـة، نجـد أثـراً باقيـاً مـن عـادة قتـل الملـوك الموغلـة في القـدم. في هـذا العيد المـليء بالمـرح وغرائـب العـادات، يتبـادل السـادة والعبيـد أدوارهـم، فيقـوم السـادة بخدمـة عبيدهـم، ويلعـب العبيـد دور السـادة. وفي اليـوم الأول مـن العيـد يـؤتى بأحـد السـجناء المحكومـين بالإعـدام فيكـسى بملابـس الملـك، ويوضـع عـلى العـرش، ويُسـمح لـه بإصـدار الأوامـر، ويـترك عـلى سـجيته، فيـأكل ويـشرب ويمتـع نفسـه بـكل وسـيلة ممكنـة، حتـى أنـه ينـام مـع محظيـات الملـك، وذلـك إلى اليـوم الخامـس وهـو آخـر أيـام العيـد، حيـث تنـزع عنـه الثيـاب الملوكيـة؛ ثـم يُقتـل. كل هـذا يعنـي أننـا أمـام قربـان البـدل الـذي حـل تدريجيـاً محـل التضحيـة بالملـك نفسـه. كـما عُرفـت حادثـة أخـرى في بعـض الرسـائل الآشـورية الحديثـة زمـن حكـم أسرحـدون، حيـث جـرى تنصيـب ملـك بديـل لمـدة مئـة يـوم نتيجـة الخـوف مـن خسـوف القمـر، في حـين بقـي الملـك وأولاده محصوريـن في القـصر. وكان دور الملـك البديـل أن يتحمـل جميـع المصائـب التـي كانـت سـتحدث للملـك الأصيـل. للمزيـد، انظـر: سـاغز، عظمـة بابـل، 2008، ص379. وانظـر أيضـاً: السـواح، 2006.

160 ساغز، عظمة بابل، 2008، 379.

وقد كان هذا الفهم أحد أهم الأسباب التي دفعت الأوغاريتيين لإقامة الصلاة من أجل الملك، حيث كان يجري فيها الابتهال للآلهة كي تحفظ الملك، وتُطيل أيامه، وتُديم حكمه، وتباركه وتعطيه الرخاء والوفرة وكل وسائل القوة التي يحتاجها. وهذا ما نراه في أحد النصوص الترتيلية التي كانت بعض المقاطع فيه غير واضحة، فتم الاعتماد على نص ذي مضمون مشابه من إيمار، وهو محفوظ جيداً، لمعرفة محتواه. وهو مشابه لرواية بابلية تحمل نفس المضمون، وبالتالي يمكننا القول: إننا أمام رواية أوغاريتية ذات تقاليد إيمارية وأصول بابلية. (الشكل 101).

ويبدو أن إقامة هذه الصلاة ليس له علاقة بطقس تقديس الأسلاف من الملوك:

«سيدي، الحياة، ربما تكون أيامك أطول. ربما سنواتك تجدد نفسها. ربما انليل لن يغير مصيرك. *ربما موليل تباركك وتعلن تسامحها. قد تباركك آلهة الأرض. ربما سيدة الآلهة، السيدة العظيمة تمنحك القوة.*



الشكل رقم (101)
منحوتة رب الجبل - عين دارة -

ربما مردوخ سيد المياه الجوفية يبلج ينبوع المياه الجوفية من أجلك. ربما آنو يتخمك بوفرة الحياة. ربما سين يعطيك نفس الأشياء. ربما شمش راعي الأرض ينير كما ضوء النهار. ربما نبيوم سيد المرقمين يرسم مستقبل أيامك. ربما نينورتا المنتصرة تجعل بأسك عظيما إلى أقصى الحدود. ربما نرجال أمير الآلهة العظيمة يمنحك سلاح البأس. ربما عشتار السيدة، تمنحك مظهر المهابة المتوحشة. قد يمنحك الظلام المهابة الروحية. قد تمنحك البادية فزعها، لتمتلك الرعب كفيضان النهر. لتكن مثل المياه، الحياة بالنسبة للأرض. ربما الأمطار، تنهمر عليك من السماء. ربما العشب، مبهج القلوب، ينمو من أجلك. ربما الجبال تجلب غلالها لك. ربما الأنهار تجلب فاكهتها لك. عام بعد عام، شهر بعد شهر، يوم بعد يوم لتكن حياتك»[161].

لقد شملت الدعوات مباركة الآلهة العليا للملك، ويلاحظ في النص تضرعاً للآلهة بشكل إفرادي، ليمنحوا الملك بركاتهم. وقد ورد في القائمة اسم كل الآلهة التي تستطيع منح الملك شيئاً من القوة، ومنها آلهة رافدية مثل الإله الأول مردوخ الذي يُعطى هنا لقب والد إنكي/إيا[162]. كما يتم التضرع لعدد من الآلهة الأخرى، والمعبودات الطبيعية طلباً للمساندة. وإذا ما استجابت الآلهة أصبح الملك مباركاً، وعندئذ يكون قادراً على الحكم بالقسط. وما رأيناه في النص هو ترنيمة من التقاليد البابلية السومرية، حيث يبارك لانليل ومويلل، ويبدو واضحاً أن انليل يُعدُّ فيها ملكاً للكون. أما مردوخ فحالما يتم ذكره يرد معه ذكر المُنشِدْ

161 Dietrich، 1994، P. 43، 44.

162 إنكي: يعني في السومرية سيد الأرض، ويقابله بالأكادية اسم إيا، ويعرف عنه أنه إله الحكمة، وإله الخير والعذوبة، ومانح الخصب، ومفجر الينابيع، وزوجته هي الإلهة دمجلنونا، ويقابلها في الأكادية دمكينا. ولم يستخدم إنكي العنف مطلقاً للوصول لغايته، حتى في الأوقات التي يلجأ فيها إلى الغش والخداع، كما في ملحمة التكوين التي تصوره مقاتلاً.

«أسالوخي Asalluhi»، الذي يتلو التعاويذ، بينما يصغي إليه.

ويرينا مضمون هذا النص، ونصوص أخرى، أن الأوغاريتيين نهلوا الكثير من معارف إيمار، وأعادوا صياغتها بطريقتهم، وفق ما كان يسمح به تفكيرهم الديني، وتقتضيه الصياغة الشعرية. ومن المهم أن نعرف أن الأدب المسماري كان قد وطّد تقاليد راسخة في إيمار، عندما انفتح الأوغاريتيون على هذا الأدب واستعاروه منها، والنصوص التي ذُكِرتْ تظهر لنا، أحد جوانب الأدب البابلي التقليدي في أوغاريت[163].

في الحقيقة ليس هناك معرفة دقيقة بالحركات الواجب القيام بها لأداء الصلوات، لكن؛ وحسب النصوص، هناك بعض الحالات التي ترفع فيها الأيدي إلى السماء. كما أن الجثو والسجود أمام كل ما يمثل القوى الإلهية من تماثيل ومظاهر طبيعية، كان أمراً شائعاً. فطالما جثى الناس وسجدوا لحكامهم، كما جثى صغار الملوك أمام كبارها، فمن الطبيعي أن يسجدوا لآلهتهم. وفي رسائل العمارنة؛ يظهر الملوك والأمراء المحليون الصغار في المناطق السورية، خائفين، مثيرين النخوة، وطالبين النجدة من سيدهم، ملك مصر المعظم، ضد خطر يحدق بهم من جيرانهم أو من بعضهم البعض. ونرى فيها الكثير من عبارات التذلّلِ، ومنها الجثو سبع مرات مكررة، ويتم ذلك بعد أن يشبّه سيده الملك العظيم بالشمس المشرقة وبالإله، وأكثرها يتكرر فيه الرقم سبعة مرتين بما يعني مجموعاً قدره (14) مرة، وهذا ما نجده في رسالة «عبدي أشيرة» ملك أمورو إلى «أمنحتب الثالث»، النص (EA60): يقول: "إلى الملك الشمس سيدي، هكذا يقول عبدي أشيرة خادمك، غبار قدميك، لقد جثوت لدى قدمي الملك، سيدي، سبعاً فسبعاً"[164]. كما نجد ذلك في الرسالة (EA261)، المرسلة

163 Dietrich، 1994، P. 45.

164 إسماعيل، 2010، ص 552، 258.

مـن الملـك «دشروا» إلى الملـك «أمنحتـب الرابـع» يعلمـه تلقـي معلوماتـه: "قـل للملـك، سـيدي، شـمسي، هكـذا يقـول دشرو خـادم الملـك الـوفي: لقـد جثـوت لـدى قدمـي الملـك، سـيدي وشـمسي سـبعاً فسـبعاً". وكذلـك الرسـالة (EA241)، المرسـلة مـن روصمانيـا حاكـم مدينـة شرونـا إلى نفـس الملـك المـصري، يؤكـد فيهـا وفـاءه، ويشـتكي مـن حـوادث قتـل تحصـل في منطقتـه: "قـل للملـك سـيدي، إلهـي، شـمسي: هكـذا يقـول روصمانيـا حاكـم مدينـة شرونـا خادمـك، غبـار قدميـك، طـين وطئـك، مسـند قدمـي سـيدي (لقـد جثـوت لـدى قدمـي الملـك) سـبعاً فسـبعاً». وهنـاك رسـائل أخـرى مشـابهة مرسـلة مـن "أكيـزي" ملـك قطنـة (EA52) و(EA54) و(EA55)، وغيرهـا مـن الرسـائل[165]. فهـل يعنـي هـذا الرقـم وجـود حـركات جسـدية معينـة لهـا شـكل محـدد يتـم تكرارهـا سـبع مـرات عـلى دفعتـين. ونحـن نعلـم أن الرقـم سـبعة عنـد البابليـين كان تعبـيراً عـن أعظـم قـوة وعـن كـمال الرقـم، كـما كان لمضاعفـات الرقـم سـبعة في الفكـر العراقـي القديـم تعبـير شـعائري لطيـف يـدل عـلى قدسـية، ولـه دلالـة رمزيـة تشـير إلى الكـثرة والاندمـاج والتضخيـم. وإن التعبـير (14) بالقـول سـبعة وسـبعة هـو تعبـير طقـوسي، بـدلاً مـن القـول (14)، وهـو يـدل عـلى التأكيـد وزيـادة الثقـة والاطمئنـان، حيـث يـرد بأسـطورة تـركال وايرشـيكال عـن رؤيـة عـالم الجحيـم مـا نصـه:... لا تخـف (يابنـي). سـأعطيك سـبعة وسـبعة حـراس أخصـاء ليذهبـوا معـك[166].

165 إسماعيل، 2010، ص 552، 527، 246، 240، 248.

166 الأسود، 2007، ص 11.

الفصل الرابع: الـ (مــرزح)

يــتردد في الوثائــق التــي وصلــت مــن أوغاريــت ذكــر جماعــات مــرزح/ مارزيخـو، التـي عُرفـتْ في المنطقـة منـذ القـدم وحتـى سـقوط الديانـات الوثنيـة، وهـي كلمـة تظهـر في كثـير مـن الأزمنـة والأمكنـة، ووردت في العهـد القديـم مرتـين، ووصـف المظهـر الجنائـزي لــ (مـرزح)، عندمـا يتنبـئ النبـي بكارثـة مميتـة يعـاني فيهـا شـعبه قطـع السـيف والجـوع والأمـراض، فيعلـن أنـه مـن المفيـد الـزواج، وإنجـاب الأولاد، والذهـاب إلى (دار مـرزح) وبـكاء المـوتى، واقتسـام الخبـز، وشرب كأس التعـازي بالأبويـن الراحلـين.

ويمكـن الاسـتنتاج أن الكلمـة تتعلـق بــ (مناسـبة)، يـؤكل ويـشرب فيهـا في جـو مـن الفـرح أو الحـزن. وهـو المـكان الـذي يُعـرف بعبـارة (بيـت ميشـة) أي (دار الوليمـة)، مـع ذكـر حالـة البهجـة والفـرح والأغـاني. وليـس هنـاك مـا يوحـي بخـلاف رئيـسي بـين (بيـت مـرزح) و(دار الوليمـة)، وهاتـان العبارتـان هــما تقريبــاً مرادفتــان لــ (دار الخمــر) المذكــورة في (الإنشــاد 2:4)، حيــث يتضمــن نشــاطها بوضــوح شرب الخمــر[167]، ومعظــم الوثائــق التــي تعالــج (مــرزح) تتحــدث عــن اســتهلاك الخمــر والطعــام حتــى الثمالــة. وفي هــذا النـص فـإن إيـل «أبـو الآلهـة» بصفتـه ضيـف المائـدة الإلهيـة، يـشرب حتـى الثمالـة، ويصـل لمرحلـة الهذيـان والانهيـار والإغـماء. ويـأتي مضمـون النص (RS

167 بوب، 1980، ص 79.

24.258) ليؤكد هذا الزعم الذي يحصل على هامش الممارسة الشعائرية التي تمّت في المرزح/مارزيخو، حيث تضمن وصفة طبية لمعالجة الانهيار الناتج عن الإفراط في شرب الكحول حتى الثمالة[168].

وهذا يثير قضية اشتقاق كلمة (مرزح)، وبالعودة لمصدر (رزح) في العربية نرى أنه يعني سقط (على الأرض) إعياءً أو هزالاً، و(المرزح) المقطع البعيد، وما اطمأن من الأرض[169]، وعبارة (مرزح) في العبرية تعني (تمرغ)، كما توجد لمرزح معاني مشابهة في اللهجات الآرامية القديمة، كما عرف هذا التعبير في فينيقيا ومستعمراتها (البونية) خلال الألف الأول ق.م، وكان يرتبط بالموائد المقدسة، ويشير لنوع من المؤسسة الدينية، وهناك نص فينيقي نقش على إناء برونزي يعود للقرن الرابع ق.م «عقب عنحن عربت لمرزح شمش qb'/ 'nh 'rbt lmrzh sms'، *قدمنا فنجانين إلى مرزح شمش*»[170].

وفي تدمر استخدمت كلمة mrzh في القرون الأولى للميلاد للدلالة على جماعات مهنية تجمعها عبادة إله واحد، لكن مثل هذا التغير (في المعنى)، لم يصبح ممكناً إلا نتيجة لمرحلة طويلة من التطور[171].

كان المرزح/المارزيخو، يتمتع بملكيات متفاوتة الحجم، تتألف من مساهمات نقدية كان يتبرع بها بعض الأعضاء، ومن عقارات كالبيوت والأراضي. وقد أعطت هذه الملكيات المارزيخو القدرة على المشاركة في العمليات التجارية، وعقد صفقات البيع والشراء والتبادل. وكانت المارزيخو تحل كل الخلافات التي تنشأ بين أعضائها وتضبط علاقاتهم، وتنظم الولائم المشتركة لهم، ومن هنا جاء استخدام كلمة مارزيخو

168 Pardee، 2002، P. 231.

169 الفيروز آبادي، 2003، ص 219.

170 Heltzer، 2006، P. 345.

171 شيفمان، 1988a، ص 229.

بمعنـى وليمـة. ونشـير إلى أن الوجـود اللاحـق لمـا يسـمى بتعرفـة القرابـين المرسـيلية لبعـض الجماعـات القرطاجيـة، فُهمـت أنهـا جماعـات مـن النـاس كانـت تُقيـم ولائـم مشـتركة ذات طابـع دينـي ضمـت أشـخاصاً اعتـادوا عـلى إقامـة هـذه الولائـم المشـتركة بشـكل دوري وعـلى تقديـم القرابـين للآلهـة[172].

وبمـا أن هـذه الجماعـات كانـت تملـك ثـروات معينـة، فقـد تحولـت إلى قـوة اجتماعيـة ضاغطـة ومؤثـرة[173]، كـما كانـت في المراحـل المبكـرة مـن تاريخهـا (منتصـف الألـف الثـاني)، عبـارة عـن اتحـادات لمبجـلي هـذا الإلـه أو ذاك، وقـد ظهـرت بمبـادرة مـن أفـراد أو جماعـات خـارج إطـار العلاقـات المبـاشرة مـع المعبـد.

كان للمارزيخـو تنظيمهـا الداخـلي الـذي وقـف عـلى رأس هرمـه (عظيـم)، وهـو الشـخص الأكـثر شـهرة وقـدرة عـلى تنظيـم الاتحـاد، وكثـيراً مـا أولم قـادة (المـرزح) للآلهـة، كـما يظهـر ذلـك في مقطـع مـن الأسـطورة: «يجلـس إيـل في مارزيخـه»، ثـم يتضـح مـن محتـوى النـص حينـما توصـف وليمـة الآلهـة التـي أقيمـت عنـد إيـل أن كلمـة mrzh تعنـي وليمـة[174].

وفي أحـد النصـوص، كانـت تقـام تلـك الولائـم - القرابـين - كصـلاة لبعـل عندمـا يحـاصر أعـداء المدينـة: "سـوف يقيـم وليمـة لبعـل"، غـير أنـه يشـار إلى الوليمـة هنـا بكلمـة SRT، كـما أن التقاليـد التوراتيـة حملـت لنـا أخبـاراً عـن مثـل هـذه الولائـم.

ونـرى هـذا في وثيقـة تتضمـن حفلـة أو اجتماعـاً للمـرزح، أقيمـت مـن قبـل أحـد الوجهـاء:

«مـرزح mrzh الـذي *أقامـه. شـامامانو. في بيتـه. وأسـكن أبسـانو. لاكامـو*

---

172 شيفمان، 1988a، ص 229.

173 شيفمان، 1988a، ص 90.

174 شيفمان، 1988a، ص 229.

وماعاغو. بصفتهم راشكوم. في بيته. خمسين وزنة من الفضة. فعلاً دفعها. وشامامانو. عظيم حقيقة إنه محبوب. من قبل رجال مارزيخو. وقالو. امامانو: اعط. فضة، الوزنة التي معك. لكنه أعطى وزنتين. الشهود: أخي رشب. بن أوجينيني. وعيدانو. بن ساغلادو»[175].

إن المميز هنا هو واقع إقامة المارزيخو في بيت فرد أُطلق عليه اسم شامامانو، ولا ريب أن ذلك جرى تحت قيادته، الأمر الذي أشير إليه في الوثيقة بالصفة «رب rb» (عظيم). وتظهر هذه الحقيقة أنه كان يمكن تنظيم المارزيخو بمبادرة فردية بعيداً عن العلاقات المباشرة مع المنظمة الحكومية، أو منظمة المعبد. تُجيزُ مقارنة الرواية التوراتية الاعتقاد أن الناس الذين اجتمعوا في بيت شامامانو قد أدُّوا في المارزيخو وظائف جماعية كهنوتية ما، وان مصطلح rsku استُخدم للدلالة على الأفراد الذين أُنيطت بهم هذه الوظائف، أما وجودهم عند شامامانو، فيفترض طبعاً أنهم يعيشون على نفقته.

ومما يثير الاهتمام حقاً هي مدفوعات شامامانو النقدية التي تحدثت عنها الوثيقة، ويرجح أن المقصود بهذه المدفوعات المساهمات النقدية التي دفعها شامامانو لصالح خزنة المارزيخو، ويبدو أن الكرم غير العادي الذي اتسم به سلوك شامامانو هو الذي ضمن له قيادة المارزيخو.

هناك من ينفي وجود برهان واحد مباشر يدعم ما تم معرفته عن (مرزح) وعلاقته بالإنشاد، لعدم وجود برهان مباشر أو نص يحصي ويشرح كل مظاهر هذه المناسبة، من إمداد، وعناصر فاعلة، وأعمال، بما في ذلك الأنشطة التي تجري فيها مراسم الحزن أو التهليل والشرب (حتى الثمالة)، والطقوس الجنسية المقدسة، وحتى السِفاح والتضحية بالأطفال

175 شيفمان، 1988a، ص227.

وتناول اللحم البشري والدم. وبالرغم من ذلك فإن وجودها فرضية ليس فيه مبالغة.

وإذا كان المعنى الأساسي لـ (مرزح) هو المكان الذي يقع فيه (الإنسان)، فإن بعض الباحثين يرى في معبد الريتونات مكاناً لاجتماع أعضاء المرزح/مارزيخو، وهذا يجعل من غير الممكن أن نُطلقَ عليه اسم معبد بالمعنى التقليدي للكلمة، سيما أنه لا يوجد مذبح للأضاحي في فنائه، وكذلك تغيب عنه الأضاحي التي تُميّز العبادة الشعبية التي لا تكتفي بالهبات والهدايا، مما يعني أن هذا المبنى ربما استُخدمَ بديلاً عن العبادة الرسمية وإن حظيت بتمثيل فيه[176]، وبذلك يمكن اعتبار (الصالة ذات المقاعد) في هذا المبنى المقدس بمثابة القسم المركزي من بيت (مرزح)[177].

وتروي لنا وثيقة من عهد «نقميبا بن نقمد/نقمادو»، أن المارزيخو تلقى هدية من الملك:

"من هذا اليوم اقتطع نقميبا بن نقمد ملك أوغاريت بيت المارزيخو ووهبه إلى المارزيخو نفسه وإلى أولادهم إلى الأبد. لن يأخذ أحد منهم هذا. خاتم الملك العظيم شاماشاري الكاتب".

ويتضح من نصوص أوغاريت شيئ مهم يتعلق بالمرزح/مارزيخو، فقد قام الملك بانتزاع إقطاعات من أراضي المرزح، وأعاد تقسيمها من جديد، ومنحها لمرزح آخر، والسبب في ذلك هو أنه كان مطعوناً بشرعية امتلاك المرزح لها. ومن المهم أن نعرف أن أراضي الآلهة التي قسمت على مؤسسة الـ «مرزح» الجديدة أعطت فرصة لأعضائها لاستثمار الأرض، والتمتع باستخدام المنتجات الزراعية التي جاءت من تلك الأراضي[178].

176 Michel، 1993، P. 204.

177 بوب، 1980، ص 80.

178 Heltzer، 2006، P. 346.

وثمة عمليات أكثر تعقيداً نقلتها الوثيقة، فقد قام رابيسو الملك بأخذ بيت المارزيخو الذي يدعى شاترانو وجعله ملكاً له (للرابيسو)، وقد تم ذلك (بحضور الملك) أميشتمارو الثاني، ثم أعطى جماعة المارزيخو هذه بدلاً من هذا البيت بيتاً آخر يُدعى بيت إبراموزا، وتضم الوثيقة صيغاً معروفة تُثبت حق كل من الطرفين في الملكية التي حصل عليها، ويشهد على ذلك خاتم أميشتمارو الثاني المثبت في نهاية الوثيقة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المارزيخو هنا مالكاً جماعياً بوصفة أحد طرفي عملية تبادل البيتين.

لا بد أن الصورة التي عكستها الوثيقة كانت واضحة: فلم يكن البيت الذي استخدمته جماعة المارزيخو ملكاً لها، بل للملك - على الأغلب - طالما لا توجد معلومات مغايرة، والآن أعطاه الملك لهذه المجموعة، فأصبح ملكاً لها يحق أن تورثه لأحد أبناء أعضائها. يتضح من ذلك أن الملكية داخل جماعة المارزيخو كانت وراثية أيضاً، والوثيقة لا تُحدد بالضبط أي من المارزيخو هو الذي حظي بهذه المنحة الملكية، ولكننا نعتقد أنها مارزيخو أوغاريت، فقد كانت جماعة المارزيخو تتمتع فيها بسمعة طيبة وشهرة واسعة، الأمر الذي لم يكن يتطلب تسميتها بالاسم.

يبدو أن هذه الملكيات الضخمة التي تمتعت بها هذه المؤسسة وسَّعت من مجال نفوذها على المستوى الإقليمي، ولم يَعُدْ دورها مقتصراً على المستوى المحلي، فكان لها الحق بالتدخل في الكثير من أنواع القرارات والاتفاقيات الاقليمية، هذا ما تثبته وثيقة مذيلة بخاتم ملك سيانو

المدعو «بيدايو»[179]، والتي يتم فيها اقتسام كرم العنب التابع لعشتار الحورية الواقع في شوكسو بين مارزيخو مدينتي آرو وسيانو، ويبدو أن المجموعتين في كلا المدينتين، كانتا تضمان مبُجِّلينَ لعشتار الحورية، الأمر الذي سمح لها امتلاك نصيب من أوقاف وأملاك هذه الآلهة. كما يذكر نص آخر المارزيخو في موضوع يتعلق بتسوية علاقة ملكية بين أخوة مارزيخو، وإذا كان الأمر كذلك فقد كان لمنظمة المارزيخو، التي يتقاضى الأخوة أمامها، وظائف قضائية[180]. (الشكل102).

يُشارُ إلى مشاركة الـ (مرزح) بالشعائر الجنائزية، ومناسبات الخصب، التي كان يدعى إليها «الربوم»، وهذا ما نراه في أسطورة (دانيل – أقهات)، إذ أن (ربوم)، الذين كانوا من المدعويين من قبل (دانيل) للطعام والشراب في (مرزح) هم أرواح الأجداد[181].

ومن هذا المنطلق يمكن فهم من افترض توازناً بين (مرزح) و(كيسبو) الرافدي، فالمدعوون إلى المائدتين هم الأجداد - أرواح الموتى - الذين جرت تسميتهم في لغة أوغاريت (ربوم)، وفي اللغة الأكادية (إتيممو). وكان يُخصَّصُ لإقامة هذه الموائد الكثير من الوقت والمال. وإن عدم التعرف على الطبيعة الأساسية لـ (مرزح) كوليمة للموتى والأحياء قد حال دون فهم هذه المؤسسة الواجب مقارنتها باحتفالات مشابهة في مختلف

179 مملكة سيانو أو شيانو، ورد اسمها في نصوص أوغاريت، وكانت تقع تحت سلطة أوغاريت أحياناً أو دائماً، تنفصلان وتتحدان. كما ورد ذكرها في رسائل العمارنة، وجاءت بصيغة تيانا بعد امنحوتب الرابع، ثم ذكرها الملك الآشوري شلمنصر بحولياته، عندما شاركت بالحلف الذي تزعمته مملكة دمشق ضده في معركة قرقر بسهل الغاب (853 ق.م)، والرأي السائد أن مملكة سيانو تتوضع في تل سيانو الحالي الواقع (8 كم) شرق جبلة، وتبلغ مساحته (10 هـ)، وهو واحد من أهم خمسة تلال بمنطقة الساحل السوري. جرت في الموقع تنقيبات أثرية منذ أواخر فترة الثمانينات بإدارة عدنان البني، ومنذ فترة التسعينات وما بعد بإدراة ميشيل المقدسي، وبسام جاموس.

180 شيفمان، 1988a، ص227، 228.

181 بوب، 1980، ص 80.

الثقافات[182]، وهـذا لا يُقلـلُ مـن الـدور الـذي لعبتـه عـلى المسـتوى المحـلي والإقليمـي، وربمـا شـكلت «لوبيـاً» ضاغطـاً عـلى الملـك وأرغمتـه عـلى اتخـاذ الكثـير مـن القـرارات، أو عـلى الأقـل؛ اسـتطاعت اسـتغلال موقعهـا لتحقيـق الكثـير مـن المصالـح الخاصـة بهـا.



الشكل رقم (102)
تنقيبات تل سيانو

182 بوب، 1980، ص 81.

الفصل الخامس: الكهـانــة

يحتـاج القيـام بشـؤون العبـادة إلى مجموعـة كبـيرة مـن الموظفـين المدربين مـن الجنسـين الذكـور والإنـاث. وقـد كان عـلى الملـك أن يحافـظ عـلى الأداء الصحيـح للطقـوس والاحتفـالات التـي يتوقـف عليهـا انسـجام العلاقـة مـع الآلهـة. وسرعـان مـا عهـد إلى كهنـة متخصصـين ببعـض الواجبـات الخاصـة تحـت إشراف رئيـس لهـم كان يقـوم بالدخـول إلى الحـرم وقـدس الأقـداس، يصحبـه أولئـك الكهنـة الذيـن يقومـون بتقديـم القرابـين وصـب السـكائب، والتطهـير ومسـح (تمثـال المعبـود) بالزيـت، في حـين ينشـغل آخـرون بتـلاوة التعاويـذ والرقـى، أو عـن طريـق الغنـاء والإنشـاد والموسـيقى، ويعمـل كهنـة التعاويـذ والعرّافـون (البـارو)[183] داخـل المعبـد وخارجـه، وكثـيراً مـا كانـوا يذهبـون إلى المنـازل الخاصـة[184]. وكان مـن أهـم واجبـات الكهنـة القيـام بالشـعائر اليوميـة الصباحيـة، وعنـد الظهـيرة وعنـد المسـاء، فعـادة مـا كان

183 حـاول الإنسـان القديـم معرفـة مـا سـيحدث في المسـتقبل، واخـترع الكثـير مـن تقنيـات العرافـة للتنبـؤ بـه، وضمـن مكتبـة في أحـد مواقـع شـمال العـراق، عـثر فيهـا عـلى 1200 رقيـم طينـي، كان مـن بينهـا 300 رقيـم لـه علاقـة بالعرافـة، مـما يشـير لأهميـة هـذا الموضـوع. وقـد عـرف الكاهـن العامـل بهـذا المجـال بالبـارو، الـذي يجـب لـكل مـن يشـغل هـذه الوظيفـة أن يكـون خاليـاً مـن العيـوب الجسـدية، وأن يكـون مـن أصـل حـر، ونظـراً لحاجتهـم لاسـتعمال وقـراءة النصـوص المسـمارية في عملهـم؛ فقـد انتمـوا للأقليـة المثقفـة التـي نالـت حـظ الاقـتراب مـن سـلطة الدولـة، ومـن إدارة المعبـد، ولذلـك كان الكثـير منهـم هـم مـن أبنـاء الشـانجو. والبـارو هـو الفئـة الأعـلى مـن العرافـين، وهنـاك فئـات أخـرى منهـا شـا إيكـو، التـي تعنـي الشـخص المصـاب بجنـون مؤقـت، وهنـاك الماكـو الذيـن كان يحـق لهـم الاشـتراك في حفـلات المعابـد. انظـر: سـاغز، عظمـة آشـور، 2008، ص 215، 216.

184 بارندر، 1993، ص25، 26، 27.

الكهنـة والعاملـون في المعبـد يسـتيقظون منـذ الفجـر بنـاء عـلى إشـارة الكاهـن الـذي يقـوم بمراقبـة النجـوم، حيـث تبـدأ طقـوس التطهـر وأداء الصلـوات، ومـع شروق الشـمس تـزداد الحركـة والنشـاط الدائـب في أنحـاء المعبـد مـن المخـازن والمخابـز والمطابـخ لتحضـير الطعـام والتزيـين والتعطـير، إضافـة للتطهـير والتبخـير، وتنتهـي طقـوس الصبـاح بـرش المـاء عـلى تمثـال المعبـود، وعـلى قـدس الأقـداس تأكيـداً للطهـارة، ثـم يتـم إغـلاق قـدس الأقـداس لينـصرف الكهنـة لتأديـة واجباتهـم الأخـرى. ولا تختلـف ممارسـات الظهـيرة والمسـاء عـن الصبـاح، سـوى أن الليـل يشـهد قيـام بعـض الكهنـة بعمليـة رصـدٍ فلـكيٍ للنجـوم[185].

بلـغ أنـواع الكهنـة حـوالي الثلاثـين صنفـاً، وكان هنـاك إلى جانـب ذلـك، طبقـات مـن الكاهنـات، وقـد ارتـدى الكهنـة والكاهنـات أرديـة خاصـة، وأُجريـتْ عليهـم مرتبـات مـن إيـرادات المعبـد[186]، كـما كانـوا يأخـذون مـن المـواد الغذائيـة، التـي لا تُسـتهلك أثنـاء التضحيـة، ومـن النواتـج الجانبيـة للأضاحـي كالجلـود وغيرهـا. لقـد شـكّل المعبـد كمبنـى ومؤسسـة مركـزاً عمرانيـاً وروحيـاً للمملكـة الشرقيـة القديمـة، بحيـث ارتبـط مـع الملـك والسـكان بشـبكة مـن العلاقـات الوثيقـة[187]. وكان حـول المعبـد، الخـدم والعبيـد، فضـلاً عـن التجـار والحرفيـين والجزاريـن والخبازيـن، وعـمّال المعادن والفضـة والخشـب الذيـن يقومـون بإعـداد القرابـين وصيانـة المبنـى ومـا يحتويـه مـن تماثيـل، كـما يقـوم الرعـاة بالعنايـة بقطعـان المعبـد، والفلاحـون بالحقـول. وكان لبعـض المعابـد مجموعـة مـن الكهنـة أو الكاهنـات، ويسـاند هـذا النشـاط كلـه هيئـة إداريـة كبـيرة مـن الكتبـة وأمنـاء المخازن والحـراس.

185 نور الدين، (الجزء الثاني)، 2009، ص 30.

186 زايد، 1967، ص 150.

187 ريم، 2009، ص 83.

والوصـول إلى طبقـات الكهنـة العليـا يحـدده الكهنـة الكبـار، ويتطلـب أن يكـون المرشـح سـليماً مـن الناحيـة الخَلْقيّـة صحيـح البـدن جيـد التعليـم[188]. وتحتـاج الآلهـة، كالبـشر، إلى مـؤن منتظمـة مـن الطعـام والـشراب توضـع أمامهـا عـلى الموائـد في الصبـاح والمسـاء، واللحـوم المفضلـة عندهـا هـي لحـوم القرابـين، ولا بـد أن يصـب الـدم أولاً في فناجـين، ثـم تختـار الأجـزاء الممتـازة كالرئتـين والكبـد لمعرفـة الطالـع. وتُقـدم إلى الآلهـة الفاكهـة والسـمك والطيـور والعسـل والزبـدة واللـبن، إلى جانـب الأطعمـة الرئيسـة كخبـز الشـعير والبصـل وغيرهـا. أمـا الزيـت والخمـور والبخـور فهـي تُقـدم بسـخاء وكل شيء يسـجله الكتبـة بدقـة شـديدة ثـم تـودع تقاريرهـم في أرشـيف المعبـد، وتحظـى تماثيـل الآلهـة بزينـات جديـدة وزخـارف حديثـة في العيـد الخـاص بهـا[189]. كان الكهنـة يتولـون وظائـف مختلفـة في المعابـد الصغـيرة، أمـا في المعابـد الكبـيرة فـكان العاملـون أكـثر تخصصـاً، وكانـت الطهـارة الدينيـة شرطـاً لا بـد منـه للأشـخاص العاملـين في المعبـد[190]. كان المرشـحون يُنتقـونَ بعنايـة، بواسـطة عمليـة الكشـف عـن الكبـد الحيـواني ومـن ثـم يخضعـون لامتحانـات ودورات تأهيليـة، وكان حلـق الشـعر يشـكل خطـوة حاسـمة لمـن يُعـيّنُ كاهنـاً. هنـاك نـص حـول تعيـين كاهنـة في مدينـة إيمـار يصـف بالتفصيـل مراسـم التعيـين

188 للانخـراط في سـلك الكهنـوت؛ تطلـب الأمـر ثقافـة دينيـة معينـة، وقضـاء فـترة مـن التدريـب عـلى طقـوس العبـادة الصارمـة، علـماً أن حقـوق الوراثـة أو التعيـين مـن قبـل الملـك، أحـد أهـم المتطلبـات لشـغل هـذه الوظائـف.

189 بارندر، 1993، ص 25، 26، 27.

190 كان الـشيء الأول الـذي يُطلـب مـن كل كاهـن، وكل مـن يقـترب مـن الأشـياء المقدسـة هـو وجـوب الطهـارة، وقـد ذكـر هـيرودوت أن الكهنـة في مـصر كانـوا يغتسـلون بالمـاء مرتـين في النهـار، ومرتـين في الليـل، وغالبـاً مـا كان الاغتسـال يتـم في البحـيرات المقدسـة الملحقـة بالمعابـد، ولذلـك نجـد في سـاحات المعابـد؛ وخاصـة عنـد مداخلهـا الأحـواض الحجريـة التـي خصصـت لهـذه الغايـة. وهنـاك ضرب آخـر مـن الطهـارة الماديـة، وهـي حلـق الشـعر. وقـد ذكـر هـيرودوت أن الكهنـة في مـصر كانـوا يحلقـون أجسـامهم بأكملهـا، حتـى لا يتوالـد بهـا القمـل، أو غـيره مـن الحـشرات أثنـاء قيامهـم بخدمـة الإلـه. انظـر: عبـد الحليـم نـور الديـن، (الجـزء الثـاني)، 2009، ص9.

التـي تسـتمر سـبعة أيـام تُقـام خلالهـا المواكـب الاحتفاليـة والصلـوات، وتقـدم الأضاحـي المرافقـة للشـعائر الدينيـة، وكانـت الكاهنـة المقبلـة تتلقـى هدايـا كالعـروس تتكـون مـن جهـاز كامـل، منهـا الملابـس ومنهـا الأثـاث المنــزلي[191].

ويبـدو أن الكهنـة السـوريين نالـوا مراتـب وشـهرة مرموقـة حتـى خـارج بلدانهـم، فتظهـر نصـوص حاتوشـا أن بعـض الطقـوس التـي كانـت تجـري في معبـد حاتوشـا، ذكـر فيهـا الكاهـن المختـص بالتعاويـذ، طـارد الأرواح الشريـرة، وسـمي بــ «خـال HAL» الحلبـي، مـع اسـم "ايخـال تيشـوب Ehal Teššup". كـما جـاء ذكـره بعـدة نصـوص أخـرى[192].

أولاً: الكهانة في أوغاريت

تـبرز عمليـات الطقـوس السـحرية الـدور الخـاص للكهنـة، وهـي توضـح كيـف كانـوا ينظمـون الأنشـطة العمليـة للنـاس بحيـث يتوافـق مـع متطلبـات ممارسـة طقـوس العبـادة[193].

عُـرف الكاهـن الـذي يقـوم بأمـور السـحر باسـم «شـامان» وكثـيراً مـا كان منشـداً ومغنيـاً في المعبـد إضافـة لوظيفتـه كسـاحر، وهـو أمـر كانـت قـد عرفتـه مجتمعـات المـشرق القديـم، ولهـذا التقليـد ارتبـاط بموضـوع الإيمـان بالقـوة السـحرية وبالطبيعـة المقدسـة للروايـات الشـعرية[194].

تتوضـح المعلومـات عـن الممارسـات الكهنوتيـة في أوغاريـت أكـثر مـن خـلال ممارسـة تفحـص أكبـاد الأضاحـي الحيوانيـة، فبعـد التضحيـة بالحيـوان يتـم الحصـول عـلى أعضائـه الداخليـة لفحصهـا، لقـد كان هـذا الـشيء عمـلاً علميـاً متطـوراً أعـدت لـه الكتـب ونمـاذج مـن الأكبـاد لأغـراض تعليميـة.

191 ريم، 2009، ص 83

192 Hoffner، 1992، P. 102، 103.

193 شيفمان، 1988b، ص 92.

194 شيفمان، 1988b، ص 55.

تضمنت الكتيبات الأوغاريتية طيفاً واسعاً من الممارسات الكهنوتية، التي تتراوح مواضيعها من النظر بالولادات البشرية والحيوانية المشوهة إلى الأحلام. وليس من المستبعد أن يكون الكّهان الأوغاريتيون، قد أطلعوا على العلوم الكهنوتية الرافدية بشكل كامل. والسؤال المطروح هو معرفة مدى التأثير الذي وصلت إليه الطقوس الكهنوتية الرافدية ومدى الحماس الذي لاقته في أوغاريت(195).

إضافة للتأثير الرافدي فقد كانت نصوص أوغاريت «العلمية»، انعكاساً لتجارب فردية سابقة، ساهمت في خلق خبرة، زوّدتْ العرّاف بالمعلومات اللازمة في قراءته للظواهر، و أصبحت تقليداً أوغاريتياً أصيلاً ومتوارثاً بعد نسخها على كتيبات طينية ليَفيدَ منها المتخصصون الجدد(196).

ثانياً: الكهانة في إيمار

اشتهر في إيمار الكاهن (lu HAL. LU MAŠ. ŠU.GID. GID)، الذي كان يُدير المنشأة التي عثر فيها على الألواح الرئيسة (ما يشبه المكتبة)، وهذه الحالة توضح أن وظيفة الكاهن، تجاوزت المعنى العملي المتوجب عليه شغله، لكنه لم يتخلَّ عن واجباته، والقيام بدوره النشط في إدارة العبادة الشعبية في المدينة.

ويبرز أحد الكهان الذي بقي مركزه حكراً عليه، وهو الذي ينتمي لعائلة زو بعلا Zu-Ba´La، وقد بقي في منصبه طوال الفترة التي تُغطيّها النصوص، ثم ينتقل المنصب لوريثه كجزء من الإرث.

وفي وصية لكاهن آخر يدعى: بعل قاراد qarràrd - Ba'al كشفت النصوص (عثر عليها في أرشيف هذا الكاهن) عن كميات من المؤونة،

195 Pardee، 2002، P. 229.

196 Pardee، 2002، P. 130، 132، 134.

تضمنت مواداً من الزيت والخبز والبيرة والنبيذ والخرفان، إضافة لبعض أشكال الدفع كتقدمة للآلهة، ظهر فيها هذا الكاهن منظماً ومراقباً رسمياً لهذا العمل[197].

فيما يتعلق بنظام حل المشاكل الشخصية، كان الكاهن على اتصال مباشر مع حاشية معاون الملك في كركميش، فتمكن من تجاوز الملك الحالي. ونرى البيروقراطي الحثي (آغال شيميجي) يكتب للكاهن عن أحد الأشخاص ويدعى «زو بعلا» قائلاً: "ألم أقل لك أن هذا الرجل رُشّح للعمل الكهنوتي في "نين. كور NIN. KUR"؟. دعه يعمل في الكهنوت، لِمَ لمْ تضعه هناك؟ قلت لي عيّنه عندما تصبح هناك. والآن أنا لست قادراً على المجيئ، ولما لم تعيّنه. الآن عندما يتغيّر الكهنة ضع (أدا ابن أشدي دجن) في كهنوت NIN. KUR".

لا يوجد إلا القليل من المعلومات عن نشاطات أعضاء آخرين من مخدمي دور العبادة، ولكنّنا نصادفهم أكثر في القوائم الإدارية والنصوص التي تصف المراسم الاحتفالية. ويبدو أنه كان للنسوة العاملات بشكل رسمي بدور العبادة مكانة مرموقة في إيمار. ويأتي بشكل خاص، ذكر الكاهنة «إيتو» أو «إنتو» إله العاصفة NIN. DINGIR والتي كان لها دور كبير في العمل الكهنوتي. ومن الكاهنات المهمات أيضاً نذكر الكاهنة «ماس آرتو»، التي يبدو أنها كانت متخصصة بأمور الحرب، وهناك الكاهنة «نوغاغ تو» التي تطلق الصرخات الشعائرية، والكاهنة «كاديتستو»، والكاهنات المبتهلات «مونابياتو»[198].

تتضمن المهن المذكورة المعترف بها في النصوص الشعائرية الكاهن اللحام «زابيهو» لدجن ولنينورتا، وهناك المغنون «زمامرو»، والكاهن

197 Lete، 2008، P. 9.

198 Lete، 2008، P. 9.

المبتهـل «لونـابي» حامـل التماثيـل، و«إيبيليـا»، وكاهــن «ســانجا».

إن آليـة الانخـراط في الخدمـة الدينيـة ضبابيـة بعـض الـشيء، ولكـن وكـما رأينـا أعـلاه؛ فقـد سـمح للكاهــن بجبايـة بعـض الأجـور، وقـد أعلمنـا نـص قديـم - ربمـا مـن الحقبـة الزمنيـة التـي سـبقت الغـزو الحثـي - أن تنصيـب الكاهـن يتـم بأمـر مـن القـادة الملكيـين والمدنيـين.

أحـد الكهنـة ويدعـى «إريـب - بعـل Ir'ib - Ba'al"، كان قـد دفـع مـن مالـه الخـاص مبلغـاً هائـلاً باسـم المدينـة، مقابـل قيـام الملـك ومعـه مدينـة إيمـار، بجعلـه الكاهــن الأسـاسي في معبـد «نيرغـال» الواقـع قـرب السـوق، وسـيبقى إلى الأبـد كاهنـاً مسـؤولاً عنـه، ومـن بعـده، ابنـه، وحفيـده، وخلفـه، وخلـف خلفـه.

يبـدو أيضـاً أنـه كان متاحـاً للأشـخاص بنـاء هيـكل مـا مـن مالهـم الخـاص، فيوهـب لـه، ويضمـن بقـاء كهونتـه في حيـازة مـن يخلفه مـن ذريتـه: "وهكذا، بيلسـو ـ دجـن، ابـن...، وبنـاء معبـد صخـري في نيرغـال. دعـي قدمـاء إيمـار ليجلسـو فيـه وكتابـة الوثائق.*منـذ ذلـك اليـوم سـيكون بيلـو – دجـن كاهـن معبـد نيرغـان دوروشي الصخـري، وسـيعطى لسـلالته كهنـوت معبـد نيرغـال للأبـد*»[199].

ثالثاً: الكهانة الفينيقية

تذكـر النقـوش وجـود كهنـة مـن الجنسـين، ويبـدو أن المجمـع الكهنـوتي كان مســؤولاً عــن العبــادة وإدارة المعبــد، وكان الكهنــة موظفــين ينتمــون لأكـثر العائـلات نفـوذاً في المدينـة، والمراتـب الأكـثر تأثـيراً، فوظيفـة الكاهــن الأعــلى كانــت بيــد العائلــة المالكــة[200]، لا بــل اضطلــع الملــوك في صيــدا وصـور وبيبلـوس بمهـام الكهنـوت[201]، وتظهـر عـدة نصـوص مـن صيـدا تقلّـد

199 Lete، 2008، P. 11.

200 Aubet، 1999، P. 129.

201 Hutter، 1995، PP. 128-136.

"تبنيت" منصب كاهن عشترت، إضافة لمنصبه ملكاً على الصيدونيين: "أنا تبنيت كاهن عشتروت ملك الصيدونيين، ابن أشمون عزر كاهن عشتروت ملك الصيدونيين...". ونجد في نقش أشمون عزر؛ أن أمه أم عشترت تقلدت منصب كاهنة عشتروت إضافة لكونها ملكة[202]. كما كان للملوك والملكات في فينيقية وظائف كهنوتية[203]، وهذا ما فعله القادة الأرستقراطيون أيضاً، مثل ملخوس في قرطاج بالقرن السادس، كما يرى بعضهم أن الكهنة علاوة على واجباتهم الدينية، كانوا أعمدة الحياة الفكرية والتقاليد الفينيقية، وأن الكهانة هي التي رسخت العادات واللغة الفينيقية طويلاً في شمال إفريقيا[204].

أما المناصب الكهنوتية الخاصة فكانت في بعض الأحيان حكراً لعائلة محددة على مدى أجيال عدة، ففي قرطاج يوجد نقش حجري يذكر سبعة عشر جيلاً من الكهنة، وهناك نقش آخر على ضريح يذكر خمسة أجيال دفنت في قبر واحد.

لقد احتفظ الملك بصفته كاهناً أعلى وملكاً، بعلاقات وثيقة مع الآلهة، قدم لها الهدايا والهبات، وبنى لها المعابد، ووقف لها الأشياء المختلفة لكسب ودّها، والحصول على رضاها ومباركتها. والنصوص كثيرة

202 حامدة، 1994، ص 129- 160.

203 لم يكن شغل الملوك وعائلاتهم والمقربين منهم خارجاً عن المألوف في المشرق القديم، فمن المعلوم أن الفرعون في مصر بوصفه ابناً وخليفة للأرباب، فإنه كان يقدم لهم القرابين باعتبارهم أسلاف له، كما كان مثل بقية أفراد المجتمع يقدم قرابينه لأرواح أجداده، ومن ثم كان هو الكاهن الأول لكل معبود في البلاد، ومع الزمن تنازل عن الكهانة لمتخصصين انتدبهم عنه، ومنهم أولاده أو أحد الأمراء من أسرته، أو أحد خلفائه في البلاط الذين كانوا نوابه الدائمين في منصب كبير الكهنة. كما كان من حق الأسر الكبيرة القديمة أن تشارك بشرف إدارة المعبد، وأصبح هذا المنصب الديني وراثياً، وما دام الكاهن قد ورث وظيفته عن أبيه؛ فإنه يستطيع عمل التقدمات، وأداء كل الاحتفالات، وذكر هيرودوت أنه عندما كان يموت أحدهم، فإنه كان يتم تنصيب ابنه محله، (وهذه ليست القاعدة بل تقليد متبع)، ولهذا تذكر النصوص عدة أمثلة لأسر حقيقية من الكهنة، ونجد الشيء نفسه في الكثير من المواقع السورية. انظر: نور الدين، (الجزء الثاني)، 2009، ص5، 14.

204 دونالد، 2007، ص 121.

بهـذا الخصـوص منهـا، لوحـة نذريـة جلبهـا «أبي بعـل» ملـك جبيـل مـن مـصر لآلهتـه بعلـة جبيـل، لتعطيـه المـدد:

"أنـا يحـاو ملـك ملـك جبيـل، ابـن يحـار بعـل حفيـد أورو ملـك ملـك جبيـل، الـذي نصبتنـي الربـة بعلـة جبيـل ملـكاً عـلى جبيـل. وناديـت أنـا ربتـي بعلـة جبيـل وسـمعت نـدائي، فصنعـت أنـا لربتـي بعلـة جبيـل هـذا المذبـح النحـاسي (البرونـزي) الـذي في هـذا....، وهـذا البـاب الذهبـي الـذي أمـام بـابي هـذا، وهـذه الأروقـة وأعمدتهـا والتيجـان التـي فوقهـا، وسـقفها، صنعتهـا أنـا يحـاو ملـك جبيـل لربتـي بعلـة جبيـل، كـما دعـوت ربتـي بعلـة جبيـل، وسـمعت دعـائي، وجعلـت لي النعـم (الخـيرات) لتبـارك بعلـة جبيـل يحـاو ملـك جبيـل، وتحييـه وتطيـل أيامـه وسـنواته عـلى جبيـل، لأنـه ملـك صـادق هـو، وتعطيـه الربـة بعلـة جبيـل الرحمـة (الحنـان) أمـام الآلهـة وأمـام شـعب الأرض هـذا وحنـان شـعب الأرض هـذا، والحنـان أمـام كل الملـوك وكل إنسـان (الـذي) يجمـع لينجـز العمـل لهـذا المذبـح والبـاب الذهبـي هـذا وهـذه الأروقـة. اسـمي أنـا يحـاو ملـك ملـك جبيـل. هـل سـتضع نفسـك لهـذا العمـل؟ لكـن إذا لم تضـع لنفسـك اسـماً، أو تبعـد هـذا العمـل أو تنقـل هـذا.... مـع أساسـه مـن هـذا المـكان وتزيـل مخبـأه فعندئـذ سـتهلك الربـة بعلـة جبيـل الإنسـان هـذا وكل نسـله أمـام كل آلهـة جبيـل"[205].

وتذكـر النقـوش كهنـة متزوجـين مـن كاهنـات، وبعـض الكهنـة الذيـن كانـوا مجـرد خـدم الديانـة وليسـوا كـما في بعـض البلدان حكامـاً أو قضـاة أيضـاً بحكـم مناصبهـم، ومـع ذلـك، يبـدو في بعـض الأحيـان أن أشـخاصاً معينـين قـد زاوجـوا بـين هذيـن الدوريـن، كـما تذكـر موظفـين آخريـن غـير الكهنـة، كتبـة، خـدم، موسـيقيون، حلاقـون. إن وجـود الحلاقـين يشـير إلى أن الحلاقـة وإزالـة

205 حامدة، 1994، ص 129-160 .

الشعر كان جزءاً من الشعائر. ومن بين الخدم ثمة عاهرات دينيات من النساء والغلمان، فقد زعموا أن هذه الممارسة كانت شائعة في المقامات الفينيقية ولا سيما في المشرق، ويشير هيرودوت إلى وجودها في قبرص، كما كان لدى الآباء الأوائل الكثير مما يقولونه عن ذلك في فينيقية، غير أن هذه الممارسة كانت موجودة في الغرب الفينيقي أيضاً، ذلك أن تصوير غلمان المعبد تكرر أكثر من مرة على الأعمدة الحجرية القرطاجية[206].

206 ونالد، 2007، ص 122.

الفصل السادس: التنجيم والسحر

لم يكـن مـن السـهولة بمـكان وضـع حـدود دقيقـة بـين السـحر والمعتقـدات الدينيـة لاختلاطهـما في الكثـير مـن مجـالات الحيـاة الاقتصاديـة والاجتماعيـة والمعرفيـة. لقـد كان التنجيـم يعتمـد عـلى ملاحظـة النجـوم والكواكـب، ومراقبـة الأحـداث الفلكيـة مراقبـة دقيقـة، وهـي تنبـئ عـن الأحـداث التـي سـوف تحـدث عـلى الأرض. وبمـا أن كل مـا يحـدث يعـود السـبب فيـه إلى إرادة الآلهـة وفعلهـا، فقـد كان للتنبـؤ بمـا تريـد الآلهـة أهميـة حاسـمة، إذ أن حـالات الشـؤم والتعاسـة كالطاعـون والمجاعـات والحـروب، وأيضـاً في المجـال الشـخصي كالعقـم والفقـر وغـير ذلـك، كانـت تُعـدُّ مـؤشرات تـدل عـلى غضب الآلهـة. ومـن أجـل الحصـول عـلى المسـاعدة كانـوا يبحثـون عـن الأسـباب التـي أدت إلى غضـب الآلهـة، ومعرفـة الطـرق التـي يمكـن مـن خلالهـا تهدئتها وإرضائهـا، وكان التنجيـم مـن الأشـياء المسـاعدة عـلى ذلـك. ولجلـب عطـف الآلهـة ومسـاعدتها في حـالات الشـدة؛ كان لا بـد مـن اتبـاع بعـض الممارسـات السـحرية، ونـذر النـذور والقرابـين[207].

كان أشـهر وأنشـط العاملـين مـن الكهـان في هـذا المجـال هـم الخـبراء بالتعاويـذ السـحرية، وقـد عرفـوا في آشـور باسـم الأشـيبو (مـاش ميشـو) التـي تترجـم بطـاردي الأرواح الشريـرة. وكان معظـم هـؤلاء يعملـون خـارج المعبـد،

207 نير، 2009، ص 77.

وكان بعضهم يعمل بخدمة الملك، وموظفاً في ملاك القصر[208].

وكانت آليات التنجيم تشمل مشاهدة الكبد والرئة، وتفسير مناظر النجوم والكواكب، وطيران الطيور، وحالات التشوه الولادي لدى الإنسان والحيوان، واستجواب الموتى، وطلب البركة من الأموات، والعرافة والشفاء من الأمراض. والتنجيم نوعان: أولهما رصد الأجرام السماوية، ومراقبتها، ومحاولة الإفادة من هذه الملاحظات بما سيحل بالملك أو الدولة. أما النوع الثاني فهو طالع الإنسان بالنسبة للبرج منذ ولادته.

إن لكل حادث يحدث في السماء له ما يشابهه على الأرض، ولهذا تشاءموا من خسوف القمر، وكسوف الشمس. وعدّوها من فعل الشياطين، نتيجة قتالها مع الآلهة، كذلك راقبوا الزهرة، وكانت تمثل الإلهة عشتار واستخدموها في التنجيم، كما اعتمدوا على قراءة المشتري في التنجيم، الذي استخدمت له قراءة ظواهر طبيعية أخرى، رأوا فيها فألاً أو شؤماً، ومنها المطر وهبوب الرياح والزوابع والصواعق[209].

واعتمدوا على الرؤية والأحلام، وعلى بعض المخلوقات التي يظهر فيها بعض الشذوذ، مثل فحص كبد حيوان الأضحية. والأصل في هذا اللون من العرافة هو وجود علاقة بين الحيوان المضحى به وروح الإله، وكانت تظهر بعض العلامات على الكبد مثل الفقاقيع والتشققات. وتوجد بعض الألواح الطينية، عليها صور الكبد وأسماء أجزائه، وتعليمات خاصة كان يتم الاستعانة بها، خاصة إذا ما أُريد القيام باختبارات خاصة بالتنبؤ.

كما كان لزجر الطير، وتموج الماء، واللهيب، مغزىً عندهم. واستخدموا للعرافة صب الماء مع الزيت في الإناء، فيلاحظ العرّاف ما ينشأ من حلقات من الزيت، ومقدار طوافها فوق الماء واتجاهاتها[210].

208 ساغز، عظمة آشور، 2008، ص 316.

209 زايد، 1967، ص 151.

210 زايد، 1967، ص 151.

لقد ظل السحر والتنجيم وكل ما يرتبط بهما، من عرافة وتنبؤ وغيره، الشغل الشاغل لسكان مشرقنا القديم والمناطق المجاورة، وأكثر المناطق التي نجد فيها صدىً لهذا الفكر المشرقي، هي بلاد اليونان وجزرها المختلفة[211].

أولاً: التنجيم والسحر في أوغاريت

1 ـ التنجيم

تعكس لنا نصوص العرافة في أوغاريت الممارسات اليومية للسكان، بما تتضمنه من أحداث وظواهر فُسرت على أنها تشي بالشؤم أو بشيء حسن. ورصدت النصوص لحظات التنبؤ، وهي من المواضيع النادرة في أرشيفات مشرقنا القديم، ومن هنا تأتي قيمتها. وغاية هذه الطقوس هو التكهن، وتزويد الناس الذين يطلبون الاستخارة، بالإرشادات المطلوبة لإدارة شؤونهم الحياتية. (الشكل 103).

وقد نسخت نماذج من النصوص على أشكال طينية تأخذ شكل أكباد الحيوانات التي كان تجرى عملية الاستخارة من خلالها، ولم تقتصر عملية التفحص على كبد الحيوانات المضحى بها، بل شملت أحياناً أعضاءً أخرى كالكلى والخصيتين والرئة.

يقوم بهذه العملية كاهن مختص يفسر كافة التشكيلات التي يشاهدها، وتظهر النصوص براعة هؤلاء وقدرتهم على تفسير الإشارات التي

211 لقد خيل إلى أهل ذلك الوقت الذين كانوا يعيشون في عالم مليء بالقوى العليا غير الطبيعية، أن حوادث الحياة رهينة بإرادة الشياطين والآلهة، ولم يكن أمام اليونان الذين يريدون معرفة هذه الإرادة إلا اللجوء للعرافين والمتنبئين ليستشيرونهم في أمرهم، وكان هؤلاء ينبئون بالمستقبل من خلال النظر إلى النجوم وتأويل الأحلام، وبحث أحشاء الحيوان، وزجر الطيور، وكان العرافون المحترفون يؤجرون أنفسهم للأسر والجيوش والدول. من ذلك أن نسياس Nicias استخدم قبل أن يسيّر حملته على صقلية طائفة كبيرة من مقربي القرابين، وزاجري الطيور، وقارئي الغيب.



الشكل رقم (103)
أكباد طينية تستخدم للتنجيم

تـتراءى لهـم عـلى العضـو المفحـوص. هـذه المهـارة ترتكـز عـلى معـارف وخـبرات موجـودة سـابقاً وموضوعـة ضمـن كراسـات صغـيرة مكتوبـة، وهـي تتضمـن تفاصيـل ملاحظـة كل حالـة، وربطهـا مـع الوقائـع التـي نتجـت عنهـا، وقـد بـرع مـن بـين الكهنـة أولئـك الذيـن اعتمـدوا في تفسـيراتهم عـلى المعـارف السـابقة التـي وجـب أن يكونـوا قـد اطلعـوا عليهـا. وإضافـة للكتابـة التـي حملتهـا هـذه الأشـكال الطينيـة فقـد حملـت أيضـاً رسـوماً مختلفـة تشـابه تلـك الموجـودة عـلى الكبـد الحقيقـي للحيـوان وكل شـكل يعكـس أيضـاً قـراءة لحالـة مختلفـة موجـودة، كـما في النـص (RS 24.312) الـذي يحمـل إشـارات ورسـوم، دون أي كتابـة، تعطـي تفسـيراً لـه علاقـة بالكـون والطبيعـة. (الشـكل 104).

أمـا النـص (RS 24.277)، وهـو عـلى شـكل رئـة حيـوان مـن فئـة الغنـم أو الماعـز، فيحمـل بعـض العبـارات النصيـة، التـي لا تقتـصر فقـط عـلى كونهـا اسـتخارات تنبؤيـة، بـل تعـبر عـن أداء أنـواع معينـة مـن الطقـوس التكهنيـة. وهـذا النـص ومـا يشـابهه ينتهـي بذكـر أعـداد القرابـين (أغلبهـا مـن الماعـز) التـي ضُحِّيَ بهـا في عمليـة التنبـؤ[212]. لقـد كانـت ملاحظـة الرئـة في الحيـوان

212 Pardee، 2002، P. 127، 128.



الشكل رقم (104)
كبد طيني - أوغاريت -

المذبوح طريقة شائعة الاستخدام في بلاد الرافدين عندما تكون الدولة على وشك إصدار قرارات مهمة كالاتفاقات الدولية أو شن الحروب[213]. ترى هل كان النظر في رئة الأضحية خاص بهذه القضايا المشابهة في أوغاريت؟.

في الحقيقة لا تفصح نصوص أوغاريت عن هذا الموضوع بوضوح، ولكن من المحتمل جداً أن يكون هذا الأمر سارياً أيضاً هنا، ما دامت طريقة التفكير واحدة ومتقاربة جداً في كل مشرقنا القديم، التي اعتمد سكانها في التنبؤ على تطيير الطيور[214] وكانوا ينطلقون في التشاؤم أو التفاؤل على اتجاهات طيرانها.

2 ـ النبوءة

التنبؤ؛ فنٌ نشأ لقراءة إشارات الآلهة لمعرفة رغباتها من خير أو شر، فقد اهتم الناس منذ القدم بمعرفة الغيب، ورغبوا في معرفة مستقبلهم ليتجنبوا الأخطار، وهم في ذلك يحاولون معرفة إرادة الآلهة. وحتى يصلوا

213 بارندر، 1993، ص 29.

214 نشط في الألف الأول ق.م عرّافون في آشور عُرف واحدهم بـ"ملاحظ الطيور"، وهو شخصية رسمية يخدم الملك، ويقدم تقاريره له، بحيث تتضمن تنبؤات فلكية معتمدة على حركات الطيور واتجاه طيرانها.

إلى غرضهم، كان يقوم بالعرافة خبراء لديهم مجموعات من الكتيبات التي دُونت فيها المعارف والقواعد القديمة لدراسة هذه الحالات المتنوعة من الظواهر التي تمكنوا من تتبعها بدقة شديدة، ووضعوا لها قواعد الحلول التي تعتمد على مشيئة الآلهة[215].

يقدم أحد النصوص الشائكة، شيء عن الوحي الإلهي: "عندما اقترب سيد الآلهة العظيمة العديدة (إيل) من ديتان، التمس، ديتان، وحي بخصوص الطفل". والمعنى هنا، أنه يمكن الوصول إلى إيل عن طريق وسيط وحي، هو هنا ديتان، حامي الأسلاف المؤلهين المعروفين باسم مجمع ديتان. ثم يتابع النص سلسلة من التعليمات المتقطعة وغير الواضحة في النقش، من شأنها تمكين السائل من الحصول على الكثير من الإجابات المطلوبة. إذا أُخذت هذه النصوص مجتمعة، فإنها تدل على مدى الاهتمام بفنون الكهانة في أوغاريت، ولكن هذه النصوص وغيرها لا تقدم لنا من الناحية العملية معلومات بخصوص القائمين على تلك الفنون، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا يمارسون فنونهم بشكل هامشي بالنسبة للمؤسسات الدينية الرسمية[216].

والعرافة واحدة من أهم العلوم التي مُورست في بلاد الرافدين، وقد جمعت هذه الظواهر ضمن مجموعة من النصوص، وصنفت وفق المواضيع التي تحدث فيها هذه الظواهر غير الاعتيادية (تغيرات القمر، وأشكال النجوم، والأحلام...الخ). وهي تعود، في الأصل، لفترة أبكر من العهد البابلي القديم. والأوغاريتيون لم يبتدعوا هذه الأشياء من عندهم، ومن الوارد أنها تعود لعصر السيادة الحضارية والسياسية الأمورية

215 زايد، 1967، ص 151.

216 كوبر،2007، ص 73.

العظيمـة فـوق كامـل منطقـة الهـلال الخصيـب مـن بابـل إلى حاصـور[217]، منـذ بدايـة الألـف الثـاني قبـل الميـلاد. وربمـا كان الأموريـون السـبب في انتشـار علـوم العرافـة في كل بـلاد الرافديـن ومشرقنـا القديـم، لكـن النصـوص الأوغاريتيـة تظهـر اختلافاً عـن النصـوص الرافديـة والأناضوليـة السـابقة لهـا، مـن حيـث أنهـا تحـاول تقديـم احتـمالات متعـددة في التعاطـي مـع الحالـة المدروسـة. فـكل حالـة لهـا تقييـم مختلـف أو أكـثر مـن تفسـير، فـولادة عجـل بخمسـة أرجـل ربمـا كان لـه أكـثر مـن تفسـير، كـما يتبـين مـن أحـد النصـوص. وقـد جـرى تصنيـف هـذه النصـوص عـلى أنهـا «علميـة» كونهـا شـكل مـن أشـكال الملاحظـة التجريبيـة (إذا مـا لوحظـت نفـس الظاهـرة فإنـه سـيكون لهـا نفـس النتائـج)، وأيضـاً بسـبب تشـابهها مـع العلـوم التجريبيـة الطبيـة الحديثـة، (إذا حدثـت هـذه الأعـراض، يعطـى ذاك العـلاج)[218].

3 ـ تقرير تنجيمي

يشـير النـص (RS 12.061)، إلى حـدوث كسـوف للشـمس، كـما يرصـد مشـهداً متكـرراً لمـارس (المريـخ) «رشـب» عنـد غـروب الشـمس لسـتة أيـام متتاليـة، فيتـم وصـف خمسـة أيـام متواصلـة مـن رؤيـة الكوكـب عنـد غـروب الشـمس، بـدءاً مـن المسـاء قبـل ظهـور القمـر الجديـد، وفي اليـوم السـادس، يظهـر مشـهد فلـكي جديـد عـلى سـطح المريـخ[219] يبـدأ السـكان عندهـا بنـوع

217 حاصـور أو حـازور، هـي تـل القـدح الحـالي، يقـع في فلسـطين، شـمال بحـيرة طبريـا، مسـاحته 82 هكتـاراً، مسـاحة المدينـة العليـا فيـه 12 هكتـاراً، يعـود السـكن فيـه للفـترة الممتـدة مـن عـصر البرونـز الباكـر حتـى العـصر الهلنسـتي، أمـا المدينـة المنخفضـة فمسـاحتها 70هــ. سُـكنت في عـصري البرونـز الوسـيط والحديـث. كانـت حاصـور مدينـة كنعانيـة مهمـة، ومحصنـة، ومـن أكـبر مواقـع المنطقـة، وقـد ورد ذكرهـا أولاً في نصـوص مـاري، ثـم في قوائـم مصريـة للمـدن السـورية تعـود لعـصر البرونـز المتأخـر، وكذلـك في رسـائل العمارنـة.

218 Pardee، 2002، P. 130، 132، 134.

219 ترجـم الباحـث سـولدت الشـهر القمـري «هـير» حسـب النـص الأوغاريتـي عـلى أنـه الشـهر القمـري الـذي أتى في شـهري شـباط وآذار مـن عـام 1223 ق.م. وحسـب التقويـم المـصري ظهـر هـلال القمـر الجديـد في اليـوم السـادس مـن شـهر آذار، وهكـذا تأكـد للباحثـين أن الكسـوف الـكلي للشـمس المذكـور في النـص قد حـدث يـوم الخامـس مـن آذار، في السـاعة الثالثـة عـشر ظهـراً، ودام حـوالي خمـس دقائـق.

مـن المشـاورات (كبـدم kbdm)، ثـم يسـعى الرجـال مـن بـين الحضـور إلى حاكـم المدينـة، طالبـين منـه القيـام باختيـار الكهنـة المختصـين بالتنبـؤ في معنـى هـذا المشـهد وهـذه الظاهـرة، وتقديـم الأضاحـي المكرسـة لهـذه الحالـة مـن التكهُّـن، ويبـدو أن هـؤلاء المنجمـين كانـوا أعضـاء ضمـن مجموعـة أكبر[220].

مـن الحـالات التـي تتعاطـى مـع الظواهـر الطبيعيـة في قضيـة التنبـؤ، مـا ورد في النـص (RS 87\14)، وهـو مـن ضمـن سلسـلة نصـوص مرتبطـة بسـين (إلـه القمـر). وينطلـق مـن أشـكال القمـر للتكهـن بمـا سـيقع مـن أحـداث: "في ذلـك الوقـت إذا كان القمـر جديـداً... سـوف يكـون هنـاك فقـر. وإذا كان القمـر عنـد طلوعـه أحمـر، فسـوف يكـون هنـاك إزدهـار خـلال هـذا الشـهر. إذا كان القمـر عنـد طلوعـه أصفـر مائـلاً للأخـضر... سـوف تمـوت القطعـان. إذا كان القمـر عنـد طلوعـه أحمـر...،... سـوف يمـوت... إذا القمـر جديـداً... الموظفـون... وسـوف يتركـون (مراتبهـم). وإذا... (يـم يـه يـرخ كسـلم)، سـوف يبقـي الملـوك أعينهـم عـلى (يرقبـون) بعضهـم البعـض. إذا تمـت مشـاهدة القمـر ثـلاث مـرات في الشـهر وفيـما بعـد... سـوف تطـير. إذا سـقط نجـم في اليـوم الثلاثـين فـإن الملـك..."[221].

إذاً، لم يقتـصر موضـوع العرافـة عـلى النظـر في المظاهـر غـير العاديـة التـي يشـاهدها النـاس في محيطهـم، بـل تعـداه للنظـر في الظواهـر الحيوانيـة والبشريـة غـير الطبيعيـة أيضـاً، وفي حـالات الأجنَّـة الحيوانيـة؛ لا بـل وحتـى البشريـة المشـوَّهة.

ويبـدو أن الأجنَّـة المشـوهة كانـت تثـير الاهتـمام، وتشـكل نذيـراً لفـأل سـيقع، يختلـف توقعـه باختـلاف شـكل الجنـين المشـوه. ولكـن في الأغلـب

220 Pardee، 2002، P. 132.

221 Pardee، 2002، P. 143.

كان الجنين المشوه هو نذير شؤم، والحدث المرتبط به والمتوقع وقوعه كان سيئاً في الأغلب. ولهذا يُعَدُّ النص الأوغاريتي (RS 24. 302) شديد الأهمية لأنه يشير لهذا النوع من الأجنة، والتوقعات التي ترافق كل نوع منها، والتي تظهر وجود تقاليد قديمة في التعامل مع مثل هذه الحالات، وهذا ما يتوافق مع ما يُعرفُ باللغة الأكادية والسومرية بسلسلة «شوما سينيشتو»، وهي تعني: أنه إذا أنجبت المرأة جنيناً مشوهاً بكذا وكذا.. الخ، فهذا يعني افتراض وقوع مجموعة من الأحداث الشخصية أو العامة أو الطبيعية: "*عندما تلد إمرأة... الأرض...، عندما تلد إمرأة... سوف يصبح أكثر قوة من...، عندما تلد إمرأة... أرض الأعداء سوف...، عندما تلد إمرأة المدد (الإغاثة)...، عندما تلد إمرأ... سلاح الـ...، سوف لن تحصل على ذرية*»[222].

4 ـ طوالع الحلم

الحلم أحد الوسائل التي كان يتم من خلالها فهم إرادة الإله والتنبؤ بأوامره ورغباته وتفسيرها، وكان للأحلام احترامها عند السكان، خصوصاً تلك التي يراها الصالحون، وكان بعضها يحتاج إلى من يعبر عن مدلول تلك الرؤى إذا كانت غامضة. ووفقاً للنصوص الرافدية، كانت الأحلام قناة تواصل لـ (رسائل إلوهية قصيرة)، وتحتاج لمنهاج وتقنية كهنوتية من أجل تفسيرها. وهناك العديد من النصوص الرافدية عن الأحلام[223]، بدءاً من جلجامش وليس انتهاءً بآشور بانيبال، الذي يبدو أنه كان مولعاً بتفسير الأحلام، التي كانت تتراءى له في قصره في نينوى، ومنها حلمه برؤية الإلهة عشتار[224].

222 Pardee، 2002، P. 141، 142.

223 Bienkowski، 2000، P. 95.

224 نظراً لاهتمام الملوك الآشوريين بتفسير الأحلام، فقد جلبوا بعض مفسري الأحلام من مصر، لإضافة هؤلاء إلى ما عندهم من جماعة المتنبئين في المستقبل.

مـن المعـروف أنـه كان للكهـان والمتنبئـين دور مهـم في مـاري، ودعـي واحدهـم «نبـو»، وهـو الـذي كان يَنْقـلُ للملـك رؤاه، ولاسـيما في الحـالات المصيريـة والخطـيرة في حيـاة المملكـة. وتحتـوي وثيقـة عـلى رؤيـة العـرّاف التـي نقلتهـا شـيبتو الملكـة إلى زوجهـا الغائـب في المعـارك، حيـث تطمئنـه إلى أن الإلـه وملائكتـه مصمّمـون عـلى حمايـة مدينـة مـاري وأن أحـداً لا يسـتطيع المسـاس بهـا. كـما تحدثنـا عـن اسـتخدام الاسـتخارة مـن قبـل العرافـين في مـاري، حيـث تتـم استشـارة الإلـه مـن أجـل اتخـاذ قـرارات مصيريـة في حيـاة المملكـة[225].

توضـح نصـوص أوغاريـت وجـود تفسـير لكثـير مـن الأحـلام، فلـكل حلـم تفسـير معـين، وهـذا مـا نلمسـه مـن مضمـون النـص (RS 18.041) رغـم عـدم القـدرة عـلى معرفـة ماهيـة تفصيـل تفسـير كل حلـم بسـبب التخريـب الـذي تعـرض لـه النـص: "*وثيقـة الأحـلام: ثـور عمـره سـنة و... سـنتان، الثـور البالـغ: (تفسـيره)...، الثـور: الثـور الصغـير لبعـل... العجلـة أوشـكت أن تذبـح، سـنة واحـدة، حصـان عتارتـو وحصـان ش... وحصـان... وإذا وقـع الحصـان: (تفسـيره)... وصـول الرجـل يكـون. والحـمار... الحـمار... والـشيء نفسـه... وابـن... إلى عضـو مـن الموظفـين... الولـد، نسـل... الخـروف... ابـن بعـل... الفتـاة الخادمـة... الفـأس... عندئـذ الفـأس... يتكلـم، الخـادم كي...، العامـل (أو العمـل) الــ hrmtt أيضـاً... وأكـواب شـقيم/ت... أبنـاء حامـلي الكـؤوس... تكبـد الموظفـين... الصنـادل... في حلـم... وجـه... الموظـف الذكـر، المـرأة...، و... في..*»[226].

225 خليف، 2005، ص 253.

226 Pardee، 2002، P. 146.

5 ـ التمائم (التعاويذ) والسحر

التمائـم؛ (جمـع تميمـة)، هـي كل مـا يُعلَّـق في بيـت أو مـكان أو عـلى جسـم إنسـان (في العنـق أو في المعصـم أو في الألبسـة) أو حيـوان، بهـدف دفـع البـلاء والأذى وطـرد الأرواح الشريـرة، وجلـب المنفعـة والخـير لواضعهـا، ودرء كل مكـروه. ولهـا أشـكال متنوعـة (خـرزة، حلـق، دميـة، قلادة...الـخ)، شـغلت مـن مـواد مختلفـة كالطـين والحجـارة والمعـدن والعظـام وغيرهـا، وغالبـاً مـا كان يكتـب عليهـا بعـض العبـارات الواضحـة أو الطلسـمية. وقـد اسـتخدمت التمائـم للحمايـة مـن العـين الشريـرة (الحسـد) وبغـرض أن تمنـح حاملهـا صحـة وعافيـة أفضـل. كـما أنهـا قـد تسـتخدم لدفـع ومحـو ألم مـا قـد يصيـب الانسـان. إلا أن الأمـر يتطلـب في الأغلـب تـلاوة بعـض التعاويـذ والصيـغ فـوق التميمـة، مـن أجـل أن تكـون ذات فعاليـة[227].

اسـتخدم السـحر، ومـا يـزال، في كل الحضـارات، ويهـدف لإبعـاد غضـب الآلهـة، واسـتقراء المسـتقبل لإبعـاد الـشرور، أو تحقيـق الأمـاني. ويُظـن أن الجـن، يـؤدي دوراً خـيِّراً أو شرِّيـراً في هـذا الطقـس، ويمكـن تلخيـص وظائفـه لـدى جميـع البـشر وعـبر العصـور بالتطهـير والطهـارة، وتحقيـق المـآرب الخيرة ودرء الأذى والـشر. ويـؤدي الـكلام والتعبـير الـدور الأسـاسي فيـه، ويجـب معرفـة أسـماء الجـن والجنيـات ومخاطبتهـا بعبـارات خاصـة[228]. ويوجـد العديـد مـن النصـوص السـحرية التـي كانـت تُتـلى مـن أجـل أن ينفـذ مفعـول السـحر المعمـول بـه، أو لـكي يتـم الحمايـة والتخلـص مـن السـحر المضـاد.

عالجـوا مرضاهـم بالسـحر لأنهـم كانـوا يعتقـدون أن الأمـراض نتيجـة أرواح خبيثـة، وانطلقـوا في المعالجـة مـن قاعدتـين: قانـون التشـابه، وقانـون المصاحبـة أو العـدوى. ففـي القاعـدة الأولى يقـوم السـاحر بإحـداث شيء،

227 نور الدين (الجزء الثاني)، 2009، ص331.

228 عبد الله، ومرعي، 2008، ص، 54.

وذلك بتقليد حدوثه فإذا أُريدَ إيذاء أحد الأعداء تُعملُ دمية أو صورة، ويعيِّن الساحر المواد التي تصنع منها الدمية أو الصورة، وتُكسر أو تحرق مع تلاوة بعض التعاويذ، وبمقتضى هذه القاعدة؛ وهي كسر أي عضو من أعضاء التميمة أو الصورة، يحدث الضرر لهذا العدو الذي كانت تمثله الدمية أو الصورة. أما القاعدة الثانية فهي القيام بإحداث خير أو شر ببعض أجزاء من الإنسان مثل شعره أو أجزاء من ملابسه، ومن الطريف أن هذا اللون من السحر لا زال قائماً في كثير من القرى وبين كثير من الناس[229].

لابد للذين يريدون أن يكفروا عن خطاياهم المقترفة، من تلاوة تراتيل التوبة، والصلاة أو الندبة، والنواح. كما يمكنهم التحرّر منها بتقديم قربان الغفران، الذي يحل فيه الحمل مكان الإنسان، رغم أن ثمن هذا القربان كان مكلفاً بالنسبة لعامة الشعب. ويقوم (الخطاؤون) بدعوة الكاهن المتخصص لطرد الأرواح الشريرة بتلاوة التعاويذ المناسبة. وعندما يكون سبب المرض مجهولاً، أو عندما تكون حالة المرض ناتجة من غضب الإله أو الأرواح أو دخول الشيطان، فيجب على الطقوس المصاحبة أن تتوجه في هذه الحالة لتحويل الشرِّ، وقلبه إلى شيء جامد لا حول له ولا قوة. ويتم ذلك بالقيام بفعل رمزي، كربط تمثال صغير من الطين أو الخشب للمريض المعذَّب، أو إذابة تمثال من الشمع أمام النار. كما يتم استدعاء الكاهن كلما كان ذلك ضرورياً، للتغلب على قوة عدو، أو السيطرة على أخطار قوى مُحدقة، فوق طبيعية[230].

وهناك من يرى في التماثيل المعدنية الصغيرة، التي يظن إنها تمثل الآلهة والإلهات، أنها استخدمت كتماثيل نذرية، وطلاسم وتعاويذ ذات

229 زايد، 1967، ص 152.

230 بارندر، 1993، ص 28.

غرض سحري في العبادات المنزلية والجنائزية، وأنها كانت نسخاً مصغرة لتماثيل إلهية خشبية، قد ضاعت الآن[231].

أ ـ تعاويذ للحماية

لقد كانت أعداد التمائم في أوغاريت قليلة نسبياً، وكان لها أشكال مختلفة، واحتوت بعض النصوص على عناصر تمائمية عكست صيغاً من الكيانات القدسية التي كان الناس يعتقدون أنها تحمل قوة مؤثرة على حياتهم، وهي تحتوي على عبارات أساسية، تحدّد الأهداف المراد تحقيقها.

هناك تعاويذ مخصصة للحماية من الكثير من أنواع الأخطار، من بينها الخطر الآتي من العين الحاسدة، ومن لسعات العقارب، ولدغات الأفاعي، وبعضها مخصص لطرد الأمراض من الأطفال والكبار، وتعامل بعضها مع حالات خاصة مثل الضعف الجنسي، والإنجاب، وحتى الاكتئاب النفسي.

كانت التعويذة تُوجَّهُ ضد أعداء (مفترضين)، وهناك تعبير «دبم dbbm»، الذي يشير للمتكلمين، والكيان المهاجم هو عدو من نوع مختلف، إنه "عين الشر" (العين الحاسدة)، (النص RS 22.225).

وقد تم تسمية عدة فئات من الأشخاص على أنها من الممكن أن تتعامل مع العين الحاسدة، وهم: كشب kšp، غلم glm، دعتم d'tm (وتعني المألوف)، وخبرم hbrh (المصاحب)، ويستطيع وكيل واحد من هؤلاء على الأقل، العمل والتكلّم باسم الفئة المهاجمة، وبالتالي كان يُعدُّ بمثابة الكاهن «تعيا y،t". أما الشخص المستفيد من التعويذة فقد كان في النص (RS 91.2014) فرد عادي وهو «أورتينو UrtenU» مالك البيت الذي وجد فيه النص[232].

231 كوبر،2007، ص 72.

232 Pardee، 2002، P. 157.

ونشير في هذا السياق؛ إلى أن النصوص توضح أن التلاوة أثناء هذه الطقوس لم تكن مقتصرة على الرجال، فكثيراً ما كانت النسوة يشاركن في مجموعات الإنشاد، كما يبدو ذلك واضحاً من نص تؤدى فيه الأناشيد طلباً لصدٍّ خطر خارجي[233].

ب ـ تعاويذ ضد الأفاعي والعقارب

يوسع مضمون النص (RS 92.2014) فهمنا لأشكال التفكير في مشرقنا القديم منذ نهاية عصر البرونز الحديث، فهو يتعلق بتعويذة ضد الأفاعي والعقارب، ونرى فيه بضع عبارات تبين كيفية تجنب خطر الثعابين والعقارب، كما يوضح كيفية جعلها غير مؤذية، وصد هجماتها بشكل شفوي باعتبارها عدواً، ومن فعل سحري (رص/بن نشم rš//bn nšm)، (دبم كسبم... كسبم دم dbbm kšpm…kšpm dbbm -) يحرض العراف المخلوقات السامة ويحضها على الأذى. لقد صِيغَ النص كحوارية بين ممارس السحر الأبيض (أنا)، الذي سوف يقود الهجمات الشريرة، ووكيله (أنت)، الذي هو موضوع الهجوم الذي سيرد الشر أو الشيطان، وتتم الإشارة لكل أشكال الشرور بالشخص الثالث (الغائب). ويتبين من النص أن الخدمة المراد تحقيقها من التعويذة هي حماية أورتينو:

"عندما يناديك مجهول ما ويهدد، أنا من جهتي، سوف أناديك. سوف أهز قطعاً من الخشب المقدس، لكي لا يأتي إليك الثعبان، لكي لا يأتي العقرب تحتك. سوف لن تأتي الأفعى تحتك، العقرب سوف لن يأتي تحتك، وهكذا ربما العذاب، السحرة ربما لن يعطوا أذناً لكلمة الرجل الشرير، لكلمة أي رجل (ابن أي إنسان). عندما يبدو صاعداً من فمهم على لسانهم.. ربما السحرة، اسكب العذاب على الأرض. من أجل أورتينو، وجسمه، وأعضائه"[234].

233 شيفمان، 1988b، ص 89.

234 Pardee، 2002، P. 158، 159.

تستخدم كلمة «دبم dbmm» لتعبّرَ عن أحد الأعداء الرئيسيين. إن أدوات الهجوم هي كلمات يدفع مفعولها الزواحف السامة للهجوم وجلبِ الأمراض. كما أن «عين السوء/الحسد» تعمل ككيان مهاجم آخر، وتفعل الفعل نفسه.

هناك من رأى في شخصية «حورون»، رباً يحمي ويقدر على مواجهة قوى الشر التي تُعدُّ الثعابين أحسن صورها، ومنه الشفاء أيضاً، ويبدو وكأنه الرب الوحيد الذي يلبي نداء من لسعه ثعبان سام، في ظل اختفاء بقية الآلهة، النص (RS. 24،241). كما ينسب النص (RS. 24،251) إلى حورون انتزاع سم الثعابين[235].

مضمون النص المذكور (RS. 24،244) هو رقية سحر ضد الأفاعي السامة ترد على شكل قصة في أقل من مئة سطر، عرضت بشكل ميثولوجي. وتتألف من عشرة ابتهالات موجهة من قبل امرأة تسمى أم الفحولة الكافال، التي هي ابنة ربة الشمس (شبش)، إلى آلهة أوغاريت وغيرها. وتطلب من كل منهم منحها القدرة على إبطال سم الأفاعي، ويذهب حورون وهو الإله الثاني عشر المبتهل إليه لتلبية طلبها، فبعدما زارته شبش بنفسها، أخذ الأمور بيده وانطلق إلى أعمال عديدة، تهدف إلى جعل السم غير فعال، وكجائزة على إحسانها حصلت أم فحل بنت شبش، على جعل سلطة حورون على الأفاعي تنتقل إليها:

"تدير وجهها نحو حورون فهي بدون طفل. في ميادينها وقد ترك مدينة الشرق. وهاهو يتجه نحو أراسيخ الكبيرة. ونحو أراسيخ المروية جيداً وانتزع الأثلة بين الأشجار. إن نبات الموت بين شجيرات دغال، وقد هز غرسة الأثلة من أجلها المبتهلة. وقطف عنقود التمر في سبيلها وجعل الضرر يمضي وذلك في سبيلها. واختطف معها الوبال في سبيلها،

235 كاكو، 1980، ص 97، 98، 99.

ووصل حورون إلى بيتها. فاتجه نحو غرفتها ففقد السم قوته كالسيل. وذاب كشبكة ماء. عليه طهرت البيوت، وعليه أغلقت البيوت. عليه صفحت باب سحر الأذى. باب البيت وأحجار القصر وذهبت. أعطني كهدية الأفاعي، والحردون السام، أعطني إياها. كمهري وصغار الزواحف هدية. أعطيك الأفاعي مهراً وصغار الزواحف هدية».

إن تلاوة هذا النص أو وجوده في بيت مؤمن به يطمح لحمايته وأسرته من لدغات الأفاعي السامة، ولا سيما الخطيرة منها التي تظهر في فصل الربيع، ويمكن الذهاب أبعد من ذلك، وتفسير هذه الوثيقة ككتيب صغير لطقس سنوي يهدف لحماية أوغاريت وشعبها من لسعات الأفاعي[236].

كما وردت إشارة للإله «حوران Hôranu»، في النص (RIH 78\20)، وعرف بوصفه وجهاً قوياً ضد الهجوم السحري، وقد يكون استدعي باعتباره وكيلاً للآلهة، للدفاع وصد هجوم السحرة. وقد ورد اسم الإلهة عتيرات Atiratu في نهاية الجزء السليم من النص، لكن حالة النص السيئة، حالت دون معرفة دورها بدقة[237].

كما وجد على رقيم مسماري، في بيت أحد الكهنة نص آخر لتعويذة ضد لدغة الأفعى، ورغم أنه نص فريد ومكتوب بالأبجدية المسمارية الأوغاريتية، لكنه يُفهم بكل تفاصيله:

"أم الحصان. الفرس. ابنة الينبوع. ابنة الحجر. ابنة العالم السفلي. والعالم السماوي تنادي آلهة الشمس شبش، أمها: شبش، يا أمي. انقلي كلمتـ(ي) *لإيل عند منبع النهرين وملتقى الواديين. إنها تعويذة ضد لسعة الأفعى. واسم الأفعى ذات الحراشف أيها الساحر يا قارئ التعويذة، أبعد السم*

236 انظر: بوردروي، 1984، 277، 278.

237 Pardee، 2002، P. 158.

عنها وأبطل مفعوله (ولكن) انظر، هاهو يرفع الأفعى إلى الأعلى ويطعم الأفعى ذات الحراشف. ويأخذ كرسياً ويجلس عليه».

تناجي هذه الأبيات، المنظومة نظماً محكماً على إيقاع موزون، عدداً من الآلهة منهم: بعل صفن/سابون، ودجن توتول، وعناة وعشتار إلهتي جبل الآلهة، وإله القمر ياريخ الأوغاريتي، وإله الأوبئة (رشب)، والآلهة عشتار من ماري، وزيزو، وكاموشو بن حريات، ومليكو، وإله الحرفيين كوثار/كوثر، وشاسيش من جزيرة كريت، وإلهات السماء شاشار وشالم[238].

ج ـ تعاويذ ضد عين الحسد

كان الحسد من المواضيع التي انتبه إليها الناس منذ القدم، وقد أدركوا ذلك عندما اقترنت بعض أنواع الشرور والأذى الذي يلحق بهم، بحضور بعض الأشخاص ونظراتهم، وكان لا بد من مواجهة هذا السحر بسحر مضاد للتخلص من الحالة والالتفاف على العين الحاسدة لتلافي الأذى الذي علق منها. ويرينا النص (RS 22.225) هجوم العين الشريرة (الحاسدة)[239]، والهجوم المعاكس الذي وُضِعَ ضدها ويتضمن تفاصيل الخروج من الأزمة:

"العين تذهب، نعم إنها تحوم، رأيت أخيها، الذي هوالخير، أخيها المحبوب. لقد بدأت تلتهم ألقه بلا مدية، تشرب دمه بلا فنجان، أنها عين بطي BTY (ربما جاءت من اللغة السومرية وترمز إلى الشخص الشرير) تلك المرأة التي رأته، للعين ثمن محدد (تشير لتفسير دنيوي للشخص الذي يضع سعر التكهن)، عين الملأ (من يجمع المواد)، عين

238 كولماير، 1985، ص 160.

239تعرف العين الشريرة في مصر القديمة باسم (عين أبو فيس الشريرة)، وأبو فيس هو الثعبان الذي يهدد بالخطر مركب إله الشمس. وعادة ما كان يطلب من المعبودات أن تحمي شخصاً ما من العين الشريرة، ومنها الربة سخمت، وهناك تمائم وشعائر ضد هذه العين، في حين كان المعبود ست على رأس قائمة المعبودات، والمردة الشياطين التي كان يخشاها المصري.

مراقب البوابة (الشخص المسؤول عن حفظ البوابات ومعه مفتاحها يقفلها ويفتحها لهم). عين مراقب البوابة، إلى مراقب البوابة دعها تعود. عين الملأ إلى الملأ دعها تعود. العين المحددة السعر إلى سعرها المحدد دعها تعود، عين الرجل (بطي) إلى بطي دعها تعود، عين المرأة (بطي) إلى المرأة بطي دعها تعود»[240].

ومن الواضح أن شخصية بطي، تجسد العين الحاسدة، سواء كانت لرجل أو امرأة، أما التصدي لها فيتم بجعلها تعود لصاحبها ليرجع أذاها عليه.

لم تقتصر المعالجة بالتعاويذ السحرية على أهالي أوغاريت، بل استخدمتها الجاليات الموجودة فيها أيضاً، وهذا ما يظهر من قطعتين مثقوبتين من العقيق، عثر عليهما في أوغاريت، وكانتا تعلقان في الطوق (على العنق)، ولهما شكل الصقر وأبي الهول الصغير، ويبدو أنهما تخصان المعتقدات المصرية، رغم أن أوغاريت لم تكن من المناطق الخاضعة للإدارة المصرية[241]، ورغم عدم معرفة طبيعة هاتين التعويذتين، والهدف منهما، إلا أنه من الواضح أنهما تشيران لوجود جالية مصرية فاعلة في المدينة، كما الكثير من الجاليات والأقليات التي كانت تتمتع جميعها بممارسة كافة المعتقدات والشرائع التي تؤمن بها.

د ـ تعاويذ للمعالجة الطبية

توجد بعض التعاويذ التي تتعامل مع أنواع معينة من الأمراض، وربما كان لكل مرض تعويذته الخاصة، فمنها ما هو مخصص للأطفال، ومنها ما كان مخصصاً للضعف الجنسي وخدمة الفحولة، ومنها ما له علاقة بالخصوبة والإنجاب[242]، ووصل الاهتمام حتى الأمراض النفسية فعالجت الكثير من أنواعها، ومنها الاكتئاب النفسي. وتظهر النصوص على شكل

240 Pardee، 2002، P. 162.

241 انظر: كونتانسون، 1975، ص 213.

242 عبد الله، ومرعي، 2008، ص 164.

وصفات طبية يجب على المريض اتباعها ليبرأ من سقمه ويتماثل للشفاء كما هو حال النص (RS 24،272)، وكذلك النص (RIT 78\20) المكتشف عام 1978م، وهو رقية لمعالجة الضعف الجنسي، صيغت بشكل أخلاقي ضمن قالب شعري:

"هذه التلاوة تطرد العذاب من الرجل الشاب: الألم، بفضل صولجانك تم إبعاده، مسببات الألم، من صولجانك، تخرج عبر صوت الكاهن، كالدخان من النافذة، كثعبان من عمود (السقف)، مثل تسلق الماعز الجبلي إلى القمة، مثل تبختر الأسود نحو عرينها. هل تقترف إثماً ضد جسدك، هل يجب أن تلحق شراً بجسدك. يجب أن تأكل خبزاً متعفناً، وتشرب، بأسى، عصير التين، فوق المرتفعات في الوديان (التي يرويها) بئر الماء، في الظلال حتى في الحرم. عندئذ، الاكتئاب، كما السحرة، (حورانو) سوف يسوقه خارجك، حتى كل الشركاء، هو سوف يسوقهم خارجك. فيما يتعلق بالحرارة، لا تعمل على خفضها. ربما يتلعثم لسانك. يستطيع الإله أن يكسيك. يستطيع الإله أن يعريك، للرجل، الذي يهبط عن الصولجان إلى الأرض. لابن الرجل، أُشف من مرضك. انظر في حنجرة السيدة (عتيراتو)، اصنع... مع العصير إلى... أنا سوف أميزك... المنزل الذي يدخل، يجب أن لا تدخل... لا تدر رأسك»[243].

ومن بين المواضيع التي وردت ضمن نفس السياق موضوع استشارة طبية لـ «دايتانو» مع تعويذة الشفاء (النص RS 24،272). إضافة لموضوع تطهير الأرض من الأفاعي على يد شبش وبمساعدة حورانو (النص RS 24،251). وهناك وصفة طبية لصداع تناول الكحول (النص RS 24،258)، تقدم في بدايتها الأضاحي لإيل، وتجري بعدها الطقوس والصلوات والخطوات الطبية اللازمة للوصول إلى الشفاء المطلوب:

243 Pardee، 2002، P. 159، 160.

"يذبح إيل (أضاحي)، يلهو في بيته، يصلي ضمن قصره، دعى الآلهة لمشاركته، شربوا الخمر حتى الشبع، خمراً جديداً حتى الثمالة. ياريبو أعدَّ طاسه، سحبها كالكلب، تحت الطاولة. أي إله يعرفه يعد له حصة من الطعام، ولكن واحداً من الذين لا يعرفهم ضربه في العصا، تحت الطاولة. صعد لعتراتو وعناة، عتراتو تعد له قطعة nšb من اللحم، عتراتو قطعة الكتف. بواب بيت إيل يصرخ عليهم. هناك لا يجب أن يعدوا قطعة «نشب nšb» للكلب، ولا قطعة الكتف لكلب الصيد. ابتهل لإيل، والده، يأخذ إيل مقعده ويناديا سوية مجموعة الشرب، يأخذ إيل مقعده في نادي شربه. شرب الخمر حتى الشبع، خمراً جديداً حتى الثمالة. يعود إيل إلى بيته يصل إلى بلاطه. توكامونا - وا - شوناما تحمله طويلاً، ويلتقيه «خبي HBY»، (هذه الكلمة غير محددة المعنى بعد، ربما كان لها علاقة بعبادة الثور المصرية القديمة حيث تدل على من يقوم بدور دليل الأرواح نحو مكان الموت، أو ناقل الأرواح إلى العالم السفلي). هو من كان له قرنان وذيل، يضربه في غائطه وبوله. يسقط إيل كأنه ميت، إيل يسقط مثل هؤلاء الذين ماتوا في الأرض. عناة وعتراتو يذهبا، لقضاء عطلة، في الصيد... قدش QDŠ....عتراتو وعناة... وفيهم تعيد...، عندما تشفيه، يصحو. ما الذي سيوضع على رأسه، شعر الكلب. ورأس الـ PQQ ونبتة، هو يشرب مشروباً ممزوجاً مع زيت زيتون طازج (العبارة هنا تأتي بصيغة دم زت dm zt بمعنى دم شجرة الزيتون)»[244].

244 Pardee، 2002، P. 169، 179.

ونعلم في أسطورة «الملك قيرت»[245]، أن هذا الملك كان قد مرض حتى شارف على الموت ووجب تهيئة القبر له، وتشاركه الطبيعة مرضه، فيعمّ الجدب والقحط البلاد، وتنفذ مخزونات القمح والنبيذ، حتى خشي الناس غائلة الجوع. فيحزن عليه الإله إيل، وينادي الآلهة ويسألهم من يداوي قيرت ويطرد الشيطان، فترسل له شعثقات، ويعتقد أنها ساحرة أو جنية، ويدل اسمها على أنها تعتق من مرض، فتقدم لقيرت شراب الخطمي، فيشرب وينضح جسمه عرقاً، وتفارقه الحمى من مرضه، وتعود إليه شهية الطعام:

"تناول كأساً بيده، كوراً بيمينه قائلاً: أنت يا شعثقات، طيري خلسة إلى المدينة، طيري خفيفة عبر القرى، اسقيه شراب الخطمي، سيخرج

245 وصلتنا ملحمة قيرت على ثلاثة رُقُم فخارية من الحجم الكبير نسبياً، وقد اكتشفتها بعثة رأس الشمرا في موسمي 1930–1931م ضمن مكتبة الكاهن الأعلى (محفوظة في متحف حلب)، تدور الأحداث حول ملك عاش في سالف الأزمان يدعى قيِرت، عصفت به الكوارث، ففقد أخوته السبع، وزوجاته السبع أيضاً تباعاً دون أن يرزق منهن بولد يرثه على العرش، فبقي وحيداً مقهوراً يسأل الآلهة أن ترزقه ابناً. وفي إحدى الليالي عرضت له رؤيا تجلى له فيها الإله إيل ليسأله عما يحتاج، فطلب أن يرزقه بولد يرثه، فطلب منه الكف عن البكاء، والتطهر، وتقديم القربان، وتجهيز جيشه للتوجه نحو أدوم الواقعة جنوب البحر الميت للحصول على ابنة فابل ملك أدوم التي ستكون له زوجة تولد له ذريته، وهكذا فعل قيرت. وفي طريقه زار معبد عشيرة في صيدون وصور، ونذر لها إذا ما ظفر بالعروس أن يقدم لمعبدها ضعفي مهرها فضة، وثلاثة أضعاف مهرها ذهباً، وحاصر أدوم ستة أيام، وفي اليوم السابع أرسل له ملكها عرضاً بأخذ ما يريد من الذهب والفضة والعبيد والعربات وغيرها مقابل أن يدع أدوم بسلام، فقال له إنه جاء من أجل الحصول على ابنته البكر حورية التي تشبه عناة وعشتارت بجمالها فقد وهبها له إيل في الحلم، وبعد ممانعة يوافق الملك على إعطائه ابنته التي يفتقدها الجميع لأنها كانت تطعم وتسقي العطاش، وتأخذ بيد الضعيف. و أصبحت زوجة لقيرت، وأنجبت له سبعة أولاد ومنهم يصب، ولكن «قيرت» نسي نذره لعشيرة، فأصابه المرض، وكاد أن يموت، فطلب من زوجته أن تعد وليمة- - وتدعو لها أعيان الدولة، ثم يصيب القحط البلاد، ويجمع إيل الآلهة طالباً منهم مداوة المريض وطرد الشر ولم يلق جواباً، فيبدأ إيل بعمل سحري، ويقبض على روث ناعم يحرقه، فتخرج منه الإلهة شعتقات شافية المرض التي جلبت لقيرت الأعشاب من القرى والمدن، وجعتله يتعرق حتى اغتسل بعرقه، وفارقته الحمّى وانهزم الموت. وعاد لممارسة سلطته، فيخرج ابنه يصب عن طاعته، ويطلب منه التنازل عن العرش لعدم قدرته على الاضطلاع بمسؤولياته، فتثور ثائرة قيرت، ويلعن ابنه، ويدعو حورون وعشتارت للانتقام منه، وعند هذه النقطة تضيع القصة لعدم وضوح بقية النص. انظر: السواح، 2006.

المـرض مـن صدغيـه، والوبـاء مـن رأسـه، وتجلسـين حتـى يجللـه العـرق...."
ثم تصف الأسطورة انتصار شعثقات على المرض:

"هنيئـاً لشـعثقات المظفـرة، لأن المـوت سـيندحر، وغـادرت شـعثقات، يممـت وجههـا شـطر منـزل قـيرت، لقـد طـارت خفيـة إلى المدينـة، طـارت خفيـة عـبر القـرى، تطلـب الخطمـي لتطـرد المـرض، وداوت المريـض في رأسـه، وجلسـت حتـى جللـه العـرق، وفتحـت شـهيته للطعـام".

وهكـذا اندحـر المـوت، وشـعثقات باتـت منتـصرة. ثـم أمـر قـيرت زوجتـه حوريـة أن تعـد لـه طعامـاً فاخـراً مـن لحـم الخـروف المسـمن، فقامـت الزوجـة الوفيَّـة بإعـداد الطعـام وعـادت إلى قـيرت قوتـه وبعـد يومـين جلـس عـلى كـرسي العـرش ليسـوس البـلاد مـن جديـد[246].

لقـد جـاء ذكـر «حـورون» مشـتركاً مـع الآلهـة رشـف وعنـاة، وكان يبتهـل كالراعـي الحامـي الطـارد للحيوانـات المتوحشـة التـي تحـدد المؤمـن. وهـو الـرب الشـافي مـن لسـعة الثعابـين السـامة، حسـب النـص (RS 24،244) المشـار إليـه آنفـاً. ويتضمـن النـص أسـطورة حـورون بفعلـه السـحري، إذ نـرى الأضحيـة تطلـب الشـفاء عـبر شـخصية (عـوم باهـال: الفـرس) ابنـة (شـبش) التـي توسـلت لأمهـا ربـة الشـمس، كي تتوسـط لـدى مختلـف الآلهـة. فتسـتطيع (شـبش) الحصـول عـلى مـد يـد العـون لحـورون، الـذي قـام بقطـف النباتـات الشـافية، وأخذهـا معـه لعيـادة المريـض. ليـدور حـوار في الفقـرة الأخـيرة بـين حـورون و(عـوم باهـال) يفيـد: «أن الربـة المتضرعـة؛ قـد حصلـت عـلى قـوة تقهـر الثعابـين، وذلـك كهديـة زواج، أو مكافـأة حُـبٍ قدَّمهـا (حـورون)... وغـدت (عـوم باهـال)، زوجـة حـورون، وكمكافـأة عـلى لطفهـا حصلـت عـلى أن يمـارس الـرب تجـاه البـشر قدرتـه عـلى الشـفاء. ولهـذا

246 مصطفى، 2006، ص 70.

أصبح الإله (حورون) رباً، ومنه شافياً وحامياً وقادراً على مواجهة قوى الشر، التي تُعدُّ الثعابين أحسن صورها. ويبدو أن توحيد (حورون) مع حوروس (المصري)، ليس أكثر من لعب بالألفاظ[247].

اكتشف نص في رأس ابن هانئ عام 1978م، وهو ذو خصائص سحرية دينية، غني بمفردات جديدة، يتحدث عن طرد سحرة وكائنات مؤذية ذات مظاهر شيطانية، ويذكر أحد المقاطع الأكثر وضوحاً في النص الرب «حورون» بطريقة لا تترك أي مجال للشك بوظيفته الوقائية:

"*فليطرد حورون المشاركين والفتى الشريك*». إن النص يتعلق حسب الظاهر بالمؤذيين المتجمعين ضد من تكفَّلَ «حورون» بحمايته.

وقد عرفنا «حورون»، في رأس الشمرا في مظهرين يقومان على الربط بين مظهره القتالي ومظهره الشفائي الذي يتجلى باستخدامه ضمن النصوص السحرية كخصم يواجه الكائنات المؤذية. فهل هو مقاتل بقدر ما هو شاف، ويعاقب قوى الشؤم التي يسعى السحر لإضعافها، أم أنه المنتصر على هذه القوى لأنه بشكل عام رب حافظ؟.

إن الوثيقة الموجودة تميل بالرأي إلى الجواب الأول. بحيث أن حورون لم يكن رباً حربياً، ولم يمارس شجاعته - مثل بعل - ضد أعداء عموميين، وعندما هدّد قيرت، يصب بضربات من «حورون»، لجأ لصيغة اللعن التي يحتمل أنها كانت دارجة، لحماية الأفراد وردِّ الخصم الشيطاني[248].

خضعت منطقة الفرات الأوسط خلال عصر البرونز الحديث لسيادة الملوك الميتانيين، الذين امتدت دولتهم من الساحل السوري وحتى

247 كاكو، 1980، ص 97، 98، 99.

248 انظر: كاكو، 1980، ص 102.

زغـروس، ومـن أهـم مواقعهـم تـل بـازي[249]، المعـاصر لأوغاريـت، والـذي عُـثِرَ في أكروبولـه عـلى مركـز للعبـادة ومسـاكن للكهنـة، وفراغـات تقـدم فيهـا جملـة مـن الأشـياء، منهـا الأضاحـي الحيوانيـة. ونجـد هنـاك الكثـير مـن اللقـى الأثريـة المخصصـة للاسـتخدامات الشـعائرية والوظائـف السـحرية، تطلعنـا عـلى التصـورات الدينيـة لـدى سـكان الموقـع والمنطقـة، ومنهـا إنـاء مـن الطـين المشـوي، توضعـت عـلى محيطـه المجـوف، خمسـة صحـون صغـيرة، ورأس كبـش، يمكـن أن ينسـاب مـن فمـه الـشراب المقـدم خـلال الأضاحـي.

وفي مجـال الشـعائر الخاصـة بملكـوت السـحر توجـد بضعـة تماثيـل، أحدها لـه رأس ووجـه ذو شـكل أسـطواني وجسـم غليـظ، كان مخبـأً تحـت عتبـة أحـد البيـوت، ويبـدو أنـه وضـع لطـرد الأرواح الشريـرة، وهـي العـادة التـي كثـيراً مـا جـاء ذكرهـا في النصـوص المسـمارية[250].

وفي موقـع ممباقـة؛ ذكـر أحـد النصـوص عـدداً مـن الآلهـة أغلبهـا لـه صلـة باللعـن والقَسَـمْ، ومنهـا الإلـه «دجـن» و«أدو»[251] ومـن المؤكـد أنهـا تـأتي في نفـس السـياق للحمايـة مـن القـوى الشريـرة والمؤذيـة التـي تهـدد الأفـراد والمجموعـات.

---

249 يقـع تـل بـازي عـلى الضفـة الشرقيـة لنهـر الفـرات (منطقـة غمـر سـد تشريـن)، نقبـت فيـه بعثـة ألمانيـة، تبـين لهـا أن الموقـع كان أحـد المراكـز المدنيـة المهمـة التابعـة للمملكـة الميتانيـة في القرنـين الخامـس والرابـع عـشر ق.م، ثـم تبـع للمملكـة الحثيـة، وظـل الموقـع مسـكوناً خـلال العـصر الرومـاني. وقـد تـم الكشـف ضمـن مسـاحة هكتـار فقـط عـن واحـد وخمسـين بيتـاً مـع الشـوارع والأزقـة والسـاحات. تتخـذ البيـوت الشـكل الـذي يطلـق عليـه نمـوذج بـازي، وهـو موحـد جـداً، فدائمـاً توجـد قاعـة رئيسـية متطاولـة، ويقـوم عـلى جنباتهـا صـف مـن الحجـرات الثانويـة الصغـيرة. كذلـك فـإن محتوياتهـا متجانسـة، بحيـث تسـمح بإعـادة تصميـم الفعاليـات في البيـوت إلى حـد بعيـد. اسـتخدم أحـد البيـوت كموقـع للاتصـالات الاجتماعيـة، وكموقـع لأداء الأمـور الدينيـة – الطقسـية. وكان في الكثـير مـن البيـوت طابـق ثـان للسـكن. وكشـف مبنـى مميـز بشـكله وأبعـاده، ويمكـن أن يكـون معبـداً، عـثر فيـه عـلى لقـى نـادرة تشـير لأهميـة المبنـى، ومنهـا إنـاء مـن الألباسـتر، وهـو قطعـة ثمينـة مسـتوردة مـن مـصر أو فلسـطين.

250 أينفاك، 1999، ص 11.

251 Werner، 1998، P. 128.

ثانياً: التنجيم والسحر في العصر الآرامي

يبدو أن هذا الموضوع كان واسع الانتشار، ويمكن أن نلمسه من خلال بعض النصوص، كما في نص تعويذة من أرسلان طاش «خدو» في شمال سورية، تعود إلى القرن السابع ق.م، تشير إلى تصدي سزام وحورون للربة الطائرة ولخانقي الليل.

التعويذة: "يا أيتها الربات الطائرة، يا سزام بن بدر يشيشا، رب، ويا خانقي الحملان، البيت أدخل، أما يي فسوف لن يطأه، القصر أطأ، أما يي فسوف لن يدخله، الواحد الأبدي عقد معنا عهداً، عاشرة عقدت معنا حلفاً، وكا أولاد *إيل، والكبير في مجلس كل الآحاد المقدسيين*، مع عهود *السموات والأرض القديمة*، مع عهود *بعل سيد الأرض*، مع عهود حورون *الذي كلمته حق مع جواريه السبع، ومع زوجات بعل قدس الثمانية*"[252].

عثر في قلعة حلب على كتلة ضخمة من حجر البازلت لجنيين مجنحين، من المعتقد أن لهما علاقة بموضوع السحر[253]. كما انتشرت الرقى خلال هذه المرحلة، وربما كان لها علاقة بالسحر، ومنها رقيَّة جيرية وجدت في تل آفس كانت مصنوعة بروح الصناعة الحجرية التي سادت في سورية طيلة العصر البرونزي الحديث على نطاق واسع، ونحن نعلم أن أول ظهور لها كان في العصر البرونزي الوسيط الأول والثاني.

كما كان لتفتيش أحشاء حيوانات القرابين لأغراض العرافة والتواصل مع القوى الخارقة شعبية كبيرة في المنطقة، وكان مفسِّرو الأحلام والعرَّافون عنصراً أساسياً في الحياة الدينية الآرامية، ونقرأ في النقوش الآرامية عن

252 فرزات، 1992، ص 51.

253 خياطة، 1999، ص 131.

الملك بنموا الذي أقام تمثالاً لحدد بناء على طلبه، وعن الملك زكير الذي أعانه بعلشمين عبر العرافين والرسل[254].

وخلال الألف الأول، استمر استخدام التعاويذ والتمائم التي تحمي الإنسان من الأخطار التي تحدق به من كافة الجهات، ويبدو أن هذه الثقافة شملت جميع الأراضي السورية ومنها دور كاتليمو (تل الشيخ حمد)، حيث عُثِرَ هناك على دمية لبيزو الشيطان، وهي شكل رمزي مركب من ثور وأسد وطائر جارح وعقرب وأفعى، يرمز لإله الطقس، والحرب، والحب، والعالم السفلي بازوزو وهو جنّي خيّر، ميال للإنسان الذي يقدم له الحماية من الأمراض والأرواح الشريرة. والعلل والأمراض المختلفة[255].

254 تيكسيدور، 2007، ص 138.

255 Bontaz، 1998، P. 126.

الباب الرابع:

الموت وتقديس الأسلاف

الموت وتقديس الأسلاف

الموت؛ هو اللغز المحيِّر، والحق المكروه والوحش الشرس الذي يخطف الأحبة، ولا يمكن أن يفلت من أنيابه أحد. وقد أدرك سكان مشرقنا القديم هذه الحقيقة الرهيبة، فابتدعوا الكثير من الأفكار والعقائد المساعدة على تخفيف وقعها في نفوسهم، والتي صاغوها في قوالب ميثولوجية وأدبية جميلة، فرأوا فيه انتقالاً للروح من جسدها المادي، إلى أبديتها في العالم السفلي، حيث تحتاج لجهود من ظلَّ حياً من المقربين، للقيام بالشعائر المطلوبة تجاهها، وإن لم يُوفوا بالمطلوب تَتَعبُ هذه الروح، وتشقى في عالمها السفلي، وتُتعِب وتُشقي الورثة في عالمهم الأرضي الذي يعيشون فيه.

لذلك كانت العناية بالأموات، وإقامة الشعائر لهم، والمواظبة على تقديمها، من أهم مرتكزات العقيدة الدينية لسكان المشرق القدماء. ولأهمية هذا الموضوع فقد حرص الآباء، في وصاياهم، على تذكير ورثتهم بضرورة إقامة الشعائر من أجلهم. لأن في عدم إيفائهم بإلتزاماتهم، إلحاق للأذى بروح الميت في عالمه السفلي، وأيضاً بكل الأحياء المقربين الذين تلاحقهم أطياف هذه الأرواح، جالبة لهم كل أنواع الشؤم والقلق والفأل السيء[1].

1 اعتقد سكان بلاد الرافدين والمشرق أن بعض الأرواح لم تكن تنزل الى العالم السفلي أو أنها تغادره لسبب من الأسباب، مثل تعرض قبر صاحبها لتخريب أو عدم دفن جسده بعد الموت. وفي هذه الحالة تكون تلك الأرواح مصدراً لإزعاج الأحياء، أو إلحاق الأذى بهم، والتسبب بإصابتهم بأمراض شتى. وكانت أضرار هذه الأرواح تعالج بالتعاويذ وتعزيم الكهنة. وهناك إشارات عديدة في نصوص التعاويذ المسمارية الى الحالات التي كانت تعزى للأرواح الشريرة وتلبسها للأحياء. انظر: حنون، 2005، ص 213.

قد يكون ما خلَّفه الموت من فجائع في نفوس الناس، الدافع الأكثر أهمية لظهور ما أُطلق عليه عبادة تقديس الأسلاف، والتي ربما لا تعدو أن تكون طريقة لإيجاد حالة روحية عاطفية تربط بين الأحياء والراحلين من أحبتهم، بما في ذلك الملوك الذين نسجوا لأنفسهم هالة استطاعت أن تُقنعَ الناس أنهم خلفاء الآلهة على الأرض. لقد كانت هذه العبادة من أقدم وأهم العبادات التي عرفتها مجتمعاتنا المشرقية، منذ العصر الحجري الحديث ونشوء القرى الزراعية الأولى في العالم، ثم انتشرت على نطاق واسع خلال العصور اللاحقة، فعرفناها في الكثير من المواقع الأثرية ومنها أوغاريت وقطنة وألالاخ وإيمار والمواقع الفينيقية والآرامية.

الفصل الأول: الموت كما رآه قدماء السوريين

في ديانة سورية القديمة، ويبدو أنه في كل مشرقنا القديم، كان هناك ميل لتمثيل إله الموت كواحد من الآلهة التي تستحق العطف إن لم يكن بعض الحب، وهي إحدى الطرائق التي واجه من خلالها المؤمنون حتمية القدر. وطبقاً لنصوص أوغاريت فإن الحب والموت قريبان من بعضهما، ومرتبطان منذ بدء الخليقة. إله الموت «موت» وحش مرعب، شَرِه، وهو ورغم غريزته التي لا يستطيع كبتها، فقد كان يمتلك الكثير من ملامح اللطافة، ومنها الصفة التي عُرِفَ بها، وهي حاصد الحبوب الذي ينقل الإنسان من ضفة الخوف إلى قدره ومستقره الجديد[2].

وهكذا، فالآلهة التي تحكم العالم السفلي ليست بالسوء المطلق، وقد قدم لها الناس الأضاحي في مصر وبابل وخاتي، وهي تقوم ببناء الجسر الذي يملأ الفراغ بين عالم الحياة وعالم الموت الذي يبدو أنه وتحت كل الظروف، يمكن أن يكون محبباً كما الحب يمكن أن يكون مميتاً[3].

أولاً: الموت عند الأوغاريتيين

يدل وجود الطقوس الجنائزية في مشرقنا القديم على أن المجتمع أحاط الأموات باحترام شديد. فقد ترافق خروج الإنسان من الحياة

2 Moor، 1990، PP. 233-245.

3 Moor، 1990، PP. 233-245.

بمراسم واحتفالات خاصة، كان البكاء يبدأ عادة عند فراش المحتضر (كما في ملحمة قيرت) ثم يبكون الميت في البيت والحقل (كما في ملحمة أقهات)، ويستمر البكاء لمدة سبعة أيام (في الملحمة مدة سبع سنوات).

يترافق النواح والندب مع منح كثير من العطايا، التي كان من الممكن أن تؤدي إلى إفلاس العائلة[4]. وخلال إقامة المراثي غالباً ما كان المفجوعون يؤذون أجسامهم بإحداث جروح عميقة وعاهات. وإذا كان ذوو الميت من أغنياء القوم؛ فإنهم يستأجرون نوَّاحين ونوَّاحات محترفين، ويذكر هؤلاء في ملحمتي قيرت وأقهات[5]. ولا يبتعد هذا الفهم للبكاء لدى الأوغاريتيين عن فهم سكان بلاد الرافدين له، حيث كان الاعتقاد السائد لديهم أن دموع الأحياء ومراثيهم، يمكن أن توفر للموتى بعض الراحة[6]. (الشكل105).

كان الموت طبقاً للتقاليد الكنعانية؛ مرتبطاً بالحب منذ بدء الإنسانية،

4 كانت المراسم الشعائرية والجنائزية تقسم بحسب مواعيدها لنوعين، يتضمن الأول منهما ما كان يقام بعد حدوث الوفاة مباشرة، ويشمل الثاني الشعائر التي كانت تؤدى في أوقات معينة مختلفة لمدة طويلة بعد موت الشخص. إن مراسم النوع الأول وشعائره، كانت تختلف بحسب اختلاف مكانة الشخص ومنزلته الاجتماعية، كأن تكون قصيرة وبسيطة للفقراء وذوي المكانة الدنيا في المجتمع، وأكثر وقتاً وفخامة، وتستغرق وقتا أطول للميسورين. كانت القرابين الجنائزية إما أن تدفن مع جثث الأموات في داخل القبور، أو توزع على الناس بعد الانتهاء من عملية دفن المتوفي. وفي كلتا الحالتين كانت كميات الطعام المقدمة كقرابين جنائزية تختلف باختلاف مكانة المتوفي ومقدرة عائلته الاقتصادية. ويبدو أن الشخصيات المهمة لم تكن تُدفن بعد الوفاة مباشرة، وإنما كانت أجسادها تُمدد في قصورها لفترة من الزمن، فيما يستمر العمل في إقامة الشعائر. وكان هناك موعدان لإقامة هذا النوع من الشعائر الجنائزية، أحدهما شهري؛ والآخر سنوي. والموعد الشهري كان في اليوم التاسع والعشرين من الشهر، يوم تجتمع فيه أرواح الموتى في العالم السفلي، ويتوجب فيه على الأحياء أن يقدموا لأجلها القرابين، ويقيموا الشعائر الجنائزية. وأطلقت عليه نعوت مقترنة بالشعائر التي كانت تقام فيه ومنها (يوم وليمة الموتى)، (يوم الكور)، (يوم الندب)، أما الموعد السنوي لإقامة الشعائر الجنائزية؛ فكان في شهر آب، وهو الشهر الخامس في السنة البابلية التي تبدأ في نيسان، وكانت القرابين تقدم لأرواح الموتى في ذلك الشهر، وترفع المشاعل من أجلها. انظر:حنون، 2005، 178، 188.

5 شيفمان، 1988b، ص 17 – 18.

6 حنون، 1978، ص 292.



الشكل رقم (105)
مدفن أوغاريتي

فالحب قادر على مدِّ الجسور بين الموت والحياة، وهو ينتج الربيع والحياة. وكثيراً ما كانت دونه الأهوال، وكم من مرّة أوصل صاحبه للهلاك. وتظهر هذه الطبيعة القاتلة للحب في أهزوجة قصيرة تصف حب عناة لبعل في النص (KTU 1.96، 2- 5): „جمال أخيها، حسن أخيها، كم كان مبهجاً، ألتهمت لحمه بلا مدية، شربت دمه بلا كأس. فتاة عاشقة تلتهم عشيقها بعينيها، تذبحه مثل الأضحية".

نَفيدُ من كسرتين تتضمنان نصاً أسطورياً، أن الكنعانيين آمنوا بأن أصل الموت هو خطيئة ارتكبت في نوع من الجنة في شمال بلاد ما بين النهرين، بين رافدين من روافد نهر دجلة، أما في أوغاريت فلم يكن سبب الموت تناول أحد أنواع الطعام، ولكن لأن رجلاً لمس شجرة محرمة فلدغته الأفعى.

ويُصوِّر إله الموت الأوغاريتي كوحش شرس: «بكلتا يديه يغترف كتل

اللحـم ويضعهـا في فمـه الكبـير، فـكاه المرعبـان يمضغـان النـاس كـما يمضـغ الغنـم. هـو يعيـش في حفـرة مملـوءة بالطـين، عميقـة في عـالم سـفلي مظلـم وبـارد. يبـدو مـوت الأوغاريتـي بعيـداً عـن محبوبـه»[7].

ونـرى أنـه يمكـن تفسـير مسـألة إعطـاء مثـل هـذه الصـورة البشـعة للآلهـة انطلاقـاً مـن افـتراض أن الطبيعـة الإلهيـة الخاصـة التـي اتصفـت بهـا الآلهـة أعفتهـا مـن الالتـزام بالمعايـير الأخلاقيـة السـائدة في المجتمـع البـشري، وخاصـة المحرّمـات الأخلاقيـة، ولذلـك فالآلهـة التـي تسـلك سـلوكاً لا أخلاقيـاً لا تسـتدعي موقفـاً سـلبياً منهـا، لكـن هـذا لا يلغـي الموقـف الأخلاقـي لمـا يَعـدُّه المجتمـع سـلوكاً لا أخلاقيـاً[8].

الضـد الـذي يظهـر حُسـنَ الحـبِّ، هـو الـشرُّ والقبـح والأذى، الـذي يمثلـه «مـوت»، بوصفـه إلهـاً لهـذه الأشـياء، النـص (KTU 1.23، 8- 11): „مـوت وشـارو جالسـين، مـع مجموعـة الحـزن بيـد، ومجموعـة الأرامـل بيـد أخـرى. يجـب عـلى مشـذب (مُقلّـم) الكرمـة أن يشـذب كرمـه. حـازم أغصـان الكرمـة يجـب أن يوثِـقَ حِمْلَـهُ، يجـب أن يُدعـى إلى المصطبـة مثـل الكرمـة". لا شـك أن المشـهد يرمـز لمـدى الأذى المقـترن بإلـه القبـح والـشر، هـذا هـو المعنـى الـذي كان سـكان أوغاريـت يرمـزون بـه لإلـه المـوت «مـوت» وإلى مسـاعديه. وتعكـس نصـوص أوغاريـت إمكانيـة أن الحـب القـوي يسـتطيع أن يَكُـونَ جـسراً يصـل الفجـوة بـين عـالم الحيـاة والمـوت، ويكـون ذلـك عنـد الإيفـاء بالواجبـات وقيـام الأقـارب بالطقـوس المطلوبـة لأمواتهـم إلى أبعـد حـد.

تتضمـن الأسـطورة الأوغاريتيـة تمريـراً لحالـة يعتـذر فيهـا إلـه المـوت عـن جشـعه فيظهـر لطيفـاً بشـكل مسـتغرب، وقـد أراد الشـخص الـذي كتـب هـذه النصـوص، وهـو كبـير الكهنـة «إيـلي ميلكـو ili milku»، أن يـبرِّر

7 Moor، 1990، PP. 242.

8 شيفمان، 1988b، ص 50، 51.

سلوك „موت"، فشهية «موت» لفريسته الحيَّة تقارن بتلك التي للأسد، أو بحوت مبتهج في البحر، وبكلمة أخرى فإن „موت" مضطر للامتثال لغريزته، وهو ليس إلهاً سيئاً دائماً، وقد دُعيَ مراراً وتكراراً بمحبوب (مد، يد ydd، mdd) والده إيل[9].

من هذ المنطلق نفهم دور بعل كإله للعاصفة والمطر، وكذلك عليان (شديد القوة)، كإله للينابيع والأنهار، وأيضاً إله للفيضان يغمر الأرض. أما «موت» فهو خيِّرٌ أيضاً ويرمز للحصاد. وقد كان كل من الإلهين (عليان وموت) إذا ما اجتمعا، عكسا تعاقب الفصول، وفق أسطورة عشتار وأدونيس، وأسطورة الربيع والشتاء، والتي تقسم لأربعة مراحل: **أولها** موافقة إيل على أن يبني معبداً لبعل، **وثانيها** اختياره المهندس المسمّى كوثر ليبني المعبد، وإخلائه مكاناً لموت فينزل إلى الجحيم حيث تنعيه أخته (عناة)، **وثالثها** وقت الحصاد فيقطع سنبلة ويذري ويخبز ويأكل، **ورابعها** بعث بعل عليان من مكان اختفائه، وكان مكلفاً بالبحث عن آلهة الشمس (شبش) والشمس هنا مؤنثة[10].

الموت بهذا المعنى هو انتقال إلى حالة لا يراها الإنسان، وهو الذي يعطي إمكانية إدراك الآلهة ويجعلها حتمية، أي معرفة القوى المحركة للعالم[11].

إن المعركة بين بعل وموت تعني إقامة التوازن بين قوة الموت والحياة[12]، إنه الصراع بين إله الموت وإله الحياة، بين القوة التي تهدم والقوة التي تبني[13]. وإن استطاع الموت قهر الحياة والتغلب عليها، فإن

9 Moor، 1990، PP 242.

10 زايد، 1967، ص 289.

11 شيفمان، 1988b، ص 57.

12 فيصل، ومرعي، 1999، ص 300.

13 السواح، 1996، ص 198.

الـولادة هـي إحـدى طـرق خـداع المـوت والتغلـب عليـه. عندمـا يبتلـع مـوت إلـه الحيـاة بعـل، فـإن حـب عنـاة يدفعهـا للانتقـام بقتـل «مـوت» بطريقـة قاسـية. وفي أسـطورة أقهـات هنـاك الفتـاة «بوغاتـو Pughatu» التـي تنتحـل شـخصية „عنـاة" وتحـاول أن تقتـل قاتـل أخيهـا، فالحـب يقتـل المـوت، وفي العـالم الكنعـاني الأوغاريتـي تتجـدَّد الحيـاة ثانيـة بعـد سـبع سـنوات مـن المـوت. بعدهـا يتراجـع مـوت عـن قـراره، ويُظهـرُ نفسـه ميَّـالاً لتحريـر بعـل مـن العـالم السـفلي إذا مـا أُعطـي البديـل، النـص (KTU q.6، v- vi).

وهكـذا ينجـح بعـل بخـداع مـوت، وعندمـا يكتشـف الإلـه المخـدوع «مـوت» ذلـك يغتـاظ، وبشـكل يمكـن تفهُّمـه، لكـن في النهايـة يجـب عليـه أن يُطلـقَ خصمـه بعـل[14].

لقـد كان الحـب هـو الـذي دفـع عنـاة للبحـث عـن زوجهـا بعـل في المجـال الـذي يسـيطر عليـه مـوت، النـص (KTU 1.6،11. 4- 9): „مـر يـوم، يومـان، والفتـاة عنـاة تسـعى إليـه، مثـل قلـب بقـرة تبحـث عـن عجلهـا، مثـل قلـب نعجـة تبحـث عـن حملهـا، هكـذا كان قلـب عنـاة وراء بعـل".

إن وصـف الآلهـة في الروايـات الشـعرية الأوغاريتيـة مغايـر لوصـف الملـوك والقـادة، ففـي ملاحـم بعـل الجبـار توصـف بطولاتـه القتاليـة: (يقتـل الأفعـى لأتانـو وينتـصر عـلى مـوت ويـم وينتقـم مـن أعدائـه شرَّ انتقـام)، غـير أنـه يصـور في الوقـت نفسـه وقـد أقـرَّ بسـلطة عـدوه مـوت عليـه[15].

يُعـدُّ مـوت أحـد الخصـوم الرئيسـيين في الـوادي السـحيق، أي في العـالم السـفلي الـذي يحكمـه هـو نفسـه، ويصـوِّرُ «مـوت» بشـكل مخيـف: "شـفة إلى الأرض، وشـفة إلى السـموات، أمـا اللسـان فـإلى النجـوم". وشـهية مـوت لا تشـبع، إنـه في جـوع دائـم أبـدي ويسـتطيع أن يبتلـع كل واحـد تسـوَّلُ

14 Moor، 1990، PP. 242.

15 شيفمان، 1988b، ص 49.

لـه نفسـه أن يقـترب منـه. فعندمـا أرسـل بعـل رسـله إلى مـوت حذّرهـم: «احـذروا يـا رُسـلَ الآلهـةِ، لاتقتربـوا مـن ابـن إيـل، موتـو، كي لا يبتلعكـم، كـما يُبتلـعُ الضـأن، كـما يُبتلـعُ الجـدي».

في ملحمـة قـيرت يُوصـفُ مـوت بأنـه دمـوي، ومـا الشـفاء مـن الأمـراض سـوى انتصـار عـلى مـوت، وفي مشـهد يظهـر مـوت مجسّـداً للعقـم: « يجلـس موتـو وشـارو، وفي يـده عصـا العقـم، وفي يـده عصـا الترمـل»، وهـذا مـا يرمـز في الطبيعـة للجفـاف والقحـط. لكـن هـلاك مـوت يعيـد الحيـاة للطبيعـة وعلامـات هـذا البعـث: "السـماء تسـكب الزيـت مطـراً، والأنهـار تسـيل عسـلاً". ولقـد أشرنـا إلى أن نـثر نتـف جسـد مـوت هـو الحافـز المبـاشر لبعـث الخلـق مـن جديـد. ويجيـز لنـا أن نفـترض بـأن مـوت يحمـل في داخلـه بـذرة الحيـاة أيضـاً[16]. إن الكـون المـادي ليـس وجـوداً سـاكناً بـل كينونـة تتحـرك بـين قطبـين إلى نهايـة الزمـان، وطاقتـين متناوبتـين تنشـأ كل واحـدة عـن ضدهـا، الطاقـة الأولى سـوداء سـالبة تحمـل المـوت، والثانيـة بيضـاء موجبـة فيهـا الحيـاة، ولا مـوت بـلا حيـاة، ولا نهـار بـلا ليـل، ولا ليـل بـلا نهـار، ولا خير بـلا شر، ولا شر بـلا خـير[17].

لقـد تـم تجسـيد «مـوت» في أسـطورة بعـل كنـوع مـن الفزاعـة، وذلـك في بدايـة الاحتفـال السـنوي في فصـل الخريـف، وبعـد الانتصـار عـلى بعـل. لكـن للمـوت وجـه آخـر أيضـاً، صحيـح أنـه يبـدو في نصـوص أوغاريـت بشـكل تراجيـدي حزيـن، حتـى أن وصفـه دائمـاً يترافـق مـع كتلـة دافقـة مـن الوجدانيـات، لكـن لا غنـى عنـه في ميكانيكيـة الطبيعـة[18]، وربمـا كان سـبيلاً لإصـلاح المؤمنـين وخلاصهـم، هـذا الـشيء دفـع سـكان أوغاريـت إلى

16 شيفمان، 1988b، ص 82.

17 السواح، 1996، ص 197، 198.

18 يرمز الموت لفصل الصيف حيث تنقطع الأمطار وتجف الينابيع والأنهار.

منـاداة العـالم السـفلي الكئيـب بأسـماء لطيفـة أحيانـاً، مثـل «أرض، حشـن ars hšn بمعنـى أرض النعيـم (الجنـة)، و«نعـماي n'my» بمعنـى النعيـم، و"يسـمت ysmt" بمعنـى الـسرور أو البهجـة، و"بـت حبـت bt hptt" بمعنـى بيـت الحريـة.

ونشـير أخـيراً إلى ورود بعـض الأسـماء الشـخصية والكلـمات الأموريـة المركبـة في أوغاريـت، التـي تضمنـت أسـماء إلـه المـوت، ومنهـا «بـن مـت» التـي تمـت ترجمتهـا بــ «ابـن مـوت»، وكذلـك كلمـة «أومـت ummt» التـي تُرجمـت «أمـي تكـون موتـو»[19]. وهـذا مـا قـد يؤكـد اعتقـاد السـكان بوجـود وجـه لطيـف ومحبـب لــ „مـوت".

يُجَيـزُ لنـا مـا تـم عرضـه هنـا أن نطـرح سـؤالاً حـول الـدور المميـز الـذي يلعبـه إلـه المـوت «موتـو». ومـن المعلـوم أن عنـاة بعـد أن قتلـت مـوت قطَّعـت جسـده إلى أجـزاء صغـيرة ونثرتهـا في الحقـل، ونقـرت الطيـور عظامـه كـما تنقـر حـب البـذار الـذي لم يُطمـرْ بالـتراب، وإذا نظرنـا إلى الصـورة التـي رسـمها الـراوي لرأينـا أنهـا تشـبه أعـمال البـذار العاديـة شـبهاً مذهـلاً، ومـن المعتقـد أن نـثر أجـزاء جسـد مـوت هـو أهـم مقدِّمـات بعـث الحيـاة في بعـل، أي بعـث الحيـاة نفسـها، فدفـن البـذار هـو بدايـة نموهـا. وهنـاك جانـب آخـر في الروايـة يتحـدث عـن صراع بعـل ومـوت عـلى السـلطة، في هـذا النـص يُقـدَّمُ بعـل لنـا ملـكاً سـيداً عـلى الأرض، وكـما أن ملـك كل مجتمـع معـين يعـد ضمانـة لرخـاء هـذا المجتمـع وازدهـاره، كذلـك يُعـدُّ بعـل ضمانـة لخـير الأرض وازدهارهـا. لكـن بعـد هـلاك بعـل أصبـح مـكان سـيد الأرض فارغـاً، فقـام إيـل كبـير الآلهـة وزوجتـه عشـيرات بجعـل عشـتارو ملـكاً عـلى الأرض، وعشـتارو هـذا هـو نقيـض بعـل الجبـار تمامـاً، ومـا يلفـت الانتبـاه هنـا هـو، خضـوع

19 Moor، 1990، PP. 245.

عشـتارو لإرادة إيـل وعشـيرات، في حـين لم يتصـف بعـل بصفـة الخضـوع، كـما أن صفـة «المرعـب» الـذي وُصـفَ بهـا عشـتارو، ليبعـث الخـوف في الأشـخاص والملـوك الذيـن يزرعـون العنـف في كل مـكان لم يتـم توظيفهـا بالمعنـى الإيجـابي إلا نـادراً. وعليـه فمـن المعتقـد أن عشـتارو، إلـه الجـدب والقحـط في الأسـاطير الأوغاريتيـة، لم يكـن أهـلاً لأن يصبـح ملـكاً، فقـد رأينـا أن جلوسـه عـلى العـرش لم يبعـث التـوازن عـلى الأرض، ولم يكـن لهـذا التـوازن أن يعـود إلا في ظـل حكـم بعـل الجبـار، وهـذا مـا يحـدث في الأسـطورة فعـلاً.

إن عنـاصر العبـادة الزراعيـة واضحـة في الأسـطورة، فهـلاك بعـل يجـر وراءه سـبع سـنوات مـن الجفـاف، وينتهـي المقطـع بحـوار بـين ابنـة إيـل وشـخص آخر:

"سـوف أخـرج إلى القـوي، واسـكب الزيـت كي يحييـه" «اسـكبي الزيـت للملـك العـادل! اسـكبي الزيـت الـذي أخذتـه مـن النبـع! اسـكبي الزيـت قـرب النبـع يابنـة إيـل، واعـزفي عـلى القيثـارة يابنـة الخالـق!».

ولكـن لا بـدّ مـن قيـام بعـل ليعـود التـوازن إلى الأرض. ويشـار إلى أن للكـواسر والضـواري في الملحمـة أهميـة ملحوظـة، وهـي توصـف بـأن (لهـا قـرون كالثـيران، وسـنم كالجواميـس)، ويمكـن مقارنـة هـذا التوصيـف بالمشـهد الـذي وجـد محفـوراً عـلى جـدار في إبـلا، وكان يمثـل كائنـاً مخيفـاً لـه قـرون وسـنم يصـارع ثـوراً، وهـذا التشـابه الواضـح مـع الروايـة الأوغاريتيـة، قـد يـدل عـلى منشـئها[20].

1ـ النفس والروح

كانـت الحيـاة بالنسـبة للأوغاريتيـين وظيفـة لجوهـر خـاص، يبقى الإنسـان حيـاً مـا بقـي هـذا الجوهـر فيـه، ويمـوت لحظـة مغادرتـه لجسـده (هكـذا وُصـفُ المـوت في ملحمـة أقهـات)، أحـد عنـاصر هـذا الجوهـر هـو الـروح، أمـا

20 شيفمان 1988b، ص 60، 61.

العنصر الآخر فهو النفس الأوغاريتية وهو العنصر الذي يختنق لحظة الموت وهي تشبه الزفير[21]. ويُمكننا أن نرصد وجود تصوري مماثل خارج أوغاريت أيضاً في زنجرلي بنقش كتمو المكتشف حديثاً (سيرد الحديث عنه لاحقاً)، وعند الأنباط الذين أطلقوا تسمية (ن ب س) على الشاهدات التي توضع على المدافن لأنهم تصوروا أنها تمثل شخصية الميت، وفي العهد القديم يرد أن المكان الذي تتواجد فيه النفس هو الدم، وهذا ما غدا أساساً لتحريم استخدامه في الأكل.

ويحدد نشاط الفرد، وخاصة دوافعه الداخلية، الوظيفة التي يقوم بها كل من هذين العنصرين الروحيين، فإذا تصرف الإنسان بما يوافق روحه، فهذا يعني بأنه يتصرف وفق رغباته، ويختلف هذان العنصران الروحيان عن الجسد بأنهما كانا موجودين قبله وسوف يستمران بعده. ويُعدُّ تحررهما من الإطار الجسدي الزمني واحد من أهم عناصر الولادة من جديد التي تتمثل بالموت. لكن الروح لا تقطع صلتها بالجسد الفاني

21 اعتبر سكان الرافدين والمشرق القديم أن الإنسان كائن مركب من عنصرين؛ مادي وهو الجسد، وشفاف وهو الروح. وتنفصل الروح عن الجسد بالموت، لتخلد في عالم الأموات أو العالم السفلي. -- ولم يكن وجودها يعتمد على حالة الجسد بعد حدوث الموت، وبهذا تختلف معتقدات هذه الحضارة عن معتقدات حضارة بلاد النيل التي كانت تعتبر وجود الروح وخلودها في عالم ما بعد الموت متوقفاً على حالة الجسد، وبقائه محتفظاً بشكله الطبيعي قدر الإمكان. وهذا ما دفع المصريين القدامى إلى بذل العناية الشديدة بأجساد الموتى، وتحنيطها للمحافظة عليها؛ وبالتالي ضمان خلود الروح. وهناك إشارات تدل على وجود معتقد لدى سكان بلاد الرافدين بأن الآلهة يمكنها أن تحل في بعض الحيوانات فيصبح الواحد منها روحاً (أطيم) للإله الذي حل به. وكان القدماء يؤدون القسم بأرواح الموتى. واعتقدوا أن الروح تكون ملازمة للبدن بصورة غير محسوسة أثناء حياة الشخص، وتنفصل عنه في لحظة الموت. وكان وجود الروح (أطيم) لا يتحقق إلا بانفصالها عن الجسد أي بالموت فإن ما يكمن في الانسان ويستمر معه في حياته هو النفس، وقد استعملت لها في اللغة الآكدية كلمة «نبشتُnapistu»، بدلالة كلمة نفس العربية ذاتها، وكان دور النفس ينتهي بحدوث الموت. وأطلقت بالسومرية كلمة كدم GIDIM للدلالة على روح المتوفي أو شبحه، وربما كانت مركبة من كلمتين كد GID بمعنى ظلام ودم DIM بمعنى كائن مخلوق فيكون معناها كائن الظلام، وفي الأكادية أطلق على الروح الهائمة مصطلح أطيم متجّش etemmu muttaggisu. ـ الروح بعد الموت. انظر: حنون، 2005، ص ص212، 213.

بعد الموت، وبهذا التصوُّر فقط نستطيع أن نفهم العناية الفائقة بالجسد الميت وخاصة الرأس منه، وهو السلوك الذي فرضته التقاليد الأوغاريتية، ومن كلمات أقهات عن حتمية الموت "سينثرون الحوّارة البيضاء على رأسي والذهب سينثرونه فوق جمجمتي"[22].

2 ـ الأرواح الطائرة

الطائر يمثل الروح وكثيراً ما تتقمص الروح صورة الطائر، وهذا معروف في حضارات مشرقنا العربي القديم[23]، ووفقاً للبابليين فإن أرواح الموتى كانت مكسوة بملامح تشبه الطيور، كما كان للحكماء وجوه وأجنحة تشبه الطيور. ووفقاً لنص سومري؛ فإن الروح تترك الجسم «مثل الصقر عندما ينقض على طائر». وفي الطقوس الأكادية استخدمت الأحصنة مع عربة النقل كرمز يمثل الروح في أسطورة الطير أنزو[24]. وفي "الآفستا" الأرواح تكون محلقة باحثة عن بعضها بعضاً مثلما تكون متداخلة مع بعضها كونياً[25].

في الديانة المصرية تأخذ الروح «با ba" بعد الموت شكل الطائر، وعلى الغالب توصف جالسة على شجرة بجانب القبر. المخلوقات الهجينة مع رأس وسواعد بشرية تظهر انتقالاً هادئاً بين شكل وآخر بعد الحياة.

في الديانة الفلسطينية القديمة نجد تقاليداً مشابهةً، فأرواح الموتى تُمثَّلُ على شكل طيور، ويُفترض أن هذه التقاليد تشير إلى الديانة الكنعانية القديمة التي نعرفها في أوغاريت[26]. هنا نجد أن أرواح الموتى تُصوَّر على شكل كائن يذكّرُ بالنحلة[27]، أو تبدو على شكل طيور لها أجنحة ترفرف

22 شيفمان، 1988b، ص 74.

23 فنطر، 1980، ص 116.

24 Korpel، 1994، P. 99.

25 عبد الرحمن (خليل)، 2007، ص 694.

26 Korpel، 1994، P. 100.

27 شيفمان، 1988b، ص 75.

بهـا، النـص (KYU 1.22i): "هنـاك، كان الأخـوة يقفـون كتفـاً عـلى كتـف، جعلهـم إيـل يقفـون بسرعـة، هنـاك اسـم إيـل جلـب المـوت، مبـارك إيـل باسـمه خلقـت الأبطـال. الصعـود، هنـاك الأرواح المخلصـة مـن بعـل، جنـود بعـل وجنـود عنـاة. هنـاك يندفـع الضيـف البـذيء، الأمـير، والملـك، المغتصـب، مثـل عنـاة عندمـا تسـببت بهـرب الطريـدة، أطلقـت طيـور السـموات»[28].

إن مطـاردة عنـاة للطَّـير بشـكل سـنوي، تشـبه مطـاردة الأرواح وتطييرهـا في العـالم السـفلي، وقـد يكـون في هـذا الـكلام تلميـح لأصلهـا، وأصـل الكثـير مـن الآلهـة، فجـرى تصويرهـم عـلى هيئـة بـشر يركبـون العربـات. كـما تظهـر نصـوص «رابي أومـا Rabi uma» أن الديانـة الكنعانيـة كان لهـا وجـهٌ سـحريٌّ، وأنهـا تتضمـن مطـاردة الطرائـد، وجعـل أرواح المـوتى عـلى أشـكال طيـور[29].

ثانياً: الموت عند الآراميين

ليـس لنـا اطـلاع كاف عـلى معتقـدات الآراميـين القدمـاء بخصـوص حياة ما بعـد المـوت والرتـب التـي كانـوا يعطونهـا للمـوتى، لكـن الكتابـات المأتميـة في نصبـي النـيرب، توحـي لنـا أن الآراميـين بشـكل عـام تميـزوا في هـذا الشـأن عـن الآشـوريين والبابليـين والفينيقيـين والعبرانيـين؛ فالميـت يعيـش في القـبر الـذي دفـن فيـه، ومنـه يلتحـق بشـكل سري ببـلاد المـوتى السـفلية، أي الجحيـم[30].

اشـتهر في العـصر الآرامـي نـوع خـاص مـن المنحوتـات لم يكـن معروفـاً مـن قبـل، وهـي عـلى شـكل أنصـاب تحمـل صـورة إنسـان واحـد أو أكـثر، يتنـاول الطعـام المعـدَّ فـوق مائـدة، وعُرِفـتْ هـذه الأنصـاب في أوسـاط البحـث؛ عـلى أنهـا شـواهد قبـور تحمـل صـورة الميـت نفسـه، وهـو يتنـاول الطعـام خـلال

28 Korpel، 1994، P. 100.

29 Korpel، 1994، P. 100.

30 سومر، 2007، ص 144.

مأتمه الجنائزي، ويستدل من هذه الشواهد على المكانة التي كان يتمتع بها السلف، والتي تصل إلى درجة العبادة. وقد عُثِرَ على مثل هذه الشواهد في قبور الموتى المدفونين بطريقة الحرق في حماة، والكثير من المواقع العائدة لهذه المرحلة. ويحتفظ متحف حلب بنصب ضخم جداً من البازلت، طوله 85 سم، وهو يمثِّل تقدمة مأتمية، ويعلو المشهد نسر ذو رأسين، كما حصل المتحف على نصبين من الحجر الكلسي عن طريق الشراء، ويعتقد أنهما من تل رفعت. (الشكل 106).

كما وجدت شواهد مشابهة في النيرب (قرب حلب)، منها نصبان موجودان في متحف اللوفر، وفي البريج (قرب حلب)؛ عثر أيضاً على نصب الرب ملقارت الذي يفترض أن بر حدد الأول ملك دمشق هو الذي أقامه، كما عثر على شاهدتين جديدتين عليهما بقايا نقش آرامي قرب زنجرلي عامي 2006 و2008م[31]. والأهم من هذا؛ شاهدة زنجرلي الأخيرة (2008م)، التي تحمل تصاوير الموظف كتموا، وأمامه طاولة عليها الكثير من الأطعمة، في تمثيل للوليمة الجنائزية[32]. (الشكل 107).



الشكل رقم (106)
تل رفعت

31 Boyd، 2009، PP. 73-80.

32 Struble، 2009، PP. 1-49.

ومن تل فريج (غير المنقب) الذي يقع حوالي 20 كم شمال خان شيخون، حصل متحف حلب على نصب (شاهدة قبر) نقش على القسم العلوي منها مشهد وليمة، وعلى القسم السفلي حيوان يذبح[33].

ويبدو أن تقديم القرابين الجنائزية للأموات، ووضعها أمام تماثيلهم عادة قديمة في مشرقنا القديم، وقد حفظت لنا النصوص المسمارية من بلاد الرافدين إشارة عن هذه الممارسات، فأحد النصوص الذي يعود لعصر سرجون الأكادي يتضمن قائمة من الأطعمة، من بينها خروف، وقد وُضعت أمام تمثال لأمير لجش المتوفى أنتمينا (من عصر فجر السلالات الثالث)، وعلى الأرجح إن قرابيناً مماثلة قُدِّمتْ إلى تمثال جوديا أمير لجش بعد وفاته. وتذكر نصوص عصر سلالة أور الثالثة، ونصوص أخرى من عصور لاحقة مختلفة، أن تماثيل ملوك متوفين كانت تتلقى حصصاً من القرابين في المعابد، وكانت تلك الشعائر تستمر لعصور طويلة بعد الوفاة، ويؤكد نص بابلي حديث إلى إقامة مثل هذه الشعائر[34].

الشكل رقم (107)
منحوتة كتمو - زنجرلي

تؤكد النصوص الخاصة بالدفن على وجود حرمة للقبر، وإنها لجريمة أن يُقلقَ أحد ما الميتَ في قبره، أو أن يُلحقَ ضرراً به، أو أن ينهب شيئاً

33 خياطة، 1999، ص 134.

34 حنون، 2006، ص 192.

مـن محتوياتـه، ولهـذا فقـد تلفظـت الكتابـات بأسـوأ اللعنـات ضـد مـن يتجـرأ وينتهـك حرمـة القـبر، أمـا إذا مـا حمـى إنسـان مـا هـذا القـبر وحافـظ عليـه فـإن الآلهـة تحميـه. ونجـد هـذا واضحـاً في النقـش الرائـع المكتـوب عـلى ضريـح أحـد كهنـة النـيرب، السـالف الذكـر، العائـد لبدايـة القـرن السـابع ق.م: "*(سـين زر ابنـي) كاهـن،... أيـاً تكـون أنـت، (الـذي) سـتحرك التمثـال، هـذا والمدفـن، مـن مكانـه، ليفـن شـهر وشـمش ونـكال ونشـك، اسـمك وأثـرك مـن (بـين) الأحيـاء، وميتـة شريـرة، يقتلـوك (يميتـوك)، ويبيـدوا نسـلك. وإن، تحـم التمثـال والمدفـن هـذا، (ففـي) آخـر (الأمـر) يحمـي، الـذي لـك*"[35].

ونـرى الـشيء نفسـه في نقـش شـاجبار: "شـاجبار كاهـن الإلـه شـهر في نـيرب، هـذا تمثالـه، بفضـل إخـلاصي تجاهـه، سـمّاني اسـماً جميـلاً، وأطـال أيامـي، في اليـوم (*الـذي*) مُـتُّ (*فيـه*) مـا توقـف فمـي عـن نطـق كلـمات، وبعينـي كنـت مبـصراً أبنـاء (*الجيـل*) الرابـع. لقـد بكـوني، واضطربـوا اضطرابـاً، ومـا وضعـوا معـي إنـاء، فضـة أو نحـاس، وبلبـاسي وضعـوني كي، في آخـر (*الأمر*) لا تحـرك مدفنـي. أيـاً تكـون أنـت (الـذي) سـتؤذيني، وتحركنـي، ليـت شـهر ونـكال ونشـك يعـسرون، مماتـه. وتفنـي ذريتـه"[36].

وتعـبر هـذه الكتابـة بكلـمات واضحـة ومؤثـرة عـن الأهميـة التـي كانـوا يعطونهـا للحيـاة الأبديـة التـي اعتبروهـا خـير مكافـأة للتقـوى تجـاه الآلهـة، أمـا المـوت العاجـل والحرمـان مـن الدفـن فـكان يعتـبر قصاصـاً هائـلاً. وكان يحـق للمـرء أن يبتهـج ويغتبـط إذا مـا بلـغ الشـيخوخة وهـو يتمتـع بنظـر جيـد، ويسـتطيع الـكلام بسـهولة، ويحيـط بـه أولاده وأحفـاده، ويحتفـل أكـثر بالمـراثي الصاخبـة التـي رافقـت جنازتـه، وتمثلـه النقـوش البـارزة جالسـاً عـلى مائـدة عليهـا أصنـاف الأطعمـة يـأكل منهـا ويـشرب، بينـما يقـرّبُ شـخص آخر

35 إسماعيل، 2001، ص 315.

36 أحمد، 2000، ص 55، وانظر: إسماعيل، 2001، ص 319.

- وقد يكون أحد أولاده - التقدمات الجنائزية، وبفضل هذه التقدمات سيواصل الميت حياته في ما وراء القبر[37].

تُزيح كتابة بنموا الأول المكتشفة في «شمأل» النقاب عن أبدع الأماني الخاصة بحياة ما بعد الموت. فقد بنى الملك لنفسه، وكان ما يزال حياً، معبداً جنائزياً (راجع نص بنموا في تقديس الأسلاف عند الآراميين). وهكذا وبفضل الوليمة التي يقيمها ابنه في هذا المعبد الملوكي، ستشترك نفس الملك الراحل، في الحياة الآخرة، في الأكل مع الإله الأكبر، وهي بمنتهى السعادة الأبدية!.

ثالثاً: الموت عند الفينيقيين

يعكس اهتمام الفينيقيين الكبير والمميز بمدافنهم، نظرتهم للموت، وتفكيرهم بالحياة الآخرة، حيث كان الموت محاطاً بطقوس خاصة. وكان الفينيقيون الكنعانيون[38]، يعتقدون بأن الجسد لا تسكنه روح فحسب، بل هناك (نفش) أي نفس (مادية أو نباتية)، وهناك (روح)، والمتوفى لا يفقد لدى موته سوى الروح، ويحتفظ في قبره بالقرب من جسده بنفسه (المادية أو النباتية) التي تحتاج لأن تأكل وتشرب، وحتى تتنزَّه أو تتأمل الطبيعة، ولذا أقيمت المقابر الفينيقية عموماً في أماكن عظيمة توحي بالمهابة، وغالباً على الشواطىء الصخرية المطلة على البحر. وكانوا يعملون على تأمين نقل الماء للمتوفى. ومما يسترعي الانتباه اختلاف

37 لم تقتصر الشعائر وطقوس التقدمة على معابد الآلهة فقط، بل وجدت شعائر وطقوس جنائزية تتعلق بالموتى، وإمدادهم باحتياجاتهم من الطعام والشراب في العالم الآخر ضماناً لأبديتهم، وكان المشهد المألوف للمتوفى أمام مائدة القرابين، أهم مظاهر هذه الشعائر، كتجسيد يتضمن شتى أنواع القرابين التي يحتاجها المتوفى. انظر: نور الدين (الجزء الثاني) 2009م، ص155.

38 قد تكون أقدم الإشارات على عبارة كنعان قد جاءت من إبلا وماري، ثم من نصوص ألالاخ، ثم من نصوص العمارنة (في مصر). وهي تشير إلى سكان سورية الجنوبية والساحلية، التي يُزعم أنهم جاؤوا قبل هذه المرحلة من الجزيرة العربية، وسكنوا بلاد الشام والرافدين، فسمّي من سكن الداخل بالأموريين، ومن سكن الساحل بالكنعانيين، وأشادوا فيها حضارة متميزة خلال الألف الثاني ق.م، أهم مدنها المكتشفة أوغاريت.

نماذج القبور، إذ أن المقابر الكبيرة في جبيل وقرطاجة وأوتيكا وسردينيا وإيبيزا وطنجة كان لها تصاميم مختلفة.

والفينيقيون؛ أولئك الناس الواقعيون الذين يعلقون أهمية كبيرة على التراث المادي، كانوا نادراً ما يدفنون مع موتاهم في القبور أشياء ذات قيمة كبيرة، والاستثناء الوحيد من ذلك هو تلك الأشياء الجنائزية التي وجدت في التوابيت الحجرية لبعض ملوك جبيل والتي دُفِنَتْ مع شعاراتهم الملكية، ومن بينها حلي، وأمتعة ثمينة، وهبات جنائزية، وهدايا من أحد فراعنة مصر[39].

وهناك شواهد أثرية عن بيت النوح، أو المجمع الجنائزي (بالكنعانية والعبرية والآرامية المصرية = مرزح = MRZH) وتوجد حول هذه المسألة ثلاث منحوتات عليها نقوش لها دلالتها، وهي: صورة لكأس من المحتمل أن يكون مصدرها منطقة صيدا، وهي تعود لبداية القرن الرابع ق.م، وقد قُدمت قرباناً خلال اجتماع ديني كان مكرساً لإله الشمس، كما أنها معاصرة للنقش الثاني الذي جاء من مرسيليا، وهو يحوي نصاً يتضمن إعفاء الفقراء من التكاليف الطقسية، لكنه يتطلب تقديم القرابين، وهدايا من الجماعات، والعائلات، والمحافل، تكريماً للآلهة، وطلب مغفرتها.

وهناك نقش ثالث وجد في أثينا، وهو يعود إلى القرن الأول ق.م، يشير إلى رئيس المحفل الجنائزي، ويحدد اليوم الرابع من موت الإله موعداً للاحتفال الديني، وكان الاحتفال السنوي يتميَّز بالشَّراب (كما يشير إلى ذلك القدح البرونزي)، وقرابين تذكارية أخرى، وأضاح، وتخصيص صندوق لتقديم مبالغ تساهم في جبايتها مؤسسات تجارية محلية[40].

39 مازيل، 1998، ص 37.

40 فرزات، 1992، ص 50.

الفصل الثاني: تقديس الأسلاف والملوك

أهمية الطقس

انصبَّ اهتمام الأعمال الأثرية وراء البحث عن المعابد والقصور في الحواضر المدنية القديمة، وتجمعاتها السكنية الكبيرة، مما ساهم في تقديم مادة وافية عن العبادات، والممارسات الدينية الرسمية، أو التي تمثل الطبقات العليا من المجتمع، وأغفلت بالمقابل الممارسات الدينية للطبقات الدنيا من المجتمع، وكذلك السكان العاديين، ولاشك أنه كان لهؤلاء أماكنهم المقدسة، بما فيها بعض المنازل، التي أقاموا فيها طقوسهم الخاصة، والتي ربما لم يستطيعوا القيام بها في المعابد المركزية لأسباب اجتماعية طبقية أو بسبب تمركزهم في تجمعات سكانية نائية ومبعثرة. وقد جرى الكشف عن كثير من أماكن العبادة التي غالباً ما وُجدتْ في العراء، وخارج المدن، في الجبال، والينابيع، والغابات الصغيرة المقدسة.

من المؤشرات المهمة الدالة على وجود العبادات المنزلية، العثور على نماذج للمعابد، وعلى تماثيل للآلهة والأسلاف مصنوعة من الفخار أو المعدن، وغيرها من المقدّسات، وقد عثر على هذه التماثيل أو ما يشابهها في عدد من المواقع السورية، ومنها تل منباقة/ممباقة (إيكَلتي)، التي عثر في معابدها وبيوتها، على دمى تشهد على تكريم السلف الذي أشارت إليه النصوص المكتشفة بالموقع، حيث كان الناس يصلُّون في البيوت، ويقدِّمون القرابين.

لقد كان الغرض الرئيس من العبادات المنزلية استعادة الصحة والدعاء من أجل الخصوبة، والحصول على الأولاد، وكذلك مرافقة بعض الحالات التي تحصل في الأسرة، كالزواج، والولادة، والموت، والميراث فعندما تحين قسمة الميراث؛ كان يجب أن يحضر الوارث ممثلاً بدميته[41].

أثبتت أعمال التنقيب والوثائق الأثرية، أن طقوس العناية بالموتى وتقديسهم، كانت موجودة في سورية في الألف الثاني ق.م، وذلك في كل من ماري وإبلا وأوغاريت وكوميدي (كامد اللوز) وقطنة وجبيل[42]. كما كان تقديس الملوك موضوعاً للعديد من نصوص أوغاريت الملحمية ومنها، الملك قيرت والأمير أقهات.

لقد كان الإنسان في النصوص السورية والرافدية القديمة، مخلوقاً عابراً، ولم تكن حياته أبدية، فالبقاء فقط هو للملوك والأبطال، الذين يتمتعون بشهرة دائمة فيدخلوا سجلَّ الخالدين. وبالتالي يجب أن يعيش الإنسان حياة مليئة بالمتعة والبهجة والفرح، ويزدري الحزن ويترك التذمُّر، دون أن يبتعد عن صراطه المستقيم وارتباطه بآلهته، وقد وُجدت الكثير من النصوص التي تحمل مثل هذا المضمون في الرافدين وإيمار وأوغاريت[43].

كان الهدف من عبادة تقديس الأسلاف متمثلاً بتمتين الأواصر بين أبناء المجتمع الواحد، وتقوية الروح المعنوية بينهم، لمواجهة شراسة الموت الذي ما انفكَّ يخطف أعزاءهم من بين أيديهم غير عابئ بقريب أو بعيد أو حبيب، فاهتم هؤلاء بالعناية بأرواح الموتى، وأدُّوا لها الشعائر، وقدَّموا لها الأضاحي بحثاً منهم عن تحقيق راحة دائمة لهذه الأرواح عند بارئها واستحضاراً لذكراها، لتبقى مستقرة لا تعكر عليهم صفو الحياة.

41 أبو عساف، 2011، ص 278.

42 نير، 2009، ص 77.

43 Dietrich، 1994، P. 42.

كـما كانـت الغايـة مـن تقديـس الأسـلاف، تنظيـم خلافـة المتـوفى لانتقـال التركـة بشـكل منظـم، وللقيـام بالواجبـات تجاهـه. ولهـذا السـبب كان الابـن البكـر يتـولى غالبـاً مهمـة العنايـة بالأسـلاف، وبذلـك يؤكـد بشـكل ظاهـر بأنـه الخليفـة الشرعـي للشـخص المتـوفي، ويسـتولي عـلى أملاكـه وحقوقـه بطريقـة شرعيـة. وكان هـذا مهـم جـداً داخـل الأُسر العاديـة، كأهميتـه داخـل الأسرة المالكـة التـي كانـت تَحـدثُ فيهـا في كثـير مـن الأحيـان صراعـات عـلى الخلافـة. بهـذه الطريقـة كان تقديـس الأجـداد يسـاهم جوهريـاً في تثبيـت الترتيـب الهرمـي القائـم داخـل الأسرة، ثـم داخـل القبيلـة، وبالتـالي بالدولـة. ونظـراً للبنيـة الاجتماعيـة القبليـة التـي كانـت سـائدة في سـورية في الألـف الثـاني قبـل الميـلاد، يصبـح مفهومـاً لمـاذا كان لهـذا الطقـس العبـادي مثـل هـذا الـدور المهـم في ذلـك الزمـان.

إن أقـدم الاكتشـافات التـي جـاءت مـن سـورية حـول تقديـس الأسـلاف جـاءت مـن القـرى الزراعيـة الأولى في العـالم ومنهـا تـل الرمـاد[44]، الـذي اكتشـف فيـه عـدد كبـير مـن الدمـى الصغـيرة التـي تمثـل الانسـان والحيـوان صُنعـت مـن الطـين، إضافـة لنـماذج مـن الجماجـم[45] المتكلسـة أو المليسـة.

44 تـل الرمـاد: يقـع قـرب مدينـة قطنـا (20 كـم غـربي دمشـق)، اكتشـف الموقـع عـام 1960م عـلى يـد الباحث الفرنـسي فـان لـير، وهـو مـن أطلـق عليـه هـذا الاسـم لأن لونـه رمـادي، نقبـت فيـه بعثـة فرنسـية بـين 1963 و1970م بـإدارة الفرنـسي هـنري دو كونتانسـون، وتبـين وجـود سـويات أثريـة يعـود أقدمهـا لـ 6250 - 6000 ق.م، والثانيـة للفـترة 6000 - 5500 ق.م، وأحدثهـا لـ 5500 - 5000 ق.م، سـكن أهلهـا بيـوت طينية دائريـة الشـكل، محفـورة حتـى منتصفهـا في الـتراب، عـثر في الموقـع عـلى دمـى حيوانيـة وبشريـة، وعـلى مايزيـد عـن 40 جمجمـة، دفنـت تحـت الأرضيـات مـما يشـير لعلاقـة بطقـس عبـادة الأسـلاف.

45 بيتارد، 2008، ص22.

ومـن تـل أسـود[46]، إذ عُـثِرَ هنـاك عـلى جماجـم بشريـة مليسـة ومقولبـة وملونـة، دفنـت تحـت أرضيـات المنـازل يرجـع تاريخهـا للألـف الثامنـة ق.م. (الشـكل 108).

مـع تطـور المجتمعـات وظهـور المـدن انتـشرت هـذه الثقافـة الدينيـة لتصـل إلى مواقـع جديـدة مختلقـة، ومنهـا تـل خويـرة (شـمالي شرقي سـورية)، الـذي عُـثِرَ في بيوتـه عـلى طـاولات أضاحـي وعـلى هيـاكل لأشـخاص عاديـين



الشكل رقم (108)
تل الرَّمـاد

46 تـل أسـود: يقـع جنـوب شرقـي دمشـق (30 كـم)، في قريـة جديـدة الخـاص، بـين بحـيرتي الهيجانـة والعتيبة، مسـاحته 5 هـكتاراً تقريبـاً، شـكله دائـري، قطـره 275م، نقبـت فيـه بعثـة فرنسـية بدايـة السـبعينيات مـن القـرن المـاضي؛ أدارهـا هـنري دو كونتانسـون، ثـم تابعـت بعثـة سـورية فرنسـية التنقيـب فيـه لعـدة مواسـم- - بـين 2001 و2005م، بـإدارة بسـام جامـوس ودانييـل اسـتوردور، وتـم الكشـف عـن سـويات تعـود لعـصر النيوليـت مـا قبـل الفخـار (الألـف الثامـن والسـابع ق.م)، وهـي متزامنـة مـع سـويات موقـع المريبـط (3) و(A4). نشـأت في الموقـع إحـدى القـرى الزراعيـة الأبكـر في العـالم، عـاش سـكانها في بيـوت وأكـواخ دائريـة بنيـت مـن اللـبن والطـين وجـذوع الأشـجار والقصـب، وزرعـوا القمـح النشـوي والشـعير الـبري والبقـول كالعـدس والحمّـص والخضـار، وعرفـوا الفواكـه البعليـة، مثـل العنـب والتـين والفسـتق واللـوز، وأفـادوا مـن بحـيرة العتيبـة المجـاورة في ري المزروعـات. وكُشـف في الموقـع جماجـم مليّسـة ومحنطـة مدهونـة بالمغـرة الحمـراء، وقـد دفنـت الـرؤوس بشـكل جماعـي، ومنفصـل عـن الجسـد.

تـم تقديسـهم، كـما وجُـد في المعابـد مـكان خـاص لتقديـس الأسـلاف ذوي المكانـة المرموقـة. (الشـكل 109).

يعـود معبـد نينـي - زازا في مـاري لنفـس الفـترة، ويمكـن اعتبـاره حرمـاً لتقديـس الأسـلاف، إذ وجـد في باحتـه حجـر مخروطـي الشـكل، وفي حجـرة العبـادة مقاعـد لتقديـم القرابـين، كـما أن تماثيـل المصلـين التـي عُـثرَ عليهـا هنـا والمصنوعـة مـن الحجـر الكلـسي، والمعروفـة أيضـاً في كثـير مـن الأماكـن المقدسـة للممالـك القديمـة في بـلاد الرافديـن، كانـت عـلى الأرجـح صـوراً للأجـداد ترمـي إلى تقديسـهم.

وفي إبـلا عُـثرَ عـلى دليـل يعـود إلى تلـك الفـترة (الألـف الثالـث) يثبـت عبـادة الأجـداد الملكيـين، وقائمـة طويلـة بأسـماء الحـكام المؤلهـين. الـشيء نفسـه في قطنـة، وفي إيمار/مسـكنة[47]، وفي ممباقـة التـي جـاءت منهـا إشـارة لوجـود «إلـه البيـت» ضمـن سـياق فـض نـزاع خـاص داخـل الأسرة[48].



الشكل رقم (109)
جماجم من تل أسود

47 بفيلتسنر، 2009، ص 85.

48 Werner، 1998، P. 129.

أولاً: تقديس الأسلاف في أوغاريت

1ـ تقديس الأسلاف

كان من ألح واجبات الابن البكر إقامة صرح حجري لتقديس الأجداد، واستدعاء أرواحهم من العالم الأسفل طلباً للمشورة، لا بل إن الجدَّ الميثولوجي للأسرة الحاكمة في أوغاريت «ديتانوا»، كان يُسأل في المناسبات المهمة عن الأحداث التي ستحصل في المستقبل. وفي القصر الملكي في أوغاريت، كان هناك جناح خاص مع ردهة واسعة محاطة بالغرف، موجودة فوق المدفن الملكي مباشرة، وكانت مخصصة لأداء شعائر الدفن، وطقوس تقديس الأجداد[49].

يطابق الإله رشب، في النسخة الأكادية لقائمة الآلهة الأوغاريتية، الإله الرافدي نيرجال ملك العالم السفلي، وهذه المطابقة إذا أضيفت إلى بيانات كنعانية ومصرية أخرى، تقود إلى افتراض أن رشب هو الإله نفسه الذي يُدعى في أحد النصوص رابيو، أي الشافي، وهو حامي الموتى المؤلهين من البشر وهم الرابيوم (الرفائيون/الرفائيم) ولكن بعض الباحثين يعدُّ «رابيو» لقباً لإيل[50].

يبدو أنه كان في معتقد الكنعانيين عامة؛ والأوغاريتين خاصة، عقيدة مضمونها أن الأموات يتعايشون في مدينة خاصة بهم، مدينة الأموات. ولكن ليس في الرُقم ما قد يفيد بما فيه الكفاية للإجابة عن الكيفية التي كان بها الكنعانيون وسكان أوغاريت بالذات يتصورون تلك المدينة[51]. ولكن ومن خلال رواية «بعل وموت» يتَّضح أنه يوجد وسط للخلق يتمثل في العالم السفلي مملكة الموت، حيث ينبغي لبعل أن يلبي دعوة «موت»

49 بفيلتسنر، 2009، ص 85.

50 كوبر،2007، ص 70.

51 فنطر، 1980، ص 115.

إلى الوليمـة، وينــزل إليـه حيـث يسـكن. وبـلاد مـوت هـي واد سـحيق. كـما يُدعـى بعـل للنــزول إلى مـكان آخـر، هـو بيـت العزلـة الموجـود في الأرض. لقـد كان الأوغاريتيـون يميـزون بوضـوح بـين العـالم العلـوي (السـموات، عـالم الآلهـة) والعـالم السـفلي (مملكـة المـوت)، وكان هنـاك عـالم آخـر يتوسـطهما هـو العـالم الأرضي حيـث يعيـش النـاس. وتسـمح الوثائـق بالقـول أيضـاً: إن الأوغاريتيـين كانـوا يملكـون تصـوراً معينـاً عـن محـور العـالم، وقـد انعكـس هــذا التصــور في ملحمــة قـيرت بالصعــود الطقــسي إلى كتــف الجــدار (أي مدخـل السـماوت) لتقديـم القربـان[52].

كانـت الشـعائر التـي تـلي المـوت مـن المواضيـع التـي عكسـتها الديانـة الرسـمية وسـط العائلـة المالكـة، وانعكسـت في الاعتقـادات الشـعبية الأوغاريتيـة عـلى حـد سـواء.

كانـت الأسرة مسـؤولة عـن العبـادة والحفـاظ عـلى الآلهـة الحاميـة للعائلة وأرواح أسـلافها، وتنتقـل هـذه المهمـة عـلى مـا يبـدو، للـوارث الرئيـس في كل جيـل، ويقـوم بهـذه المسـؤولية أكـبر الأشـخاص في العائلـة الصغـيرة إذا مـا رحـل رب المنــزل، وإذا لم يكـن موجـوداً، أو مـات أيضـاً، فيقـوم بالمهمـة أخـوه الأصغـر أو الزوجـة أو الابنـة. يكـون البيـت عـادة مـن حصـة الابـن البكـر الذكـر الـذي عليـه واجـب تكريـم هـذه الأرواح مبـاشرة، وعـلى رب الأسرة الجديـد مواصلـة نفـس الطقـس. فقـد تضمنـت إحـدى الوصايـا مـن قبـل أحـد الأشـخاص الـشرط الآتي: إذا تـوفي ابنــي «إبي دجـن» مـن دون خلـف فتنتقـل (الأمـور) لزوجتـي (آهاتـو) في تمثـال ذكـري وأنثـوي، هـي من سـيبتهل لآلهتـي وأمـواتي وسـتكون وصيـة عـلى ثرواتهـم. وأفـاد شـخص آخـر: جعلـت الآن ابنتـي «آهامـا دو» الكاهنـة (كاديسـتو/قاديسـتو)، ليكـن الأمـر في تمثـال واحـد، رجـل وامـرأة.. سـتكرم (Liplah) آلهتـي وأرواح أسـلافي.

52 شيفمان، 1988b، ص 55.

لا يُعرفُ بالضبط كيف كانت تُكرَّم الآلهة وأرواح الأموات، ولكن وفق شهادات مماثلة، فإنها كانت تتلقى الطعام والشراب خلال فترات دورية منتظمة كما في طقوس « كيسبو Kispu» في بلاد الرافدين، التي تعني الولائم والأضاحي التي تقدم من أجل الأموات[53]. كما توجد في إيمار إشارات لأعياد في المدينة يتم خلالها تكريم الأموات خلال شهر (أبو abu)[54]. كما كان هناك خدمة مماثلة تُقدَّمُ لأرواح المجموعة العائلية الأكبر من العائلة العادية، وكانت تجري ضمن احتفالية متكاملة يُقدَّمُ فيها خبزُ "خوكو" المجرب والزيت، إضافة لمواد المائدة الأخرى. ويبدو أن نفوس المجموعة العائلية كانت تهدأ بعد المشاركة بوليمة مشتركة تشهدُ تقاسمَ الخبز وإراقة الزيت[55].

لكن النعمة لا تكتمل عند الأوغاريتي إلا عندما تقوم الآلهة، قبل كل شيء، في إهدائه الخلف الصالح، وخاصة من جنس ذكر، ليكفل استمرار نسل العائلة، وهذا الشيء واضح في ملحمتي قيرت وأقهات[56].

وكانت احتفالات تقديس الأسلاف الراحلين من العائلة المالكة، تستمر لمدة سبعة عشر يوماً، وتشارك البيت الملكي خلال هذه الشعائر بعض الآلهة المبجلة، ومنها «بعلاتو - باخاتيما» سيدة القصر، و «بيتو بيتي» ابنة المنزل، وربما إلهة البرج «علاتو - ماجدالي» و«عتاراتو - هوري»، ويتم الدخول إلى القصر الملكي بشكل شعائري، ويظهر أن الملك (الجديد) يعد من أهم القائمين على هذا الاحتفال، النص (Rs 24.256). في حين تمثل شخصية «إيناصو - إيليما» الأسلاف الراحلين[57].

53 Soden، 1965، P. 487.

54 Lete، 2008، P. 12.

55 Lete، 2008، P. 12.

56 شيفمان، 1988b، ص 46.

57 Pardee، 2002، P. 36.

2 ـ تقديس الملوك وتتويجها

كان الملـك بالنسـبة للأوغاريتيـين وأسـلافهم كائنـاً مقدسـاً، يربطـه بمجتمعه ربـاط سـحري لا تنفصـم عُـراه، وهـو ضمانـة للرفـاه والاسـتقرار في البـلاد. ولهـذا كان عليـه التطّهـر والوضـوء بشـكل دوري ومنتظـم ضمـن طقـس تُقـدَّمُ فيـه الأضاحـي. وتذْكـرُ وثائـقُ الشـعائر والطقـوس وجـود مـا يشـبه الرقصـة التـي يؤديهـا الملـك عنـد قيامـه بطقـس التطهُّـر.

وقـد يُشـير مشـهدٌ وُجـدَ عـلى خاتـم ملـكي يُمثِّـلُ رجـلاً عـارٍ مسـلحاً برمـح يصـارع أسـداً، للامتحـان المقـدَّسِ الـذي يخضـع لـه الملـك. ونقلـت الوثائـق حـالات أخـرى لامتحـان الملـك الـذي كان عليـه أن يتميـز أيضـاً بالقـوة العضلية المناسـبة، والحالـة الصحيـة الجيـدة التـي تُسـاعد عـلى تحقيـق النـصر في كافـة الحـالات، فسـقمُهُ يؤثـر عـلى الوضـع العـام للمجتمـع. ففـي ملحمـة قـيرت كان مـرض البطـل السـبب الرئيـس الـذي دفـع ابنـه يصـب ليطلـب مـن أبيـه التخـلي عـن العـرش: «غـدى المـرض أختـاً لمضجعـك».

أمـا حُـراسُ الملـك فقـد كانـوا أهـم سـند للسـلطة الملكيـة، وهـؤلاء عبـارة عـن مجموعـة مـن الجنـود الذيـن تربطهـم بالملـك علاقـات شـخصية، وتصـف ملحمـة قـيرت هـذه المجموعـة بالعظيمـة والجبـارة، ويـبرز مـن بـين هـؤلاء الحـراس شريحـة عليـا (الجبابـرة)[58] و(حاملـو السـيوف) فهـم يشـاركون في المناولـة المقدسـة التـي يُقيمُهـا قـيرت عندمـا كان مريضـاً، ثـم يبكونـه منتظريـن وفاتـه الوشـيكة[59].

وفي أوغاريـت قـدَّس الأوغاريتيـون أرواح الملـوك المتوفـين، وقدَّمـوا لهـم القرابـين جيـلاً بعـد جيـل، وكانـت هـذه الأرواح تسـكن حسـب اعتقادهـم في

58 هـم الرفائيـم، وهـي لفظـة أطلقهـا العهـد القديـم عـلى سـكان أرض كنعـان الجبابـرة، ومنهـم عـوج ملـك باشـان، (الـذي طولـه تسـعة أذرع).

59 شيفمان، 1988b، ص26، 27.

العالم الأسفل، لكن يمكن أن تُستدعى في المناسبات المهمة، مثل حضور مراسم دفن الملك.

لقد كان هناك عدد من المراحل لا بد أن يمر فيها طقس تقديس أرواح الأسلاف وهي:

1 ـ الغسل الشعائري.

2 ـ التحمير (الدهن بالمغرة الحمراء أو بالورود الحمراء).

3 ـ الدخول إلى الحرم.

4 ـ تقديم الأضاحي المتنوعة وسكب الإراقة.

5 ـ الصعود إلى الجزء الأعلى من المعبد (البرج) وإطعام الآلهة.

6 ـ رفع الأيادي إلى السماء (الابتهال) في إشارة إلى أن التواصل قد أنجز.

7 ـ تقدمة الأضحية الرسمية، وإطعام الآلهة.

8 ـ الهبوط من المكان العالي، وبالتالي وصول العملية إلى نهايتها المرسومة، النص KTU 1.14 III 52-IV8

تقود المراحل السبعة الأولى من الطقس الاحتفالي إلى ذروة الطقس، في حين تتضمن المرحلة الثامنة والأخيرة النهاية الرسمية والنزول. إن الصعود نحو الأعلى، ثم النزول نحو الأسفل أمر مهم، فهو هنا نوع من الاستعارة الأدبية، فالصعود نحو الأعلى (المرحلة السادسة والسابعة) يعبر عن السمو الكوني، والاتصال المباشر للملك مع عالم الآلهة، ويُحققُ من خلاله الفائدة المرجوة، وتجعله بعدها حاكماً مباركاً وممجّداً، ثم ينزل من عندها ليتابع وظيفته الأرضية[60].

إن مشاركة الآلهة للملوك في شعائر تقديس الملوك من المواضيع التي تتحدث عنها النصوص بشكل واضح، فقد كان «السلف المقدس bili» ويعني (الإله الأب ilib)، من أهم الآلهة في الديانة الرسمية لأوغاريت،

60 Wyatt، 2006، P. 708.

وورد اسـمه عـلى رأس قائمـة مجمـع الآلهـة الرسـمي، النـص (& RS 1.17 24.264 + 280)، حتـى أنـه ورد قبـل إيـل وقبـل دجـن، كـما ذُكـرَ بأسـاليب متنوعـة في نصـوص أوغاريـت الأخـرى، ومنهـا النـص (KTU 1.161)[61] وهـو أحـد أهـم النصـوص لمعرفـة هـذا الطقـس في أوغاريـت، رغـم أنـه لم تـرد فيـه عبـارة (ilab). ويصـف النـص طقـس وليمـة جنائزيـة ملكيـة تلعـب فيهـا إلهـة الشـمس شـبش الـدور المركـزي، وتتعلـق بمصـير الملـك الراحـل حديثـاً نيقـمادوا، الـذي يذهـب لينضـمَّ لأسـلافه في العـالم السـفلي، كـما تتعلـق بطلـب الخـير لأوغاريـت وملكهـا المتـوج حديثـاً حمـورابي[62]، ويُذكـرُ أن عبـادة أرواح الأسـلاف كانـت دائمـاً تترافـق مـع ذكـر أسـماء أصحابهـا[63]، وهنـا نـرى آلهـة الشـمس «شـبش» تلعـب دوراً مهـماً حاولـت مـن خلالـه إنـزال الملـك الميـت حديثـا (نقـمادوا)[64] للعـالم الأسـفل لينضـم للسـلف المقـدس (Ilib) مـن العائلـة المالكـة، بعـد تتويجـه مـن قبـل سـيده[65].

"1 ـ سِفْرُ (وثيقة) وليمة الظلام،

2 ـ أنت تبتهل، يا رب الأرض(الملك المدفون)،

3 ـ أنت مدعو، يا مجمع ديدانو،

4ـ (أولكن nulk) مدعو،

61 وجـد هـذا الرقيـم فيـما يعـرف الآن ببيـت أورتينـو الموظـف الكبـير في بيـت الملكـة، وكان موظفـاً سياسـياً مسـؤولاً عـن المراسـم.

62 Tsumura، 1992، P. 42.

63 Moor، 1990، P. 243.

64 تـمّ التعـرف عـلى أسـماء ثمانيـة مـن ملـوك أوغاريـت، وهـم حسـب الترتيـب؛ وسـنوات حكمهـم: نيقـمادو الأول - ايبيرانـو الأول - أميستمرو/عمشـتمرو الاول (حـوالي 1350ق.م) - نيقـمادو الثـاني (1349 – 1315ق.م عـاصر الملـك الحثـي شـوبيلو ليومـا) - أرخالبـا (1315 – 1313ق.م) - نيقميبـا (1312 – 1260ق.م ابـن نيقـمادو الثـاني، وهـو الـذي وقـع اتفاقيـة مـع الملـك الحثـي مورشـيلي الثـاني) - أميسـتمرو الثـاني (1260 – 1235ق.م وهـو ابـن نيقميبـا) - إيبيرانـو الثـاني (1235 – 1220ق.م) - نيقـمادو الثالـث (1220 – 1215ق.م) - حمـورابي (حكـم مـن1215 ق.م وحتـى دمـار أوغاريـت حـوالي 1185 ق.م).

65 Tsumura، 1992، P. 42.

5 ـ (ترمن ntrm) الرب مدعو،

6 ـ (سدن ـ و ـ ردن) مدعو

7 ـ (أولكن nulk) مدعو

8 ـ (ترمن ntrm) الرب مدعو،

9 ـ (سدن ـ و ـ ردن) مدعو

10 ـ أنت مدعو، يا مجمع ديدانو(الملوك القدماء)،

11 ـ الملك أميتامورو مدعو،

12 ـ الملك نيقمادو مدعو أيضاً.

13 ـ يا عرش نيقمادو ابكي لأجله،

14 ـ ربما ستصل دموعه إلى مسند قدمي العرش،

15 ـ ربما طاولة الملك تبكي من أجله قبل تجهيزها

16 ـ ربما ستبتلع دموعها،

17 ـ البؤس، بؤس التعاسة،

18 ـ يحرقه شبش،

19 ـ يحرقه الضوء العظيم،

20 ـ ربما شبش تصرخ من عل:

21 ـ إلى قصر سيدك، قبل عرشه، إلى مكان سيدك، النازل إلى العالم السفلي،

22 ـ النازل للعالم السفلي(ملوك العالم السفلي)، ليكون بالأسفل في التراب،

23 ـ انزل، يا سدن ردن، انزل، يا تر ـ لمن،

24 ـ انزل، أيها الرب الأزلي.

25 ـ أنزل، أيها الملك أميتامارو (أميستمرو)،

26 ـ أنزل أيضاً أيها الملك نيقمادو،

27 ـ أولاً قدم تقدمة، وثانياً قدم تقدمة،

28 ـ وثالثاً قدم تقدمة، رابعاً وقدم تقدمة،

29 ـ خامساً وقدم تقدمة، وسادساً قدم تقدمة،

30 ـ وسابعاً قدم تقدمة، قدم طيراً كتقدمة (سلامšlm) السلام على حموراپي،

31 ـ والسلام على أولاده، السلام على (تاري إيلي Tariyelli)،

32 ـ السلام على بيته، السلام على أوغاريت،

33 ـ السلام على بواباتها " [66].

من خلال النظر في النص يلاحظ أن هوية الشخصية التي أمرت بالنزول إلى العالم السفلي غير معروفة، ولكن من الممكن أن تكون «شبش» هي التي أمرت العرش بالنزول إلى هذا العالم (السطر 20)، ومن الممكن أيضاً أن يكون الملك المتوج حديثاً «حموراپي»، هو الذي أمرته «شبش» للنزول بشكل شعائري إلى العالم السفلي، كما يمكن أن يكون هبوطه لهذا العالم إشارة تعبيرية لبدء الحداد العميق، أمَّا نزول العرش (السطر 13) فقد يُشير إلى أهميته وضرورته بالنسبة لأرواح الموتى السابقين. والحاجة لوجود عرش للأرواح واحد في هذا العالم، أمر معروف في الطقوس الأوغاريتية والبابلية. وفي أوغاريت كان الهدف من إنزال العرش، هو تخفيف مصير حكام سلالة أوغاريت، ولهذا أُنزل العرش بشكل شعائري إلى العالم السفلي من أجل نيقمادو و(أشقائه) من الملوك القابعين في هذا العالم، فالعرش مهم جداً بالنسبة لنيقمادو وسيُحسِّنُ كثيراً من وضعه في هذا العالم.

إن ما يَعْلُق بالأرواح من بؤس وتعاسة، تتولى أمرُ معالجته والتصدي

66 Tsumura، 1992، P. 43.

لـه «شـبش»، فهـي تحفـظ لـلأرواح نورهـا ودفئهـا عندمـا يتـم نقـل الميـت لظلمـة العـالم السـفلي (السـطران 18 و19)[67].

ومـن الشـخصيات الملفتـة التـي جـاء ذكرهـا في النـص «طاريبـلي» الملكـة السـابقة لأوغاريـت التـي كانـت تدعـى في ذلـك الوقـت «الملكـة الأم».

وهكـذا يتبـين أن حمـورابي ملـك أوغاريـت واظـب عـلى القيـام بالطقـوس المتوجبـة عليـه تجـاه سـلفه نيقـمادو الثالـث، الـذي مـات أواخـر العقـد الأخـير مـن القـرن الثالـث عـشر قبـل الميـلاد، وفي قيامـه بهـذا الفعـل حفـظ المملكـة وسـكانها بمـا في ذلـك العائلـة المالكـة، مـن الإزعـاج والأذى والغضـب الـذي قـد ينــزل عـلى الجميـع، إذا مـا تـم تجاهـل واجباتـه تجـاه الأرواح التـي نزلـت للعـالم الأسـفل وبقيـت هائمـة بـه.

3 ـ من هم الـ «ربانو»

تـرد في نصـوص أوغاريـت عبـارة ربانـو أو رفوئيم/رفائيـم[68]، ومفردهـا رافي، والتـي قـد يصـح ترجمتهـا بالوفـاة. إذ يبـدو أن اللفـظ منحـدر مـن مـادة (رفي) و(رفـو)، ولـه دلالات مختلفـة بعضـه يتعلـق بالأمـوات وبعـالم الأمـوات، ولعـل اللفظـة العربيـة (رفـات) تحمـل نفـس المدلـول، وقـد وردت عبـارة (مدينـة الرفوئيـم) في أحـد النصـوص بمعنـى مدينـة الأمـوات. ونحـن نعلـم أن إيـل دعاهـم لـكي يحضروا إلى هيكلـه عـلى جنـاح السرعـة، وهنـاك يعلـن تتويـج البعـل ملـكاً. ثـم يولمـون ويأكلـون ويشربـون وينتهـي النـص دون أن نكّـونَ صـورة عامـة عـن حقيقـة شـخصيتهم، وعـن وظيفتهـم في ديانـة أوغاريـت[69].

67 Tsumura، 1992، P. 49.

68 تـم اكتشـاف منــزل في أوغاريـت مسـاحته 800 م2، يحتـوي عـلى 34 غرفـة موزعـة عـلى طابقـين، وكان مالـك وسـاكن هـذا البيـت يدعـى رعبانـوupan 'aR ، واحتـوى البيـت عـلى أغنـى مكاتـب أوغاريـت التـي زادت عـن 200 لـوح طينـي مكتـوب بالأكاديـة.

69 فريحة، 1966، ص 68.

في النص (RS 24.257) تمت دعوة عدد من الشخصيات التي شاركت في أحد الاحتفالات، ومنها شخصية غير واضحة تماماً، وردت باسم «رابا أوما»، والتي ربما كانت تدل على مركب إلهي غير معروف بعد، جرى تصنيفها ضمن الآلهة التي تمثل ظلال العالم الأسفل، كما نجد من بين المدعوين شخصيتين ملكيتين تم دعوتهما هذه المرة باعتبارهما آلهة.

تتم دعوة «رابا أوما» من أجل ندب الملك الذي غاب عن عرشه، ثم تدعى شبش للقيام بدورها، كما تمت دعوة الملوك الراحلين للحضور. ويتبع ذلك نزول الملك الذي يترافق كل مرة بتقديم أضحية عادية، ثم أضحية من الطيور. كل ذلك من أجل جلب الرفاه والبركة للملكة الأم، والملك الجديد، ولأوغاريت كلها. ومن الواضح أن هذا النص يعكس طقساً يسمح للملك الراحل بالالتحاق بأسلافه بسلام، وهو بذلك ليس طقساً خاصاً أو حفلة تتويج للملك الجديد، كما أنه ليس للتذكير بالأسلاف الراحلين، أو استحضاراً للأموات كما اعتقد بعضهم، بل إن استدعاء الأسلاف هو للمشاركة وللتأثير في «رابا أوما» لمساعدة الملك[70] الذي رحل مؤخراً. ومن الواضح أيضاً أن الـ «رابا أوما/رفائيم»، في نص (دانيل - أقهات)، وهم من الذين دعاهم دانيل لتناول الطعام والشراب في مرزح، كانوا أرواح الأجداد[71].

كما كان هؤلاء الـ«ربانو/ رفائيم» من زمرة المدعوين بوليمة «إيل»، التي شاركت شخصيات أساسية أخرى منها مجموعة قبلية، وأبطال محاربين، وبعض الآلهة الصغيرة، إضافة لظلال الموتى، النص (19-KTU 1.17).

وإذ رأى الكثير من الباحثين بشخصية «ربانو» تمثيلاً لسكان العالم السفلي، من الأسلاف المؤلهين الذين عادة ما يكونوا من العائلة المالكة

70 Pardee، 2002، P. 87.

71 بوب، 1980، ص 80.

أو مـن الأبطـال، أو هـم المـوتى المميزيـن، وبشـكل خـاص الملـوك منهـم، فقـد رأى آخـرون في هـذا النـوع مـن الشـخصية آلهـة صغـيرة «ربـوم»، أو ببسـاطة محاربـين أبطـال[72]. ولكـن، وبغـض النظـر عـن الهويـة الحقيقـة لـ «رابـا أومـا» أو «رب أوم rp.um»، يبـدو واضحـاً أنـه كان لهـا طبيعـة نفعيـة، فهـي مخلصـة ومُعينـة وغـير مؤذيـة.

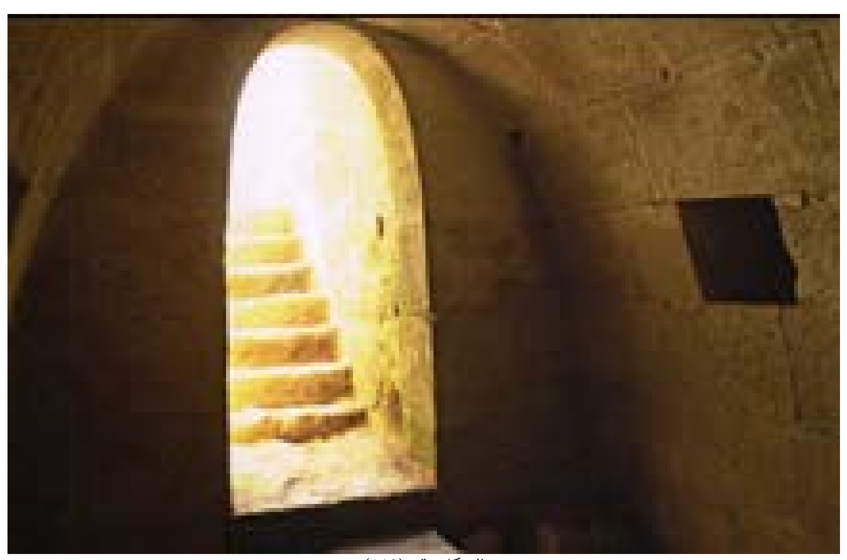
وهكـذا فالـ «ربانـو» هـم مـن سـكان هـذا العـالم الذيـن يقطنـون في الوقـت نفسـه العـالم الآخـر، أي عـالم الآلهـة، أي أن لهـم وجـوداً مزدوجـاً في نفـس الوقـت، وجـود في عـالم البـشر ووجـود في عـالم الآلهـة، وبمعنـى آخـر كان الـ «ربانـو» الزمنيـين أناسـاً منحـوا قـدرة خاصـة حصلـوا بواسـطتها معـارف روحانيـة مقدسـة فتحـت لهـم طريـق الحيـاة في ميادیـن لا يصلهـا عـادة سـوى المـوتى المقيمـين في العـالم الآخـر قـرب مجمـع الآلهـة مبـاشرة. وبمـا أن الجـذر (رب/رف)[73]، يعنـي، مـن جملـة مـا يعنـي يشـفي (يطبِّـب)، فـإن إحـدى السـمات التـي يتمتـع بهـا الـ «ربانـو» بـرأي المجتمع، هـي القدرة عـلى شـفاء المـرض، الأمـر الـذي يترتـب عليـه بالطبـع اكتسـاب معـارف خارقة. ويبـدو أن انتشـارهم الواسـع هـو الـذي سـمح للتـوراة، أن تؤكـد أنهـم شـعب خـاص عـاش ويعيـش في مختلـف بقـاع منطقـة آسـيا المطلـة عـلى المتوسـط.

يُسـتنتجُ مـن كل ذلـك، أن المجتمـع، الـذي نحـن بصـدده، رأى في المـوت مجـرد انتقـال مـن عـالم البـشر إلى عـالم الآلهـة، حافظـت شـخصية الميـت عـلى وجودهـا الواقعـي عندمـا تُـدركُ عـالم الآلهـة، وبالتـالي فهـي لا تعـرف المـوت، ولكنهـا خلافـاً للبـشر تتجـدد دائمـاً في العـالم الآخـر حيـث موطنهـا. ويبقـى الميـت بعـد أن ينتقـل مـن عـالم البـشر إلى العـالم الآخـر محافظـاً عـلى علاقاتـه

72 Lewis، 1994، P. 117، 11.

73 في العربيـة يوجـد لـ «ر ف أ» ثلاثـة جـذور متقاربـة وهـي: رفـأ، ورفـه، ورفـا(أو رفى) وفي السريانيـة رفـا ورفـاه تعنـي شـفى والـرافي أو الرافـئ هـو الشـافي.

العشـائرية والعائليـة ويلعـب دور الحامـي لذويـه. وهـذا مـا يفـسر تزويـد الميـت بـالأدوات والطعـام في المدافـن التـي بنيـت في أوغاريـت، وفـق تقليـد محـلي تحـت البيـوت مبـاشرة، وخاصـة بيـوت الأغنيـاء التـي كان لمدافنهـا بوابـات تحـت مدخـل البيـت لهـا ممـر لـه في بعـض الأحيـان عـدد مـن الدرجـات يقـود إلى المدفـن المؤلـف مـن قاعـة مسـتطيلة، بنيـت جدرانهـا مـن حجـارة كبـيرة متراصـة فُتحـتْ فيهـا كـوىً ونوافـذ[74]. (الشـكل110).



الشكل رقم (110)
مدفن أوغاريتي

74 شيفمان، 1988b، ص 74.

4 ـ طقوس الشرب الإلهي والتبرك

ورد ذكر عدد من أسماء الآلهة التي شاركت بشرب الخمور الأوغاريتية خلال الطقوس كما تروي النصوص، واقترن هذا النشاط دائماً مع فعل «يشت tyš» (ربما يشرب)، ولأن النص (RS 24.252) يركز على الشرب، فربما يعكس أجواء «المرزيحوس Marzihus» (مرزح)، أو طقس "الكيسبو Kispu" المعروف في بلاد الرافدين. ولا نجد في النص ذكراً واضحاً للترانيم والصلوات، بينما نرى فيه دعوة مشفوعة بالتضرع للآلهة للمشاركة بالوليمة، ومن (الشخصيات) الآلهة التي ورد ذكرها نجد «رابيو Rapiu»، التي تطلب من بعل أن يبث قوة «ربوما Rapa uma» في الملك الحي.

وانطلاقاً من ذلك، نفهم أن الطقس له علاقة بإمداد الملك الجديد بالقوة اللازمة له في حكمه، ومن المتوقع وجود صلاة (اختفت من النص) مع الوليمة. ورغم أنه لم يرد في النص أسماء ملكية، فمن المعتقد أن هذا الطقس إذا لم يكن يمارس عند الانتقال من مرحلة ملك لآخر، فربما كان طقساً دائماً ينظم بشكل دوري لتزويد الملك بالنجاح المستمر. وبكلمة أخرى، إن مضمون هذا النص يعكس طقساً موازياً لما تضمنته النصوص التي تتعلق بالاحتفالات التي تقام من أجل الملوك الأموات، إذ يعبر عن جزء من سلسلة شعائر للعبور من نيقمادو الثالث إلى حمورابي آخر ملك معروف في أوغاريت، أي أنه يرتبط بمراسم الملك حمورابي:

"الآن ربما ربيو ملك السرمدية، يشرب، ربما يشرب، الإله العظيم والنبيل. الإله الذي يقيم في عتراتو، الإله الذي يحكم في "هدراياي Hadrayi"، الذي يغني ويعزف الموسيقى على القيثارة والناي، على الطبل والدف المزدوج، والصنجات العاجية، وسط الأصحاب الطيبين لـ "كوتارو Kotaru". ربما عناة، لعظمتها، أيضاً تشرب، سيدة الملوكية، سيدة

السلطة، سيدة السموات العالية، عناة قبعة الـ "كبطو Kuptu"، عناة جناح الشراع الورقي، المحلق في السموات العالية. الذي التهم العجل من إيل على الوليمة، الحملان الوديعة... ربما الإله... يشرب أيضاً،... الإله «جنت Gnt"، عجل إيل... الإله "شادايايو Šaddayyu" صائد الـ "ملك KLM"، ربما عيلانو يشرب... رشب،... يصل... عهده، خلفك، سوف يسأل بعل، ماذا طلبت هو سوف يجلب لك (ربيو) ملك السرمدية، سوف يجلب لك، من أجل نجاحك، كل ما طلبت، بقوة ربيو ملك السرمدية بقوته، بعظمته، برعايته الأبوية، بألقه الألوهي، قوتك سوف تكون من قوة(ربوما Rapa'uma) الكونية، كما تكون قوتك، عظمتك، رعايتك الأبوية، ألقك الإلهي، ضمن أوغاريت، لأيام شباشو وياريبي، لسنوات إيل الخيرة»[75].

ونجد في النص (RS 24.257) شعائر تتضمن أطيافاً إلهية للملوك الموتى:

"... وعال يكون طبله،... الناس، للشخص الخير،... وعال يكون المزمار المزدوج،... ب ر، للشخص الخير،... يصل،... وعال المزمار المزدوج... للشخص الخير،... للشخص الخير،........، الإله الذي هو نيقميبا، الإله الذي هو عميتامورو....... الإله الذي هو عميتامورو، الإله الذي هو نيقميبا، للإله الذي هو مابخو للإله الذي هوعيبيرانو، للإله الذي هو ياعدورادو...».

أما النص (RS 94.2518) فيتضمن شيئاً مشابهاً: "الإله الذي هو أوغارانو، الإله الذي هو عمقوني، الإله الذي هو ربعانو (ربانو)، الإله الذي هو ليم - إيل - شاري، للإله الذي هو عموتامار، للإله الذي هو عميتامرو، للإله الذي هو نيقميبا، للإله الذي هو مابخو، للإله الذي هو عيبيبانو، للإله الذي هو ياعدورادو، للإله الذي هو نيقميبا، للإله الذي

75 Pardee، 2002، P. 192،193،195.

هـو عيبيرانـو، للإلـه الـذي هـو عمـورابي، للإلـه الـذي هـو نيقميبـا، للإلـه الذي هـو عيبيرانـو، - للإلـه الـذي هـو ياقـارو - للإلـه الـذي هـو نيقـمادو، للإلـه الـذي هـو نيقميبـا، للإلـه الـذي هـو عميتامـورو، للإلـه الـذي هـو نيقـمادو، الإلـه الـذي هـو نيقميبـا».

يشـارك الأولاد مـن الأحفـاد الملكيـين مـع أوليـاء أمورهـم في الشـعائر التـي ترافقهـا المعزوفـات الموسـيقية وشرب الخمـور، النـص (RS 24.257) و(RS 24.252) و(النـص RS 24.126). ويتضـح مـن مضمـون النـص الأخـير أن الاحتفـال هـو شـعيرة جنائزيـة معروفـة، تتعلـق بدفـن ملـك أوغاريتـي. إن الرابـط بـين هـذه النصـوص، ومـوت نيقـمادو الثالـث، وافـتراض تنصيـب خلفـه حمـورابي عـلى العـرش، هـو أمـر معقـول[76].

ثانياً: تقديس الأسلاف في قطنة

1 ـ المجمع الجنائزي

اكتشـفت البعثـة السـورية الألمانيـة المشـتركة العاملـة في موقع تـل المشرفة، خـلال موسـم 2002م، مجمعـاً جنائزيـاً ملكيـاً، يرجـع تاريخـه لعـصر البرونـز الحديـث (1500 - 1200 ق.م تقريبـاً) قـدم أدلـة أثريـة رائعـة، تتضمـن في آن معـاً بنيـة جنائزيـة ذات صلـة بقـصر ملـكي، وعـدة منحوتـات بازلتيـة، تشـكل التعبـير عـن ممارسـة عبـادة الأجـداد.

توضّـع المدفـن القبـوي الشـكل، والأول مـن نوعـه في سـورية، تحـت القـصر الملـكي مـن الجهة الشـمالية (الشـكل111).

حفـر قسـم منـه المدفـن في الصخـر، وهـو يقـع عـلى أعـماق تصـل لحـوالي سـبعة أمتـار مـن أرضيـة قاعـة العـرش (الشـكل112).

76 Pardee، 2002، P. 202،204،231.



الشكل رقم (111)
مقطع لمدفن قطنا



الشكل رقم (112)
مخطط مدفن قطنا - المشرفة -

يتم النزول إليه عبر درج عريض يقع في القسم الشمالي من القاعة، يؤدي عبر بوابة إلى ممر طويل، كُشفتْ في نهايته فتحة جانبية (مدخل) تصل إلى المجمع، ووضع على جانبي هذه الفتحة تمثالان متشابهان من البازلت، يرتكزان على قاعدة حجرية، يُمثّلُ كل واحد منهما ملكاً في وضعية الجلوس على العرش، تم تنفيذ النحت بشكل كامل ومتقن، وكان الرأس ملتحياً، والعينان منزلتان بحجر أبيض، في حين حملت اليد اليمنى آنية صغيرة، ووضعت اليد اليسرى على البطن. ويبيِّن التحليل النمطي لهذه التماثيل، أنها عبارة عن إنتاج محلي يرقى للنصف الثاني من الألف الثاني ق.م، والانتاجات المشابهة الأقرب كانت موجودة في ألالاخ (تل عطشانة)، وفي إبلا (تل مرديخ). (الشكل113).

ومن الملاحظ أن الممر الواصل إلى المدفن لم يكن يضم أي تجهيزات خاصة للإغلاق، مما فسح الإمكانية لمرور مباشر إلى الغرفة الرئيسة المصمّمة بشكل بسيط، حسب مخطط متناسق تقريباً طوله 8 أمتار، وعرضه 6 أمتار، وقد وُضعَ في الزاوية الجنوبية الشرقية تابوت حجري بازلتي بلا غطاء يضم بقايا الهياكل العظمية لملوك ذكور، معهم متاع جنائزي، مكونٌ بشكل رئيسي، من الأواني الخزفية[77].

من هذه الغرفة، تُفضي ثلاثة ممرات، مهيئة بشكل متوال، في منتصف الواجهات الجنوبية والشرقية والغربية، إلى ثلاث غرف صغيرة ثانوية، لها الشكل نفسه تقريباً. تضم الأولى (الغرفة 3) في أرضيتها بقايا منصة خشبية مختلطة مع بقايا عظام حيوانات ومع مجموعة أوان مرمرية، صناعتها مصرية. ويمكن أن نرى في هذه الغرفة قاعة وليمة جنائزية مع سرير جنائزي. (الشكل114).

77 مقدسي، 2007، ص 31.



الشكل رقم (113)
مدخل مدفن قطنا



الشكل رقم (114)
داخل مدفن قطنا

الغرفـة الثانيـة (الغرفـة 2) تضـم كميـة كبـيرة مـن العظـام البشريـة والحيوانيـة الملقـاة بشـكل جـزئي عـلى بقايـا هاتـين المنصتـين الخشـبيتين.

الغرفـة الأخـيرة (الغرفـة 4) تشـتمل عـلى تابـوت حجـري بازلتـي ومقعدين حجريـين، وينطـوي هـذا التابـوت الحجـري عـلى نفـس السـمات الرئيسـة للتابـوت الحجـري الأول: فهـو بـلا غطـاء، وكان يضـم هيكلـين عظميـين (عـلى الأرجـح لإمـرأة ورجـل)، ومتـاع غنـي بالمـواد الذهبيـة والفضيـة والخزفيـة أيضـاً، كـما كان يوجـد عـلى المقعـد الحجـري الموجـود قبالـة التابـوت الحجري، أجـزاء مـن هيـكل عظمـي شـبه كامـل، في وضعيـة ممـدودة، ومغطـى بمـادة كيميائيـة سـميكة، وهـذا الهيـكل العظمـي مختلـط مـع عقـد ضخمـة مـن ثلاثـة خيـوط ذهبيـة مزينـة بالـلآلئ الذهبيـة، وبالأحجـار الكريمـة وبقطـع صغـيرة (خواتـم). وتبقـى وظيفـة هـذا المقعـد الحجـري غامضـة نسـبياً، لكـن التفسـير الأول المسـتخلص مـن وضعيـة الهيـكل العظمـي، والمـادة التـي تغطيـه، يفسـح الإمكانيـة لـنرى فيهـا مكانـاً مخصصـاً لعمليـة مراقبـة تحلـل الجثـة، تمكّـن مـن الحصـول عـلى البقايـا العظميـة، التـي سـيتم وضعهـا لاحقـاً في التابوتـين الحجريـين وعـلى بعـض اللوحـات الخشـبية الموضوعـة بشـكل مبـاشر عـلى أرضيـة الغرفـة الأولى في المدفـن القبـوي.

ويتيـح تحليـل مجمـل هـذا التوثيـق المعـروض، مـن وضـع محصلـة لعمـل هـذه الآبـدة الجنائزيـة، وفي الواقـع يمكـن التمييـز عـلى الأقـل بـين نمطـين مـن المراسـم الجنائزيـة، التـي لا بـد أنهـا كانـت تجـري في شروط مختلفـة، وهـي ذات صلـة مـع عبـادة خاصـة بالأجـداد: مراسـم الدفـن، والزيـارة المراسـمية.

2 ـ مراسم الدفن

لاشـك أن التمثالـين الموضوعـين في المدفـن الملـكي والمعبريـن عـن ملكـين سـابقين ميتـين، يمثـلان أكـثر الشـواهد تعبـيراً عـن تقديـس الأجـداد في الألـف

الثاني ق.م في سورية، وكما يتبين من الحالة غير الاعتيادية التي وُجدوا عليها، فقد كانوا يُقدسونَ من خلال تقديم القرابين والطعام لهم بصورة منتظمة. ومن المحتمل أنهم كانوا يقومون هنا أيضاً بتحضير أرواح الأجداد التي يمكن أن تسكن بعد ذلك في التماثيل البازلتية. ومن الشواهد الأخرى الدالة على تقديس الأجداد في المدفن الملكي في قطنة تزويد الموتى بصورة منتظمة بالغذاء بصيغة ما يسمى شعائر (الكيسبو) التي تؤدى داخل حجرات المدفن. إضافة إلى ذلك كانت القاعة الكبيرة (A)، أو ما يسمى قاعة الاحتفالات، في القصر الملكي في قطنة، تُستعملُ كمكان لتقديس الأجداد، ومن هناك كانوا يذهبون إلى المدفن الملكي، وإلى حجرة العبادة الموجودة تحت الأرض، بحيث أن القاعة كانت تشكل الجزء المكمّلَ الموجود فوق الأرض، وكانت تقام فيها حفلات تقديس الأموات الأكثر عمومية والتي تضم دائرة أوسع من الأشخاص ويؤكد هذا الاستنتاج دلائل عثر عليها في القصر الملكي في ماري. كانت قاعة الاحتفالات هناك - وهي موجودة في المكان نفسه كما في قصر قطنة ومجهزة بالطريقة نفسها - تستعمل، حسب النصوص التي عُثر عليها في القصر، (كقاعة ملكية) لتقديس ملوك ماري المتوفين، وكانت تقدم لهم هناك المواد الغذائية بصيغة شعائر الكيسبو[78].

حسب النصوص الأوغاريتية، لا بد أن تبدأ المراسم الجنائزية، بالابتهال لأرواح الأجداد (الرفائيم)، الذين يشاركون في الدفن، ولـ» شابشو»، الذي لا بد أنها تتحمل مسؤولية إنزال المتوفى إلى عالم الموتى. ويرافق التمثالان المتوفى في الغرفة الأولى من المدفن القبوي في دخول يتَّسم بالأُبَّهة، والذي يتطلب حضور أهم أعضاء العائلة المالكة. ومن المرجح جداً أن مجمل

78 بفيلتسنر، 2009، ص 86.

الموكب، كان يضع المتوفى في وضعية متطاولة، على المقعد الحجري، الموجود في الغرفة الرابعة، كما كان يُطلى كامل الجسد بمادة الغرض منها بدء التحلّل السطحي السريع والنظيف، وكان هذا العمل الأخير يُتبع بوليمة شعائرية، من المفترض أنها تتم في فسحتي التجمُّع، وفي قاعة المقعد الحجري. وكان هذا المقعد الحجري مصمَّماً للربط ما بين عالمي الموتى والأحياء، ويمكن من نسج وشائج روحية مع الأجداد[79].

كانت المرحلة الثانية تبدأ حينما يتحلل الجسد، ويتم استهلالها بعد مرور شعائري في فسحتي التحضير إلى فسحة التجمع. في الغرفة الرابعة، إذ كان يقوم بصورة رئيسية، على مراسم وضع عظام المتوفى في التابوت الحجري. وتؤكد بعض العناصر المتوفرة لدينا أن هذه المرحلة تتسم بحدثين حاسمين وهما: جمع العظام، ثم نقلها إلى التابوتين الحجريين أو وضعها على بعض الألواح الخشبية. ولم تكن العظام الملقاة في وضعية اعتباطية غير تشريحية، كما كانت مصحوبة بمتاع جنائزي غني لا بد أن يتبع المتوفى في العالم الآخر، من جهة، ولتأمين مشاركته في الولائم الاحتفالية من جهة ثانية. وتُختتم المراسم بوليمة في طقس شعائري جنائزي الـ «كيسبو» (الشكل115).

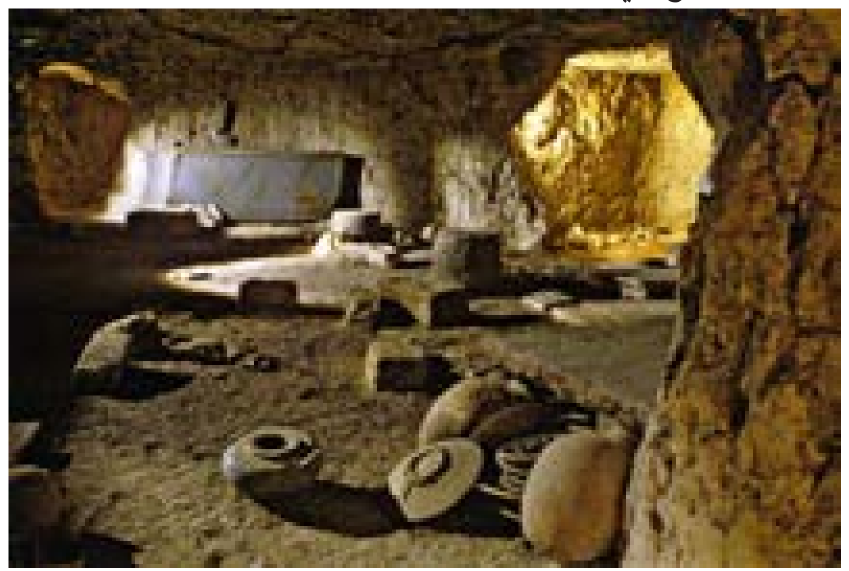
3 ـ زيارة احتفالية

ترمز الزيارة الاحتفالية إلى لقاء العائلة المالكة مع أجدادها بمناسبة عيد ديني، لإحياء ذكراها بشكل قد يكون سنوياً. وتدلل البقايا الأثرية المكتشفة بشكل رئيسي في الغرفتين الأولى والثالثة، على سبب إقامة الطقوس الغذائية «الكيسبو» والولائم الجنائزية، إذ خُصِّص هذا الطقس لإطعام الموتى، ولقضاء وقت مع ملوك الأسرة الحاكمة في السلطة، وهو يُشرعن وراثة ملك قطنة للتاج.

---

79 مقدسي، 2007، ص 32.

كانت زيارة تقديس الأجداد تُستهل في القصر، بقاعة العرش، وكان الزائر يجتاز الممشى لتبدأ المراسم أمام تمثالي الجدود، ومن ثم يتم الاحتفال في مساحة التجمُّع، وفي قاعة الوليمة توجد المواد[80]. (الشكل 116).

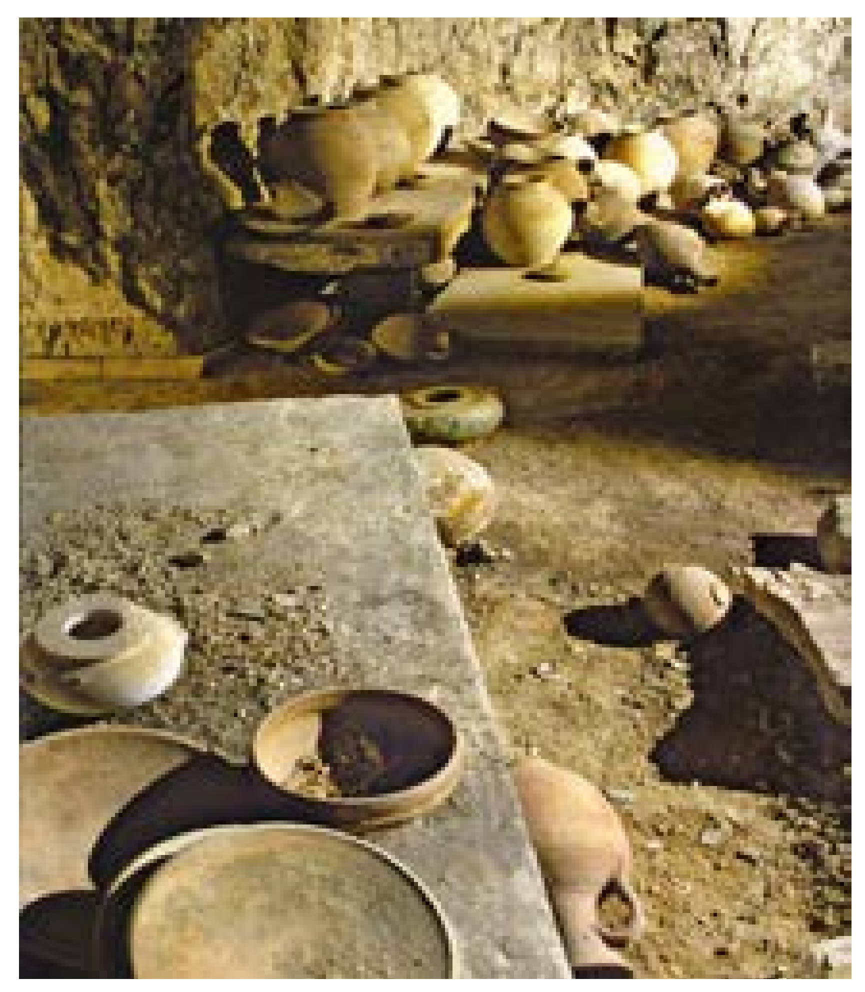


الشكل رقم (115)
داخل مدفن قطنا

ثالثاً: تقديس الأسلاف في ألالاخ

لا تعطي مدافن ألالاخ الكثير من المعلومات حول طقوس عبادة الأسلاف، ولا حول التصوّرات الدينية التي كانت قائمة لدى السكان، وكل ما تم الوصول إليه هو بعض الملاحظات عن تقاليد الدفن، إذ لم تتمكن أعمال التنقيب في نطاق بيوت السوية (14) وحتى (9) من إثبات وجود قبور منزلية، وحتى هذه القبور لم تصادف كثيراً في السويات الأثرية المتأخرة. ويبدو أن الدفن في المنازل كان متبعاً بشكل رئيسي من الطبقات

80 مقدسي، 2007، ص 33.



الشكل رقم (116)
أثاث جنائزي في مدفن قطنا

الفقيرة؛ وللأطفال. لذلك افترض المنقّب (وولي) وجود مقبرة خارج المدينة، وعلى الأقل من أجل الأثرياء، وفي وقت لاحق دفنوا موتاهم في أباريق فخارية إلى جانب القبور الأخرى، واعتقد (وولي) أنه وبدءاً من فترة أواخر السوية الأثرية الخامسة (القرن الخامس عشر) ظهرت في ألالاخ إضافة إلى طريقة الدفن العادية طريقة حرق الجثة، وكان ذلك شيئاً

غريباً في هـذه المنطقـة، ويفـترض أن هـذا التقليـد مـن الدفـن كان متبعـاً في أنحـاء أخـرى مـن مناطـق سـورية وفلسـطين[81].

جـاء تمثـال الملـك أدريمـي بمعلومـات مهمـة جـداً عـن عبـادة تقديـس الأسـلاف، إذ يصـوِّرُ الملـك جالسـاً عـلى كـرسي العـرش، ويضـع يـده اليمنـى عـلى صـدره، واليـسرى عـلى حضنـه، يُغطِّـي تـاج يشـبه الخـوذة رأسـه، حتـى لا يظهر منـه شيء، ويشـدُّ عـلى رأسـه عصابـاً، أمـا ذقنـه فقـد كانت قصـيرة وناعمـة، تبرز قليـلاً فـوق الوجـه. ورغـم صعوبـة التعـرف عـلى نـوع ملابسـه، فمـن المرجَّـح أنـه كان يرتـدي ثوبـاً طويـلاً، فوقـه جبـة، ثـم يلتـف ببرديـة أهدابهـا سـميكة أو مجزفـة، وتظهـر البرديـة لأول مـرة في هـذا العـصر. العينـان والحاجبـان مـن حجـر أسـود منـزَّل في الحجـر الأبيـض الـذي صنـع منـه التمثـال[82]، وهـو حجـر يتكـوّنُ مـن خليـط مـن الدولوميـت والمغنيزيـت (موجـود حاليـاً في المتحـف البريطـاني في لنـدن)، وجـد محطـماً في بنـاء ملحـق بمعبـد المدينـة، وكان رأسـه مفصـولاً عـن جسـده. كذلـك وجـد في البنـاء عـرش مـن البازلـت ارتفاعـه 65 سـم، وأمـام العـرش وُجـدَ مذبـح مربّـع الشـكل مـن البازلـت أيضـاً، ارتفاعـه 89 سـم، ومـن إعـادة تصـوّر تكويـن وضـع العـرش يتبـين بشـكل واضـح أن تمثـال أدريمـي، كان مُقامـاً في البنـاء الملحـق والمذبـح أمامـه.

عندمـا هـدم معبـد السـوية الأولى كان التمثـال منتصبـاً عـلى الكـرسي، ولكـن رجليـه تحطمتـا عندمـا هـوى بقـوة مـن عـلى كرسـيه الـذي اندمجـت فيـه الرجـلان المذكورتـان، وبعـد سـلب ونهـب المعبـد، فمـن المعقـول أن يكون أحـد الأشـخاص قـد رجـع وأخـذ مـا بقـي مـن التمثـال، ومن ثـمَّ طمـره بسرعة في الأرض، عـلى أمـل أن يعـود فيـما بعـد ويجـده. ولكـن كل ألالاخ كانـت قـد انتهـت، ولم يبـق منهـا شيء، والشـخص المذكـور الـذي طمـر تمثـال الملـك

81 Oesch، 1995، P. 63.

82 أبو عساف، 1988، ص 423.

إيدريمـي لم يعـد أبـداً، وقـد بقـي هـذا التمثـال محفوظـاً في المعبـد قرابـة مئتـي عـام[83]، أي إلى العـصر الـذي حـدث فيـه التغيـير الكبـير في سـورية الشـمالية، بدخـول شـعوب البحـر، وانتشـار الآراميـين، وانهيـار الإمبراطوريـة الحثيـة[84].

تكمـن أهميـة التمثـال في الكتابـة التـي يحملهـا، المؤلفـة مـن مئـة وأربعـة سـطور منقوشـة بالخـط المسـماري واللغـة الأكاديـة، تمثـل سـيرة ذاتيـة، يـروي فيهـا أدريمـي قصـة حياتـه والأعـمال التـي قـام بهـا[85].

حكـم الملـك أدريمـي بدايـة القـرن الخامـس عـشر ق.م (حـوالي 1475) بعـد انهيـار مملكـة يمحـاض (حلـب)، وهروبـه إلى فلسـطين، وإلى أخوالـه في إيمـار. وقـد كان الابـن الأصغـر في السـلالة الحاكمـة مـن حلـب، اسـم أبيـه إيليـم - إيليـما، وكان حاكـماً عـلى ألالاخ بموافقـة الحاكـم الحـوري (باراتارنـا) واسـتطاع أن يُجنِّـب المدينـة الدمـار في المنطقـة الحثيـة ويحقـق لهـا الحيـاة الرغيـدة[86].

إضافــة للأهميــة التاريخيــة للنقــش؛ هنــاك أهميــة كــبرى مــن ناحيــة التاريــخ الدينــي أيضــاً، لأنــه يُثبــتُ للمــرة الأولى كتابيــاً في ســورية وبــلاد الرافديـن والأناضـول عبـادة تقديـس الأسـلاف مـن خـلال أبنـاء أحـد المتوفـين. كـما أن العثـور عـلى تمثـال ادريمـي مـع عـرش ومذبـح يشـير إلى أن التمثـال كان منصوبـاً في معبـد السـوية الأولى (ب1)، بغايـة اسـتمرار تقديـس الأسـلاف، وقـد اسـتمر وجـوده في المعبـد منـذ السـوية الثالثـة (المعبـد 3)، ويؤيـد ذلـك مـا ورد في النـص مـن إشـارات واضحـة لهـذه العبـادة:

"عملـت مُـدني كـما أجدادنـا عملوهـا، كآبائنـا (الذيـن عينـوا علامـات آلهـة ألالاخ) والأضاحـي التـي قدمهـا آباءنـا، (قدمتهـا أنـا بانتظـام هـذا مـا عملتـه)

83 وولي،1992، ص 109، 110.

84 مرعي، 1988، ص 107.

85 مرعي، 1988، ص 105.

86 Oesch، 1995، P. 58.

وعهـدت بـه إلى يـد ولـدي تيشـوب ـ نِـراري"[87]. إن وجـود التمثـال مـع طاولـة التضحيـة في المعبـد الصغير إلى جانـب القـصر الملـكي يُعَـدُّ مـؤشراً عـلى ممارسـة شـعائر تقديـس الأجـداد[88].

أمـا مضمـون النـص فنجـد فيـه الملـك وقـد جـدّد المدينـة كـما فعـل آبـاؤه، وعـين الإشـارات للآلهـة، وأدى لهـا قرابـين الإراقـة مثلهـم، كل ذلـك مـن أجـل الآبـاء (الذيـن كانـوا قـد قامـوا بنفـس الطقـوس)، ثـم جعـل منهـا طقسـاً دوريـاً دأب عـلى القيـام بـه قبـل أن يأتمـن عليـه ابنـه تيشـوب نِـراري ليقـوم بـه مـن أجلـه بعـد رحيلـه[89]. ويحتـوي النـص عـلى الكثـير مـن الصيـغ التـي نشـاهدها في الألـف الأول قبـل الميـلاد في النقـوش الآراميـة، وتحتـوي عـلى تهديـد كل مـن يتطـاول وينـال مـن النصـب الـذي أقامـه الملـك، متوعـداً بانتقـام الآلهـة منـه ومـن نسـله:

"فليسـتأصل نسـله وليلعنـه إلـه السـماء، ولتسـتأصل الأرض السـفلى سـلالته، ولتقسـم آلهـة السـماء والأرض مملكتـه وأرضـه، مـن يغـيره أيضـاً أو يعمـل بـه شـيئاً، ليحطـم تيشـوب سـيد السـماء والأرض والآلهـة الكبـار اسـمه، وذريتـه في بـلاده شـاروو هـو الكاتـب الصغـير عبد تيشـوب، شـمجي، كوشـوخ وشاووشـكا ميشـاروو الكاتـب الـذي كتـب هـذا النصـب لتبقيـه آلهـة السـماء والأرض، حيـاً ولتنـصره ولتكـن طيبـة معـه شـيمجي سـيد العـالم، والأسـفل، سـيد أشـباح المـوتى ليحفظـه عـلى قيـد الحيـاة"[90].

رابعاً: تقديس الأسلاف في إيمار

هنـاك الكثـير مـن العبـارات في إيمـار التـي تزودنـا بالأدلـة عـلى وجـود عبـادة تقديـس الأسـلاف، ففـي عـدد مـن النصـوص يعـبر المـوصي (المـورِّث)

87 مرعي، 1988، ص 113.

88 بفيلتسنر، 2009، ص 87.

89 Oesch، 1995، P. 58.

90 مرعي، 1988، ص 109 - 114.

عـن رغبتـه بتـلاوة أو منـاداة «نبـو» أو ربمـا النـواح والبـكاء للآلهـة. وفي نـص آخـر نجـد ابنـان ورثـا ممتلـكات والدهـم الميـت، ومنهـا عـدد مـن الواجبـات والفـروض التـي عليهـم القيـام بهـا، أحدهـا لإكـرام وإجـلال كونـو (kunnu) آلهـة أبيهـم أو إيلانـو (Ilanu) والميـت (Metu). وفي نصين آخريـن نـرى المـورّثَ يصـف ابنتـه كابـن وابنـة، مـما مكنهـا مـن أن تطالـب بحقـوق الإرث في غيـاب الأولاد، فتقـوم بـأداء عـدد مـن الواجبـات التـي ذكرهـا لهـا والدهـا[91]، ومـن ضمـن هـذه الواجبـات؛ منـاداة نبـو والتـضرع لـه، والنـوح والبـكاء لـ (إيلانـو) والميـت.

ويفـترض بعـض الباحثـين أن مدلـول عبـارة نبـو وذكـر الاسـم معهـا هـو خلفيـة لعبـادة السـلف. فالميـت كان يؤلّـه ويُسـتحضر ليبـارك حيـاة الأحيـاء. وقـد ورد التـضرع للإلـه والنـواح عـلى الميـت في نصـوص إيمـار بشـكل واضـح، وكان مـن الطقـوس الأساسـية في المدينـة.

لكـن بعـض الباحثـين يـرون في نطـق اسـم الأسـلاف، بالشـكل الـذي عُـرفَ في بـلاد الرافديـن، مـا قـد يُشـير إلى عمـل تـذكاري أكـثر مـن كونـه تبجيـلاً للأسـلاف أو عبادتهـم. و يُعـبِّرُ نـص آشـوري عـن هـذه الفكـرة مبيِّنـاً أن الأمـر يتعلـق بحفـلات الذكـر لأولئـك الذيـن وافتهـم المنيـة منـذ فـترة بعيـدة:

”أنـا تلـوت اسـمك مـع أشـباح المـوت ”إطيـم“etemmu (وتعنـي الروح)، أنـا تلـوت اسـمك بينما كنـت أقـوم بتقديـم الكيسـبو (kispu)“[92].

والكيسـبو يعنـي بالمصطلـح الأكادي تقديـم القرابـين الجنائزيـة، والفعـل كسـب يعنـي قـدم القرابـين الجنائزيـة، وكان هـذا المصطلـح يطلـق عـلى الشـعائر التـي تقـدم فيهـا الأطعمـة المختلفـة مـن أجـل أرواح المـوتى، وتنحـر فيهـا الخـراف، ويقـدم النبيـذ الأبيـض والجعـة وجميـع أنـواع الفاكهـة.

91 Schmidt، 1996، P. 149.

92 Schmidt، 1996، P. 150.

والطريقـة التـي كانـت متبعـة في إقامـة الولائـم الجنائزيـة، هـي أن تصـف المقاعـد للنـاس حـول الأطعمـة المقربـة، ويـترك مقعـد فـارغ لـروح المتـوفى الـذي أُقيمـتْ الوليمـة مـن أجلـه، ويُطلـق عـلى هـذا المقعـد كـرسي الـروح[93].

ويـرى باحثـون في مـا يعـرف بإيـلاني ilani التـي وردت ضمـن نصـوص إيمار ونـوزي مـا هـي إلا الآلهـة المنـزلية أو الآلهـة الراعيـة للعائلـة، ومـن المحتمـل أنهـا كانـت تُمَثَّـلُ بدمـىً صغـيرة تُسـتخدمُ في طقـوس تنظمهـا العائلـة، في حـين أن الأشـباح (في نـوزي) والأمـوات في إيمـار هـي أرواح الأسـلاف التـي مازالـت تطلـب التغذيـة، والغايـة المرجـوّةَ منهـا يقطفهـا الوريـث الأسـاسي[94].

لقـد كان للشـعائر المتعلقـة بذكـر إيلانـو (ilanu) إلى جانب ميتـو (metu)، قواعـد دقيقـة في إيمـار. فاسـتخدمت شـعائر النـدب عبـارة نبـو (نبـو النـواح)، وتظهـر إيلانـو (ilanu) أو إيلنـا، وهـي الآلهـة، ضمـن هـذا المشـهد لتنـشرَ الرحمـة والخـير عـلى المـوتى. وقـد كان الاسـتخدام الشـائع لإيلانـو يشـير للآلهـة الرئيسـة والآلهـة الشـخصية، ولكـن نفـس العبـارة كانـت تسـتخدم في إيمـار عندمـا يتعلـق الأمـر بالميـت (metu)[95].

كان الـدور الـذي لعبـه الميـت أو الفعـل الـذي قـام بـه باعتبـاره أحـد أفراد مجموعـة كبـيرة مـن الأرواح المقدسـة صغـيراً نسـبياً، فقـد ورد ذكـر الأمـوات فقـط كحضـور لهـم تمثيـل، في حـين لا توجـد حالـة مؤكـدة امتلكـت فيهـا أرواحهـم (أو أشـباحهم) قـوة روحانيـة فائقـة.

مـن الآلهـة التـي ذُكـرتْ في إيمـار خـلال تأدية هـذه الطقـوس هنـاك: دينجير - لي ي – جـال (Gal –ile – Dingri)، آلهـة البيـت الرئيـس، وكذلـك: دينجير - لي صـا لـو ميـش أخ - خـي (hi–li sa lu.mes ha –Dingir) آلهـة الأخوة.

هـذه الآلهـة كانـت آلهـة العائلـة والعشـيرة الذيـن أُسـكنوا في مصلَّيـات

93 حنون، 2006، ص 191.

94 Pitard، 1996، p. 126.

95 Schmidt، 1996، P. 151.

خاصة في إيمار، وتتضمن الممارسات الواجب القيام بها في إيمار تكريماً للآلهة والأموات (كونو kunnu)، الابتهال للعائلة أو للآلهة الشخصية، وكذلك الاهتمام بإطعام الأموات وإحياء ذكرهم. وكل من النشاطين يتضمن سلسلة من الممارسات، من أهمها المناداة بأسماء هؤلاء الأموات على الملأ بشكل شفهي، وهذه الممارسة مشابهة لما كان يجري في إبلا وأوغاريت حيث مَثَّلت أحد الطقوس الشرعية المتعلقة بإله السلالة الحاكمة وأفرادها، بالإضافة للملوك الأموات.

وقد كانت أسماء الآلهة الأسلاف تتبدل كل حين في المناداة، فيجري ذكر أسماء الموتى الجدد بدل القدامى.

نشير أخيراً إلى وجود إشارات من النصوص في إيمار تدعِّم فكرة وجود شعائر عبادة الأسلاف في إيمار، حيث يتم التطرق لطقس مرتبط بما سُمِّيَ بالقبر العائلي (quburu)[96].

كما قد يكون من المفيد ذكر بعض نماذج البيوت المصنوعة من الطين المشوي، التي عثر عليها في إيمار، وفي غيرها من الأماكن، ومنها سلمية، الواقعة بالقرب من قطنة (تل المشرفة)، وهي تُعدُّ رمزاً للبيت العائلي الرئيس، ومن الممكن أن تكون قد استخدمت كمذابح منزلية لتقديس الأسلاف، حيث كان يوضع عليها القرابين المقدمة لهم[97].

خامساً: تقديس الأسلاف عند الآراميين

لقد كانت رعاية الأموات من الأمور المهمة للآراميين الباقين على قيد الحياة، وهو تعبير عن اعتقاد راسخ عميق بالحياة الآخرة. وكان الخوف من أرواح الموتى التائهة كبيراً، لدرجة تدفع الناس لتقديم النذور بشكل دوري منظم بغية تهدئة الروح[98].

96 Schmidt، 1996، P. 152،153.

97بفيلتسنر، 2009، ص 85.

98 مارتين، 2006، ص 15 و16.

ويمكـن التعـرف عـلى هـذا الطقـس مـن خـلال دراسـة طـرق الدفـن، ومحتويـات المدافـن، والنصـب الجنائزيـة، ومـا حملتـه مـن نصـوص وتصاويـر وغيرهـا. وقـد اسـتمرت تقاليـد تصويـر الأجـداد في سـورية حتـى العـصر الحديـدي، أي حتـى الألـف الأول ق.م.

ومـن التماثيـل المشـهورة في هـذا الصـدد تلـك التماثيـل الكبـيرة مـن تـل حلـف (جـوزن)، وهـي لأشـخاص جالسـين، وكان كل تمثـال منهـا منصوبـاً فـوق قـبر دُفـن فيـه جثـمان، وهـي تحمـل في اليـد اليمنـى بطريقـة معـبرة وعـاءً لاسـتقبال القرابـين، وممـا يلفـت الانتبـاه أن تماثيـل الأجـداد هـذه كانـت لشـخصيات نسـائية. كـما وجـد في نفـس الموقـع تمثـال حجـري، لزوجـين راحلـين، كان موضوعـاً في حجـرة صغـيرة خاصـة لتقديـس الأجـداد، تسـمى حجـرة العبـادة[99].

يُعـدُّ نقـش بنمـوا بـن قـرل، مـن شـمأل، مـن أهـم النقـوش الآراميـة عـلى الإطـلاق كونـه يشـير إلى طقـس تقديـس الأسـلاف، وهـو وثيقـة مليئـة بالمعلومـات التـي تتنـاول الحيـاة الدينيـة في هـذه المملكـة أو ماسـمي الإديولوجيـة الملكيـة. ويذكـر النـص أسـماء العديـد مـن الآلهـة التـي نقلـت بنمـوا إلى السـلطة بعـد والـده وعملـت عـلى رفـاه البلـد وإسـعاده مـن خـلال مـا أضفتـه مـن بركـة عـلى حكومـة بنمـوا، ويتمنـى اسـتمرار البركـة عـلى مـن اعتـلى العـرش بعـد وفـاة الملـك، ولمـن تابـع شـعائر تقديـس الأسـلاف، ويدعـو بالشـؤم والمـوت عـلى مـن لا يفعـل ذلـك[100]. (الشـكل117).

مـن النقـاط الملفتـة للنظـر في النـص، التسـليم الشـديد بقـدرة الآلهـة عـلى فعـل كل شيء، فهـي إذا مـا رضيـت عـن أفعـال إنسـان معـين، تمنحـه المجـد والرفعـة وكل مـا يطلـب. وكذلـك اعتقـاد الملـوك بأنهـم بمنـزلة قريبـة

99 بفيلتسنر، 2009، ص 87.

100 Kreuzer، 1995، P. 101-115.



الشكل رقم (117)
تل حلف

من الآلهة التي لا ترضى عن المقصرين بواجباتهم من أجل راحة الملك الراحل. فعلى الورثة القيام بالواجبات الدينية المطلوبة من تقديم الأضاحي والطعام والشراب، وإقامة جلسات الذكر الدورية، لكي ترتاح روح الملك التي انضمت إلى فصيلة الآلهة في الأعالي، فإذا رضيت روح الملك عن أبنائه وخلفائه رضيت الآلهة عليهم. أما إذا ما عقَّ الولدُ الوريثُ، أو من حلَّ محله، ولم يقم بالمطلوب تجاه أهله الراحلين، فسوف يثير سخط الآلهة. ويمكن أن نرى في تركيز الملك الشديد على هذه النقطة، أنه نابع من شعوره بعدم الثقة بالورثة، وقدرتهم على الإيفاء بالتزاماتهم تجاهه، هذا ما دفعه لتهديدهم علناً. ومن الممكن أن يكون هذا الأمر مؤشراً على وجود حالة من التذمّر لدى الجيل الجديد من السكان، ورفضهم السير خلف ما درج أباؤهم على القيام به. (الشكل118).

لكن نقوشاً أخرى لاحقة تنبؤنا باستمرار أداء هذا الطقس خلال مراحل لاحقة، وهذا ما نلمسه من نص لملك لاحق، هو بنموا الثاني (حكم حوالي 743 - 733 ق.م) أقامه برراكب من أجل أبيه، ونجد فيه ممارسة عقيدة تقديس الأسلاف. حيث يقوم ابن الملك ووريثه، بعد مراسم التشييع والتعزية، بإقامة النصب لوالده (بنموا بن برصور) ويقدم له الأضاحي المناسبة كي ترضى روحه وترضى الآلهة عنه. ويظهر النصُّ أن راكب إيل هو الإله المخصّص لحماية السلالة الحاكمة، وتأتي أهمية هذا الإله كونه إلهاً للبيت الحاكم[101].

الشكل رقم (118)
نقش بنمو

"النصب هذا أقام برراكب لأبيه، لبنموا بن برصور ملك يأدي...... سنة موته.... مات أبي بنموا عند رجلي سيده تجلت فليسر ملك آشور خلال الحملة. عند ذلك (بكيه سيده تجلت فليسر ملك آشور)، وبكيه أخوته الملوك. وبكيته (عناصر) حملة سيده ملك آشور كلها. وأخذ سيده ملك آشور (............ وجعل تأكل وتشرب؟)، روحه، وأقام له تمثالاً في الطريق. وسار بأبي من دمشق إلى آشور. في أيامي....، وبكيه بيته كله. وأنا برراكب بن بنموا بفضل إخلاص أبي وإخلاصي أجلسني سيدي (راكب

101 Kreuzer، 1995، P. 101-115.

إيل فسيدي تجلت فليسر على عرش)، أبي بنموا بن برصور، وقد أقمت النصب هذا لأبي، لبنموا بن برصور. و....، وخروفاً مشوياً (بمشواة). وليضع الملك (يديه) على كبش موثوق (ذي أمان)، وليرسل الكبش شرقاً إلى قدام قبر أبي بنموا....، والذكرى هذه. ها! فليت حدد وإيل وراكب إيل - سيد البيت (السلالة الحاكمة) وشمش وكل آلهة يأدي (يرضون عني، أنا، ابن بنموا، وليت راكب إيل يعطيني الرحمة)، قدام الآلهة وقدام البشر»[102].

ويبدو أن هذا الاعتقاد لم يكن حكراً على الملوك، ولكن على كبار شخصيات الدولة أيضاً، بما فيها موظفي القصر الملكي الراحلين، الذين كان بمقدورهم أيضاً، الادعاء بالجلوس مع الآلهة على مائدة جنائزية واحدة يتناولون من خلالها مختلف أنواع الأطعمة والأشربة، وهذا ما نجده في نقش كتمو الخادم عند الملك بنموا المكتشف حديثاً على يد البعثة الأمريكية في موقع زنجرلي صيف 2008م. (راجع الشكل 107)، والذي يدور موضوعه حول موظف ملكي يقوم بإشادة نصب وتقديم الأضاحي لعدد من الآلهة ولروحه التي تسكن في النصب، ويوصي أبناءه بمتابعة تقديم القرابين له ويطلب حصة محدّدة من الأضاحي لنفسه، وهي الفخذ:

"أنا كتمو، خادم بنموا، الذي كلفني بنفسي (هذه) المسلة بينما - ما زلت حياً. وضعتها في غرفتي الأبدية (؟) وأقمت وليمة (على) - هذه الغرفة (؟): ثور من أجل حدد ق ر/د ب د/ر ل، وكبش لأجل ن ج د/ر- ص و د/ر ن، وكبش لشمش، وكبش لحدد حامي الكروم - وكبش لكوبابا، وكبش لروحي التي (سوف تكون) في هذه المسلة - منذ الآن أي من أبنائي - أو أي ابن من أبناء الآخرين يتوجب عليه امتلاك - هذه الغرفة (؟) دعه يأخذ من - أفضل (ما تنتجه) هذه الكروم (تمنح) - كل سنة.

102 إسماعيل، 2001، ص 307.

يجب عليه القيام بتقديم القرابين (الوارد أعلاه) بـ (لأجل) روحي - وأن تخصني - بقطعة الفخذ (من الذبيحة)»[103].

قبل اكتشاف نص كتموا؛ كان من الصعب أن نتخيل أن موظفاً ملكياً مهما علا شأنه يتجرأ على وضع نفسه على مائدة جنائزية بموازة الآلهة. فقد أطلعتنا النصوص على ملوك قاموا بهذا الفعل وليس أحد غيرهم. وهكذا تتسع دائرة الشخصيات المؤلهة لتصل إلى الناس العاديين أيضاً. ومنطقياً يبدو الاقتناع بمزاحمة الملوك في القداسة والولائم الإلهية أمراً صعباً، ولهذا ربما كان علينا أن نفهم الأمر كما يلي، إما أن تقديس أرواح الأسلاف الراحلين اتسعت لتشمل فئات أخرى في المجتمع غير الملك، وهذا ما لم يُعرف حتى الآن حتى في النصوص اللوفية، وإما أن الأمر لا علاقة له بالتقديس بمعناه الحرفي، بل ربما لا يعدو كونه طلباً للمغفرة والسكينة والراحة من آلهة راعية وكافلة له ولعائلته، يتم التواصل معها عبر الولائم والقرابين والأضاحي المقدمة، وبالتالي هذا لا يعني تقديساً لروح الميت، وهو هنا موظف في القصر الملكي.

الجديد في نص كتموا هو قضية الروح التي خرجت من الجسد، وسكنت الحجر، كما يقول النص، فمن المعروف أن الروح في الديانات المشرقية القديمة تفارق الجسد بعد الموت، بينما هنا نجدها تخرج منه لتسكن في النصب الذي وضع قرب القبر.

يبدو أننا مع الإله الحامي للسلالة الحاكمة أمام عنصر آرامي خاص، فراكب - إيل يرمز إلى الآلهة الفعالة العاملة على مساعدة الحاكم، أو بالأحرى الموكَّلة بالقيام بهذا الواجب من قبل الآلهة، وتتجلى أهمية راكب في قدرته على حسم أي صراع على العرش ومنح الحياة، وهذه إشارة لوريث العرش. كما تتجلى هذه العلاقة بين الإله والبيت الملكي

103 Pardeem، 2009، P. 55.

ثانيـة في أحـد نقـوش السـفيرة:

"أمـا تـل أيـم وقراهـا وسـادتها ومقاطعتهـا فهـي لأبي ولسـلالته إلى الأبـد. ومثلـما ضربـت الآلهـة بيـت أبي... وعـادت تـل أيـم لبرجايـة ولابنـه ولابـن ابنـه ولنسـله حتـى الأبـد"[104].

لعـل مـن خصوصيـات ديانـة الآراميـين، هـو اعتناقهـم المعطيـات الثقافيـة والدينيـة التـي كانـت سـائدة في المناطـق التـي سـكنوا فيهـا، وفي هـذا المجـال يمكـن ذكـر حـدد إلـه الطقـس السـوري، ومعـه الآلهـة الحاميـة، وإلهـة الحـب عشـتار، التـي أصبحـت فيـما بعـد عترغاتـس. ظـل مجمـع الآلهـة عـلى مـا يبـدو صغـيراً نسـبياً، سـهلٌ الوصـول إليـه مـن قبـل النـاس، ولم يقتـصر الوصـول إلى أفـراده عـلى الملـوك لوحدهـم، الذيـن كانـوا يتوجهـون للآلهـة طلبـاً لعونهـا أو لتقديـم الشـكر لهـا. ومـن الـوارد جـداً وجـود علاقـة تجـاه آلهـة خاصـة بمعنـى (الإلـه الشـخصي)، أو بالأحـرى الأسـلاف التـي تحمـي العشـيرة (والعائلـة)[105].

في نقـش قـره تبـه نجـد الإلـه الحامـي لسـلالة ملـك أزتـودي هـو بعـل كرنتيـش:

"بنيـت المدينـة هـذه وجعلـت لهـا اسـم أزت ودي وأقمـت فيهـا الآلهـة هـذه. بعـل ك ر ن ت ي ر ش. فبـارك بعـل ر ن ت ر ي ش أزت ودي في حيـاة وسـلام وفي عـز قـدرة عـلى كل ملـك إذ أعطـى بعـل ك ر ن ت ر ي ش لأزت ودي طـول أيـام وربـوة سـنوات وقمـة نعـم"[106].

في حـماه يخبرنـا الحاكـم الآرامـي زكـير في نقشـه (حـوالي 800 ق.م) عـن تحالـف الـدول الآراميـة التـي حاصرتـه بقيـادة برحـدد الثالـث ملـك دمشـق. هنـا نجـد ثانيـة الارتبـاط الوثيـق لهـذا الملـك مـع ربـه بـدءاً مـن التتويـج

104 إسماعيل، 2001، ص 269.

105 Kreuzer، 1995، P. 115.

106 البستاني، 1985، ص 120.

وحتى النجاة من هجوم أعدائه، وهذه البنية مماثلة لما في شمأل، لكن الإله الحامي في مملكة حماة ولعش هو بعلشمين، إلا أن مكانته غير واضحة ضمن مجمع الآلهة في حماة[107]. يتوجه زكير بالشكر الخاص إلى بعل الذي كان الإله الحامي لبيته:

"*أنقذني بعل شمين وقام معي وجعلني بعل شمين ملكاً على حزرك.... فرحت أرفع يدي لبعلشمين، وبدأ يجيبني بعل شمين. ويتحدث بعلشمين إلي بوساطة العرافين وبوساطة الرسل ويقول لي بعلشمين، لا تخف، لأنني جعلتك ملكاً، وأنا سأقوم معك وأنا سأنقذك من كل هؤلاء*"[108].

يتضح على الوجه الثاني من النصب أن الملك يحذِّرُ الذين يفكرون بالعبث بنصبه أو نقله، ويتوعدهم بغضب الآلهة، ثم يدعو في النهاية بالخلود لاسمه ولسلالته:

"حزرك... وبنيت بيوت الآلهة في كل (مكان من)، أرضي وبنيت...، وبنيت آفس وأسكنت، الآلهة في بيت إيل ور، بآفس وأقمت قدام إيل ور، النصب هذا، وكتبت عليه أثر يدي مآثري... وكل، من يزيل أثر، يدي زكير ملك حماة ولعش، من هذا النصب، ومن، يزيل هذا النصب من، قدام إيل ور، ويحركنه من، مكانه، أو من يرسل ابنه،.... ليقتل بعل شمين وإيل ور، و.... وشمش وشهر و... وآلهة السموات، وآلهة الأرض وبعل،... الرجل وابنه وكل نسله....، ليكن حتى الأبد، اسم زكير واسم بيته (سلالته)»[109].

يبدو أن كلمة «أم amm» تشير إلى شعائر تقديس الأسلاف ضمن القبيلة أو العشيرة، فهذه الكلمة لم تصل لحد أصبحت فيه اسماً لإله

107 Kreuzer، 1995، P. 101-115.

108 إسماعيل، 2001، ص 211.

109 إسماعيل، 2001، ص 212.

آرامـي رئيـسي، ولكـن اقترنـت بأسـماء بعـض الحـكام والشـخصيات، مثـل حاكـم بيـت زمـان في القـرن التاسـع ق.م الـذي أطلـق عليـه لقـب «أمـي بعـلي». كـما نجـد في منطقـة البليـخ لقـب «جيـا أمـو giy ammu»، وكان يخـص القائـد «أماتـا a-a-mat-a». وفي بدايـة القـرن الثامـن نجـد اسـم «بعـلي أمـو bali ammu»، وبعـد ذلـك يظهـر عـدد مـن أسـماء الأشـخاص التـي اقترنـت بكلمـة "أم amm"، والتـي لم توجـد بشـكل مسـتقل، ولكـن يبـدو أنهـا كانـت تُسـتخدمُ للأشـخاص الذيـن جـرى تقديسـهم. إن عبـارة "أم amm" قـد تـدلُّ عـلى طقـس لـه شـكل مثـالي، يشـير إلى الإلـه. كـما يظهـر في بعـض الأسـماء مثـل «أمـي - عـتر Attar_ammi» (سـلفي هـو عـتر)، أو "عـتر أمـو" (عـتر هـو السـلف)[110]. ويبـدو أن تقديـس شـخصية مـا، دون غيرهـا، كان مـن المسـائل التـي يعـود تقديرهـا لأفـراد العشـيرة أو العائلـة وتعلقهـا بهـا.

اكتشـفت في تـل آفـس حفرة واسـعة بعمـق 4 م، كانـت مكدسـة بالنفايات المحتويـة عـلى عظـام حيوانـات مختلفـة (ماعـز، ثـيران، جـمال)، وقـد بلـغ عددهـا المئـة، بالإضافـة إلى مجموعـة كبـيرة مـن الفخـار المطـلي بطبقـة رقيقـة مـن الطينـة الحمـراء، وعـدد قليـل مـن الزبـادي، وإن دل عـلى شيء؛ فإنمـا يـدل عـلى عمليـة تكديـس مقصـودة لا تخلـو مـن أغـراض دينيـة، ولا يسـتبعد وجـود ضريـح رجـل ديـن في هـذه المنطقـة. ويمكـن فهـم هـذا الأمـر في سـياق الفكـر الدينـي للآراميـين بتقديـس الأسـلاف، وربمـا تقديـم النـذور لهـم.

وفي تـل حلـف كشـف المنقبـون جنـوبي الحصـن عـن ثلاثـة مدافـن تتضمـن إشـارات إلى عمليـات دفـن مصحوبـة بالحريـق، وعـثر عـلى تمثالـين بازلتيـين يمثـلان امرأتـين جالسـتين، وهنـاك قاعـة عُرفـت بقاعـة الشـعائر، وهـي شـاهد معـماري مـن عـصر الحاكـم كابـارا، وتدفـع تجهيزاتهـا الوفـيرة جـداً التـي

110 Lipinski، 2000، P. 605.

تشمل تمثالاً لكائنين بشريين في حالة الجلوس وتماثيل رجال، ومقعداً من الطين الأحمر المشوي، ومحراباً دينياً مربع الأضلاع، إلى استخلاص مظاهر دالة على نوع من شعائر تقديس الأسلاف، ولكن لم يُعثر على أي بقايا من العظام أو علامات دالّة على حرق الأجساد، رغم العثور على جرار تحتوي على رماد الموتى برفقة بعض التقدمات الدينية المتنوعة، ومن المفترض أن هذه الجرار وما تحتويه تخص الامرأتين اللتين وضع تمثالهما قرب مدخل المدفن بوضعية الجلوس، وربما كانتا أميرات أو كاهنات ذات رتبة عالية.

كما تم الكشف عن ثلاثة أمكنة على شكل مدافن بُنيت بشكل كامل فوق الأرض، واحتوت مدخلاً وحجرة أو حجرتان للدفن، بنيت باللبن وغُطِّيت بقبوات (القرنين التاسع والعاشر ق.م)، وُجد فيها القليل فقط من بقايا الجثث، ومن التقدمات. ويبدو أنها ليست مدافن خالصة، بل هي أماكن نُفِّذت فيها الطقوس التذكارية لمغادرة الأسلاف، وهي تذكرنا بموقع مشابه يحتوي نفس هذا البناء الشعائري وُجدَ في بلدة (كولتر أوم - تركيا) ربما كان لها نفس الهدف[111].

111 Lipinski، 2000، P. 638.

الباب الخامس:

التفاعل الديني بين سورية وجوارها

التفاعل الديني بين سورية وجوارها

طالما كانت الأرض السورية ملتقى للحضارات، وجسراً للتواصل بين ثقافات العالم القديم، لا يجوز له أن ينقطع كيلا يتصحر التاريخ، وينضب المعين الذي تنهل منه الأمم في كل أصقاع المعمورة إكسير حياتها. لقد كانت سورية هبة الطبيعة، وما وراءها، فبدت بموقعها؛ وكأنها الميزان الذي تُقاس عليه أشياء الكون، فجمعت كل المتناقضات لتصيغ منها قوس قزحها الذي فتن ألباب كل من نظر إليها من الخارج، ممّا استجلب عليها الكثير من النقمة والمتاعب والويلات، وجعلها ميداناً يتصارع عليه الطامعون، ويتحارب فيه الجاهلون. ولكن رغم كل ما حصل؛ فهذا لم يمنع سكان البلاد من تحقيق الكثير من الإنجازات الحضارية، لا بل دائماً ما كانت الأزمات دافعاً لأهلها نحو مزيد من التحدِّي، وخلق أفاق جديدة لم تكن لتصلها لولا ما أصابها.

إن الثراء الثقافي الناجم عن التنوع الديمغرافي في المجتمع السوري القديم، أمر ليس له مشابه في كل بقاع العالم. فعلى سبيل المثال؛ تشكَّل مجتمع أوغاريت علاوة على السكان الكنعانيين، من الحوريين، والحثيين، والمصريين، والإيجيين، واليونانيين وغيرهم. وبقدر ما حافظ هؤلاء على خصوصيتهم الثقافية، بقدر ما انخرطوا مع أقرانهم، من أبناء المملكة في بناء عزة أوغاريت ومجدها. إن هذا النوع من الانصهار الاجتماعي،

والتـمازج الديمغـرافي الأوغاريتـي، ينسـحب عـلى كل الأراضي السـورية التـي ضمـت تنوعـاً إثنيـاً وديمغرافيـاً لا يقـل عـن أوغاريـت. ويمكـن أن نلمـس مظاهـر هـذه التعددية في بعـض الجوانـب مـن العبـادات، وفي أسـماء الآلهـة، ووظائفهـا، والطقـوس، والممارسـات الدينيـة.

ومـا يؤكـد المكانـة السـامية التـي تبوأتهـا الثقافـة السـورية القديمـة، هـو انتشـار الكثـير مـن أشـكال العبـادة السـورية، في مناطـق قريبـة وبعيـدة، فنراهـا في مـصر، وبـلاد اليونـان، والاناضـول، ومناطـق أخـرى. وفي الألـف الأول ق.م؛ وصلـت إلى أمكنـة أبعـد، ومنهـا شـمال أفريقيـا، وأوروبـا، وجـزر المتوسـط، وبـلاد الرافدينـن ومـصر، وغيرهـا. وبالمقابـل لم ينغلـق السـوريون عـلى أنفسـهم، بـل تلقفـوا ثقافـات الآخريـن، ونهلـوا منهـا، وتعاملـوا مـع ديانـات مـن دخـل مدنهـم بـكل محبـة، واحـترام، وتسـامح، قـلَّ نظـيره.

الفصل الأول: التفاعل الديني في أوغاريت

أولاً: التأثير الحوري الحثّي

خالط الحوريون والحثيون السكان المحليين، وشاركوهم الحياة نفسها بكل مجالاتها، بما في ذلك الدين. ونجد في ثقافة المنطقة خصائص وملامح يردّها الباحثون إلى الحوريين والحثيين. وقد امتزجت المعتقدات الحورية والحثية مع المعتقدات المحلية. فلم يطرأ أي تغيير على مكانة رب الطقس في منطقة يعتمد اقتصادها على الزراعة، وتعتمد في ريّها على المطر. والذي حدث أن ايم im رب الطقس (حدد أو بعل) قد لازمه الاسم الحوري تيشوب. وقد صُنِّفَ جبل صفن/الأقرع، الذي عرفه الحثيون والحوريون باسم خزي (خازي)، مع جبل نمني الذي لم يُحدَّد موقعه، بدقة بعد، ضمن المظاهر الملازمة للإله تيشوب[1].

وقد صوَّر الفنانون هذا الإله شاباً قوياً يتسلح بالفأس أو الدبوس، ويمسك بيده حزمة من الخطوط تمثل البرق. وكانت خيبات/هبات قرينته في المناطق الغربية، وسميت شوشكا في الجزيرة وجوارها، وهي الربة الأم. وسميت الشمس شميكا، والقمر كوشوخ. أما رب الشعير (الحبوب) والعالم السفلي، فكان اسمه كوماربي الذي نُسجت حوله الأساطير المشابهة لأساطير المنطقة المعروفة، وقد وُصفَ بأنه ملك الأرباب، وأن عرشه على

1 فيلهلم، 2000، ص 100.

قمم الجبال يربط السماء بالأرض، وقد احتل منزلة الرب دجن، بوصفه رب الحبوب[2]، وهناك من طابقه مع الإله الأوغاريتي إيل[3].

أما الإلهة شاوشكا، فكانت وظيفتها الجنس والحرب، وهي حسب التقاليد السومرية والأكادية والسورية والأناضولية أخت إله الطقس، ولا ندري فيما إذا كان هذا يتفق مع موقعها الأصلي في مجمع الآلهة الحوري، فقد ذُكرتْ في ألالاخ والعبادات الحورية في أوغاريت، ونجدها مع تيشوب في قمة مجمع الآلهة، وتتحدث النصوص الأكادية المكتشفة في أوغاريت عن عشتار الحورية. وتظهر (لاحقاً) باسم عشتاروت الحورية «ع ث ت ر ت خ ر» في نقش فينيقي من القرن الثامن ق.م كان قد عُثرَ عليه في مرسيليا، واختلطت صورة شاوشكا في شمال سورية بشكل جزئي مع صورة الإلهة إشخارا ذات الملامح المشابهة، وتمت مطابقتها في أوغاريت مع الإلهة عشتروت.

يعدُّ الإله نبتيك من الآلهة الحورية الأساسية أيضاً، وثمة شواهد وافية على ذلك في أوغاريت وحاتوشا، ولكن صفاته ووضعه من حيث النسب غير واضح. وتحتل الإلهة نيكال قرينة الإله كشخ مكانة مهمة في العبادات الحورية في أوغاريت، وهي ترجع في أصولها إلى إلهة القمر السومرية نيكّال/نينجال أي: السيدة الكبيرة. ونلاحظ أن الملكات الحثيّات خلال القرن الرابع عشر ق.م كن يحملن اسمها كجزء من أسمائهن المركبة (نيكال - ماتي، أشمو - نيكال). وتشير نصوص المناطق الغربية مراراً إلى إلهة الأباء (إنا أتنونا)، وربما يشير ذلك إلى ظاهرة عبادة الأسلاف، وقد يكون ذلك تبنياً لمفهوم حثّي أو سوري. كما أنه من المؤكد وجود شهر باسم أتنشو (شهر الأباء)، في تقويم مدينة نوزي، كما وردت في نصوص

2 أبو عساف، 2011، ص 264.

3 فيلهلم، 2000، ص 103.

المدينـة ظاهـرة لهـا علاقـة مـع أرواح المـوتى وهـي أشـكال تعبديـة كانـت تمارسـها الأسر[4].

كان هنـاك مجموعـة مـن الآلهـة السـورية القديمـة التـي سـمّاها الحثيـون الآلهـة المبكّـرة، وسـمّاها الحوريـون الذيـن هاجـروا إلى سـورية آلهـة الأعـماق (الأرض)، وهـي تتكـوّنُ مـن مجموعـات عدديـة سـبعة، وتسـعة، وإثنـا عـشر، وتوضـع عـلى قـدم المسـاواة مـع إلهـة العـالم السـفلي للسـومريين والبابليـين والآشـوريين «أنانكـو». ولا توجـد لهـذه الآلهـة عبـادات خاصـة (باسـتثناء الإلـه كومـاربي)، وفي أكـثر الأحيـان كانـوا يُسـتحضرون لطـرد الأوسـاخ، والريـاح السـامة، وأسـباب الأمـراض الأخـرى في العـالم السـفلي. وكانـوا كذلـك آلهـة (قسـم وعهـود) في الاتفاقـات الحثيـة الرسـمية مـع أمـراء شـمالي سـورية[5]، ومنهـا أوغاريـت.

أمـا تأثـير التقاليـد الدينيـة الأسـطورية والشـعائرية الحوريـة في أوغاريـت فهـو واسـع وموثـق، وقـد شـهدت بـه النصـوص المتعـددة المكتوبـة بتلـك اللغـة أكـثر مـن النصـوص ثنائيـة اللغـة عـلى سـبيل المثـال. والملاحـظ أنـه تـم دمـج التسـميات (السـامية) مـع الحوريـة، كـما لوحـظ دخـول رسـمي لبعـض التسـميات الدينيـة الحوريـة في مجمـع الآلهـة الدينـي لأوغاريـت ومنهـا، الإلهـات: إشـهارا ودادميـش و بيـدراي، اللـواتي أثبتـت شـعبيتهن مـن الشـعائر التـي كرسـت للإلهـة إشـخارا، النـص (CF. MRSO IPP. 262S 115، ktu1، والنـص (KTU1، 132، 111et1)[6].

كـما كان مجمـع الآلهـة الحـوري معروفـاً في أوغاريـت بقائمـة لاهوتيـة، النـص (kty1،26). وأعيـد ذكرهـا في نصـوص شـعائرية أخـرى، النـص (1.116 /

4 فيلهلم، 2000، ص 101، 110.

5 فولكيرت 1985، ص 349.

6 Lete، 2008، P. 48.

ktu 1.110 /1.111)، والنــص (CF.KTU، 1.148، 17- 13).

وبالمطابقـة بـين القوائـم المختلفـة، وبالرجـوع للبانثيـون الحـوري وللديانـة الحوريـة، التـي ملكـت رصيـداً كبـيراً لهـا في الأراضي السـورية، مـن الممكـن كتابـة قائمـة مجمـع الآلهـة الحـوري التـي كان يُبتهـلُ إليهـا في أوغاريـت، مـع مـا يقابلهـا مـن آلهـة أوغاريـت عـلى النحـو التـالي:

إن تلن/إن(؟) ويقابلها في أوغاريت «شالاني»

عناتن/إن = أتانو إيليب

إل = إيل

تشب/تيشوب = دجن

كمرب/كومارب/وي = بعل

كدج/كوشوه = ياريخ/يرخ

إرو/برز = ميلكو

نكل/نيكال = نيكال

تاوتك/شيووشكا = عشتارت

وهـذه القائمـة تمثـل مجمـوع الآلهـة الحوريـة الكـبرى التـي تتكـرر بتشـابه ملفـت في النصـوص:

(KTU 1.42) و (KTU1.110، 1- 5، 1.111،3 -6، 8 -10،11 -14)

ويلاحـظ غيـاب أسـماء مثـل شاووشـكا والإلهـة الأم خيبـات، في حـين لا يحتـل تيشـوب مكانـة مميـزة فيهـا. وتضـم سلسـلة النصـوص الثانيـة

(CF.KTU1.110،6 -10، 1.111، 10 -12، 1.11)

الآلهة التالية:

إن خمن =؟

تمج/شيمجي = شبش

نوباديج =؟

إي = كوثر

أشتابي = أثتار

أنت/عناة = عناة

إن أرد =؟

تتكامل هاتان السلسلتان مع عدد من القوائم الأخرى التي وردت في النصوص (KTU 1.116،18 -23 ERI .132.412)، لكن من الصعوبة بمكان مقارنتها أو معرفة الأسماء الموازية لها في مجمع الآلهة الأوغاريتي:

أشيرا، إشارا، خبت/خيبات، سبدر، بدّبد/بيشاشافي، دقت/داقيت، خدن/هودينا، خدلر/هوديلورا، حنًج، إشار/إشخارا، ألن/ألتانا، ننت/نينيتا، كلت/كوليتا، آدم/آدامَا، كبب/كوبابا.

تجدر الإشارة إلى أن بعضاً من هذه الآلهة كانت معروفة منذ الألف الثالث في إبلا، ومنها (آدام - ما)، وأشتابي (آداماتوم)، التي يمكن أن تكون صيغة مؤنثة اكتسبت طابعاً سامياً، وقد وردتا إضافة لنصوص أوغاريت في نصوص حثية كونهما إلهتين حوريتين. إن وجود ربتين من عصر أحدث ضمن مجمع الآلهة الحورية في أوغاريت أو الأناضول، جاء بسبب تبني السكان الحوريين المقيمين في المناطق الغربية لهما، في حين لم تتواجد هاتان الربتان ضمن مجمع الآلهة الحورية في المناطق الشرقية[7].

7 أركي، 1980، ص 95.

قائمة بأسماء آلهة حورية أوغاريتية وردت في النصوص

(KTU 1.42) و(14- 11 ،10- 8 ، ،1.111 ،5- 1 ،KTU 1.110)[8]

IN TLN/IN	SHALANNI(?)	شالني	إن تلن/إن (؟)
IN ATN/IN	ATANUILIB	أتانو إيليب	عناتن/إن
Il / IL	EL	إيل	إيل
TŠB/TESHUB	DAGAN	دجن	تشب/تيشوب
KMRB/KUMARB/WI	BAAL	بعل	كمرب/كومارب/وي
KDG/KUSHUH	YARHU	يارخو	كدج/كوشوه
IRW PRZ/(?)	MILKU	ميلكو	إرو/برز
NKL/NIKKAL	NIKKAL	نيكال	نكل/نيكال
TUTK/SHEWUSHKA	ASTARTE	أشتارتي	توتك/شيووشكا

قائمة بأسماء آلهة حورية وردت في النصوص

(12،1.11-10;10،1.111-CF.KTU1.110;6)[9]

IY/EY	إي	KOTHAR	كوثار	IN HMN (?)	إن خمن	(?)	
AHB/ASHTABI	أشتابي	ATHTAR	أثتار	TMG/ SHIMEGI	تمج/ شيمجي	SHAPASH	شبش
‹NT/ANAT	عنت/ عناة	ANAT	عناة	NBDGLNUBUDG?	نبد جان بودج		
IN ARD/(?)	إن أرد	(؟)	(؟)				

8 Lete، 2008، P. 48.

9 Lete، 2008، P. 49.

قائمة بأسماء آلهة حورية وردت في النصوص الأوغاريتية
(23ER1.132;412-KTU1.116;18)[10]

أشيرا /عشيرة	ASHERA (؟)	خبت/خيبات	HBT/HEBAT
	(؟)	سبدر	SBDR(?)
	(؟)	بدّبد/بيشاشافي	PDDPD/PISHASHAPHI
	(؟)	دقت/داقيت	DQT/DAQ I T
	(؟)	خدن/هودينا	HDN/HUDENA
	(؟)	خدلر/هوديلورا	HDLR/HUDELLURA
	(؟)	حنّج	HNNG/(?)
إشهارا/إشخارا	ISHHARA	إشار/إشهارا	IŠAR/ISHHARA
	(؟)	ألن/ألتانا	ALN/ALTANA
	(؟)	ننت/نينيتا	NNT/NINITA
	(؟)	كلت/كوليتا	KLT/KULITTA
	(؟)	آدم/آداما	ADM/ADAMMA
	(؟)	كبب/كوبابا	KBB/KUBABA

ثانياً: التأثير البابلي

ما يزال النقاش دائراً منذ اكتشاف أول رقيم طيني في أوغاريت عام 1929م وحتى الآن حول التأثير البابلي على أوغاريت، وقد صدرت الكثير من الدراسات التي عالجت هذا الموضوع، وبحثت في المدى الذي وصله التأثير الفكري والديني الرافدي في أوغاريت. وقد رأى بعضهم أن النصوص الأدبية، والتعاويذ البابلية التي وجدت في مكتبات تعليم الناس والكهنة في أوغاريت، ربما جاءت من بابل بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق مواقع أخرى مثل إيمار. ورغم أن أسماء الآلهة السومرية البابلية في أوغاريت تَرِدُ خارج قوائم الآلهة وقوائم الأضاحي، لكن وظائفها أوغاريتية أكثر منها رافدية. ويمكن تلمس التأثير البابلي وكذا الآشوري في الفكر الأوغاريتي من خلال نصين هما: نص «حياة بلا بهجة» (RS23. 034)،

10 Lete، 2008، P. 50.

ونـص «صـلاة مـن أجـل الملـك» (RS 79.025)، فقـد وجـد نفـس مضمـون هذيـن النصـين في إيمـار، قبـل أوغاريـت التـي اسـتعارت هـذه الأدبيـات مـن مـدارس إيمـار، لكـن مصدرهـا كان بابليـاً بالأسـاس[11].

وقـد كان لقصيـدة «حيـاة بـلا بهجة»(وهـي مـن أدب الحكمـة)، شـعبية كبـيرة لأنهـا تتعامـل مـع موضـوع فنـاء الإنسـان، وتَعِـدُّ الحيـاة قصـيرة مثـل الومضـة. وتدعـو الشـخص الحـي لقضـاء أيامـه الدنيويـة برباطـة جـأش داخـلي والاسـتمتاع بالحيـاة، فالإلـه إيـا (I EA)، يتحكـم بـكل المصائـر، ودار المـوتى تتبـع لـه، إن حيـاة الإنسـان ليسـت أبديـة، والبقـاء هـو للملـوك والأبطـال الأوائـل:

"في المـكان الـذي حكـم فيـه ألولـو Alulu الملـك الـذي حكـم 36000 عـام. المـكان الـذي، إنتينـا، الملـك، كان فيـه منـذ أول الزمـان. المـكان الـذي جلجامـش الـذي أحـب زيوسـودرا، فكـر بمـا بعـد الحيـاة، المـكان الـذي خـو واوا.../حيـث إنكيـدو مـارس القـوة بيـده، حيـث بـازي، وحيـث زيـزي، وحيـث الملـوك السـبعة الذيـن عاشـوا مـن بدايـة الزمـان وحتـى الآن. لم يكـن لديهـم اعتقـاد ولا ولـد... حيـاة بـلا متعـة - مـا المزايـا التـي تعلـو عـلى المـوت. الحيـاة يجـب أن تكـون بهيجـة. لمـن يريـد الشـاب أن... إلهـك في الطريـق الصحيـح. دفـع وطـرد التذمـر، ازدراء الحـزن. يـوم مـليء بمتعـة القلـوب يمكـن أن يعـوِّض يومـاً مليئـاً بـالأسى مـن الـ 36000 ألـف عـام الطويلـة. الإندمـاج الثنـائي الختامـي: زيـراش ziras راض معـك كـما مـع الابـن. ذلـك هـو قـدر الإنسـان..»الخ[12].

وهكـذا يفـترض هـذا المثـال أن الإنسـان مخلـوق عابـر، بينـما تبقـى الشـخصيات العظيمـة في التاريـخ الرافـدي خالـدة متمتعـة بشـهرة دائمـة بعـد موتهـا.

11 Dietrich، 1994، P. 42.

12 Dietrich، 1994، P. 42.

ومـن المؤثـرات الرافديـة التـي جـاءت بشـكل غـير مبـاشر إلى أوغاريـت، نـص صلاة مـن أجـل الملـك، الـذي صِيـغَ بقالـب روائي ترتيـلي بابـلي، كُتِـبَ بالسـومرية، ولكنـه حمـل تقاليـد إيمارية، يتـم فيـه التـضرع للآلهـة طلبـاً لبركتهـا، وطمعـاً في مسـاعدتها للملـك. ويـرد فيـه ذكـر للآلهـة الرافديـة انليـل ومولیـل، والتـي يُفهـم منهـا أننـا أمـام ترنيمـة مـن التقاليـد البابلية السـومرية، حيـث انليـل يُعَـدُّ فيهـا ملـكاً للكـون، كـما يـرد ذكـر مـردوخ الإلـه الأول الـذي يُنـادى في النـص بلقـب والـد إنكي/إيـا. ومـن الواضـح أن سرديـة النـص في أوغاريـت اتبعـت خـط نـص إيمـار، لكنهـا وسـعت مـن نطـاق حريتهـا، وأصلحـت الصياغـة عندمـا كان ذلـك ضروريـاً[13]

لقـد دعيـت المـراسي الحجريـة للعـصر البرونـزي، بالكـسر الفخاريـة لعلـم الآثـار الغارقـة تحـت الميـاه، لأنـه بمسـاعدتها، أمكـن رسـم مسـار الطـرق التجاريـة التـي كانـت جميعهـا تحـاذي الشـواطئ، وقـد جـرت بعـض الأبحـاث في المرافـئ القائمـة عـلى شـواطئ سـورية وفلسـطين وتركيا لدراسـة المـراسي، من حيـث خصائصهـا الزمنيـة ومـكان صُنْعَتِهـا، واسـتناداً لنـوع الحجـر المسـتخدم وأشـكالها والعلامـات الموجـودة عليهـا. وتوصَّلـت للتعـرُّف عـلى المـراسي أمـام معبـد بعـل في أوغاريـت بصـورة صحيحـة، وبيَّنـت أن مـن بـين التجهيـزات، كان هنـاك مرسـاة سـفينة قُدمـت للإلـه مـن قبـل قباطنـة كانـوا قـد نـذروا لسـيدهم الإلهـي قربانـاً مـن أجـل نجاتهـم مـن البحـر. كـما وُجِـدت بقايـا قـبر يُعتقـدُ أنـه يخـص أحـد القباطنـة، عُـثرَ عليـه فيـما يُعـرف بالحـي الإيجـي في أوغاريـت، تشـكَّل بابـه مـن عضادتـين حجريتـين أصلهـما مرسـاتان ضخمتـان، يتوضـع فوقهـما سـاكف طويـل يسـتند عـلى الجـدران. وقـد عُـثرَ تحتـه عـلى أشـياء كان قـد أحضرهـا القبطـان معـه مـن الغـرب البعيـد، ومنهـا جـزءٌ مـن جـرَّةٍ جميلـة مـن نـوع (كماريـس الكريتيـة). وقـد شُـوهِدت المـراسي الحجرية

13 Dietrich، 1994، P. 44-45.

لعصر البرونز في غربي البحر المتوسط أيضاً، في جزيرة مالطة وعند بارمو وفي خليج نابولي وأمام مصب نهر التيبر، وقد تم هذا التواصل البحري عبر الدردنيل[14]. أما على جزيرة قبرص فيعكس نقش كتابي مصور الصلة الوثيقة بين تجارة النحاس والديانة المحلية، وتظهر الشذرات المتبقية من السبائك الثقيلة، مع النماذج المصغرة التي تحاكيها في سورية وفلسطين، وحتى في عاصمة الدولة الحثية، أهمية ودور تجارة النحاس في صياغة العلاقات التي قامت بين المناطق آنفة الذكر.

وليس من المصادفة أن تشكِّل رأس الشمرا (أوغاريت)، مركز التقاء شعوب وأجناس مختلفة، شهدت حركة فكرية رفيعة تُوِّجَت بتحقيق القفزة الثقافية النوعية في نظام الكتابة من المسمارية المقطعية المعقدة إلى الكتابة الأبجدية[15].

14 بوخهولتز، 1985، ص 321.

15 بوخهولتز، 1985، ص 324، 325.

الفصل الثاني: التفاعل الديني في إيمار

تُقدِّمُ طقوس إيمار نظرة داخلية عن الثقافة السورية بشكل عام، والديانة بشكل خاص، وذلك خلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. لقد كان الجزء الأكبر من طقوسها تقاليد محلية أصيلة، بما فيها بعض الطقوس التي كانت تؤدى للآلهة الحثية في المدينة، والتي رغم السيادة السياسية الحثية؛ فقد ظلت ذات طابع سوري. ولهذا تبدو طقوس إيمار وكأنها لم تكن مستعارة، أو متأثرة بأي من التقاليد المعروفة في المشرق العربي القديم[16]. ورغم أنها مكتوبة باللغة الأكادية، فقد وردت في تفاصيلها الكثير من الكلمات والممارسات التي لم تكن معروفة سابقاً في بلاد الرافدين، ومن أمثلة ذلك ورود عبارات تشير للاحتفالات (ذكرناها آنفاً)، وهي: الـ "مشاراتو" (الكاهنة)، و"زوكرو" وبعض ممارسات احتفالات الـ "كيسو".

إلا أن كثرة الشعائر في إيمار تفرض وجود الكثير من العناصر الحثية والرافدية القديمة فيها (غير المحلية). وقد كانت بعض الممارسات الشعائرية الحثيَّة تتكامل مع المناسك المحلية، وتُؤدى جنباً إلى جنب معها[17].

16 Fleming. G، 1992، P. 279-289.

17 Fleming، 1992، P. 54.

من الممارسات التي كانت تُؤدَّى للآلهة الحثية، وعرفت كأحد مظاهر السيادة الحثية، عادة تقديم بعض الأنواع من كسر الخبز التي صُنِّفتْ على أنها تقليد حثي بحت[18]. فيما نُظِّمَت بعض الاحتفالات على أساس اندماج وتماهي الممارسات الطقسية الحثية بالمحلية، بعد تبنّي الحثيّين لجميع العادات الإيمارية القديمة[19]. ويبدو أن الكاهن الذي قام بجمع ونسخ الطقوس المحلية الإيمارية، كان له اتصال مباشر مع الكتاب الحثيين. أما عبارة "إيزين EnEz" (الأكادية) والتي تعني الاحتفال، فقد كانت تصنَّفُ على أساس أنها عبارة حثية أيضاً.

المساهمة الرافدية الحثية

تأكد التأثير الرافدي على النصوص الدينية في إيمار من خلال استخدام الحثيين للكتابة الأكادية السومرية، وعدم كتابتهم بالحثية أو الحورية (إلا القليل من النصوص). لكون الأكادية لغة التعامل اليومي في العلاقات الاقتصادية. أما سكان إيمار فقد تكلَّموا لهجة (سامية) غربية مختلفة عن الأكادية الشرقية، لكنهم بكتابة طقوسهم بلغة أكادية فقد عمَّقوا التأثير الرافدي، مما جعلهم ينظرون لممارساتهم الدينية بعدسات رافدية.

كما نجد التأثير الرافدي في النصوص الحثية الإيمارية التي تُرجمت عن شرائع بلاد الرافدين المكتوبة بالأكادية، ومن بينها مجموعة من النصوص الطبية والكهنوتية[20].

ويُلاحظ هذا التأثير من خلال استخدام العديد من أسماء الآلهة والطقوس الرافدية. فقد حمل بعض أعضاء مجمع الآلهة البارزة في إيمار أسماءً سومرية. ومنهم على سبيل المثال، إله مدينة إيمار الذي

18 Fleming، 1992، P. 55.

19 جاموس، 2004، ص 86.

20 Fleming، 1992، P. 56.

كتب بصيغة «نين. أورتا nIn.urta»، وهو البطل والابن البكر لانليل أحد رؤساء مجمع الآلهة السومري، علاوة على أنه إله مدينة نيبور. وقد لعب نينورتا دور إله المدينة في إيمار، في حين أخذ دجن رئيس مجمع الآلهة في المدينة مكانة انليل الرافدي بمنطقة الفرات الأوسط، أما مجيء نين أورتا السوري باسم سومري، فقد كان لعدم وجود مواز سوري له[21].

أما ظهور إله العاصفة بعل في احتفال تنصيب نين دينجير، فقد جاء أمراً متمماً للإلهة «خيبات HEBAT». ويتطابق التعريف بالكاهنة الرئيسة في المعبد، كونها زوجة الإله مع «نين. دينجير» الرافدية أو «إنتو entu»(وتعني بالأكادية الكاهنة المرموقة[22]). وهذا يؤكد أن لـ " نين دينجر " إيمار جذوراً رافدية[23].

ويبدو أن الطقوس الرافدية أضاعت الكثير من ملامحها فيما بعد، فإذا كان احتفال نين. دينجير، واحتفالات التقاويم ذات أصل رافدي، فمن المفترض أن يكون قد مضى مدة طويلة من الزمن على وجودها، الأمر الذي سمح لها بالتكيف مع الواقع المحلي السوري عند ظهورها لاحقاً، (حوالي القرن الثالث عشر ق.م).

أما بالنسبة للنصوص المتعلقة بطقوس الأضاحي والقرابين في إيمار فهي، كما في أوغاريت، ترصد الممارسات التي كانت تقام خلال عدة أيام من شهر محدد، أو أشهر محددة من العام، في حين كانت القرابين الرافدية تتحرك ضمن كل يوم من أيام أشهر محددة. وهنا قد لا نجد تطابقاً حقيقياً بين طقوس أوغاريت وإيمار والطقوس الرافدية[24]

أخذت المملكة الحثية القديمة الكثير من الأشياء المادية والمعارف

21 Fleming. G، 1992، P. 248-252.

22 Soden، 1965، P. 487.

23 Fleming، 1992، P. 57.

24 Fleming، 1992، P. 57.

والعلوم والممارسات من البلدان التي استولت عليها، وكان الفن الخارجي بمثابة الملهم للمبدع المحلي الحثي[25]. فإلى جانب الغنائم؛ جاء الأسرى الذين امتلكوا مهارات مختلفة، فكان هناك الكتبة، والمشعوذون، والكهنة، والحدادون، وسائسو الخيل، وغيرهم. والأكثر أهمية في هذا العصر؛ كان جلب نظام الكتابة المسمارية التي جلبت معها بالضرورة طريقة التفكير والتعبير عن الذات، خاصة وأن تَعَلُّم الكتَّاب الحثيين لتقاليد المدرسة الرافدية وأشكال التعبير المختلفة، قد تم على أيدي معلمي المسمارية السوريين والرافديين. كما تعلَّمَ الحثيون كيفية تصوير ووصف حملات ملوكهم، ومن هنا جاءت المحاولات الأولى لكتابة الحوليات في المملكة الحثية القديمة، وكان من أبكرها حوليات (حاتوشيلي الأول) التي كُتبتْ بالأكادية مع ترجمة حثية، علماً أنه لم يتم اتقان هذا النوع من الوصف إلا بعد مضي حوالي قرن من الزمن، أي مع فترة حكم مورشيلي الثاني[26].

عند نهاية المملكة الحثية القديمة وبداية المملكة الحديثة الباكرة (أو الحثية الوسيطة)، جرى تغيُّرٌ في السلالة الحاكمة، فظهر ملوك وملكات يحملون أسماء حورية. في هذه المرحلة نجد التأثير السوري والرافدي في نوع من الصلوات الرسمية التي تسمَّى توبوي «topoi» التي اقترنت بفترة حكم أمير اسمه «كانتوزيلي Kantuzzili». رغم وجود مؤشرات على أنها كانت تجري خلال فترة حكم عدد من الملوك السابقين، ومنهم مورشيلي الثاني، وموفاتالي الثاني، وحاتوشيلي الثالث. ومن المثبت أن الكثير من تراتيل وترانيم هذه الصلوات كانت قد انتقلت حرفياً من الترانيم الأكادية.

في القرن الخامس عشر وبداية القرن الرابع عشر كانت أول النصوص

25 جرى الحديث في الصفحات الأولى من هذا البحث، عن الحثيين، وأصلهم، والمملكة التي أسسوها في الأناضول، وكانت عاصمتها خاتي (حاتوشا).

26 Hoffner، 1992، P. 102-104.

الحوريـة قـد بـدأت تُكتـب في خـاتي، وأغلبهـا نصـوص معجميـة (حوريـة حثيـة)، وكان مـن ضمنهـا أول القصـص الأسـطورية الحثيـة التـي تضمنـت أسـماءً لآلهـة في المجمـع الحثـي مثـل، تيشـوب، خيبـات، شـاروما، شاوشـجا، وآلهـة أخـرى. أمـا النصـوص الحثيـة في هـذه المرحلـة؛ فتزخـر بممارسـات أصلها خارجـي، ومنهـا مـا يتعلـق بالتـدرُّب عـلى أحصنـة العربـات التـي نُظمـت عـلى يـد الخبـير الحـوري «كيكـولي Kikkuli»[27].

ورأى باحثـون أن المعابـد الأربعـة في إيمـار كانـت حثيـة، بحيـث تداخلـت مـع الأنمـاط السـورية، وجـاء ذلـك نتيجـة السـيطرة الحثيـة عـلى البـلاد، ورغـم أنهـا لم تترافـق مـع تدفـق سـكاني، لكنهـا أدَّت إلى إنتـاج تغـيُّرات مهمـة في حيـاة إيمـار.

لقـد أظهـرت النصـوص أن القليـل فقـط في إيمـار، هـو الـذي كان مشـتركاً مـع تلـك الطقـوس، والتقاليـد الحوريـة والحثيـة المعروفـة في العاصمـة بوغازكـوي. مـع التنويـه إلى حقيقـة أن الكاهـن الناسـخ في إيمـار، والـذي جمـع الطقـوس بشـكل مجـزأ، كان لـه اتصـال مبـاشر مـع الكتـاب الحثيـين، فالأرشـيف يتضمـن مجموعـة مـن نصـوص الفـأل والطـب الرافديـة باللغـة الحوريـة[28].

في المملكـة الحثيـة المتأخـرة، ومـع حمـلات شـوبيلوليوما الأول بدايـة القـرن الرابـع عـشر عـلى سـورية، ظهـرت المعاهـدات الأولى بـين الحثيـين والمـدن السـورية الخاضعـة لهـم، ومنهـا نسـخ حثيـة؛ وأخـرى أكاديـة. وشـهد هـذا العـصر بدايـة دفـع الجزيـة السـنوية النظاميـة مـن المـدن السـورية إلى خـاتي. وخـلال الفـترة الممتـدة بـين شـوبيلوليوما الأول والثـاني؛ هنـاك دلائـل عـلى إقامـة سـفراء سـوريين بشـكل مؤقـت في خـاتي، لا بـل أقـام هنـاك أيضـاً ملـوك

27 Hoffner، 1992، P. 102-105.

28 Fleming، 1992، P. 55.

سوريون منفيون من بينهم تيشينا من عمورو[29]. كما كان هناك ملكات ذات أصول سورية ورافدية في خاتي، ومنهن الزوجة الأخيرة لشوبيلوليوما الأول، وكانت بابلية الأصل، وهي التي ذكرتها النصوص باسمها الحثي تاونَّانّا Tawannanna، دون أن يُعرفَ اسمها البابلي الأصلي. وقد ظلت تحمل لقب ملكة حثية خلال السنوات الأولى من حكم ابن هذا الملك وخليفته مورشيلي الثاني، وعُرف عنها أنها مارست تاثيراً كبيراً وقوياً في العاصمة الحثية. وبسبب أعمال بعض موظفيها الرسميين بدت وكأنها شكلت تهديداً على ابن زوجها مما أدى لإزاحتها من مكانها حيث لم يعد لها أي ذكر، مع عدم معرفة التهم الموجهة لها بدقة، رغم أن أحد الأسباب المعروفة يتعلق بهدر أموال المملكة والمعبد على عبادات وطقوس دينية غير حثية، ولكنها معروفة في وطنها الأم.

كما وجدت الكثير من الشخصيات الملكية الحثية التي تزوجت من نساء سوريات أو بابليات، وقد افتخرت الملكة بودوحيبا Puduhepa زوجة حاتوشيلي الثالث في رسالة وجهتها للفرعون المصري رعمسيس الثاني، أنها كانت قد جلبت بنات يافعات من بابل وأمورو كعرائس لأبنائها. وغالباً ما بنى الملوك (الحثيون) معابد صغيرة لزوجاتهم الأجنبيات كنوع من المجاملة أو المصليات، لتتمكن من عبادة آلهتها الرئيسية في الوطن الأم[30].

من الطقوس التي عرفتها خاتي خلال هذه المرحلة، وكان لها صلة مع الحياة الدينية السورية، طقس عشتار نينوى، النص (CTH716 i23ff)، وفيه دعوة لحضور الآلهة عشتار نينوى من عدد كبير من المدن في الفرات الأعلى. وقد ترافق ذلك مع دعوة العديد من الآلهة في سورية ومنطقة المشرق العربي بما فيها: ميتاني، ألشي، تونيب، أوغاريت، ألالاخ،

29 Hoffner، 1992، P. 102-105.

30 Hoffner، 1992، P. 90-91.

كنعان (كيناخا)، صيدون، صور (زوزورخا)، نوخشي، والعمق. وفي نصوص أخرى (CTH483 i52ff) استدعيت مجموعة أخرى من الآلهة من أماكن مختلفة تقع في مدار العالم الحثي: ميتاني، قادش، تونيب، أوغاريت، زينزيرا، دونابا، أي داروكاتا، جاتانا، ألالاخ، كنعان، أمورو، صيدون، زونزورخا، نوخشي، أوجولزيت، عرابخا.. الخ[31].

أما طقس «خلب HALAB» الذي كان يقام لإله العاصفة في حلب، فكان يُحتفلُ به من حلب إلى حاتوشا على يد حاتوشيلي الأول، وفي عصر شوبيليوما الأول كان لهذا الإله مكان ثابت في قائمة الآلهة الحثية، حيث كان يتم دعوته وفق مراسم خاصة. و نرى ذكراً لـ «إله العاصفة في حلب» في نص يُعرفُ بالحكيم محاور الأفعى.

في النصوص التي تصف طقس تيشوب وخيبات حلب، والذي كان يُقام في العديد من المدن الأناضولية، توجد مجموعة أُطلق عليها: رجال قصر حلب «لو ميش إي جال LU. MES E. GAL»، وقد ورد ذكر «أورو حلب uru HALAB». وفي نص واحد يتضمن طقس "إله العاصفة في حلب" جرى في منطقة من الأناضول، تم فيه رصد /13/ احتفالاً في كل عام. في اليوم التاسع والعشرين من احتفال «أنتاخشوم ANTAHSUM» المكرّسة للإله "إيا EA"، نجد أن الشخصية البارزة في الصلوات؛ هي كاهن «إله العاصفة في حلب»[32].

31 Hoffner، 1992، P. 102-103.

32 Hoffner، 1992، P. 102-103.

الفصل الثالث: التفاعل السوري المصري

يتجلى التأثير المصري على سورية بأوسع معانيه في الأعمال الفنية، فكثيراً ما كان يتم تقليد الأعمال الفنية الواردة لدرجة يصعب فيها أحياناً التفريق بين الأصل والتقليد، بسبب عملية الاقتباس، بشكل جزئي أو كامل، لعناصر تصويرية أو تشكيلية مصرية. وهذا الأمر ينسحب على الناحية الفكرية ومنها الديانة الكنعانية، التي تأثرت بالديانة المصرية خلال انتشار النفوذ المصري في المناطق السورية، وهذا ما توضحه تماثيل الآلهة الصغيرة التي تحمل خصائص ألبسة وزخارف مصرية، كما يتجلى التأثير المصري في العمارة والمباني الدينية الفينيقية التي اقتبست كثيراً من مصر[33].

أما تأثير سورية الحضاري على مصر؛ فيمكن إثباته في كثير من الأماكن خاصة في عهد الدولة الحديثة. فقد أدخل المصريون آلهة سورية في مجمع آلهتهم، وعلى سبيل المثال: قام رعمسيس الثاني بتأسيس معبد للإلهة السورية عناة في عاصمته، كما أن كثيراً من الكلمات السورية الغريبة أغنت اللغة المصرية، وعمل كثير من السوريين في أجهزة الدولة المصرية، ومارس السوري «بيا» تأثيراً مباشراً على التاريخ المصري، عندما قام بوصفه (كبير خزنة المال للبلاد بأجمعها) بجعل الفتى القاصر

33 الأحمد، 1988، ص 261، 262.

«سبتاح» ملكاً في نهاية حكم السلالة التاسعة عشر، وعندما زال الوجود المصري في سورية في منتصف القرن الثاني عشر، حصل ركود في التبادل الثقافي إلى حد كبير. أما في القرون التالية فقد اقتصرت الصلات بين المنطقتين بصورة رئيسية على التبادل التجاري الذي تراجع إلى الوراء بالنسبة للعصور السابقة[34]. وتأتي من العصر الآشوري الحديث وتحديداً (650 - 600 ق.م) دميتان عثر عليهما في تل الشيخ حمد (دور - أدوك - ليم)، تمثل الأولى أحد الآلهة المصرية، فيما كان واضحاً أن الثانية تمثل الإله أوزيروس[35]. ومن المعتقد أن سبب وجود هاتين الدميتين هو أن التجار المصريين قاموا بجلبهما معهم كتعاويذ لأغراض الحماية الإلهية في سورية التي طالما كان فضاؤها مفتوحاً أمام كل أفكار وثقافات الأفراد والمجموعات.

كثيرة هي الآثار والرسوم المصرية التي تدل على عمق العلاقات الحميمة والقوية التي كانت قائمة خلال بداية الألف الثاني ق.م، من بينها عدد من تماثيل الحيوان الخرافي أبو الهول (السفينكس)، وقد حمل أحدها رمز الفرعون المصري أمنمحت الثالث، وهناك لوح حجري جاء من قبر عليه صورة إلهة مجنحة تحمل رمحاً بيدها، وتلبس زياً مصرياً. وعلى لوح آخر هناك صورة واضحة لإله يضع على رأسه تاجاً مزيَّناً بريش الطيور، وفي عنقه ما يشبه العقد، وبيده اليمنى صولجان من النموذج المصري. كما عثر على تمثال بازلتي صغير للأميرة خنوميت Chnumit زوجة الفرعون سيسوستريس الثاني من الأسرة الثانية عشر. وهناك تمثال لرجل عليه رموز تبين بعد فك رموزها أنها تعني»رئيس المدينة، الوزير والقاضي سيسوستريس - أنكه«. وبجانب هذا التمثال؛

34 بوخهولتز، 1985، ص 319.

35 Bonatz، 1998، P. 126.

هنـاك تمثـالان لامرأتـين، الأولى زوجتـه هينوتسـن Henutesn والثـاني ابنتـه سـات - أمـن Sat- amen، وهـذا مـا أوقـع الباحثـين في حـيرة فيـما إذا كانـت أوغاريـت كانـت تحـت السـيطرة المصريـة. أم أن تحالفـاً كان قائمـاً بـين أوغاريـت ومـصر خـلال المملكـة الوسـطى[36].

أمـا الأعـمال الفنيـة المصريـة التـي وجـدت في أوغاريـت، وتعـود لمنتصـف الألـف الثـاني (عـصر البرونـز الحديـث)، فمنهـا تمثـال غرانيتـي عليـه كتابـة هيروغليفيـة، ولـوح مـن الحجـر الكلـسي عليـه رمـوز هيروغليفيـة أيضـاً، وأجـزاء مـن ألـواح قـبر مـن الحجـر الكلـسي، نقـش عليهـا صـورة شـخص في وضعيـة التعبـد لأحـد الآلهـة، عليـه نـص هيروغليفـي يحمـل اسـم الإلـه المـصري سـيت الـذي مـن دابونـا Dapuna، وسـيت يعـادل بعـل ودابونـا هـو جبـل سـابون. كـما عُـثرَ عـلى لوحـة عاجيـة تُصـوّر إلهـة مجنحـة يحيـط برأسـها الجليـل ذي القرنـين قـرص دائـري مـليء بالنجـوم والصواعـق. تحيـط ضفيرتـا شـعر مجدولتـان بوجههـا الجميـل ذي العينـين الشـبيهتين بحبـات اللـوز، وكانـت تمسـك بيديهـا طفلـين يرشـفا الحليـب مـن ثدييهـا. هـذه الفكـرة الفنيـة -أي الحاكـم الـذي يرضـع مـن ثديـي الإلهـة- هـي فكـرة مصريـة قديمـة تعـبر عـن التبنـي الرمـزي لشـخص بـشري مـن قبـل الإلهـة الأم، وهـذه الإلهـة تحمـل في ملامـح شـخصيتها التـمازج بـين الإلهـة المصريـة حاتـور وإحـدى إلهـات البانثيـون الأوغاريتـي التـي قـد تكـون عنـاة أو عشـيرات. ومـن الأعـمال الفنيـة التـي تحمـل خصائـص مصريـة، هنـاك لوحـة تصـور الملـك أثنـاء قنصـه ومطاردتـه لأحـد الأسـود، وهـو يضـع عـلى رأسـه مـا يشـبه العمامـة المحاطـة بالأفعـى البدائيـة. وهـذه الصـورة تذكرنـا بمثيلاتهـا مـن عهـد الفرعـون أخناتـون[37]. وهنـاك الكثـير مـن التماثيـل التـي تشـبه مثيلاتهـا

36 عبد الرحمن، قصي، 2008، ص 106، 111، 121.

37 عبد الرحمن، قصي، 2008، ص 96، 151.

المصرية أو تدخل فيها عناصر فنية مصرية، ومنها بعض تماثيل بعل التي يشبه غطاء الرأس فيها ما يُعرف بالتاج الأبيض في جنوب مصر. وهناك النصب المشوه الذي يعتقد أنه يخص بعل عليان أو الإله موت، والذي يظهر فيه وهو يحمل صولجاناً يشبه صولجان أوزيريس المصري، وعلى رأسه قرن أو ريشة تشبه التاج المعروف في مصر السفلى[38].

ومما يشير للوجود المصري المباشر في جنوب سورية أواخر العصر البرونزي الحديث، وخاصة بعد معركة قادش الشهيرة، وتقاسم النفوذ على سورية مع الحثيين، بعض المسلات التي تحمل نقوشاً وتصاوير أرَّخَت لبعض الأحداث التي قام بها الملوك المصريون، وخاصة رعمسيس الثاني. وتأتي أهمية هذه المسلات: من ندرتها أولاً، وثانياً مما تضمنته من معلومات مهمة، ومنها بعض الإشارات الدينية.

أولاً ـ مسلة الكسوة

تم العثور عليها في بلدة الكسوة (25 كم) جنوب دمشق[39]، وهي من الحجر البازلتي. حملت كتابة هيروغليفية مصرية مؤلفة من ستة أسطر أفقية، وبعض التصاوير، وهي تعود لعهد الملك رعمسيس الثاني (1290 - 1224 ق.م)، الذي كتب اسمه وألقابه الملكية إلى جانب أسماء بعض الآلهة، مثل الإله «سيت». أبعاد المسلة 90×70×30 سم، الصور البشرية

38 أدزارد، 2004، ص245.

39 عُثِّر على المسلة عام 1996م، وكانت تغطي أحد القبور العائدة للعصر الروماني، وربما جُلبت من أماكن مجاورة، مع التنويه إلى أن أعمال المسح الأثري الذي تقوم بها البعثة الوطنية في دائرة آثار ريف دمشق، لم تتمكن حتى الآن من العثور على موقع يعود لهذه المرحلة في بلدة الكسوة أو محيطها، باستثناء تل مخرب مغطى بمقبرة معاصرة يقع قرب دوار الكسوة، على ضفة نهر الأعوج، ولكن التحقق من هوية التل، وتاريخ السكن فيه، يحتاج لإجراء بعض الأسبار. قام بدراسة هذه المسلة بشكل أولي الدكتور محمود عبد الحميد أحمد، من قسم التاريخ، بجامعة دمشق.

وعددها ثلاثة، موجودة في الأعلى، وتُمثل رجلين يسيران نحو اليسار، وهما متجهان إلى رجل ثالث قادم من الجهة الأخرى[40]. إن شخصية الرجل الواقف في الوسط، مؤكدة للفرعون الذي يمكن التعرف إليه من خلال ملابسه واسمه الصريح (ضمن الخرطوشتين). أما الشخصية التي يتجه الملك نحوها فيبدو من مشيتها أنها إله ذكر، يرتدي مئزراً حتى منتصف الساق. وأمّا الشخصية الثالثة الموجودة على يمين النصب فهي تتبع الملك، وتبدو مرتدية المئزر القصير الذي يشترك في ارتدائه الأرباب وبنو البشر. والواضح أنها شخصية من غير ذوات الشأن كمفوض الملك في البلدان الأجنبية، وقد يكون هو من صنع النصب. ويجوز لنا أن نتصور أن الإله الذي يتجه إليه «رعمسيس الثاني» هنا هو أحد آلهة المنطقة، وقد أُلبس رداءً آسيوياً طويلاً. وسنرى أن نص النصب ذاته يشير إلى إلهين: إله الشمس «رع آتوم» الخالق، وابنه «سيت» الذي تحاذيه بعض الرسوم مع بعل وآلهة العواصف الأخرى التي عبدها السوريون. (الشكل119).



الشكل رقم (119)
مسلة الكسوة - ريف دمشق -

«في السنة 56، في الشهر الرابع من الصيف، وتحت عظمة (حوروس) الشديد البأس المنتصر، واهب الحياة، والازدهار، والصحة، والمسرات، كأبيه (بتاح) الذي من نسل الأسياد، الحامي لمصر وأعالي البلاد الأجنبية، (رع) الذي

40 طرقجي، 2000، ص 239.

هو من نسل الآلهة، وموحّدُ القطرين، (حوروس الذهبي) صاحب النفوذ، لسنوات الانتصارات الكبرى، ملك مصر العليا والسفلى، (أوزير- ماعط - رع)، (سيتإنـرع) ابن رع (واهب السلطان)، (رعمسيس) محبوب (آمون). الإله الذي ملك هيليوبوليس، موهوب الحياة الأزلية والأبدية، مثل (رع) الإله الكامل، ابن (سيت) وهذه البذرة التي أوجدها (آتوم) لأجل التحكم بمصير كل الأرض، مثل أبيه (سيت)، عظيم القوة، محبوب (رع)».

نقرأ الأسماء الخمسة من التسمية النظامية لرعمسيس الثاني، والتي اعتمدت في العام 34 ق.م من حكمه. رعمسيس بن سيت، وسيت محبوب رع. فهذا النص المكتوب باللغة المصرية القديمة، يخبرنا عن رعمسيس أنه «الإله الكامل»، ابن سيت، بذرة رع، وقد أتى به الإله آتوم إلى الوجود كي يكون سيد الأرض كلها مثل أبيه سيت، العظيم المقدام محبوب رع.

إن معظم التجسيدات الأسطورية التي تضمها الصفة «محبوب رع» التي يوصف بها سيت، وما ذكر عن رعمسيس من كلمات مقتضبة، يدفع إلى القول: بأن نصب الكسوة هو من حيث النص إعلان بسيط يقع في الأراضي السورية، يؤكد على ذكرى رعمسيس الثاني، وهو - من حيث الإرادة الإلهية - وريث سيت ونظيره الذي يدعى «بعل» في المنطقة، والذي يسعى إلى البقاء سيداً وربّاً لهذه المنطقة[41]. ومن المعروف أن الأسرة التاسعة عشرة، عندما تربعت على سدة الحكم، أسّست وأقامت في العديد من النقاط ببلاد «حوز» مراكز لمدن تضم كتاباً مقيمين وحرفيين دائمين، ومما يؤكد لنا وجود هذا في المواقع، الحقائق الأثرية واكتشاف الصروح الفرعونية في بلاد كنعان. وهناك نصوص تخبرنا أن رعمسيس الثاني قد أسس عدة مدن باسمه تعود إلى مناطق نفوذ حكمه، وبعض هذه المدن كانت مراكز مهمة. وحتى الوقت الحاضر لا تزال الأمثلة في بيسان،

41 طرقجي، 2000، ص 240، 241.

ومجِدّو من أهم المنشآت المصرية المعروفة، ولم يعرف أي أثر مثيل لها في منطقة دمشق (بلاد "UPE" أو APUM). علماً أن الرسالة المتعلقة بقدوم الخطيبة الحثية (لرعمسيس) تؤكد وجود مدينة رعمسيس - محبوب آمون في بلاد أوبي UPE.

ويدفعنا نصب الكسوة إلى البحث عن موقع المدينة في غوطة دمشق. وهناك شيء جدير بالاهتمام في هذه المسلة، وهو تاريخها العام «56 الشهر الرابع»، فهذا التاريخ يعرف بالفترة التي تقرر فيها إعلان النص من خلال كتابة منقوشة، وهذا التاريخ يقدم معلماً تاريخياً مهماً عن فترة السيادة لرعمسيس في بلاد الشام: فهو يؤكد أنه بعد 22 عاماً من سنة الزواج الحثي، وقبل 10 سنوات من موت رعمسيس الثاني كانت القوات المصرية تسيطر على النصف الجنوبي من سورية، وهذا شاهد أكثر أهمية من مجرد مصدر محدد التاريخ بشكل صريح، حول سياسة الفرعون في سورية بين العام 34 من حكم رعمسيس الثاني والعام 3 من حكم وريثه ميرنبتاح.

إن نصب الكسوة؛ يبين لنا وضع السلطة المصرية على الحدود مع خاتي، الذي يُعدُّ ميزة ونصراً لشخص الحاكم، رغم ما قد يتضمنه من مظاهر القلق. أما بالنسبة إلى سكان غوطة دمشق، فإن اللوحة كانت تظهر رعمسيس على الأقل، وهو يدخل بين الآلهة، ويتسلم منهم القوة والسلطة التي يحتاجها لتثبيت حكمه في المنطقة، وهي رسالة يدعو الغازي من خلالها البلدَ المحتل إلى الخضوع والولاء. ولا يُعرف الوضع الذي كان سائداً فيما إذا كانت الإرادة الضعيفة للحكام المحليين؛ أو تكتم المتآمرين، أو أية ظروف محلية أو عامة، أو أحداث خاصة هي السبب الذي أثار فيما بعد، في مملكة رعمسيس المبدأ القائل أن سيطرته

كانت تقوم على أساس لاهوتي قام على قدر قرره إله الشمس من قبل، وجعله أساساً لسلطة يمتلكها بعل[42]. ويدفعنا تكتم المتآمرين، أو أية ظروف محلية أو عامة، أو أحداث خاصة هي السبب الذي أثار فيما بعد، في مملكة رعمسيس المبدأ القائل أن سيطرته كانت تقوم على أساس لاهوتي قام على قدر قرره إله الشمس من قبل، وجعله أساساً لسلطة يمتلكها بعل[43].

ثانياً ـ مسلة ميدعا

عثر عليها في بلدة ميدعا[44] (20 كم شرقي دمشق)، وهي مشابهة لمسلة الكسوة، وتأتي شكلاً ومضموناً ضمن نفس السياق ونفس الفترة الزمنية، وهي من الحجر البازلتي، أبعادها: 68×38×46 سم. نُقش على ثلاثة وجوه منها، بعض الكتابات الهيروغليفية المصرية، فيما حمل اثنان من وجوهها مشاهد مصورة[45]. (الشكل120).

ـ الوجه (A)، وعليه السطح الأكثر أهمية من حيث النقوش، يحمل الجزء الأعلى منه نقشاً لقدمين (الأولى متوضعة أمام الأخرى على الأرضية) لشخص واقف وملتفت إلى اليمين بمواجهة الشخص الآخر الواقف أيضاً،

42 طرقجي، 2000، ص 242، 243.

43 طرقجي، 2000، ص 242، 243.

44 قامت بالكشف عن هذه المسلة بعثة المسح الأثري في مديرية آثار ريف دمشق عام 2010م التي تعمل في المحافظة منذ 2002م برئاسة كاتب البحث، ومشاركة: م.إبراهيم عميري، وجهاد أبو كحلة، وتمكنت من العثور على مئات المواقع الأثرية التي لم تكن معروفة من قبل، وقد عثرت على المسلة كعنصر أعيد استخدامه في جدار المسجد القديم في قرية ميدعا، وهي محفوظة حالياً في حديقة المتحف الوطني بدمشق. وقد كانت الصدفة جميلة عندما تبين أن الجامع القديم الذي وجدت فيه المسلة يتوضع فوق تل أثري لم يكن معروفاً من قبل، وربما كانت بعض سوياته الأثرية ترجع لنفس الفترة التاريخية للمسلّة، وهذا الأمر يحتاج لمزيد من التقصي وإجراء بعض التحريّات، والأسبار الأثرية في الموقع.

45 قامت بدراسة النقش بشكل أولي الباحثة الفرنسية برينيس لاغارس.



الشكل رقم (120)
مسلة ميدعا – ريف دمشق -

والـذي لا يظهـر منـه إلا جـزء مـن قدمـه. بـين الشـخصين الواقفـين يمـر الطـرف السـفلي لعصـا تلامـس الأرضيـة. ونحـن نعـرف تمامـاً شـكل الصولجـان الإلهـي واس (والــذي ينتهــي بمــذراة، كــما هــو الحــال في مســلتنا هــذه)، والــذي يدلنـا - حسـب قواعـد التصاويـر المصريـة - عـلى أن هـذا الشـخص هـو أحـد الشـخصيات الألوهيـة. والشـخص الآخـر غالبـاً مـا يكـون الملـك، الـذي يقـدم لـه فـروض الـولاء والطاعـة، كـما هـو الحـال في التصاويـر عـلى هـذا النـوع مـن الوثائـق. وكان مـن الصعـب تحديـد أي الشـخصيتين هـي ألوهيـة، ولكـن مـن المؤكـد أنهـا إلـه مذكـر، قياسـاً عـلى التصاويـر الأخـرى التـي تقـدم الآلهـة المؤنثـة بوضعيـة أرجلهـا المضمومـة، والمغطـاة بـرداء طويـل وملتصـق، حيـث يلاحـظ هنـا في كلا الشـخصيتين الأرجـل المكشـوفة مـن الأسـفل.

تحت المشهد المصور يوجد نقش مؤلف من أربعة أسطر، تلاشى بعضها نتيجة التآكل، حيث اختفت الرموز عند البداية والنهاية. في منتصف السطر الأول تقريباً نقرأ بوضوح مجموع الإشارات مي منتشو، والتي تعني «مثل منتو» وهي تشكل جملة نمطية لكتابة ملكية توضح مكانة وبسالة الفرعون، ومنتشو هو بالحقيقة إله الحرب، والذي يجعل منه إلهاً ذا امتياز، وهو يبدو ماثلاً، يثني على الملك المحارب أو المنتصر. هذه المقارنة غالباً ما كانت مقترنة بفراعنة المملكة الحديثة، وبالأخص السلالة التاسعة عشرة، وعادة ما يتبع هذه الكتابات اسم الفرعون رعمسيس الثاني. وهذا ما يقود للاعتقاد بأن الإله الذي تم تمثيله على أعلى المسلة قد يكون الإله منتشو.

في بداية السطر الرابع يوجد الرمز الملكي و الإلهي سا - رع - نب - خعو (ابن رع، سيد السلطة الملكية)، والذي يعطي إشارة جديدة للوقوف على هوية الملك الذي نصبت المسلة على شرفه، والذي يلحق عادة باسم - لقب - علم شخصي (الثاني من الأسماء الشرعية الملكية الخمسة) للفرعون، وهو الذي - للأسف الشديد - قد تلاشى[46]. (الشكل121).

ـ الوجه (B)، يحتوي على نص مجتزأ، ما عدا العمود الرابع؛ الذي يحتوي على عبارة «دي [عن] خ،» وتعني (موهوب الحياة)، والذي يكمل عادة ذكر الأسماء الملكية بصيغة الدعاء والتمني للملك المشار إليه. أما السطران في الجزء الأدنى، وهما الأكثر وضوحاً من الوجه، فهما مخصصان للتعريف بواهب النصب. فالسطر الأول يكشف عن مكانة هذا الواهب: «.... لجلالته، حياة، صحة، قوة» وهو « قائد فوج» و «المسؤول عن إدارة البلدان الخارجية». وأما السطر الثاني؛ فيكشف عن اسمه وهو «سيتي»، وذكره سهّل تأريخ المسلة بين السلالتين التاسعة عشر والعشرين، لأن

46 Lagarce، 2010، PP. 53-63.



الشكل رقم (121)
مسلة ميدعا – ريف دمشق – الوجه A

استخدام هذا الاسم كان كبيراً خلال فترة حكام السلالة التاسعة عشرة الذين جعلوا من الإله «سيت» إلهاً حامياً لهم، و منه جاء اسم «سيتي» الذي حمله العديد من فراعنة السلالتين المذكورتين آنفاً، وأشهرهم «سيتي الأول» والد «رعمسيس الثاني». (الشكل 122).

ـ الوجه (C): على الجزء العلوي منه تصاوير مشابهة لتلك الموجودة على الوجه A، غير أن الأرجل هنا لشخص واحد يتجه نحو اليسار. وبمواجهة القدمين يظهر جزء من بداية عنصر عمودي على قاعدة منفرجة، ومن المعتقد أنها أقدام طاولة للقرابين. وهنالك عمود من الكتابة الهيروغليفية التي تعرضت للتلاشي ولكن أمكن التكهن بمضمونها وهي»[...] عنخ واسنب، كل الحياة وبكل التوفيق»، وهي صيغة ترافق بشكل معتاد صور الفرعون على النصب التذكارية والمسلات.




الشكل رقم (122)
مسلة ميدعا – ريف دمشق – الوجه B

وهناك أسطر أخرى تم التعرف على حرفين هيروغليفيين منها غالباً ما يقترنا باسم الفرعون، ويدلان على اسم الإله حورس، أو حورس - رع.

و يتكلم سطر آخر عن الملك «[...] بأيدي ذات نفوذ، وهي آمرة «[...] «([...] سخمعادر [...])». وفي السطر الذي يليه نقرأ بشكل واضح، لقبين يليان اسم الملك المتوج وهي: «نسوتبي تينب تاوي ([...] ماعترع [...]) ملك مصر العليا و السفلى، سيد الأرضين، ([...]ماعترع [...])". وهذه الرموز التي بقيت من داخل الإطار الزخرفي لا تكفي للوقوف على اسم الملك الحقيقي صاحب هذه الآبدة، حيث أنها توجد كلاحقة لأغلب حالات تتويج الفراعنة (مثل سيتي الأول، رعمسيس الثاني، رعمسيس الثالث... الخ).

في السطر الأسفل من المسلة، يبدو أنه جزء من مقطع لاسمٍ شرقي: [...] معر۔ان [...](؟).

والسوال المطروح: هل من الممكن أن يكون تل ميدعا الذي وجدت عليه المسلة هي مدينة رعمسيس - محبوب آمون في UPE، والتي كانت مقراً لمندوب الملك المدعو سيتي؟ (الشكل 123).

بالطبع من المبكر الإجابة عن هذا التساؤل في ظل غياب أي تنقيب في الموقع رغم أن الافتراض أمر مشروع، في ظل وجود فخار على سطح التل الذي وجدت فيه المسلة وربما كان ينتمي لنفس الفترة التاريخية.

وبانتظار دراسة معمقة وضرورية، إلا أن طبيعة النقش والكتابة عليه، وبناء على ألقاب واسم الفرعون الظاهر جزئياً على المسلة، بالإضافة إلى اسم واهب النصب، فإنه يمكن تأريخ المسلة بفترة حكم السلالة الملكية التاسعة عشر[47].

نشير أخيراً إلى أن قسماً من الحاميات المصرية التي قدمت إلى سورية



الشكل رقم (123)
مسلة ميدعا – ريف دمشق – الوجه C

47 Lagarce، 2010، PP. 53-63.

برفقة رعمسيس الثاني، قد بقيت في الأراضي السورية بعد انسحاب رعمسيس، وعودته إلى بلده مظفراً باتفاقية سلام، وأميرة حثية. ولا شك أن قسماً من عناصر هذه الحاميات ظلوا يمارسون ديانتهم، وعباداتهم، التي اعتادوا عليها في مصر، في حين اندمج القسم الآخر في الحياة الاجتماعية، بكل تفاصيلها حتى صار جزءاً منها.

ثالثاً ــ آلهة سورية في مصر

نلمس آثار التأثير السوري في مصر من خلال استخدام أسماء عدد من الآلهة التي وصفتها الدراسات المصرية بالآلهة الأجنبية القادمة من سورية، ويرجع السبب في تواجد هذه المعبودات إلى اصطحاب الأجانب المقيمين أو الوافدين إلى مصر لمعتقداتهم وثقافتهم الدينية، أو ربما لتأثير التبادل التجاري وما يستتبعه من تلاقح ثقافي واجتماعي وعقائدي، نتج عنه تقديس وعبادة العديد من الآلهة المصرية خارج حدود مصر، ودخول عبادة عدد من آلهة هذه البلاد الأجنبية إلى مصر. ومن هذه الآلهة:

1 ـ بعل

كُتبَ بعدة أشكال، ومنها «بعل سابون/صفن»، الرب الحامي والراعي للسفن والبحارة، ولعل ذلك كان السبب في تركّز عبادته في الدلتا. وقد قُدِّسَ «بعل» رب الطبيعة في مصر، وعرف كملك للأرباب، وعُرفت الربتان «عناة» و«عشترت» كزوجتين له. وتعود أقدم الشواهد على عبادته في «منف» إلى عهد الملك «أمنحتب الثاني» الذي كان له فيها معبد وكهنوت. وإن رجعت مراحل دخول عبادته إلى عصر الانتقال الثاني وحكم «الهكسوس»، حيث عملوا على مطابقته مع المعبود «ست».

2 ـ حورون

يرجع أقدم ذكر لهذا المعبود إلى عهد الملك «حور محب»، كما ورد ذكره على قاعدة تمثال للملك «رعمسيس الثاني»، وعلى عدد من الآثار من عصر الدولة الحديثة، وارتبط بالمعبود «حورس»، وبالسحر والعلاج بالسحر. وقُدِّسَ «حورون» أيضاً في جبانة «الجيزة»[48]، ورأوا فيه أبا الهول.

3 ـ رشب

وفد إلى مصر خلال عصر الدولة الحديثة، وهو من ألقاب المعبود «بتاح»، وكذلك حمل لقب (الرب العظيم). ويظهر «رشب» في هيئة آدمية لرجل يضع قلنسوة مخروطية الشكل على رأسه، ويحمل درعاً ورمحاً في يده اليسرى، ومقمعة أو دبوس قتال في يمناه. وكان «رشب» يُصوَّرُ وهو يلوِّح بمختلف الأسلحة لابساً تاج الصعيد الأبيض، وفوق الجبهة قرنان، أو رأس غزال كامل. وقد عُبِدَ رشف في «منف»، وفي «تل بسطة» شرق الدلتا، وجاء ذكره في معبد «مونتو» بالكرنك في العصر اليوناني لاحقاً، ولاقت عبادته قبولاً واسعاً بين العامة في «دير المدينة» التي أصبحت مكان عبادته الرئيس، إذ دخل كل من «رشب» و«قدش» في ثالوث «دير المدينة» مع المعبود «مين». وعرفت عبادته منذ عهد الملك «أمنحتب الثاني»، وذلك من خلال نص على إحدى اللوحات التي عُثر عليها بجوار تمثال «أبي الهول»، حيث كتب عليها اسم المعبود، كما ظهر على عدد من اللوحات التي عثر عليها داخل «منف». وقد عُرِفَ «رشب» كذلك كشافٍ يقي من الأمراض والسموم، وهو ما تؤكده بعض النصوص السحرية[49].

48 نور الدين، (الجزء الأول)، 2009، ص 367، 368.

49 نور الدين، 2009، ص 37، 369.

4 ـ سبدو

تباينـت الآراء حـول أصـل هـذا المعبـود، ومـا إذا كان مـصري الأصـل أم سـوري، فقـد ذهـب رأي إلى أنـه معبـود سـوري جـاءت عبادتـه إلى مـصر، وذهـب فريـق آخـر إلى أنـه مـصري الأصـل، وأنـه هـو رب الإقليـم الثـاني والعشريـن لمـصر السـفلى. ومـن ألقابـه: رب الجبـال الشرقيـة، الـذي وُجِـدَ عـلى لوحـة مـن عهـد الملـك «أمنحتـب الثالـث». وقـد ظهـرت عبادتـه في «منـف» منـذ عـصر بدايـة الأسرات، وكان لـه كهنـة مـن الأسرة الثانية، واسـتمر تقديسـه في «منـف»، حيـث عـثر عـلى عـدد مـن الشـواهد والنصـوص مـن عـصر الدولـة الحديثـة، والتـي تـدلُ عـلى اسـتمرار عبادتـه فيهـا. وقـد مُثـلَ عـلى هيئـة صقـر جاثـم تعلـو رأسـه ريشـتان عاليتـان، أو رجـل لـه ذقـن تعلـو رأسـه ريشـتان عاليتـان أيضـاً، وقـد اندمـج مـع الإلـه حـورس تحت اسـم حورسـيد. كـما عُرفـت عبـادة الـرب الكنعـاني الأصـل الطفـل شـد (و) في منـف منـذ الأسرة الثامنـة عـشرة، ويعنـى اسـمه المنقـذ أو المخلـص، وارتبطـت عبادته بالسـحر، والطـب، وعـلاج المصابـين بلدغـات الثعابـين والأفاعـي، والحيوانـات الضَّـارة. وفي الحقيقـة ربمـا كان هـذا الإلـه هـو نفسـه «سـبدر SBDR»، الـذي جـاء في نصـوص أوغاريـت ضمـن قائمـة الآلهـة الحوريـة، والـذي لم تعـرف وظيفتـه ولا المقابـل (السـامي) لـه[50].

5 ـ كوثر

المعبـود الكنعـاني (قـسرتي)، كتـب اسـمه بالخـط (القُبيل سـينائي) (كوشـار) مقترنـاً مـع اسـم المعبـود بتـاح، حيـث شـابهه في صفاتـه، وطبيعتـه، ومهامـه، وذلـك مـن حيـث الخلـق والإبـداع، ورعايتـه للحرفيـن والصناعـات، كـما عُبـدَ في معبـده المسـمى (حـوت - كا ـ بتـاح) في منـف.

50 Lete، 2008، P. 50.

6 ـ عشترت (عسترت)

وهـي معبـودة جـاءت مـن بـلاد الشـام والعـراق، ودخلـت عبادتهـا مـصر في عـصر الدولـة الحديثـة. وقـد صـورت عـلى الآثـار المصريـة في هيئـة سـيدة بـرأس لبـوة، يعلوهـا قـرص الشـمس، وبـدت حاملـة درعـاً ودبـوس قتـال، أو تُمسـكُ بيدهـا رمحـاً، وبالأخـرى سـهماً، وتمتطـي ظهـر حصـان. وقـد اشـتهرت بقدراتهـا الشـفائية، وعُبـدت في منـف، وشـاركت أمنحوتـب التقديـس والعبادة في معبـده بجبانـة منـف[51].

ويبـدو أن إلهـة مـصر العظيمـة المدعـوة حاتـور (حتحـور)[52] قـد جـاءت مـن سـورية لأن اسـمها الأصيـل في الهيروغليفيـة المصريـة هـو (أثـير) المشـتق عـلى الغالـب مـن أثـترة، وكانـت حاتـور تُجسِّـد السـماء، وكانـت أمـا للشـمس (حـورس) الـذي كان يـأوي إلى حضنهـا في المسـاء لـكي يُـشرق في اليـوم التـالي. ومثـل عشـيرة مُرضعـة الملـوك؛ كانـت حاتـور أيضـاً مُرضعـةً للفرعـون الصغـير[53]. وهنـاك حـلي معلقـة تظهـر فيهـا نسـاء عاريـات، وقـد اختُـزلَ جسـمهن غالبـاً بالوجـه والثديـين والمنطقـة الجنسـية، في كثـير مـن الأحيـان يكـون الوجـه كبـيراً جـداً تزيِّنـه تسريحـة، تتحـول نهايتهـا إلى جدائـل حلزونيـة، عـلى حـين ترتبـط هـذه الجدائـل المسـماة جدائـل حتحـور بالآلهـة المصريـة حتحـور. فعـن طريـق التقـدُّم العسـكري للفراعنـة نحـو الشـمال، دخلـت تصـوّراتٌ مصريـة إلى سـورية، وارتبطـت هنـاك مـع صـور محليـة فكريـة وبصريـة. وهكـذا ارتبطـت التسريحـة باعتبارهـا العلامـة المميـزة

51 نور الدين، 2009، ص 371، 372.

52 حتحـور يعنـي اسـمها منـزل حـورس؛ أو مقـر حورسـز وهـي عـين رع التـي دمـرت أعـداءه، بالإضافـة إلى أنهـا عُبـدت كإلهـة للموسـيقى والحـب والعطـاء والأمومـة، وفي طيبـة ظهـرت إلهـة للمـوتى، ومثلـت عـلى هيئـة امـرأة تحمـل تاجـاً لـه قرنـان، بينهـما قـرص الشـمس، أو كبقـرة؛ وأحيانـاً نراهـا لبـوة، أو ثعبانـاً، أو شـجرة.

53 السواح، 2006، ص 78.

عند حتحور مع العري باعتباره العلامة المميزة للإلهة المشرقية عشترت. وبذلك نشأت صورة جديدة لهاتين الإلهتين المتشابهتين، وهي ترمي إلى زيادة التأثير، نتيجة توحيد العلامتين المميزتين. وهناك جوانب مشتركة عديدة بين حتحور وعشتار/عشترت. فمن الناحية الأولى كنَّ يتمتعن كلهن بصفات إيجابية، فهن مسؤولات عن الحياة والخصوبة وخاصة حتحور التي كانت تُعبد في هيئة بقرة أيضاً، وتُجسِّدُ هذا الجانب بصفتها والدة العالم. وبما أن الخصوبة مرتبطة بالحب؛ فلا عجب أن تُعبد هذه الإلهات كإلهات للحب أيضاً. ومن ناحية ثانية لها جانب سلبي مدمِّر للحياة، فبينما اشتهرت عشتار/عشترت كإلهة للحرب، تولت حتحور وظيفة إلهة الموت[54].

7 ـ عناة

يرجع ظهورها في مصر إلى عهد الدولة الوسطى ويبدو أنها وصلت مصر بواسطة الهكسوس، لأن أحد أمرائهم كان يحمل اسم (عناة هر)، ويرد اسم عنتي في قائمة أسماء الهكسوس المدونة على ورق البردي، وكلا الاسمين مشتقان من الاسم عناة هرتي الذي يعني عناة سعيدة[55].

وكان لها شهرة ومكانة خاصة خلال عصر الدولة الحديثة. وقد خصص مكان لعبادتها كان ملحقاً بمعبد (بتاح) في منف، وورد ذكرها في بردية شستر بيتي الأولى مع الربة عشترت كابنتين للمعبود (رع)، كما ادعى الملك رعمسيس الثاني أنه: ابن عناة[56]، وأطلق على ابنته اسم بنت عناة، وادعي بأنه بطل عناة السعيدة، وأطلق على سيفه اسم عناة المنتصرة، وفوق صور أحد كلابه دوَّن عبارة عناة تحمي[57]. وكانت

54 ريم، 2009، ص 95.

55 أدزارد، 2004، ص227.

56 نور الدين (الجزء الأول)، 2009، ص 373.

57 أدزارد، 2004، ص227.

تُصـوَّر في الهيئـة الحيوانيـة للبقـرة، أو بالهيئـة الآدميـة والقـرون، ويعنـي اسـمها العـذراء. وقـد لاقـت الاهتـمام مـن الملـوك والعامـة، حيـث ورد اسـمها عـلى العديـد مـن اللوحـات النذريـة للأفـراد. وهـي ربـة الحـرب خـلال الدولـة الحديثـة، لكنهـا بعـد فـترة غـيَّرت طبيعتهـا الوحشـية، حيـث نراهـا في معبـد إيزيـس بجزيـرة فيلـة تتقمـص شـخصيتها ومعهـا المعبـود حـور، ومـن ألقابهـا (درع الملـك في حربـه). ويشـار إلى أن رعمسـيس الثـاني، المتعبـد المتحمِّـس للربـة عنـاة، أدخـل عبادتهـا إلى عاصمتـه الجديـدة بـشرق الدلتـا (بـر - رع - مـس)، حيـث شـيَّد معبـداً لهـا، وذلـك بالإضافـة إلى مـا تحلَّـت بـه في منـف مـن مكانـة. وقـد حملـت أيضـاً لقـب (سـيدة السـماء، وسـيدة الآلهـة) كبقيـة الربَّـات المصريـات، رغـم أنهـا في الرسـوم احتفظـت بمظهرهـا الأجنبي أيضـاً[58].

8 ـ قدش/قادش

ويعنـي الاسـم حرفيـاً؛ المقـدَّس، ويبـدو أنهـا هـي عشـتارت بعـد أن امتزجـت بالإلهتـين الأُخريـين في الثالـوث المؤنـث الأوغاريتـي (عنـاة وأثـيرة)، بعدمـا رحلـت إلى مـصر، بعـد التواجـد العسـكري المـصري عـلى السـاحل السـوري، منـذ عـصر الأسرة الثامنـة عـشرة، وعُرفـتْ هنـاك تحـت اسـم قُـدش أو قدشـو[59].

لاقـت عبادتهـا رواجـاً كبـيراً بـين طبقـات الشـعب المختلفـة في منـف أكـثر مـن أيـة معبـودة أجنبيـة أخـرى، وأدمجهـا سـكان منـف وكهنتهـا مـع (حتحـور)، فحملـت اللقبـين (سـيدة السـماء وسـيدة الأربّـاب) تمامـاً كالربَّـات المصريـات، رغـم أنهـا احتفظـت في الرسـوم بمظهرهـا الأجنبـي. وكانـت تُعبـدُ كربّـة حاميـة ضـد الأمـراض والـشرور. وقـد لُقِّبـتْ (قـدش) بعـين الشـمس (ابنـة رع) بعـد أن اسـتقرت عبادتهـا داخـل مـصر، إلى جانـب اللقبـين (سـيدة

58 نور الدين (الجزء الأول)، 2009، ص 373.

59 السواح، 2006، ص 78.

السماء وسيدة الآلهة). وتتخذ (قدش) هيئة بشرية لسيدة عارية تقف على ظهر أسد، وتحمل زهوراً في إحدى يديها، وتحمل ثعباناً باليد الأخرى[60]. رغم أن بعض الباحثين يرى أن ظهور الثعبان لا يرتبط بقدش، كما أنه ليس من المؤكد ارتباطها مع عشيرة، ويطرحون في هذا الإطار عدداً من التساؤلات، لعدم وجود معلومات كافية عنها مُذْ ذُكِرتْ في أوغاريت[61].

رابعاً ـ ديانة الآراميين في مصر

تشير دراسة الوثائق الآرامية التي اكُتشفت في موقع هرموبوليس في صعيد مصر عام 1954م، وهي رسائل متبادلة بين أفراد من أسرة آرامية (سورية) كانت تقيم في أسوان والأقصر، لوجود تنوُّع اجتماعي وثقافي ضمن أفراد الجاليات السورية المقيمة في وادي النيل في تلك المرحلة. ويُعدُّ طراز الحياة اليومية لهذه الجاليات وسماتها الأسرية، مثالاً على الأسر السورية المعاصرة لها في سورية الشمالية، وبخاصة في مناطق جبل سمعان ووادي العاصي، وفقاً للدراسات المقارنة المتعلقة بالطقوس الدينية. فقد احتفظ المجتمع الآرامي في أسوان، بمعتقداته التي حملها معه من موطنه الأصلي فيما بين الرها وجبل سمعان وجبل بركات وكفر نبو، كذلك أقام الآراميون في أسوان معابد ومزارات للأرباب «نبو بن مردوخ»، و»بانيت» (ربة الذرية والبنوة، عشتار)، على شاكلة معابدهم التي غادروها في بيت أجوشي وحماة ومناطق مختلفة من وادي العاصي[62]. لقد عبدَ هذا المجتمع المزيج حشداً من الآلهة، تبين لنا النقوش أن

60 نور الدين (الجزء الأول)، 2009، ص 374.

61 Wiggins، 1991، P. 378.

62 فرزات، 1986، ص 38.

مـن بينهـا، إضافـة لنبـو والإلهـة بانيـت البابليـين، أربابـاً آراميـين ومنهـا: بيـث إيـل وعنـاة بيـث إيـل، وملـكات شـيمن (ملكـة السـماء). ويظهـر الإلـه بيـث إيـل في اسـمين لربـين آخريـن لا يقـلان شـعبية، هـما إشـم بيـث إيـل (اسـم بيـت إيـل) وحـرم بيـث إيـل (حـرم بيـت إيـل). ويتجـلى في هـذه الوثائـق التوافـق الدينـي الـذي رعـاه الآسـيويون في المجتمـع المـصري، الـذي كان تحـت سـيطرة الفـرس، حيـث عـاش الإغريـق والصقليـون والفينيقيـون واليهـود والسـوريون معـاً. ويظهـر هـذا التوافـق مـن خـلال الأسـماء الآراميـة الشـخصية التـي تكشـف عـن عبـادة بعـل وشـمش ونرجـال وعـتر، بالإضافـة إلى آلهـة المصريـين[63].

أخـيراً يمكـن القـول: إن الآراميـين حافظـوا رغـم هزيمتهـم السياسـية عـلى لغتهـم وديانتهـم، وأصبحـت آلهتهـم التـي دعـوا إليهـا ونصوصهـم الدينيـة تغطـي كامـل سـورية، وبقيـت هكـذا إلى القـرون الميلاديـة الأولى.

63 تيكسيدور، 2007، ص 136.

الفصل الرابع: التفاعل الديني الآرامي الحثي اللوفي

أولاً: تأثيرات الجوار

اتسمت المنطقة الواقعة بين حماة في الجنوب، وسهل العمق وأراضي إمارة شمأل، وما بين البحر المتوسط في الغرب، ومدينة كركميش في الشرق، بتعايش السكان الآراميين والحثيين/اللوفيين، خاصة في القرنين التاسع والثامن ق.م، وهذا ما أنتج حالة من الانصهار الاجتماعي والثقافي، بحيث انعكست صورها بوضوح في بعض الأعمال الفنية والنصوص المكتشفة. وقد ظل الوضع على هذه الحالة حتى القضاء على استقلال تلك الدويلات جراء الاجتياح الآشوري في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م.

لقد تفاعلت الديانة الآرامية بشكل كبير مع محيطها فتبادلت معه التأثيرات التي نتج عنها تراث مادي وشفهي غني جداً، ما كان ليتم لولا قدرة الآراميين على فهم حقيقة واقعهم، ومعرفة الإمكانات الحقيقية التي يمتلكونها منذ تشكيلهم لكياناتهم السياسية. فنجد في آثارهم التأثيرات الفينيقية، والحثية، والآشورية وغيرها[64].

كان الدين الآرامي ثمرة نضوج نموذج من العناصر المحلية الأصيلة تقاطعت مع نماذج مجاورة، لتكوِّنَ ثقافة هجينة أضحى من الصعب التمييز فيها بين الأصيل والهجين، وهذا هو حالهم مع الحثيين.

64 Sader، 1987، P. 287.

وتُعدُّ شواهدُ القبور والنصب الجنائزية، التي تحمل مشاهد ونصوص متشابهة، وتعبر عن طقس عبادة الأسلاف، أفضل تجليات الحالة التي قامت في كثير من المراكز العمرانية السورية آنذاك. هذا بالإضافة للكثير من القطع الأثرية وأشكال العمارة والمنحوتات البازلتية التي تزيِّنُ واجهات الأبنية الرسمية من معابد وقصور وأسوار. وقد وجدت هذه الخلطة الحضارية في العديد من المواقع منها: عين دارة (7 كم جنوب عفرين)، ومعبد حدد (في قلعة حلب)، وكركميش (جرابلس)، وشمأل/ يأدي (زنجرلي)، وتل أبو ضنة (منطقة الجبول شرق حلب)، وأرفاد/تل رفعت (شمال غرب حلب)، وقرقر (تل قرقور في سهل الغاب)، وغيرها من المواقع التي اكتشفت فيها نماذج من العمارة الأهلية والواجهات والبوابات التذكارية[65]، وتظهر فيها بوضوح التقاليد الثقافية والفنية المرموقة للحضارة الحثية الحديثة[66].

ويُعدُّ موقع تل أحمر من أهم المواقع التي تعايشت فيه هذه الثقافات الثلاث، في حين نرى التداخل الآرامي الآشوري أكثر وضوحاً في تل الشيخ حمد (دوركاتليمو)، وتل العشارة (ترقا)، وتل الفخيرية، وتل عجاجة وغيرها.

ونرى التمازج السياسي والثقافي الآشوري الآرامي، من خلال المنحوتة البازلتية التي وجدت في تل العشارة التي تصوّرُ الملك الآشوري توكلتي نينورتا الثاني وهو يقوم بخنق وقتل ثعبان. رغم أن هناك من رأى إله العاصفة السوري الحثي هو الذي يقوم بخنق الثعبان بحضور إله آخر ربما كان دجن سيد منطقة الفرات[67].

65 Akkermans، 2003، P. 375.

66 Schloen، 2009، PP. 2-8.

67 أبو عساف، 1988، ص 456.

تأتي أهمية هذه المسلة لأنها من أوائل الأعمال الفنية الآرامية. وهي الدليل الوحيد مع بعض القبور على السكن في الموقع خلال عصر الحديد الأول والثاني، إذ عُرِفَتْ المدينة في نقوش أدد - نِراري الثاني وتوكولتي نينورتا الثاني وآشور ناصربال الثاني، باسم سيرقو بينما كانت بلدة تقع في اقليم ماري عرفت باسم ترقا في بداية الألف الثاني ق.م، كما أصبحت مقراً لملوك خانا خلال العصر البرونزي الوسيط الثالث، وبعد هجران جزئي عادت لتأخذ دورها كمركز لمملكة لاقي الآرامية في القرن التاسع التي أعادت توحيد البلدات المتواجدة على طول مجرى نهر الخابور والفرات الأدنى. كما كانت مقراً لإقامة «الشيخ مودادو» (رجل لاقي) الذي ربما كان يمثل سلطة محليّة تُمثّلُ كونفدرالية «لاقي العليا والدنيا» من خلال علاقاته مع الملوك الآشوريين الذين كانوا يسيرون إلى تلك المنطقة[68]. (الشكل 124).



الشكل رقم (124)
منحوتة تل العشارة

ثانياً: مظاهر التفاعل الآرامي الحثي

يعد موقع زنجرلي (شمأل) خير مثال على هذا التمازج، وقد جاءت التنقيبات الأثرية بالكثير من المعلومات القيمة التي رصدت بدء وصول الآراميين إلى الشمال السوري، وتواصلهم مع محيطهم الجديد واندماجهم فيه. واستطاعوا التأقلمَ مع الوضع الجديد، دون أن يتم تجاوز أو إلغاء الثقافة المحلية بما في ذلك آلهة البلد الأصلية، فعاشت البلاد بسلام طيلة فترة وجودها[69].

68 Kuhne، 2009، P. 52.
69 Dhorme، 1945، P. 289.

وتعبّر الأعمال الفنية في الموقع، عن طبيعة التركيبة الثقافية والاجتماعية لهذه المملكة، وكذلك قدرته على التأثر السريع بالمتغيرات. فيمكن أن نشاهد تماثيل الآلهة والملوك والحيوانات التي تُقلّد الأنماط الحوريّة الحثيّة، ومنها تمثالا أسدين ضخمين، وتماثيل كثيرة على شاكلة أبي الهول. وبعد الدخول الآشوري للبلاد نُشاهد تأثراً بالفن الآشوري الحديث، وتنتمي لهذه الفترة صور بر راكب التي يبدو في إحداها واقفاً يحمل زهرة بيده (الشكل 125).



الشكل رقم (125)
منحوتة برّاكب

وفي أخرى جالساً وأمامه خادم (أو كاتب)، وكذلك العديد من المنحوتات التي تصور أجساماً غليظة فجة تخضع لنفس التقاليد التي نجدها في فن بلاد الرافدين[70].

ويلاحظ ضمن سلالة شمأل (السامية) وجود أسماء حثية لوفية، رغم أن الأخوة أو الأبناء أو الآباء في كثير من الحالات حملوا أسماءً سامية، وهو ما يعكس نفوذاً مؤكداً للمجموعة والنخبة الحثية في المدينة. وهذا ما رأيناه في حماة التي حمل حكامها أسماء حثية (أواسط القرن التاسع)، قبل أن يؤسس زكيرسلالته الآرامية فيها (بداية القرن الثامن)، بعد استيلائه على العرش. وهذه الظاهرة نراها في كثير من المواقع الأخرى مثل، باتينا في سهل العمق، وكركميش وغيرها.

ومن أكثر المواضيع التي تُظهر حالة الانسجام بين المجموعتين السكانيتين، وانعكست في الوثائق الأثرية، هو الآلهة والأنصاب أو شواهد القبور الحجرية، أما الآلهة فأهمها حدد، الذي جرى الحديث عنه مطولاً وكذلك كوبابا:

1 ـ الإله حدد: ربما كانت الخصائص الفطرية والاجتماعية لسكان منطقة الأناضول وشمال سورية هي التي دفعتهم لتقديس حدد إله الطقس السوري، بأسماء مختلفة كونه مشابهاً لآلهتهم[71]. رغم أنه كان معروفاً في المنطقة قبل مجيء اللوفيين والآراميين، وقبل أن تتخذه المجموعتان إلهاً واحداً لهما. واحتل المرتبة الأولى عندهما حسب النقوش اللوفية، التي ورد فيها باسم تارخونت/تارخونزا (راجع الباب الأول فصل الآلهة الآرامية)[72].

70 موسكاتي، 1986، ص 187.

71 Dhorme، 1945، P. 290.

72 Hutter، 2006، P. 117.

2 ـ الإلهـة كوبابا/بعـلات: ارتبطـت هـذه الإلهـة بشـكل وثيـق بمدينـة كركميـش، دون أن تبقـى مقتـصرة عليهـا، فعبـدت في كل مناطـق الشـمال السـوري. وتظهرهـا الوثائـق المصـورة (المنحوتـات) بصفتهـا أنثـى معهـا المغزل، وهـذا الرمـز معـروف منـذ الألـف الثـاني ق.م. كـما ارتبطـت أحيانـاً مـع الأسـد حـين يتوضـع عرشـها عـلى أحـد الأسـود. ويذكرهـا النقـش الكتـابي المكتشـف في أورديـك بورنـو، والـذي يعـد مـن نصـوص شـمأل، إلى جانـب إلـه السـلالة الحاكمـة في شـمأل «ركـب - إيـل". وهـذا يـؤشر إلى أن كوبابـا حـازت مكانـة مرموقـة عنـد آراميـي شـمأل، بـل إنهـا حلـت محـل الربّـة الآراميـة الأصليـة في شـمأل[73].

لكـن بعـض الباحثـين يـرى أن كوبابـا كانـت تُبَجَّـلُ فقـط مـن قبـل بعـض سـكان «شـمأل» أواخـر القـرن الثامـن ق.م، وليـس جميعهـم، وذلـك لغيابهـا مـن قائمـة أسـماء الآلهـة الملكيـة، ولأن صورتهـا لم توضـع إلا باعتبارهـا عنـصراً زخرفيـاً شـكلياً في منحوتاتهـم الفنيـة، دون أن يتواكـب ذلـك مـع الـولاء لهـا أو ممارسـة عبادتهـا. ويَعْـزونَ السـبب المفـترض، لهـذا الموقـف منهـا، لارتباطهـا الكبيربكركميـش اللوفيـة (الواقعـة شرقـاً) المنافسـة القويـة لــ شـمأل[74].

ويـكاد لا يخلـو نـص لـوفي مـن ذكـر كوبابـا مـع عـدد آخـر مـن الآلهـة وفي مقدمتهـم إلـه العاصفـة تارخونـزا (تارخونـت) وإلـه القمـر في حـران كـما نـرى ذلـك في نـص مـن تـل أحمـر:

"أنـا حامياتـس ملـك شراريـن بـن... الملـك خـادم تارحونـزاس - إني وباعتبـاري... (بـن الإلـه تارخونـزا) الملـك إيـا، والإلـه العظيـم وماتيليـس وإلـه القمـر في حران...وإلـه القمـر، وإلـه...، وكوبابـا.... ـ مـن أجـلي أعطـوني قـوة أجـدادي.... - أنـا جلسـت ـ ومعهـم أنـا جلسـت، ومـع إلـه الشـمس المتألـق،

73 Hutter، 2006، P. 118، 119.

74 Schloen، 2009، P. 8.

أيضـاً - بـين للآلهـة.... أخـذت مـكاني -.... - خـلال أيامـي العظيمـة حلـت قضايـا، أنايتـين -.... - ولكـن مـن سـيمحو اسـمي -وسـيعمد إلى كتابـة رسـائل شيطانية(سـحر) ضـد شـخصي - أو ضـد أبنـائي ـ أو أحفـادي.... - أو يأخـذ زوجتـي كمحظيـة؟ - أو.... - (...) أخـي أو أبنـاء أخـي - مـن السـماء سـيلعنه تارخونـزا... -... سـوف يأتـون - لهـذا الإلـه تارخونـزا.... -... يدعـه يدمـر سـيد البيـت، ورئيسـه وزوجتـه وابنـه ويريحـه"[75].

وهنـاك ربّـةٌ أخـرى تتوافـق مـع الإلهـة، كوبابـا اسـمها «سـيدة البلـد»، وقد صُـوِّرتْ كمتلقيـة لتقدمـة في نقـش كتـابي مصـور عـلى شـاهدة جـاءت مـن محـردة (قـرب حـماة). ونجـد عـلى وجـه النصـب مشـهداً لأنثـى مـع خـادم صغـير، وتقـوم الملكـة المقدسـة في البـلاد باسـتلام هدايـا (سـكان) محـردة. ومـن المفـروض أن صـورة الأنثـى التـي وجـدت عـلى وجـه النصـب تمثـل كوبابـا، أمـا النـص، غـير المكتمـل، فتظهـر فيـه الإلهـة وهـي تُهـدّد مـن يعتـدي عـلى النصـب: «هـذا نصـب الملكـة المقدسـة في هـذه البـلاد... سـيكون ضـد الملكـة المقدسـة للبـلاد وسـتغضب عليـه - وهـذا النصـب (ومـن...) - سـتقوم الملكـة المقدسـة للبـلاد بإزالتـه... - سـطره الكاتـب حـوزاس»[76].

تمكـن ج. د. هوكنـز/ J.d Howkinz في عـام 1988م مـن الجمع بين القسـم العلـوي والقسـم السـفلي، (الـذي لم يكـن معروفـاً حتـى حينـه) مـن شـاهدة محـردة، فظهـر مشـهد مكتمـل بـدتْ فيـه الربّـة كوبابـا وهـي تقـف عـلى أسـد. إن ارتبـاط الأسـد (كحيـوان حامـل للربّـة) يحسـم موضـوع البـتّ في هويـة صـورة كوبابـا. ولكـن ظهورهـا وهـي تحمـل النباتـات بكلتـا يديهـا المرفوعتـين للأعـلى، وبالربـط مـع الموطـن الجغـرافي للشـاهدة، وهـو محيـط حـماه، فمـن الممكـن أن تكـون «الربّـة ملكـة البـلاد» هـي بعـلات الكنعانيـة،

75 هوكنـز، 1989، ص 275.

76 هوكنـز، 1989، ص 280.

التـي تمتعـت بقداسـة كـبرى في حـماة، في حـين كانـت كوبابـا هـي الربَّـة الحثيّـة الموازيـة لهـا. ومـن المؤكـد أن بعـلات (السـاميّة) حظيـت بتقديس كبير ضمـن المجتمـع اللـوفي الحمـوي. فهنـاك نقـوش كتابيّـة هيروغليفيـة/ لوفيـة مـن حـماة كانـت مكرّسـة للربـة بهلاتيس/بعلاتيـس، ومـا هـي سـوى تسـمية لوفيـة للربّـة الكنعانيّـة بعـلات[77]. ويصـفُ ملـك حـماة المدعـو أرخولينـي في أحـد النصـوص عـدداً مـن العـروش التـي أشـادها للإلهـة بعـلات في المعبـد الـذي بنـاه آبـاؤه وأجـداده لهـا، مـن قبـل. ويصـفُ مزاولتـه للطقـوس الدينيـة وتقديمـه للأضاحـي، التـي كان يؤدّيهـا بشـكل دوري، بعـد تعرضهـا لفـترات مـن الانقطـاع، وتعـرض المعبـد خلالهـا لفـترة مـن الإهـمال والحرمـان:

"أنـا آرخولينـي بـن بارتيـاس ملـك حـماة - أنـا بنفسـي الملـك.... ولـكل إلـه أنـا صنعـت لـه عرشـاً خاصـاً - وهـذا العـرش لبعـلات أنـا بنيتـه - وأنـا وضعـت اسـم بعـلات مـع اسـمي عليـه - ومـن سـيمحوا اسـم بعـلات واسـمي مـن عـلى هـذا العـرش والنصـب - هنـا تارخونـزا.... - معبـد بعـلات كان موجـوداً في عهـد آبـائي وأجـدادي ولكـن كان يحتـاج إلى بنـاء (ترميـم) - وكانـوا لا يقدمـون الأضاحـي، مـن الثـيران المقدسـة، للآلهـة في السـماء والأرض - ولكـن أنـا وفي عهـدي، سـيكون المعبـد غنيـاً - قمـت بالطقـوس الدينيـة، وجعلـت لهـا أوقاتـاً ومنـذ ذلـك الحـين - والأضاحـي المقدسـة -..... خبـز، وأيضـاً قمـت بالشـعائر الدينيـة»[78].

كـما ذكـرت كوبابـا كــ «ربـة سـيدة البـلاد» في نقـوش كتابيـة وجـدت عـلى شـاهدة جـاءت مـن كركميـش، وأخـرى مـن شـيزر التـي تظهـر فيهـا معبـودة مـن قبـل إحـدى النسـاء «عابـدة كوبابـا». ونراهـا في نفـس النصـب وهـي تبسـط يدهـا بحالـة مـن التوسّـل، وهـي تشـبه مشـهداً مماثـلاً على نصب عُثرَ

77 Hutter، 2006، P. 120.

78 هوكنـز، 1989، ص 277.

عليه في كير شوغلو في سهل انطاكية، تبدو فيه وهي تتلقى العطايا[79].

إن انتشار عبادة كوبابا إلى أغلب مواقع الشمال السوري ووصولها إلى وسط سورية، وانتشار النصوص الحثية/اللوفية في جميع أرجاء هذه المنطقة الواقعة تحت النفوذ الآرامي، يُعدُّ من أهم المؤشرات على قدرة المجتمع السوري القديم على التعامل باحترام وتسامح مع سكان آخرين يعيشون ضمنه على أرض واحدة رغم التباين في الثقافة أوالعرق.

3 ـ الولائم الجنائزية: هناك من يعتقد أن فكرة جلوس الملك الراحل على وليمة جنائزية بصحبة الآلهة، ربما كان ناتجاً عن التأثير الحثي في شمأل، ويرون في ذلك برهانا جديدا على أن الآراميين اقتبسوا معتقداتهم والكثير من عناصر حضارتهم من الشعوب التي احتكوا بها[80]. ولكن ما قدمناه من سرد حتى الآن يظهر أن هذا الطقس هو عقيدة سورية أصيلة، عُرفتْ تقريباً في كل العصور القديمة ومنذ العصر النيوليتي.

لقد تم الكشف عن كثير من الشواهد الجنائزية التي تدور مضامين نصوصها ومشاهدها دائماً حول المتوفى وعائلته أو خادمه، ونادراً ما ظهرت صور الآلهة عليها. وقد كان معظمها يُصوِّرُ الميت أمام الوليمة الجنائزية، في وضعية تناوله أو مواجهته للأطعمة والأشربة التي جلبها له ورثته، إلى العالم السفلي. وهذا واضح من نقش بنموا بن قرل (راجع الباب الرابع فصل تقديس الأسلاف عند الآراميين). ويفهم من سياق النص أن نسل بنموا كانوا ملزمين بأداء العبادة للحاكم الراحل، وإلا أصابتهم لعنة إله الطقس.

بالمقابل هناك نقوش لوفية تحاكي نفس التصور الديني حول الوليمة

79 Hutter، 1995، PP. 119.

80 سومر، 2007، ص 147.

الجنائزيـة للميـت بمـا فيهـا مـن طعـام وشراب[81]. ففـي نـص حثـي لـوفي مـن تـل أحمـر[82]، نلمـسُ تفكـيرا دينيـا مشـابها للنصـوص الآراميـة حيـث يـرد فيـه ذكـر عـدد مـن الآلهـة:

"أنـا... ملـك البـلاد. الحفيـد الأكـبر لحـاب تيـلاس ابـن أرمينيـاس الحاكـم - إني وباعتبـاري.. ابـن الإلـه ترخونس/ترخونـزا، الملـك إيـا، والآلهـة المعظمـة كوبارمـاس وماتيلـس (؟) وتيشـوب وإلـه القمـر في حـران وكوبابـا... الذيـن أحبـوني - فأعطـوني القـوة الموروثـة عـن آبـائي - عـلى حـدود - المدينـة مسـوارا، التـي أقمتهـا ورفعتهـا إلى السـماء كمدينـة عاصمـة»[83]. كـما عُـثِرَ في اصلاحيـة (قـرب مرعـش) عـلى شـواهد تحمـل صـور إلـه الطقـس مـع الوليمـة الجنائزيـة.

ونخلـص: إلى أن مـا ذكرنـاه مـن شـواهد، رغـم محدوديتهـا، كان كافيـاً ليظهـر مـدى الانسـجام العقائـدي الـذي وصـل إلى حـد التـمازج والتطابـق بـين جميـع شرائـح المجتمعـات التـي نشـأت عـلى الأراضي السـورية خـلال مـا يسـمى بالعـصر الآرامـي. وقـد سَـكَبَ هـؤلاء السـكان تفكيرهـم الدينـي في صـور ونصـوص، حُفـرت عـلى شـواهد القبـور والأعـمال الفنيـة والنحتيـة

8181 Hutter، 1995، PP. 112.

82 تـل أحمـر: يقـع عـلى الضفـة اليـسرى لنهـر الفـرات (25 كـم تقريبـاً) إلى الجنـوب مـن الحـدود التركيـة (منطقـة غمـر سـد تشريـن)، شـكل التـل شـبه دائـري، قطـره حـوالي 1200م. بـدأت التنقيـب فيـه عـام 1928م بعثـة فرنسـية أدارهـا ثـورو دانجـن Thureau Dangon، واعتبـاراً مـن 1988م عملـت فيـه بعثـة بلجيكيـة برئاسـة ج بونيينـز G. Bnnens. وقـد تـم الكشـف عـن اسـتيطان اسـتمر منـذ عـصر الكالكوليـت وحتـى العـصر الهلنسـتي والرومـاني، إلا أن أهـم السـويات تلـك العائـدة لعـصر الحديـد حيـث عرف الموقـع بتـل بارسِـب ويكتـب اسـمها أحيانـاً تـل بورسِـب، وتربـوسي Tarbuse، وفي العهـد الهيلينسـتي بيرسِـب Bersibu، وورد-اسـمها في النصـوص الحثيـة اللوفيـة بصيغـة ماصـواري Maswari. وقـد كانـت عاصمـة مملكـة بيـت عديـن الآراميـة قبـل أن يحتلهـا الملـك الآشـوري شـلمنصر الثالـث ويطلـق عليهـا اسـم كار- شـلمان أشـيرد (مينـاء شـلمنصر). كُشـفَ في الموقـع عـن العديـد مـن المنشـآت المهمـة، منهـا القـصر الآشـوري الـذي تزيّنـه الرسـوم الجداريـة الملونـة بالأحمـر والأسـود، وتظهـر فيهـا مشـاهد للملـك ومحاربيـه.

83 هوكنـز، 1989، ص 275.

المختلفـة، والتـي أدرجـوا فيهـا أسـماء آلهتهـم، وممارسـاتهم المختلفـة، ومنهـا طقـس تقديـس الأسـلاف.

ويمكننـا القـول: إن حالـة التـمازج التـي وصلـت حـدَّ التطابـق بـين الفكـر الآرامـي واللـوفي في شـمال سـوريا خـلال الألـف الأول ق.م، تُشـكل ظاهـرة اجتماعيـة حضاريـة جديـرة بالدراسـة، ورغـم عـدم فرادتهـا فهـي نمـوذج لثقافـة سـورية سرمديـة.

خاتمة ونتائج .....

ألقـت التغـيرات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة التـي حصلـت في منطقتنـا خـلال عـصري البرونـز والحديـد بظلالهـا عـلى كافـة تفاصيـل حيـاة النـاس، وطالـت عقائدهـم الدينيـة. وقـد جهِـدَ البحـث لرصـد كافـة ملامـح الحيـاة الدينيـة في سـورية خـلال هـذه المرحلـة لمعرفـة العنـاصر الأساسـية والأصيلـة فيهـا ومـا طالهـا مـن تأثـير خارجـي، وكذلـك التأثـير الـذي تركتـه عـلى الآخريـن، إضافـة لاقتفـاء أثـر ديانـة السـوريين في الخـارج.

اسـتطاع البحـث أن يُظهـرَ القيمـة العاليـة للعنـصر الروحـي في الفكـر السـوري القديـم، الـذي ترتبـط بـه منظومـة السـلوك الاجتماعـي التـي تحكـم العلاقـة فيـما بـين أفـراد نفـس المجتمـع، وكذلـك علاقـة هـذا المجتمـع مـع المجتمعـات الأخـرى. إن قـدرة هـذا الفكرعـلى الاسـتمرار والتطـور والتكيّـف والتفاعـل مـع محيطـه الحيـوي يُعـدُّ أهـم ملامـح الفكـر الدينـي السـوري عـلى الاطـلاق.

لقـد تبـين أن الكثـير مـن تفاصيـل المعتقـدات، بمـا فيهـا مـن أسـماء آلهـة وطقـوس وممارسـات دينيـة، لم تظهـر فجـأة للوجـود خـلال عـصري البرونـز الحديـث والحديـد، بـل كان لهـا وجـود مؤكـد منـذ الألـف الثالـث أو قبـل ذلـك، ومـن الأمثلـة عـلى ذلـك عبـادة الإلهـة الأم، وعبـادة تقديـس الأسـلاف، وغيرهـا.

إن الكثـير مـن أسـماء الآلهـة التـي جـاء ذكرهـا في ثنايـا البحـث، كانـت

معروفة من قبل في عدد من المواقع، ومنها إبلا التي عبد سكانها حدد وإيل وكاميش وملك وليم، وفي ماري التي عبد سكانها آلهة الرافدين ومنها دجن وعشتار وشمش ونينخور ساغ وغيرها.

وإذا كان هذا الكمّ الكبير الذي وصلنا من أسماء الآلهة يعبر عن التزام قدماء السوريين وتمسكهم بعقيدتهم الدينية، فإنه قد لا يعكس علاقتهم الحقيقية بآلهتهم، ولا يعبر عنها بصورة واضحة. فمن الممكن أن يكون الكثير من هذه الأسماء ليست سوى صفات تعظيمية، وألقاب تمجيدية حُسنى، وتجسيدٌ لقيمٍ ساميةٍ شُبِّهت للبعض على أنها أسماء لآلهة متعددة متباينة. فقد أدرك الإنسان القديم وجود قوى خارقة متكاملة تنظم الكون المحيط فيه، فعمل على تقسيم هذا المخزون من القوة الجبارة على مجموعة من المسميات الأصغر، كل حسب وظيفته، فبدت للدارسين وكأن بينها الكثير من التباين. فإذا استطاع سكان مشرقنا القديم إدراك أهمية وجود حاكم واحد يسيّر أمور مملكته لا تصلح الأمور بدونه وخطورة وجود أكثر من حاكم في الوقت نفسه لهذه المملكة، فمن المعقول جداً؛ ومن اليسير عليهم، أن يكونوا قد نظروا لإدارة الكون بالطريقة نفسها التي عبَّر عنها نصّ آشوري موجه للإله نينورتا:

"عيناك أيها الرب هما تمثلان الإله انليل ونينليل. وشفتاك تمثلان آنو وأنتو. أما جبينك فهو يمثل الإله شالا وهي زوجته المحبوبة التي تفرح القلب. أما عنقك فيشبه ويمثل الإله مردوخ. وأما رأسك فيمثل الإله حدد. الذي خلق السماء والأرض".

وهذه مجرد إشارة نقدمها لفتح الباب نحو مزيد من الدراسات التاريخية واللغوية التحليلية المعمقة والجادة، وكي لا يقف الموضوع عند حد التأمل الفكري.

تقـدم لنـا نمـاذج العـمارة الدينيـة دليـلاً واضحـاً عـلى أصالـة الفكـر السـوري وانفتاحـه عـلى كل فكـر راق، فالمعبـد الطـولاني الأنتيس/الأنتـين، الـذي عرفنـاه في المواقـع السـورية منـذ الألـف الثالـث في تـل مرديـخ وخويـرة، بقـي شـائعاً ونموذجـاً مفضـلاً في أغلـب مناطـق بـلاد الشـام، طيلـة عصـور البرونـز الوسـيط والحديـث وعـصر الحديـد، وحتـى العصـور الكلاسـيكية، رغـم إدخـال بعـض العنـاصر الجديـدة فيـه وإجـراء شيءٍ مـن التعديـل عليـه أحيانـاً وفـق المقتضيـات التـي فرضتهـا الحاجـة والـذوق الفنـي، (وهـذا مـا نجـده في أوغاريـت التـي ابتـدع معماريوهـا نموذجـاً جديـداً في بنـاء معابدهـا اسـتوحوها مـن نفـس مخطـط الأنتيـس)، لكنهـا جـاءت عـلى شـكل أبـراج ضخمـة البنيـان تذكِّرنـا بزقـورات الرافديـن العظيمـة، لوجـود تراسـات عـلى أسـطحها خُصِّصتْ لممارسـة مقاطـع معينـة مـن الشـعائر، حسـب بعـض النصـوص، وليـس لغايات إرشـاد السـفن المبحـرة ليـلاً، كـما كان يُظـن؛ وهـو الأمـر الـذي اسـتبعدته بعـض الدراسـات الحديثـة، كـما رأينـا في مـتن البحـث.

لكـن هنـاك نموذجـاً معماريـاً جديـداً ومميـزاً عرفنـاه في عـصر الدويـلات الآراميـة، وهـو مـا يُعـرف ببيـت هيـلاني. ورغـم أن الأثاريـين قـد أثبتـوا وجوده في آلالاخ وإيمـار أي قبـل حـوالي خمسـمئة عـام، فقـد شـاع جـداً خـلال العـصر الآرامـي، وعـثر عليـه في تـل حلـف (جـوزن)، وتـل الفخيريـة، وتـل زنجـرلي (شـمأل)، وتـل الشـيخ حمـد (دوركاتليمـو)، والدويـلات ذات الطابـع الحثـي (الحديـث)، مثـل كركميـش (جرابـس الحاليـة)، وملاطيـة وغيرهـا.

إن وجـود هـذا التجانـس الفنـي والمعـماري خـلال هـذه المرحلـة التاريخيـة لا ينفـي وجـود تأثـيرات المناطـق والمـدن المجـاورة، ومنهـا الفينيقيـة الواقعـة عـلى السـاحل الجنـوبي، والحثيـة اللوفيـة في الشـمال، والآشـورية في الشـمال الشرقـي. ومـن المعـروف أن الآشـوريين وبعـد سـيطرتهم عـلى مدينـة شـمأل

حاولـوا وأد العـمارة الآراميـة فبنـوا القـصر المعـروف بالقـصر الأعـلى الـذي جمـع بـين البيـت العـالي، والقـصر الآشـوري، ذي الباحـة أو الصحـن المركـزي. لكـن هـذا لم يمنـع مـن اسـتمرار البنـاء وفـق نمـوذج بيـت هيـلاني في المواقـع السـورية، فأُعيـدَ بنـاء نفـس المعابـد مـن جديـد، كـما في تـل آفـس، وطعينات، وتـل الشـيخ حمـد، وغيرهـا.... رغـم السـيادة الآشـورية المطلقـة عـلى هـذه المواقـع.

ويُعـدُّ هـذا الأمـر وغـيره من الأمـور مـؤشراً واضحاً عـلى أن النفوذ السـياسي لم يسـتطع أن يَحُـدَّ مـن العقيـدة الدينيـة للبـلاد، لا بـل أن ملوك آشـور الأقوياء هـم مـن تأثـر بثقافـة وعقيـدة سـكان المـدن السـورية المختلفـة التـي ظلـت موضـع احـترام وتقديـر مـن قبلهـم. ورغـم مـا يُـروى عـن معاملـة قاسـية وتهجـير كل مـن ثـار عليهـم مـن سـكان الحـواضر السـورية، فلـم نراهـم يحاولـون فـرض الثقافـة الآشـورية وديانتهـا عـلى السـكان المحليـين. ولا يوجـد سـبب يدفعهـم لفعـل ذلـك، مـا دام دافعهـم الدائـم للحمـلات العسـكرية نحـو الغـرب كان غالبـاً المصلحـة الاقتصاديـة.

هــذه المعاملــة للســكان، لم تختلــف خــلال فــترة الوجــود الفــارسي في البـلاد، رغـم انتشـار مـا يُعـرفُ بدمـى الخيـال الفـارسي، التـي ربمـا كانـت رمـزاً لألوهيـة فارسـية، عـلاوة عـلى كونهـا ترمـز لحضـور الهيبـة العسـكرية الفارسـية.

مـن التغـيرات الإيديولوجيـة التـي لحظهـا البحـث خـلال عـصر الحديـد في سـورية، هـو التحـوُّل في الكثـير مـن العـادات الجنائزيـة، سـواء مـن حيـث طريقـة الدفـن التـي تمثلـت بانتشـار عـادة حـرق جثـث المـوتى، أو مـن حيـث شـكل المدافـن والأضرحـة، واسـتخدام عنـصر جديـد فيهـا، وهـو الشـواهد والأنصـاب الحجريـة التـي تتضمـن مشـاهد ونصوصـاً فيهـا الكثـير مـن أسـماء

الآلهـة والملـوك والمـدن، حتـى يمكـن القـول: ن هـذه الشـواهد؛ هـي أحـد أهـم مصـادر المعلومـات عـن العـصر الآرامـي الفينيقـي في سـورية.

أمـا عقيـدة تقديـس الأسـلاف، فهـي تُظهـرُ عمـق التأثـير الدينـي في الحيـاة الاجتماعيـة للسـوريين القدمـاء، وتعكـس جانبـاً عاطفيـاً مؤثـراً، نشـأ في بلادنـا منـذ عـصر النيوليـت، وفحـوى فلسـفته تقـوم عـلى محاولـة اسـتحضار روح الميـت، لتبقـى هائمـة في فضـاء الأهـل والخـلان تضفـي عـلى حياتهـم الراحـة والـرضى، ولذلـك دفنـوا أحبابهـم تحـت أرضيـات بيوتهـم، أو في فسـحاتها، أو أماكـن مجـاورة لهـا. وقـد أصبحـت هـذه العبـادة أكـثر تعقيـداً مـع الزمـن، فتشـعبت شـعائرها، وتعـددت ضوابطهـا، لتصبـح إحـدى أهـم الممارسـات الدينيـة خـلال عـصري البرونـز الحديـث والحديـد، وهـذا مـا رأينـاه في العديـد مـن المواقـع (قطنـة، ألالاخ..). وفي الحقيقـة تعكـس هـذه العبـادة قـوة تأثـير الضوابـط الاجتماعيـة، وهيمنـة الروابـط العائليـة وتحكمهـا في سـلوك أفـراد مجتمعاتنـا القديمـة.

كـما تتجـلى قـوة هـذا الفكـر الدينـي وتأثـيره عـلى النـاس، باعتمادهـم على التنجيـم والسـحر في كثـير مـن أمـور حياتهـم. فـكل سـلوك أو نشـاط يُزمِـعُ شـخص القيـام بـه، مـن بيـع وشراء أو سـفر وزواج أو معالجـة مـرض مـا، كان لا بـد مـن اسـتخارة المنجمـين فيـه لأخـذ النصيحـة أو الوصفـة والعـلاج المناسـب لـه. وهـذا مـا أعطـى الكهنـة دوراً كبـيراً، وزاد مـن أعدادهـم وتخصصاتهـم ومراتبهـم، وتحلـق النـاس حولهـم.

إن الصلـوات وقـراءة التراتيـل والأدعيـة والابتهـالات للآلهـة، وأسـاليب العبـادة النظريـة، لا تكفـي إذا لم تقـترن بتقديـم الأضاحـي المناسـبة، التـي كانـت تتضمـن، إضافـة للحيوانـات (غالبـاً مـن الماعـز أو الغنـم أو الثـيران أو طيـور)، أشـياء مختلفـة، مثـل الزيـوت والمشروبـات والمـواد الغذائيـة، وهدايـا

أخـرى يحتاجهـا المعبـود والكهنـة، ومنهـا الذهـب والفضـة والمجوهـرات والألبسـة والأواني الفخاريـة والمعدنيـة.

مـن الطبيعـي أن تجـد هـذه الممارسـات والعبـادات الدينيـة، المثاليـة وقتـذاك، صـدىً لهـا في المناطـق والأقاليـم الأخـرى القريبـة والبعيـدة عـن سـورية، فتلقـف الكثـير مـن سـكان هـذه المناطـق نفـس الأفـكار والعبـادات ونفـس الطقـوس والممارسـات الدينيـة، وأجـروا عليهـا بعـض التحويـر الـذي اقتضتـه التقيّـة الدينيـة بغيـة إضفـاء الصبغـة الذاتيـة أو اللـون المحـلي عليهـا.

لقـد نهـل سـكان سـورية القدمـاء الكثـير مـن أفكارهـم وعقائدهـم مـن المناطـق المجـاورة وأهمهـا بـلاد الرافديـن، وكثـيراً مـا جـاء ذلـك حصيلـة للتبـادل التجـاري الـذي اسـتتبع اختلاطـاً وتعايشـاً سـكانياً بـين أبنـاء مختلـف المناطـق والأقاليـم، وإقامـة ضمـن حيـز واحـد في كثـير مـن المـدن. هـذه العلاقـة أدّت لخلـق حالـة مـن التسـامح الحضـاري الراقـي بـين السـكان المحليـين وأبنـاء الجاليـات الذيـن جلبـوا معهـم عاداتهـم وتقاليدهـم وقيمهـم الروحيـة والماديـة وبنـوا معابدهـم جنبـاً إلى جنـب مـع المعابـد المحليـة. وقـد حُـرمَ سـكان المناطـق المعزولـة والبعيـدة عـن طـرق التجـارة القديمـة مـن نعمـة هـذا الاختـلاط ومـا يواكبـه مـن أفـاق معرفيـة وحضاريـة كان مـن الممكـن أن يوفرهـا لهـم.

لقـد كان هـذا التسـامح مـع الأصالـة والاسـتمرارية، أحـد أهـم السـمات التـي تحلّـت بهـا العقليـة السـورية عـبر التاريـخ، والتـي اسـتطاعت مـن خلالها أن تهضـمَ وتُكيِّـفَ الكثـير مـن المؤثـرات الخارجيـة بمـا فيهـا الدينيـة منهـا.

لكـن سـمات التسـامح هـذه لم تقتـصر عـلى السـوريين، فقـد رأيناهـا في مـصر خـلال الألـف الأولى ق.م، عندمـا اسـتطاعت الجاليـة السـورية فيهـا ممارسـة عباداتهـا الخاصـة بـشيء مـن الحريـة ودون قيـود تذكـر.

ورغـم كل مـا تقـدّم، تبقـى المعلومـات المتعلقـة بالحيـاة الدينية في سـورية القديمـة محـدودة قياسـاً بالـدور الـذي لعبـه الديـن في حيـاة شـعوب المنطقـة. أمـا سـبب محدوديتهـا فلأنهـا رهينـة كميـة ونوعيـة النصـوص الدينيـة، ومـا تجـود بـه عـلى الآثاريـين. فـما زلنـا نجهـل الكثـير مـن التفاصيـل عـن موضـوع الولائـم، والعنايـة بالآلهـة وإطعامهـا، وموضـوع الاقتصـاد الدينـي ومـا يتعلـق بالتقدمـات واسـتلامها وتوزيعهـا ومقاديرهـا ونسـبها، ودور الكاهـن وسـلوكه وحركاتـه وأُدعياتـه وواجباتـه، ودور الملـوك والمؤسسـات الرسـمية والشـعبية، ومعرفـة القوانـين التـي تنظـم العلاقـات بـين كل جانـب مـن جوانـب هـذه المنظومـة الدينيـة المتكاملـة.

يضـاف إلى ذلـك كلـه غيـاب المعلومـات المتعلقـة بالحيـاة الدينيـة الشـعبية التـي لا يُعـرف إلا النـذر القليـل عنهـا، في ظـل تركيـز الدراسـات عـلى الحيـاة الدينيـة الرسـمية التـي كانـت تجـري في القصـور والمعابـد المركزيـة القائمـة في العواصـم والحـواضر، التـي جـاءت منهـا معظـم النصـوص، في حـين تـم إغفـال حيـاة النـاس العاديـين ومنهـم القاطنـين في الأطـراف والمناطـق القصيّـة. والسـبب في ذلـك هـو أن حـظَّ الأحيـاء الشـعبية والمواقـع الأثريـة الصغـيرة مـن اهتـمام الباحثـين والآثاريـين عاثـرٌ كحظهـا مـن اهتـمام عواصمهـا خـلال فـترة وجودهـا القديـم. فطالمـا انصـبُّ اهتـمام علـماء الآثـار عـلى المواقـع والعواصـم الكـبرى وعـلى الأكروبـول أو الأحيـاء العليـا بالموقـع، في حـين تـمَّ تجاهـل الأحيـاء المنخفضـة فيهـا والمواقـع الصغـيرة القليلـة الأهميـة لأنهـم لا يتوقعـون العثـور فيهـا عـلى مـا يكسـبهم الشـهرة والمجـد الـذي ينشـدون.

إن مـا توصلـتُ إليـه يبقـى ضمـن الخطـوط الرئيسـة والملامـح العامـة للديانـة السـورية القديمـة، وهـو لا يُقـدِّمُ إلا صـورة مختزلـة عـن الحيـاة الدينيـة التـي ربمـا تُشـفي غليـل بعـض المتشـوقين والباحثـين، لكنهـا سـتكون

بـلا شـك محرِّضـاً لإصـدار المزيـد مـن الأبحـاث والدراسـات القـادرة عـلى استجلاء تاريخنـا، بـكل مـا فيـه مـن نقائـص وفضائـل، وتقديمـه للأجيـال مـادة علميـة ممتعـة ومؤنسـة، إن لم تنفعهـم لحاضرهـم فلعلهـا تفعـل لأجيالهـم، وإذا كانـت الفلسـفة أمُّ العلـوم فالتاريـخ هـو الأب الشرعـي لهـا، والفطـين لا يعـقُّ أبويـه.

المراجع العربية والمعربة

أبـو عسـاف، عـلي، مملكـة بيـت بحيـاني الآراميـة، (دراسـات تاريخيـة، 6)، دمشـق، 1981، ص147-159

أبـو عسـاف، عـلي، دميـة الملـك هـد يسـعي ملـك جـوزن، (الحوليـات الأثريـة السـورية، 32)، دمشــق، 1982. ص 35-58

أبو عساف، علي، آثار الممالك القديمة في سورية من 8500 - 535 ق.م، دمشق، 1988.

أبو عساف، علي، الآراميون تاريخاً ولغة وفناً، طرطوس، 1988.

أبو عساف، علي، عين دارا «1» المعبد، دمشق، 1991.

أبــو عســاف، عــلي، تمثيــل إلــه الطقــس عــلى الأختــام الأســطوانية في الــدور الأكادي، (الحوليــات الأثريــة الســورية، 16، الجــزء الأول)، دمشــق، 1966، ص85-92.

أبو عساف، علي، عين دارة 2-- اللقى الأثرية، دمشق، 2000.

أبــو عســاف، عــلي، نقـوش انـرة بلـصر والي خداتـو - أرسـلان طـاش، (الحوليـات الأثريـة الســورية46/45)، 2003، ص 29 - 38.

أبـو عسـاف، عـلي، دمشـق ومنطقتهـا خـلال التمـدد المـصري في الألـف الثـاني قبـل الميـلاد، (الحوليـات الأثريـة السـورية، 52/51)، دمشـق، 2009، ص4-11.

أبو عساف، علي، آثار الممالك القديمة بالجزيرة وطور عابدين، دمشق، 2011

أحمـد، عـلي صقـر، نقـوش آراميـة مـن القرنـين السـابع والسـادس ق.م، (أطروحـة ماجسـتير في اللغـات السـامية)، جامعـة حلـب، 2000.

الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الشرق القديم، بغداد، 1988.

أحمد، محمود عبد الحميد، دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دمشق، 1996.

أحمد، محمود عبد الحميد، وعبدالله، فيصل، ومرعي، عيد، آثار الوطن العربي القديم، دمشق، 1999.

أدزارد. د، و م. بوب، و ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير، (الجزء الأول والثاني) ترجمة محمد وحيد خياطة، حلب، 2004.

إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب، 2001.

إسماعيل، فاروق، نصوص سومرية وآكدية من إيمار، (دراسات تاريخية، 98/97)، دمشق،2007، ص 3-55.

إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة الدولية - وثائق مسمارية من القرن 14 ق.م، دمشق 2010.

الأسود، حكمت بشير، الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين - الدلالات والرموز، دمشق، 2007.

أركي، ألفونسو، آلهة إبلا في الألف الثالث ق.م وآلهة أوغاريت، ترجمة بشير زهدي، (الحوليات الأثرية السورية،30/29)، دمشق، 1980، ص 90-97.

أركي، ألفونسو، حلب في عهد إبلا، ترجمة علي خليل، (الحوليات الأثرية السورية، 43)، دمشق، 1999، ص291-294.

آمييه، بيير، ربات أوغاريت في القرن الرابع عشر ق.م، تعريب عدنان الجندي، (الحوليات الأثرية السورية،30/29)، دمشق، 1980، ص87-90.

أينفاك، برتولد، أمكنة وأزمنة - 25 عاماً من الأبحاث الأثرية في سورية 1980 - 2005 (معهد الآثار الالماني)، دمشق 2005.

أينفاك، برتولد، وأوتو، آديلهايت، تل بازي: حاضرة من الألف الثاني ق.م في وادي الفرات السوري، (عشر سنوات من أعمال التقيب والأبحاث الأثرية في سورية 1989 - 1998، معهد الآثار الإلماني)، دمشق، 1999.

بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة 173، الكويت، 1993.

بروس، ألكسندر، وبغدو عبد المسيح، تل الفخيرية، تقرير حول الموسم الأول لأعمال

التنقيب الألمانية السورية 2001، تعريب محمد قدور (الحوليات الأثرية السورية 48/47)، دمشق، 2005، ص 2-10.

البستاني، كميل أفرام، النصوص الفينيقية في قره يتبيه، بيروت، 1985.

بغدو، عبد المسيح، مئة وخمسون عاماً من البحث الأثري في الجزيرة السورية، دمشق، 2009.

بفيلتسنر، بيتر، تقديس الأجداد في سورية القديمة، (كنوز سورية القديمة - اكتشاف مملكة قطنا) - متحف فورتمبرغ، شتوتغارت، 2009.

بن ذريل، عدنان، في الآلهة السورية، نبذة للفقيه والكاتب لوقيانوس السميساطي، (الحوليات الأثرية السورية، 14)، دمشق،1964، ص 139-164.

بن ذريل، عدنان، الآلهة السورية شروح وتعليقات 1- (الحوليات الأثرية السورية، 15/ الجزء الأول)، دمشق، 1965، ص 55-76.

البني، عدنان، وآخرون، تقرير أولي عن التنقيب في تل العبد وعناب السفينة(الفرات)، (الحوليات الأثرية السورية، 24)، دمشق، 1974، ص 53-75.

البني، عدنان، تقرير أولي عن مواسم التنقيب الثالث والرابع والخامس والسادس في مسكنة - إيمار، (الحوليات الأثرية، 32)، دمشق، 1982، ص 201-206.

البني، عدنان، الآثار السورية : الغنى والأصالة : دراسة ميدانية، (دراسات تاريخية، 38/37)، دمشق، 1990، ص112-116.

بوب، مارفين، الـ (م رزح) في أوغاريت وغيرها، تعريب: بشير زهدي، (الحوليات الأثرية، 30/29)، دمشق، 1980، ص 71-82.

بوخهولتز، هـ، غ، سورية و قبرص وكريت واليونان، (الآثار السورية)، ترجمة نايف بللوز، فيينا، ص321-326.

بورت، ل، ديلا، بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997.

بوردروي، بيير، الأفاعي والآلهة السحر والآلهة السورية في أسطورة أوغاريتية حورون والأفاعي، تعريب: بشير زهدي، (الحوليات الأثرية 34)، 1984 ص277-280.

بوزه، يوهانس، حفريات تل الشيخ حسن، التقرير الأولي عن موسم عام 1988 في وادي الفرات، ترجمة وحيد خياطة (الحوليات الأثرية السورية، 39/38)، دمشق، 1989، ص 221-234.

تيكسيدور، جافير، الديانة الآرامية، ترجمة عبد الرزاق العلي، (موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثاني، مصر- سورية - بلاد الرافدين، العرب قبل الاسلام)، دار علاء الدين، ط2، 2007.

جاموس، بسام، مملكة إيمار في عصر البرونز الحديث (1600 - 1200ق.م)، دمشق، 2004.

حامدة، أحمد، الملك والأسرة المالكة في فينيقيا، (دراسات تاريخية، 50/49)، دمشق، 1994، ص129-160.

الحكيم، صالح، الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني قبل الميلاد، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 2010.

الحلو، عبد الله، سوريا القديمة، الطبعة الأولى، دمشق، 2004.

حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين، بغداد، 1978.

حنون، نائل، الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دمشق، 2005.

حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، الجزء الأول، (المدافن وشعائرها)، دمشق، 2006.

حيدر، جمال، المعابد في أوغاريت، (مجلة مهد الحضارات، 11-12)، دمشق، 2010، ص 57-60.

الخطيب، محمد، الحضارة الفينيقية، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 2006.

خليف، بشار، مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الأثرية، دمشق، 2005.

خياطة، محمد وحيد، الآثار الآرامية ومميزاتها في متحف حلب (الحوليات الأثرية السورية،43)، دمشق، 1999، ص 121-136.

الدالاتي، فهمي، رأس الشمرا، 1929 - 1979، دمشق، 1980.

دوبون، سومر، الآراميون، تعريب ناظم الجندي، تدقيق توفيق سليمان، طرطوس، 1988.

دونالد، هاردين، الديانة الفينيقية ترجمة ثائر ديب، (موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثاني، مصر - سورية - بلاد الرافدين، العرب قبل الاسلام)، دار علاء الدين، ط2، 2007.

دونان، موريس، وصليبي نسيب، معبد عمريت، تعريب عدنان البني (الحوليات الأثرية السورية، 12/11)، دمشق، 1962 ص129-132.

ريم، إلن، سنضحي أمام أدد ببقرة وست شياه - المعابد وطقوسها في سورية، (كنوز سورية القديمة - اكتشاف مملكة قطنا)، متحف فورتمبرغ، شتوتغارت، 2009.

ريم، إلن، المذبح المنزلي والتمائم - الحياة الدينية خارج أسوار المعابد، (كنوز سورية

القديمة- اكتشاف مملكة قطنا)، متحف فورتمبرغ، شتوتغارت، 2009.

زايد، عبد الحميد، المشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، 1967.

زودن، ف، فون، مدخل إلى حضارة الشرق القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، ط1، دمشق، 2003.

ساغز، هاري، عظمة بابل، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دمشق، 2008.

ساغز، هاري، عظمة آشور، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دمشق، 2008.

سعادة، جبرائيل، أبحاث تاريخية وأثرية، ترجمة سلمان حرفوش، دمشق، 1987.

سليم، أحمد أمين، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم: العراق - إيران، الاسكندرية، 1992.

السواح، فراس، لغز عشتار، دار علاء الدين، ط 6، دمشق، 1996.

السواح، فراس، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 2006.

سومر، دوبونت، الآراميون، ترجمة ألبير آبونا (مجلة سومر، 19) وأعيد نشره بدار الوراق للعام 2007م.

شترومينغر، إيفا، العصر السوري الحديث (الآثار السورية)، فيينا، 1985، ص165-170.

شعث، شوقي، التنقيبات الأثرية في تل دينيت، (الحوليات الأثرية السورية، 40)، دمشق، 1990، ص 57-74.

الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور، بيروت، 1996.

شيفمان، إ. ش، مجتمع أوغاريت، ترجمة حسان إسحق، دمشق، 1988.

شيفمان، إ. ش، ثقافة أوغاريت، ترجمة حسان إسحق، دمشق، 1988.

طرقجي، أحمد فرزة، العلاقات السورية المصرية خلال عصر البرونز الحديث، اكتشاف أثري جديد جنوبي دمشق، (المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي)، دمشق، 2000.

عبد الله، فيصل، المعاني اللغوية لأسماء الآلهة، (عاديات حلب، الكتابان الحادي عشر والثاني عشر) 2008، ص29-30.

عبد الله، فيصل، ومرعي، عيد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، دمشق، 2008.

عبد الرحمن، عمار، مملكة ألالاخ، دمشق، 2008.

عبد الرحمن، خليل، أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرداشتية)، الطبعة الثانية، دمشق، 2007.

عبد الرحمن، قصي محمد، أوغاريت، وزارة الثقافة، دمشق، 2008.

علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، دمشق، 1999.

علي، فاضل عبد الواحد، أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الإنشاد لسليمان، (سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الرابع والثلاثون)، بغداد، 1978.

فرزات، محمد حرب، عوامل سياسية واقتصادية في تطور سورية في العصر الآرامي القديم حتى أواخر القرن الثامن ق.م (دراسات تاريخية، 20/19)، دمشق، 1985، ص 170-192.

فرزات، محمد حرب، صور إنسانية من الحياة اليومية والأسرية في بلاد الشام - خلال الألف الأول ق.م، (مجلة التراث ا لعربي، 23)، دمشق، 1986.

فرزات، محمد حرب، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجية في حضارة سورية القديمة - مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها، (دراسات تاريخية، 42/41)، دمشق، 1992.

فرزات، محمد حرب، العلاقات السياسية بين مملكة آرفاد الآرامية وآشور حتى أواسط القرن الثامن ق.م، (دراسات تاريخية، 46/45)، دمشق، 1993، ص 127-139.

فريحة، أنيس، ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا)، بيروت، 1966.

فنطر، محمد، من أوغاريت إلى قرطاج، (الحوليات الأثرية السورية، 30/29)، دمشق، 1980، ص113-118.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، بيروت، 2003.

فيلهلم، جرنوت، الحوريون: تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق اسماعيل، دار جدل، حلب، سورية،2000.

قابلو، جباغ، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، دمشق، 1999.

كاكو، أندره، حورون - نظرية نقدية ومعطيات جديدة، تعريب بشير زهدي، (الحوليات الأثرية، 30/29)، دمشق، 1980، ص97-102.

كراوس، ماريانة، أياتون، سورية ومصر، ترجمة نايف بللوز، (الآثار السورية)، فيينا،

1985. ص318-320.

كريمر، ص، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، 2007.

كلينغل، هورست، آثار سورية القديمة، دمشق، 1985.

كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي 3000 - 300 ق.م، ترجمة: سيف الدين دياب، دمشق، 1998.

كلينغل، هورست و:إيفلين، إله الطقس السوري والعلاقات التجارية، ترجمة علي خليل، (الحوليات الأثرية، 43)، دمشق، 1999، ص311-316.

كوبر، م. آلان، وكوجان. د. ميشيل، الديانة الكنعانية، ترجمة:فاروق هاشم، (موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثاني)، دار علاء الدين، ط2، دمشق، 2007.

كولماير، كاي، العصر السوري الوسيط، ترجمة نايف بللوز، (الآثار السورية)، فيينا، 1985 ص126-164.

كوهلماير، كاي، معبد إله الطقس في قلعة حلب، ترجمة فاروق اسماعيل، دمشق، 2006.

كونتانسون، هنري، وآخرون، تقرير أولي لحفريات أوغاريت - راس الشمرة، الموسم الرابع والثلاثون لعام 1973، تعريب عدنان البني، (الحوليات الأثرية، 25)، دمشق، 1975، ص 209-218.

كيرشباوم، إيفا كانجيك، تاريخ الآشوريين القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، دمشق، 2008.

لابات، فرانسواز، دمشق خلال الألف الثاني ق.م، (الحوليات الأثرية السورية، 52/51)، دمشق 2009.

نادية، ولوتس، مارتين، تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم، ترجمة فاروق إسماعيل، دمشق، 2006.

مارغورون، جان كلود، تقرير أولي عن موسم التنقيب الأول والثاني في مسكنة – إيمار 1972 - 1973، تعريب: عدنان البني، (الحوليات الأثرية السورية، 25)، دمشق، 1975، ص221-224.

مارغورون، جان كلود: إيمار، تعريب لوريس شهلا، (الحوليات الأثرية السورية، 33)، دمشق، 1983، ص269-272.

مازيل، جان. تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، اللاذقية، 1998.

محمد، جيهان عزت، أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، دمشق، 2011.

سلطان، آثار الوطن العربي القديم (الآثار الشرقية)، جامعة دمشق، 1988.

مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم (-3000 333ق.م)، دمشق، 2010.

مرعي، عيد، فيلون الجبيلي، دمشق، 1993.

مرعي، عيد، إدريمي ملك آلالاخ، (دراسات تاريخية، 30/29)، ص108-119.

مصطفى، محمد، أسطورة الملك كيرت، (مجلة عاديات حلب)، 2006، ص65-72.

مقدسي، ميشيل، دورة الملوك الموتى، تقديس الأجداد في سورية في نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد، ترجمة: غادة الحسين (مجلة مهد الحضارات، العدد الثاني)، دمشق 2007، ص 29-33.

المقدسي، ميشيل، وليربيرغ. كارل فان، تل التويني - البعثة الأثرية السورية البلجيكية، (سلسلة وثائق الآثار السورية (X، دمشق، 2009.

مقدسي، ميشيل، تل التويني، (موقع سيريا نيوز الألكتروني)، بتاريخ 2010/8/26.

موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، 1986.

ميغوليفسكي، أ. س، أسرار الآلهة والديانات، ترجة حسان مخائيل إسحق، دمشق، 2005.

نور الدين، عبد الحليم، الديانة المصرية القديمة، (الجزء الأول - الآلهة)، القاهرة 2009.

نور الدين، عبد الحليم، الديانة المصرية القديمة، (الجزء الثاني - الكهنوت والطقوس الدينية)، القاهرة، 2009.

نير، هربرت، تعدد المعتقدات - الأديان في سورية في الألف الثاني قبل الميلاد، (كنوز سورية القديمة - اكتشاف مملكة قطنا)، متحف فورتمبرغ، شتوتغارت، 2009

هاز، فولكرت، الآلهة والعبادات والأساطير، ترجمة نايف بللوز(الآثار السورية)، فيينا، 1985، ص344-352.

هبو، أحمد، الحضارة الكنعانية، (مجلة عاديات حلب)، جامعة حلب، 2006، ص 53-64.

هوكنز، ج. د. النقوش الهيروغليفية اللوفية في سوريا، ترجمة: منى مؤذن (مجلة الحوليات الأثرية السورية، 39/38)، دمشق، 1989 ص 271-280.

ورشة العمل الخاصة بالحفاظ على معبد إله العاصفة القديم، قلعة حلب، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 2005.

وولي، ليونارد، آلالاخ مملكة منسية، ترجمة فهمي الدالاتي، دمشق، 1992.

وليامـز، سـيتون، موسـم حفريـات عـام 1964 في تـل رفعـت الأثـري، تعريب شـوقي شـعث، (الحوليـات الأثرية السـورية، 7)، دمشـق، 1967 ص169-176.

يـون، مارغريـت، أعـمال البعثـة الفرنسـية في رأس الشـمرة، أوغاريـت 1978 - 1983، تعريب عدنـان البنـي (الحوليات الأثريـة السـورية، 33، ج1)، ص189-123

يــون، مارغريــت، أوغاريــت ومــاري - العلاقــات الدوليــة في العــصر البرونــزي الحديــث، ترجمــة بشــير زهــدي، (الحوليــات الأثريــة الســورية، 34)، دمشــق، 1984 ص245-247.

المراجع الأجنبية

- Akkermans P. & Schwartz G.، 2003; Akkermans P. & Schwartz G، The Archaeology of Syria; from complex Hunter

- Gatherers to Early Urban Societies (16000- 300B.C)، Cambridg.

- Aubet. M. E 1999; Aubet. M. E: Aubet. M. Eugenia; The Phoenicians and The West – politics، colonies، and trade، Cambridge. 1999.

- Bader. L.، 2003; Bader. Leila.، Recently Discovered Bronze Age Temples: Middle Bronze Beirut and Late Bronze Tell Kazel; P.Matthiae، ICAANE. Vol.1.

- Biggs، 2005; Biggs. R، Brinkman. J، Civil. M، Farbr. W، Gelb. I، Oppenheim. M، The Assyrian Dictionary، 2005، Vol; 12.(P)، Chicago(U.S.A)

- Bienkowski. 2000; Bienkowski. P، & Millard: A Dictionary of the Ancient Near East، British Museum، London.

-Bontaz.، 1998; Dominik. B، & Kuhne. H،& As›ad. M، Rivers And Steppes (cultural heritage and environment of the Syrian Jezireh)، DGAM، Damascus

- Boyd، 2009; Boyd.L. S، Hardy.H، Thomas. B، Two New Inscriptions from Zincirli and Its Environs،(American Schools Of Oriental Research، 356، 2009)P7380-.

-Callot، O.، 2011; Callot، O، Les sanctuaries de l›acropole d›Ougarit، Les temples de Baal et de Dagan،(Ras Shamra- Ougarit XIX)، Paris.

-Dhorme.Em، Dussaud.R.، 1945; Dhorme.Em Dussaud.R، Les Anciennes

Religions Orientales II، (Les religion des Hittites et des Hourrites Des Pheniens et des Syriens)،Paris.

- Dietrich Manfrried.، 1994; Dietrich Manfrried.، Aspects of the Babylonian Impact on Ugaritic Literature and Religion، in (Ugarit، Religion and Culture، edited by; N. Wyatt. W.G.E.Watson، J.B.Lloyd، Edinburgh).

- Dijkstra، Meindert.، 1991; Dijkstra، Meindert، The Weather – god on two mountains، (Ugarit –Forschungen، Band 23).

- Dunand. M، et Saliby.N، 1985; Dunand. Maurice، et Saliby.Nessib Le Temple D›Amrith Dans La Peree D›Aradus، Paris. 1985.

- Felix. B، & Dittmar، M، 2011; Felix. B، & Dittmar، M: Current excavations at Tall Munbaqa Ancient Ekalte(RAQQA)، in; Chronique Archeologique En Syrie،Vol;V، DGAM، Damas، pp125- 129.

- Finkelstein.J.J.، 1957; Finkelstein.J.J، Assyrian contracts from SultanTepe،. In(ANATOLIAN STUDIES، Vol: 7، Ankara،1957). pp137- 146

- Fleming. E، 1994; Fleming. E. Daniel، The Storm God of Canaan at Emar. (UGARIT-FORSCHUNGEN، Band 26، 1994. pp. 127- 131).

- Fleming.، G; 1992; Fleming.G، The Installation of Baal،s at Imar، Hrvard semtic studies، n42، 1992.

-Flieming.، 1992; Fleming. E. Daniel ، The Rituals from Emar - Evolution of an indigenous tradition in the second-millennium Syria- (Bibliotheca Mesopotamica، Vol. 25- New Horizons in the study of Ancient Syria)، Malibu. P. 51 -63.

-Gelb، 1961; Gelb. I، Landsberger. B، Oppenheim.A، The Assyrian Dictionary، 1961، Fourth Printing. 1998، Vol; 21.(Z)، Chicago(U.S.A)

- Grayson. A. Kirk.، 1996; Grayson. A. Kirk، Assyrian Rulers of The Early First Millennium B.C (II)، 858 -745B.C، Toronto.

- Haider. 1995; Haider. P. W، Grundzuge der Phonizischen Religion،

(Reliionsgeschichte Syriens)، Stuttgart. Berlin. Koln، P.128136-.

- Hawkins J. D.، 1982: Hawkins J. D.، The Cambridge Ancient History، Vol. III، Par I، second edition، Cambridge

- Hawkins J. D.، 1997; Hawkins J. D، Carchemish، The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the near east، Vol: 2

- Healey. J.F.، 1994; Healey. J.F، Grain and Wine in Abundance: Blessings from the Ancient Near East. in (Ugarit، Religion and Culture، edited by; N. Wyatt. W.G.E.Watson، J.B.Lloyd، Edinburgh).

- Heltzer، M.، 2006; Heltzer، M، The Lands of the Gods(Temples) in Ugarit and their Personnel، in»UGARIT-FORSCHUNGEN،Herausgegben Manfried Dietrich. Oswald Loretz، Band 38، Germany.

- Hoffner A، 1992 Hoffner A. Harry، Syrian Cultural Influence in satti، in(Bibliotheca Mesopotamica، Vol. 25- New Horizons in the study of Ancient Syria، edited by;M.W.Chavalas، J.L.Hayes- Malibu:62).

- Hutter، 1995: Hutter. M، Das Ineianderflieben Von Luwischen und aramaischen religiosen Vorstcllungen in Nordsyrien(Reliionsgeschichte Syriens)،p. 101- 115، Verlag W. Kohlhammer Stuttgart، Berlin، Koln

-Jad، & Arm.، 2000: Jad، & Arm.، Hymns and prayers، Dictionary of the Ancient Near East، British Museum، London.

-Jl، 2000: Jl، Melqart، ، Dictionary of the Ancient Near East، British Museum، London.

- Korpel. C.A. Marjo.، 1994; Korpel. C.A. Marjo، Avian Spirits in Ugarit and in Ezekiel. in (Ugarit، Religion and Culture، edited by; N. Wyatt. W.G.E.Watson، J.B.Lloyd، Edinburgh.

- Kreuzer، 1995; Kreuzer، K: Die Religion der Aramaer auf dem Hintergrnund der fruhen aramaishen Staaten، (Reliionsgeschichte Syriens)، Stuttgart، Berlin، Koln، p.101- 115

- Kuhne. H، 2009; Kuhne. Hartmut، Interaction of Arameans and Assyrians On The Lower Khabur. In(Syria، Tome 86، Annee 2009).

- Kuhne، H، 2009a; Kuhne. Hartmut، Dur – Katlimmu – Der Assyrische Zentralort Am Khbour.

- محاضرة ألقيت في معهد الآثار الإلماني بدمشق بتاريخ 2009/3/22

-Lagarce 2010ك

Lagarce، B.، Une stèle ramesside à Meydaa (région de Damas) et la présence égyptienne en Upé 53، Syria 87، 2010، pp. 53- 63

- Lete، G. Olmo.،2008; Lete، Gregorio Del Olmo، Orientalia Lovaniensia Analecta(Mythologie et Religion Des Semites Occidentaux، Vol; II، PARIS، 2008).

- Lewis.J.T، 1994; Lewis.J. Theodore، Toward A Literery Translation of Rapiuma Texts. (Ugarit، Religion and Culture، edited by; N. Wyatt. W.G.E.Watson، J.B.Lloyd، Edinburgh).

- Lipinski. E، 2000; Lipinski. Edward، The Aramaeans، their ancient history culture religion، Louvain (Belgium).2000

- Margueron. J، 1985; Margueron، Jean، A propos des temples de Syrie du Nord ، Paris.

- Masetti. G. M، 2009; Masetti. G. Maria Cultures in Contact in the Syrian Lower Middle Euphrates Valley: Aspects of the Local Cults in the Iron Age II. (SYRIA، Tome 86، Annee).

- Mazzoni. S، 2002; Mazzoni. Stefania، Temples in the City and the Countryside: New Trends in Iron Age Syria، (Damaszener Mitteilungen، Band 13).

- Mazzoni، 2009; Mazzoni. S، Tell Afis، Rapport la XXVII campagne archeologique a Tell Afis 2009

- Michel، J، 1993; Michel، Jean، Temples Et Pratiques Rituelles،(Le Paye d›Ougarit autour de 1200av.J.C. Ras Shamra- Ougarit XI Marguerite Yon، Maurice Sznycer et Pierre Bordreuil)، Paris

- Mierse. E. W، 2004; Mierse. E. William، The A rchitecture of the Lost Temple of Hercules Gaditanus and Its Levantine Associations ،In(American Journal of Archaeology، Vol. 108. No.4).

- Moor،C، J، 1990; Moor،C، Johannes، Lovable Death in the Ancient Near East، in(Ugarit- Forschungen، Band 22).pp.233- 245.

- Nishiyama، 1997; Nishiyama. I. Shin، Yoshizawa. Satoru.، Who Worshipped the Clay Goddess? The Late first millennium B.C Terracotta figurines from Tell Mastuma، Northwest Syria. (Bulletin of The Ancient Orient Museum، Vol; XVIII)، pp73 -98

-Oesch. J، 1995; Oesch. J، Die Religion Alalachs، (Reliionsgeschichte Syriens)، Verlag W. Kohlhammer Stuttgart Berlin Koln)،p. 49- 68

- Pardee،D.، 2002; Pardee. Dennis، Ritual and Cult at Ugarit (Leiden. Boston. Koln).

-Pardeem D.، 2009; Pardeem Dennis، A New Aramaic Inscriptions from Zincirli، in (American Schools Of Oriental Research، 356).

- Pitard، 1996; Pitard، Wayne، Care of the Dead At Emar، in(Emar: The History، Religion، and culture of Syrian Town in the Late Bronze Age، Edited by Mark. W Chavalas،Marylan).

- Radner. K.، 2004; Radner. Karen، Die Neu Assyrischen Texte Aus Tall Šiekh HAMAD، Dietrich Reimer Verlag. Berlin، P.14- 16.

- Salepy، 1997; Salepy. Nassib، Amrit، The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the near east، Vol; 1

– Sader، 2000;Sader، H، The Aramean kingdoms of Syria origin and formation processes، Ancient Near Eastern Studies، Supplement 7، pp.61- 76

- Sader، 1987; Sader Helen، Les Etats Arameens De Syrie، Orient Institut، Beirut.

- Schloen، 2009;

Schloen، David and Fink.S. Amer New Exacavations at Zincirli Hoyuk in

Turkey(Ancient Sam'al) and the Discovery of an Inscribed Mortuary Stele. In(American Schools of Orient Research، Number 356، November).

- Schmidt، 1996; Schmidt. B. Brian، The Gods and dead of the Domestic Cult at Emar:A Reassessment، in(Emar: The History، Religion، and culture of Syrian Town in the Late Bronze Age، Edited by Mark.W،Chavalas ،Maryland).

-Soden، 1965،Soden. W. V، Akkadisches Handorterbuch، Band. I، A-L،Wiesbaden

- Soldi، 2009;Soldi، Sebastiano، Aramans and Assyrans in north –western Syria; Material Evidence From Tell Afis. In(SYRIA، Tome 86، Annee 2009. PP.97- 118).

- Struble، 2009;Struble ، E& Herrmann. V. R، An Eternal feast at Sam›al: The New Iron Age Mortuary Stele from Zincirly in Context، in(American Schools Of Oriental Research، 356).15- 49

- Tarragon، 1993; Tarragon، J، M، Temples et Pratiques Rituelles. (Le Pays d› Ougarit- Autour de 1200 av.H-C. Ras shamra-Ougarit XI، ed;M. Yon، M.Sznycer، P.Bordreuil)، Paris. pp 203- 211

- Trokay M، 1996; Trokay Madeleine، Interconnections in Glyptic during the neo-assyrian period، ABR–NAHRAIN، XXXIII، Louvain، 1996، pp.96 -112

- Tsumura. D. T.، 1992; Tsumura. D. Toshio، The Interpretation Of The Ugaritic Text KTU 1.161، in(Official Cult and Popular Religion in the Ancient Near East، the middle eastern culture center in Japan، Tokyo).

- Werner، 1998; Werner، Peter، Tall Munbaq Bronzezeit in syrien، wachholtz verlug neumuster.

-Wiggins، 1991; Wiggins. S. A، The Myth of Asherah; Lion lady and Serpent Goddess(Ugarit – Forschungen، Band 23)، p. 383- 394

- Wyatt، 2oo6; Wyatt.N، The Religious Role of the King in Ugarit، (Ugarit – Forschungen، Band 38)، p. 695- 722

- Yon، 1994; Yon. Marguerite، The Temple of the Rhytons at Ugarit. in (Ugarit، Religion and Culture، edited by; N. Wyatt. W.G.E.Watson، J.B.Lloyd، Edinburgh)